مَعَارِجُ القَبُول

بشرح سُلم الوصول

إلى علم الأصول في التوحيد

الطبعة الأولى

1427هـ - 2006م

رقم الإيداع : ١٨٠٦٨ / ٢٠٠٦



طبع . نشر . توزيع

المركز الرئيسي : فارسكور : تليفاكس 002057441550 جوال : 0122368002

فرع المنصورة : 33 شـارع جمـال الدين الأفغـاني هاتف : 0020502312068

مَعَارِجُ القَبُول

بشرح سُلم الوصول

إلى علم الأصول في التوحيد

للشيخ حافظ بن أحمد حَكَمي
(١٣٤٢- ١٣٧٧ هـ)

خرج أحاديثه وعلق عليه

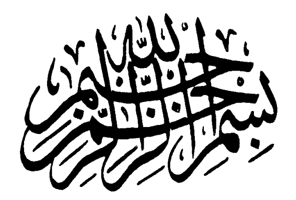
أبو محمد يحيى بن محمد سوس

راجعه وقدم له

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي

الجزء الأول

دار ابن رجب



بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

فهذا كتاب معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وكتابه هذا مشهور لدى طلبة العلم والباحثين .

وقد قام أخي في الله يحيى سوس حفظه الله تعالى بتخريج ما فيه من الأحاديث والآثار والحكم عليها بما تستحقه صحة أو ضعفًا .

فجزاه الله خيرًا على ما بذل من جهدٍ في هذا الصدد ، فإن الكتاب به طائفة كبيرة من الأحاديث الضعيفة ، وقد قام أخي ببيانها ، حفظه الله وشكر مسعاه .

هذا ، وقد قمت مع أخي يحيى حفظه الله بمراجعة عمله ، فألفيته نافعًا مفيدًا ، فجزاه الله خير الجزاء ، ونفع به ، ووفقه لمواصلة طلب العلم والدعوة إلى الله على بصيرة .

هذا ، وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد وسلم .

والحمد لله رب العالمين .

كتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي



مقدمة المحقق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فإن أول ما يجب على المسلم معرفته: توحيد الله ﷻ بالأدلة.

وأصل التوحيد ومعناه: معرفة أن الله واحد، واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله.

وهذه المعرفة تستلزم نوعًا آخر من التوحيد، هو لهذه المعرفة كالغاية والنتيجة.

فالأول: هو توحيد المعرفة والإثبات.

والثاني: هو توحيد القصد والطلب. وهو صرف العبادة إلى الله ﷻ وحده، وهذا هو معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله».

وقد جاء التوحيد في كلام النبي ﷺ مرادفًا لهذه الكلمة، ففي حديث النبي ﷺ لمعاذ لما أرسله إلى اليمن قال: **«فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى»**(١) وفي لفظ: **«إلى عبادة الله»**(٢) وفي لفظ: **«فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»**(٣) والمعنى في الروايات واحد، فقد أمره النبي ﷺ أن يدعوهم إلى توحيد الله، ولا يكون توحيد بغير الشهادة، ولا تنفع الشهادة بغير توحيد العبادة لله ﷻ.

والنبي ﷺ لم يقل هذه الألفاظ الثلاث، لكن قال واحدًا منها، وفهم العلماء من

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٣٧٢).

(٢) «صحيح البخاري» (١٤٥٨).

(٣) «صحيح البخاري» (١٣٩٥، ١٤٩٦، ٤٣٤٧).

الصحابة ومن بعدهم أن المعنى واحد في الألفاظ الثلاث، فلم يجدوا حرجًا في روايته بالمعنى الموافق المنضبط.

والقصد من ذلك بيان أن معنى التوحيد في عهد النبي ﷺ والصحابة من بعده، هو معرفة أن اللّٰه واحد، وما يستلزمه ذلك من توحيد العبادة للّٰه سبحانه.

لكن لما اتسعت دولة الإسلام، ودخل الناس في دين اللّٰه أفواجًا، دخل مع الناس شراذم من أهل الكفر، دخلوا كيدًا للإسلام وخديعةً لأهله وفتح المسلمون في أثناء ذلك بلادًا لها علوم وكتب، فترجم الناس من كتب هذه الأمم علومًا نافعة، وأخرى كُفرية، ووجد الحاقدون مبتغاهم في هذه الكتب الكفرية، فأخرجوا من كُفرياتها وشبهاتها بدعًا ملئوا بها الأسماع، وأعموا بها عيون الجهلاء، وجرّؤوا الناس على الخوض في أمور من التوحيد والإيمان أغلقها رسول اللّٰه ﷺ.

وانتفض المسلمون لرد الكيد بين فريقين:

فريق رأى غلق ما أغلقه رسول اللّٰه ﷺ وصحبه من بعده رضوان اللّٰه عليهم.

وفريق رأى أن يرد الكيد بذات السلاح، فتعلموا من الفلسفة والمنطق ما يردون به كيد المعتدين على حرمة الدين، وخرجوا من علوم القوم بعلم جديد، اعتمد على مناهجهم، أسموه: علم التوحيد، وعلم الكلام، وعلم أصول الدين، وعلم الفقه الأكبر، وعلم العقيدة.

لكن السلاح فاسد، والفلسفة عقيمة، والمنهج الذي اخترعوه لرد العدوان منهج مبتدع غير منهج النبي والأصحاب.

لذا دخل الفساد في كلام هذا الفريق، لا لقصدهم، بل لمخالفتهم منهج رسول اللّٰه ﷺ.

وأخذ التوحيد مع هؤلاء معنى جديدًا غير ما كان في عهد النبي ﷺ والصحب الكرام.

فبعد أن كان التوحيد لفظًا مطابقًا لمعناه من الناحية اللغوية، صار التوحيد لقبًا لعلم معناه أوسع من لفظه، من باب إطلاق البعض وإرادة الكل، وبعد أن كان التوحيد هو: معرفة أن اللّٰه واحد والعمل بمقتضى ذلك، دخل في التوحيد مسائل الإيمان من الإيمان باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر، وصار التوحيد مرادفًا لكلمة الاعتقاد، وأخذ التوحيد شكلًا جديدًا يتضمن ثلاثة مباحث، هي:

الإلهيات: وهي ما يتعلق بالله سبحانه، ببيان ما يجب وما يجوز وما يستحيل في حق الله تعالى(١).

والنبوات: وهي ما يتعلق بالرسل وإرسالهم، وما يجب وما يجوز وما يستحيل عليهم، والمعجزة والكرامة والسحر.

والسمعيات: وهي الأمور الغيبية التي لا سبيل إلى معرفتها إلا بالسمع، وهي كل غيب أخبر عنه القرآن، أو النبي ﷺ، من الملائكة والجن، والموت، والقبر، والبرزخ، والحساب، والصراط، والميزان، والشفاعة، والجنة، والنار، وغير ذلك.

أما منهج المحدثين في التوحيد فمنهج سهل يسر، منهج يوافق الفطرة، ولا يدنس العقول بمثل أوهام الفلاسفة، منهج يناسب المتعلم والأمي، العربي والعجمي، منهج ناسب أبا بكر وعمر، وناسب تلكم الأَمَة التي أُتي بها إلى النبي ﷺ فسألها: أين الله؟.

منهج لا إشكال فيه، قاعدته: الإيمان- من غير تعطيل- بما ورد عن الله في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ بفهم سلف الأمة من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم من صالحي الأمة وأئمتها رضي الله عنهم جميعًا، وعدم الخوض في كيف أو صفة أو تشبيه أو تمثيل فيما يتعلق بصفات الباري ﷻ.

وقد كتب العلماء من المحدثين وغيرهم كتبًا في التوحيد ومسائل الإيمان والاعتقاد، مقررين لهذه القاعدة، ناشرين للحق، مدافعين عنه، صادين لأهل البدع والانحراف، داعين الناس لأخذ علمهم من حيث أخذ الصالحون، ممن لا ينطق عن الهوى ﷺ.

فاشتملت كتب هؤلاء العلماء على محاور ثلاث:

- توحيد الله ﷻ.
- مسائل الإيمان والاعتقاد.
- الرد على بدع الفرق في التوحيد والإيمان.

وعُرفت هذه الكتب بأسماء منها: التوحيد، السنة، الاعتقاد، الإيمان.

---

(١) الكلام في الإلهيات هو أصل التوحيد، وينقسم إلى قسمين: الأول: توحيد المعرفة والإثبات، ويشتمل على توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، والثاني: توحيد القصد والطلب، وهو توحيد الإلهية.

ومن أحسن ما كتب المتأخرون في ذلك: كتاب معارج القبول للعلامة الشيخ حافظ ابن أحمد حكمي، عليه رحمة الله، وترجع أهمية هذا الكتاب في رأيي إلى أمرين تميز بهما:

الأول: الاعتماد على الدليل النقلي من كتاب الله تعالى، ومن سنة رسوله ﷺ وإتْباع ذلك بأقوال الأئمة من الصحابة فمن بعدهم رضي الله عنهم جميعًا وعنا معهم.

الثاني: شمول الكتاب لسائر مباحث الاعتقاد، فلم يقتصر على توحيد الإلهية، أو على التوحيد بعمومه، بل اشتمل مع ذلك على مباحث الإيمان بأركانه الست، والرد على الفرق المبتدعة كالقدرية والخوارج والرافضة.

والله ﷻ أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصًا إليه، متقبلًا لديه، وهو سبحانه أقرب مسئول، وأكرم مأمول.

□ عملي في الكتاب:

• تحقيق النص بضبط ما قد يشكل من الألفاظ والأسماء.

• اعتمدت على عدة نسخ مطبوعة في جميعها أخطاء وتصحيفات، أصلحتها بالرجوع إلى المصدر الذي اعتمد عليه المصنف ونقل منه، مع الإشارة لغالب ذلك في الحاشية.

• قمت بتحقيق سائر الأحاديث النبوية المرفوعة، مع تصدير الكلام بالحكم على الحديث تيسيرًا على القارئ.

• قمت بتحقيق الآثار جميعها إلا ما ندر، مع تصدير الكلام بالحكم على الإسناد إلى صاحب الأثر.

• كل أثر لم أحكم على إسناده بصحة أو ضعف، فهو في المصدر الذي قمت بتخريجه منه إما بغير إسناد، وإما فيه من لا يعرف.

• عزوت الأقوال التي يوردها المصنف إلى أصحابها في كتبهم إن كانوا من أصحاب التصانيف، أو إلى الكتب التي تورد أقوالهم بالأسانيد، أو غيرها إن تعذر ما سبق.

• جعلت ترقيم الحاشية في آخر الكلام الذي أعزوه، حتى لا يختلط ما نقله المصنف بما أنشأه.

• توسعت غالبًا في تخريج الأحاديث، وربما اقتصرت أحيانًا ولم أتوسع إذا لم يكن

في التوسع فائدة .

• إذا كان الحديث مخرجًا في بعض تحقيقاتي للكتب المسندة ككتاب «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد، وكتاب «التوحيد» لابن خزيمة، وأشباههما، فقد أقتصر أحيانًا في التخريج مع الإحالة إلى الموضع الذي تكلمت فيه مفصلًا عن العلة، أو متوسعًا في التخريج .

• كل حديث أو أثر حكمت عليه بالضعف بينت علته وسبب ضعفه .

• اهتممت في مناقشة الحديث بالعلل، وربما توسعت إذا لم أجد في الإحالة ما يشفي، وربما اكتفيت بالإحالة إلى موضع الحديث من كتب العلل، مع بيان ما يترجح لدي بعد البحث .

• ترجمة المصنف وجدتها في أول النسخ التي وقعت لدي من الكتاب، وكاتبها هو ابن المصنف رحمه الله : الدكتور أحمد بن حافظ حكمي، وكنت أظن أن هذه الترجمة كُتبت لهذه النسخة بعينها، ثم وجدت الترجمة في كل نسخ الكتاب، فعلمتُ أن محققي الكتاب نقل بعضهم الترجمة من بعض، أو من مصدر واحد من غير إشارة منهم لذلك .

• أثبتُّ ترجمة المصنف تاركًا التعليقات التي وضعها المترجم كما هي، ولم أعلق على الترجمة بأي تعليق، والرجل بأبيه أخبر .

• بعض النسخ لم يطبع بها نص المنظومة، وبعضها طبع نص المنظومة قبل مقدمة المؤلف وبعد مقدمة التحقيق، وفي بعضها طبع نص المنظومة بعد مقدمة المؤلف وقبل الشرح، ورأيت أن الأنسب هو أن تكون المنظومة قبل مقدمة المؤلف، وبعد مقدمة التحقيق .

• في النسخ التي طبعت فيها المنظومة طبعت تعليقات أسفلها، وهي ليست تعليقات المحققين، وإنما نقلوها جميعًا من مصدر واحد، دون الإشارة لذلك، وبعضهم يزيد من عنده تعليقات، لا يعرف القارئ كيف يفرق بين التعليقات المنقولة، وتعليقات المحقق، وقد رأيت أن أقوم بحذف هذه التعليقات جميعها، إذ ليس فيها كبير فائدة .

• نسخة «مستدرك الحاكم» التي اعتمدت عليها هي النسخة المطبوعة بالمكتبة العلمية .

• العزو إلى كتاب «التوحيد» لابن خزيمة وكتاب «السنة» لعبدالله بن أحمد هما

لمسودتي الكتاب لدي، وقد يحدث عند الطبع تغيير في الترقيم، فالرجا العذر، والله يغفر ويسامح[1].

• قمت بوضع بعض العناوين للأبواب وجعلتها بين معقوفين تمييزًا لها مع عدم الإشارة، وقد وجدت كثيرًا من العناوين التي اتفقت عليها النسخ وجعلت بين معقوفين ولم يشر محققي النسخ إلى أن هذه العناوين من صنيعهم إلا ما ذكروه في المقدمة، لكن لما توافقت النسخ لم أستطع الجزم بكون هذه العناوين من وضع المحققين نقلها بعضهم عن بعض، أو هي في الأصل الذي أخذوا عنه، ثم وجدت بعض النسخ خالية من هذه العناوين تمامًا.

• قمت بعرض عملي في الكتاب على شيخي أبي عبدالله مصطفى بن العدوي سلمه الله من كل سوء وحفظه، فراجعه معي، وربما أبدى ملاحظات راعيتُها، أو علق بخطه في مواضع فأثبت تعليقه، كما قدم الشيخ للكتاب بتقدمة أثبتُّها في أول الكتاب.

• قدمت للكتاب بمقدمة اشتملت على الكلام عن التوحيد، والكتاب، وعملي فيه.

والله ﷻ أسأل أن ينفع بهذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه، متقبلًا لديه. وأن يشرك معي في ثوابه أبوي وزوجي وولدي وشيخي ومن له علي حق، ومؤلف الكتاب وناشره وقارئه، وأن يجمعنا جميعًا في مستقر رحمته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه
أبو محمد
يحيى بن محمد سوس
عفا الله عنه

---

(١) حدث بالفعل تغيير في ترقيم كتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، حيث حذفت الأرقام من رقم (٢٥٦) وحتى رقم (٤٤٩)، وتحول الرقم (٤٥٠) إلى (٢٥٦) فليتنبه.



نبذة عن مؤلف الكتاب
الشيخ العلامة
حافظ بن أحمد الحكمي
(١٣٤٢ - ١٣٧٧ هـ)

بقلم ابنه
الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية - الرياض
(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

الشيخ العلامة حافظ بن أحمد بن علي الحكمي أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين، وهو علم من أعلام منطقة الجنوب (تهامة) الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجري).

والحكمي: نسبة إلى (الحكم بن سعد العشيرة) بطن من (مذحج) من (كهلان بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان).

□ مولده ونشأته:

ولد الشيخ حافظ لأربع وعشرين ليلة خلت من شهر رمضان المبارك من سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) بقرية (السلام) التابعة لمدينة (المضايا) - الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة «جازان» حاضرة المنطقة، على الساحل، قريبة منها - حيث تقيم قبيلته التي إليها ينتسب.

ثم انتقل مع والده أحمد إلى قرية (الجاضع) التابعة لمدينة (سامطة) في نفس المنطقة، وهو ما يزال صغيرًا، لأن أكثر مصالح والده - من أراض زراعية ومواش ونحوهما - كانت هناك، وإن بقيت أسرته الصغيرة تتنقل بين قريتي (السلام) و(الجاضع) لظروفها المعيشية.

ونشأ حافظ في كنف والديه نشأة صالحة طيبة، تربى فيها على العفاف والطهارة وحسن الخلق، وكان قبل بلوغه يقوم برعي غنم والديه التي كانت أهم ثروة لديهم آنذاك جريا على عادة المجمتع في ذلك الوقت، إلا أن حافظًا لم يكن كغيره من فتيان مجتمعه؛ فقد كان آية في الذكاء وسرعة الحفظ والفهم، فلقد ختم القرآن وحفظ الكثير منه وعمره لم يتجاوز الثانية عشرة بعد، وكذلك تعلم الخط وأحسن الكتابة منذ الصغر.

□ طلبه للعلم:

عندما بلغ حافظ من العمر سبع سنوات أدخله والده مع شقيقه الأكبر محمد[1] مدرسة لتعليم القرآن الكريم بقرية (الجاضع) فقرأ على مدرسه بها جزأي (عم، وتبارك)؛ ثم واصل قراءته مع أخيه حتى أتم قراءة القرآن مجودة خلال أشهر معدودة، ثم أكمل حفظه حفظًا تامًا بعد ذلك.

اشتغل بعدئذ بتحسين الخط فأولاه أكبر جهوده حتى أتقنه، وكان ينسخ من مصحف مكتوب بخط ممتاز، إلى جانب اشتغاله مع أخيه بقراءة بعض كتب الفقه والفرائض والحديث والتفسير والتوحيد مطالعة وحفظًا بمنزل والده إذلم يكن بالقرية عالم يوثق بعلمه فيتتلمذ على يديه.

وفي مطلع سنة ١٣٥٨ هـ قدم من (نجد) الشيخ الداعية المصلح عبد اللَّه بن محمد بن حمد القرعاوي[2] إلى منطقة (تهامة) في جنوب المملكة، بعد أن سمع عما كان فيها من الجهل والبدع- شأن كل منطقة يقل فيها الدعاة والمصلحون أو ينعدمون- ونذر نفسه مخلصًا على أن يقوم بالدعوة إلى الدين القويم، وتصحيح العقيدة الإسلامية في النفوس،

---

(١) هو الآن من خيرة علماء المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية وذوي الفضل فيها، له نشاط ملموس في الدعوة والإرشاد وإلقاء المحاضرات الإسلامية الرصينة، تولى إدارة معهد سامطة العلمي أكثر من عشرين عامًا بعد رحيل أخيه الشيخ حافظ الذي كان أول مدير لهذا المعهد، أسأل الله أن يطيل في عمره، وأن ينفع به، وأن يمتعه بالصحة ويجعل التوفيق حليفه دائمًا.

(٢) ولد الشيخ عبد الله القرعاوي- وهو جدي لأمي- في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم من نجد سنة ١٣١٥هـ، وتوفي بمدينة الرياض سنة ١٣٩٨ هـ- رحمه الله تعالى، وقد كان له الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية في المنطقة الجنوبية من المملكة (تهامة وعسير) وكانت لدعوته السلفية الإصلاحية هناك نتائج إيجابية، وآثار إصلاحية عظيمة على تلك المنطقة وأبنائها من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية- انظر بحثًا عنه وعن دعوته وآثارها كتبته في: مجلة (العرب) التي تصدر في الرياض: (مجلد ٨/ ج٧، ٨، ص ٥٢٣- ٥٣٠).

وإلى إصلاح المجتمع وإزاحة ما كان عالقًا في أذهان الجهال من اعتقادات فاسدة وخرافات مضلة.

وفي سنة ١٣٥٩هـ قدم شقيق حافظ عمي (محمد بن أحمد) برسالة منه ومن أخيه حافظ يطلبان فيها من الشيخ القرعاي كتبًا في التوحيد، ويعتذران عن عدم القدرة على المجيء إليه لانشغالهما بخدمة والديهما والعناية بشئونهما، كما يطلبان منه- إن كان في استطاعته- أن يتوجه إليهما بقريتهما ليسمعا منه بعض ما يلقي من دروس، وفعلًا لبّى الشيخ طلبهما وذهب إلى قريتهما، وهناك التقى بحافظ وعرفه عن كثب، وتوسم فيه النجابة والذكاء، وقد صدقت فيه فراسته.

ومكث الشيخ عدة أيام في (الجاضع) ألقى فيها بعض دروسه العلمية التي حضرها مجموعة من شيوخ القرية وشبابها ومن بينهم حافظ الذي كان أصغرهم سنًّا، لكنه كان أسرعهم فهمًا، وأكثرهم حفظًا واستيعابًا لما يلقي الشيخ من معلومات، يقول عنه الشيخ عبد اللَّه القرعاوي: «**وهكذا جلست عدة أيام في «الجاضع»**، وحافظ يأخذ الدروس وإن فاته شيء نقله من زملائه، فهو على اسمه (حافظ) يحفظ بقلبه وخطه، والطلبة الكبار كانوا يراجعونه في كل ما يشكل عليهم في المعنى والكتابة، لأني كنت أملي عليهم إملاء ثم أشرحه لهم»[1].

وعندما أراد الشيخ العودة إلى مدينة (سامطة) التي جعلها مقرًّا له ومركزًا لدعوته، طلب من والدي حافظ أن يرسلاه معه ليطلب العلم على يديه في (سامطة) على أن يجعل لهما من يرعى غنمهما بدلًا عنه، ولكنهما رفضا طلب الشيخ أول الأمر وأصرّا على أن يبقى ابنهما الصغير في خدمتهما لحاجتهما الكبيرة إليه.

وتشاء إرادة اللَّه أن لا تطول حياة والدته بعد ذلك إذ توفيت في شهر رجب سنة ١٣٦٠هـ فيسمح والده له ولأخيه محمد بأن يذهبا إلى الشيخ للدراسة لمدة يومين أو ثلاثة في الأسبوع ثم يعودا إليه؛ فكان حافظ لذلك يذهب إلى الشيخ في (سامطة) فيملي عليه الدروس، ثم يعود إلى قريته، وكان ملهمًا يفهم ويعي كل ما يقرأ أو يسمع من معلومات.

ولم يعمر والده بعد ذلك إذ انتقل إلى جوار ربه وهو عائد من حج سنة ١٣٦٠هـ رَحِمَهُ اللَّهُ

---

(١) نقلت هذا من رسالة صغيرة كتبها جدي الشيخ عبد الله القرعاوي بخطه وذكر فيها شيئًا موجزًا عن حياته، احتفظ بها لدي.

فتفرغ حافظ للدراسة والتحصيل، وذهب إلى شيخه ولازمه ملازمة دائمة يقرأ عليه ويستفيد منه.

وكان حافظ في كل دراساته على شيخه مبرزًا ونابغة، فأثمر في العلم بسرعة فائقة، وأجاد قول الشعر والنثر معًا، وألف مؤلفات عديدة في كثير من العلوم والفنون الإسلامية -سنقف على أسمائها- ولقد كان كما قال عنه شيخه: «لم يكن له نظير في التحصيل والتأليف والتعليم والإدارة في وقت قصير»[1].

□ علمه:

مكث حافظ يطلب العلم على يد شيخه الجليل عبد اللّٰه القرعاوي، ويعمل على تحصيله، ويقتني الكتب القيمة والنادرة من أمهات المصادر الدينية واللغوية والتاريخية وغيرها ويستوعبها قراءة وفهمًا.

وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره- ومع صغر سنه- طلب منه شيخه أن يؤلف كتابًا في توحيد اللّٰه، يشتمل على عقيدة السلف الصالح، ويكون نظمًا ليسهل حفظه على الطلاب، يعد بمثابة اختبار له يدل على القدر الذي استفاد من قراءاته وتحصيله العلمي؛ فصنف منظومته (سلم الوصول إلى علم الأصول- في التوحيد) التي انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ وقد أجاد فيها، ولاقت استحسان شيخه والعلماء المعاصرين له.

ثم تابع تصنيف الكتب بعد ذلك، فألف في التوحيد، وفي مصطلح الحديث، وفي الفقه وأصوله، وفي الفرائض، وفي السيرة النبوية، وفي الوصايا والآداب العلمية، وغير ذلك نظمًا ونثرًا، وقد طبعت جميعها طبعتها الأولى على نفقة المغفور له جلالة الملك سعود بن عبد العزيز.

ويتضح لنا من آثاره العلمية أن أبرز مقروءاته ذات الأثر في منهجه العلمي ومؤلفاته هي تلك الكتب التي ألفها علماء السلف الصالح من أهل السنة في العلوم الإسلامية من تفسير وحديث وفقه وأصوله، أما في مجال العقيدة فقد بدا شديد التأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كثير الاستفادة من مؤلفاتهما والأخذ عنهما، هذا إلى جانب استيعابه لكثير من مصادر التاريخ والأدب واللغة والنحو والبيان المؤلفة في مختلف العصور الإسلامية.

---

(١) المصدر السابق.

ولقد كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ عميق الفهم سريع الحفظ لما يقرأ، وقد مرّ بنا قول لشيخه يشيد فيه بتلميذه حافظ، الذي كان يحفظ بقلبه وخطه- على حد تعبير الشيخ- وكان زملاؤه الكبار يراجعونه في كل ما يشكل عليهم منذ مراحل تعليمه الأولى.

□ أدبه:

يعَدُّ الشيخ حافظ من أجلِّ علماء منطقة تهامة وأقدرهم على قول الشعر، فقد كان يعشق الشعر منذ صغره، ويحفظه ويقوله سليقة دون تكلف، فلا غرابة إذا رأيناه يخرج أكثر مؤلفاته نظمًا.

ولقد كان أكثر ما يقول الشعر- في غير ما كتبه من منظومات علمية- إما نصيحة أو مساجلة لصديق أو وصفًا أو خاطرة، إلا أنه لم يدون جل ما قال إن لم يكن كله، وما بأيدينا منه الآن نزر يسير جدًّا حفظه عنه بعض تلاميذه.

ومن أهم قصائد الشعر تلك القصيدة الميمية التي أنشأها في الوصايا والآداب العلمية، وهي طويلة جدًّا، نختار منها هذه الأبيات التي يصف فيه العلم ومنزلته:

العلم أغلى وأحلى ما له استمعتْ ... أذن، وأعرب عنه ناطقٌ بفم
العلم غايته القصوى ورتبته الـ ... ـعلياء؛ فاسعوا إليه يا أولي الهمم
العلم أشرف مطلوبٍ وطالبه ... للّه أكرم من يمشي على قدم
العلم نور مبين يستضيء به ... أهل السعادة والجهَّال في الظلم
العلم أعلى حياة للعباد، كما ... أهل الجهالة أموات بجهلهم

ثم يقول مرغّبا في العلم، وحاضًا على الحرص عليه، والسعي قدر المستطاع لنيل أكبر قسط منه، وعدم الرضا بغيره عوضًا عنه، فمن حصل عليه فقد ظفر، ويوصي طلبة العلم بمساعدة غيرهم في تحصيله وتقريب مباحثه، ويشير عليهم قبل ذلك كله بأن يخلصوا نياتهم- في طلبه- لوجه اللّه الكريم:

يا طالب العلم لا تبغي به بدلًا ... فقد ظفرت ورب اللوح والقلمِ
وقدس العلم واعرف قدر حرمته ... في القول والفعل، والآداب فالتزمِ
واجهد بعزم قوي لا انثناء له ... لو يعلم المرء قدر العلم لم ينمِ
في السر والجهر والأستاذ فاحترمِ ... والنصح فابذله للطلاب محتسبًا
وفيهم احفظ وصايا المصطفى بهمِ ... ومرحبًا قل لمن يأتيك يطلبه
والنية اجعل لوجه اللّه خالصةً ... إن البناء بدون الأصل لم يقمِ

وهناك أيضًا قصيدته الهمزية التي قالها في تشجيع الإسلام وأهله والدعوة إلى التمسك بأساسه وأصله، وهي لا تزال مخطوطة لم تنشر من قبل، وتقع في أكثر من مائتي بيت، من بحر الكامل على روي الهمزة، استعرض فيها ماضي المسلمين وحاضرهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم، كل ذلك بأسلوب قوي رصين، وتعبير جزل، بالإضافة إلى ما تفجر في جوانب أبياتها من شعور فياض، ومعان سامية، وأهداف نبيلة، وروح عالية؛ تحدث في أولها عن الرسول الكريم محمد بن عبد الله ﷺ وقيامه بالدعوة إلى الله فقال:

ويعز ربي رسله والمؤمنين ... جميعهم بالنصر والإنجاء
حتى استتم بناءهم بمحمد ... أكرم به للرسل ختم بناء
فهو الرسول إلى الخلائق كلهم ... ممن تُقل بسيطة الغبراء
ما لامرئ أبدًا خروج عن شريـ ... ـعته ونهج طريقه البيضاء
لم يقبض المولى تعالى روحه ... حتى أشاد الدين بالإعلا
وأتم نعمته وأكمل دينه ... ولخلقه أداه أي أداء
ومضى وأمته بأقوم منهج ... وعلى محجة هديه البيضاء

ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين ومناهجهم في الحكم، وانتقل بعدهم يصف واقع المسلمين في العصور التي تلت عصر الخلفاء الراشدين، وعندما وصل إلى القرن السابع الهجري عصر شيخ الإسلام (ابن تيمية) وجدناه يقول:

وأتى بقرن سابع من هجرة ... عَلم به يؤتمُّ في الظلماء
أعني بذلك الحبر أحمد من إلى ... عبد الحليم نمى بلا استثناء
كم هاجم البدع الضلال وأهلها ... بدلائل الوحيين خير ضياء
وقواعد التحريف هدَّ أصولها ... أعظم به هدمًا لشر بناء!
... وله جهاد ليس يعهد مثله ... إلا بعهد السادة الخلفاء

وبعد أن ذكر ما قام به ابن تيمية من قمع للفتن وإبادة للطغيان تابع المسيرة إلى العصور الإسلامية التالية، مصورًا طبيعة الحياة التي كان يعيشها المسلمون في تلك الأزمنة، مشيرًا إلى بعض المصلحين الذين سعوا لتصحيح الأوضاع في بلادهم كالشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري وغيره.

ثم ذهب يوجه الخطاب إلى العلماء وطلاب العلم في عصره، مستنهضًا هممهم

للدعوة إلى اللّٰه والإخلاص في العمل، والقيام بالواجب الملقى على عواتقهم نحو إخوانهم المسلمين في كل مكان قائلًا:

هل تسمعون معاشر العلما، ألا ... تصغون نحو مقالتي وندائي؟!
... يا طالبي علم الشريعة فانهضوا ... وادعوا عباد اللّٰه باستهداء
انحوا بهم نحو الصراط المستقيـ ... ـم ورفض كل طريقة عوجاء
كيف انتصار المسلمين وجلهم ... عن دينهم في غفلة عمياء؟!

وقد أطال في ذلك، وبهذا نكتفي.

ولعل في هذه المقتطفات من هاتين القصيدتين كفاية كنماذج حية من شعر الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله والتي تدل على تدفق شاعريته، وجودة شعره الإسلامي، وسمو غاياته.

□ **أعماله:**

عندما لمس الشيخ عبد اللّٰه القرعاوي تفوق تلميذه حافظ ونبوغه العلمي أقامه مدرسًا لزملائه والمستجدين من التلاميذ، فألقى عليهم دروسًا نافعة استفادوا منها فائدة كبرى.

ثم عينه شيخه في سنة ١٣٦٣هـ مديرًا لمدرسة (سامطة) السلفية- أول وأكبر مدرسة افتتحها الشيخ في المنطقة لطلاب العلم- وأسند إليه أمر الإشراف على مدارس القرى المجاورة.

واتسعت بعد ذلك مدارس الشيخ في منطقتي (تهامة وعسير) فما من مدينة أو قرية إلا وأسس بها مدرسة أو أكثر تدرس العلوم الإسلامية[1]، وجعل بها من تلاميذه من يقوم بالتدريس فيها ويتولى شئون إدارتها، ولما كان الشيخ يقوم في فترات متعددة بجولات على مئات المدارس التي كان قد أسسها في المنطقة جعل تلميذه الأول الشيخ حافظًا الحكمي مساعدًا له يتولى الإشراف على سير التعليم وأمور الإدارة أثناء تجوال الشيخ على مدارسه، فنهض حافظ بالعبء الملقى على عاتقه وأدى الأمانة خير الأداء.

---

(١) انظر شيئًا عن هذه المدارس وافتتاح بعضها في: (مجلة المنهل التي تصدر في جدة: مجلد ٨، عدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ في المقابلة التي أجريت، مع الشيخ عبد الله القرعاوي-: ص ١٨٥-١٩٦) وعدًا لأوائل هذه المدرسة وأهمها في مقالي الذي كتبته عن الشيخ عبد الله القرعاوي في (مجلة العرب التي تصدر في الرياض: المجلد٨/ ص٥٢٦).

ثم تنقل الشيخ حافظ- للقيام بواجبه مع شيخه- في عدة أماكن منها قرية (السلامة العليا) ومدينة (بيش : أم الخشب) في الجزء الشمالي من منطقة (جازان) وغيرهما ، عاد بعدها إلى مدينة (سامطة) مرة أخرى يدير مدارسها ويساعد شيخه في تحمل المسئولية والإشراف على سير التعليم ومواصلة تدعيم مهام الدعوة والإصلاح .

وهكذا مضى الشيخ حافظ يؤدي واجباته في سبيل النهوض بأبناء منطقته ، وليرفع من مستواهم الثقافي والاجتماعي ، وبفيدهم من علمه قدر ما يستطيع ، فقد كان يجتمع إليه طلبة العلم من كل مكان للتتلمذ على يديه فيستفيدون منه فائدة عظمى ، ومن طلبته الآن علماء أفاضل يتولون مناصب القضاء والتدريس والوعظ والإرشاد في جميع أنحاء المنطقة الجنوبية وغيرها .

وفي سنة ١٣٧٣ هـ افتتحت وزارة المعارف السعودية مدرسة ثانوية ب(جازان) عاصمة المنطقة ، فعين الشيخ حافظ أول مدير لها في ذلك العام .

ثم افتتح معهد علمي تابع للإدارة العامة للكليات والمعاهد العلمية آنذاك (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حاليا) بمدينة (سامطة) في عام ١٣٧٤ هـ فعين الشيخ حافظ مديرًا له ؛ فقام بعمله هذا خير قيام ، وكان يلقي فيه بعض المحاضرات ويملي على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعية واللغوية المفيدة ، ويضع لهم المذكرات الدراسية للفنون التي لم تقرر لها كتب علمية وفق المناهج المحددة ، كان يمليها أحيانًا بنفسه ، وقد يمليها عن طريق المدرسين بالمعهد أحيانًا أخرى .

□ صفاته :

كان الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ مثالًا يحتذى لكل طالب علم يريد التحصيل والعلم النافع ، ومثالًا لكل عالم جليل متواضع يحب لتلاميذه وزملائه كل خير وصلاح .

ويكفي أن أورد هنا ما قاله عنه شقيقه الأكبر (عمي) الشيخ محمد بن أحمد الحكمي- حفظه اللَّه- في رسالة كتبها إلي إجابة لطلبي :

«كان رَحِمَهُ اللَّهُ على جانب كبير من الورع والكرم والعفة والتقوى ، قوي الإيمان ، شديد التمسك ، صداعًا بالحق ، يأمر بالمعروف ويأتيه ، وينهى عن المنكر ويبتعد عنه ، لا تأخذه في اللَّه لومة لائم» .

«كانت مجالسه دائمًا عامرة بالدرس والمذاكرة ، وتحصيل العلم ، تغص بطلابه في

البيت والمسجد والمدرسة، لا يمل حديثه، ولا يسأم جليسه».

«كان جل أوقاته ملازمًا لتلاوة القرآن الكريم، ومطالعة الكتب العلمية، وبالإضافة إلى التدريس والتأليف والمذاكرة».

«وكان خفيف النفس يحب الرياضة والدعابة والمزاح مع زملائه وطلابه وزواره، مما يجذب قلوب الناس إليه، ويحبب إليهم مجالسته والاستفادة منه».

□ وفاته:

لم يزل الشيخ حافظ مديرًا لمعهد (سامطة) العلمي حتى حجَّ في سنة ١٣٧٧هـ، بعد انتهائه من أداء مناسك الحج لبَّى نداء ربه في يوم السبت الثامن عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) بمكة المكرمة على إثر مرض ألم به، وفي ريعان شبابه إذ كان عمره آنذاك خمسًا وثلاثين سنة ونحو ثلاثة أشهر ودفن بمكة المكرمة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

وقد كان وقع خبر وفاته على شيخه وعلى أهله وزملائه وأصدقائه وتلاميذه شديدًا، والمصيبة به فادحة، وقد رثاه بعض تلاميذه رثاءً حارًّا يعكس مدى الفاجعة التي أصابتهم بموته، من ذلك قصيدة للشيخ الدكتور زهران بن عواض الألمعي، يقول في أولها:

لقد دوى على (المخلاف) صوت ... نعي النحرير عالمها الهماما
تفجَّعت الجنوب وساكنوها ... على بدر بها يمحو الظلاما
وذاعت في الدنا صيحات خطب ... فهزت من فجائعها الأناما
فكفكفت الدموع على فقيد ... على الإسلام شمَّر واستقاما
وأحيا في الربوع بيوت علم ... وواسى مقعدًا ورعى يتامى
أحافظ كنت للعلياء قطبًا ... وللإسلام طودًا لا يسامَى
وبحرًا في العلوم بعيد غور ... كثير النفع قوامًا إماما
وما مُتُّم فمنهجكم منار ... يضيء دروبنا وبها أقاما[1]

وممن رثاه أيضًا تلميذه الأستاذ إبراهيم بن حسن الشعبي بقصيدة، نقتطف منها قوله:

توفي (حافظ) ركن البلاد ... وخلف حسرة لي في الفؤاد
وقد ضاقت علي الأرض ذرعًا ... بما رحبت ولم تسع البوادي

(١) القصيدة في ديوان (الألمعيات) للدكتور زاهر الألمعي: ص ١٢٦ - ١٢٧.

وساء الحال مني حين وافى بنا نعي الفتى البطل العماد
لقد كنت المقدم في المزايا من الخيرات يا قطب النوادي
... وكنت القائد المدعو فينا فمن نختار بعدك للقياد؟
سلاح للمشاكل كنت قدمًا ومصباح البحوث بكل وادي
وفي كل العلوم مددت باعًا وهمتك العلية في ازدياد

وقد خلَّف الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بعد رحيله مكتبة علمية كبيرة عامرة بكل علم وفن، أوصى بأن تكون وقفًا على طلاب العلم ورواد المعرفة، فضمت إلى معهد سامطة العلمي لينتفع بها المدرسون والطلاب، ولتبقى تحت إشراف إدارة المعهد.

كما خلف من تأليفه آثارًا علمية نافعة في كثير من الفنون الإسلامية، لا يستغني عنها كل طالب علم، وسنشير إليها.

وله من الأبناء أربعة، هم: أحمد - كاتب هذه الأسطر -، وعبد الله، ومحمد، وعبد الرحمن، وفقهم الله جميعًا، وسدد خطاهم، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرهم وصلاحهم.

□ مؤلفاته:

لوالدي الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي - رحمه الله تعالى - مؤلفات عديدة في: التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والتاريخ والسيرة النبوية، والنصائح والوصايا والآداب العلمية، من هذه المؤلفات ما هو منظوم، ومنها ما هو منثور، وهي كما يلي:

(أ) في التوحيد:

١ - «سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول ﷺ» أرجوزة في أصول الدين، مطلعها:

أبدأ باسم الله مستعينا راضٍ به مدبِّرًا مُعينا

انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ، وهي أول ما ألف، طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٦ص).

٢ - «معارج القبول، بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول - في التوحيد» وهو شرح مطول لأرجوزة «سلم الوصول» - المتقدم ذكرها - انتهى من تسويده في سنة ١٣٦٦هـ، ويقع في مجلدين كبيرين تزيد صفحاتهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة.

وهذا الكتاب أهم آثار الشيخ وأشهرها وأغناها عن التعريف، يتمتع الآن بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم وأساتذة الجامعات الإسلامية، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية زمنًا طويلًا على توزيعه مجانًا على خريجي الكليات وعلى المدرسين والقضاة، لما فيه من فوائد جمة، وما يحويه من معلومات قيمة في موضعه، ولحسن عرضه وتبويبه، واستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما لا يدع زيادة لمستزيد.

٣- «أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة» كتاب مؤلف على طريقة السؤال والجواب، انتهى من تسويده في غرة شهر شعبان سنة ١٣٦٥هـ، وطبع طبعته الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٦٧ص).

٤- «الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة» منظومة دالية مطلعها

الحمد للَّه لا يحصى له عدد ولا يحيط به الأقلام والمدد

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣ هـ (في ١٩ص).

(ب) في المصطلح:

٥- «دليل أرباب الفلاح، لتحقيق فن الاصطلاح» كتاب جليل حافل في مصطلح الحديث، طبع طبعته الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤هـ (في ١٧٤ص).

٦- «اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون» منظومة، مطلعها:

الحمد كل الحمد للرحمن ذي الفضل والنعمة والإحسان

انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٨ص).

(ج) في الفقه:

٧- «السبل السوية، لفقه السنن المروية» منظومة طويلة في الفقه وفق أبوابه المعروفة، مطلعها:

أبدأ باسم خالقي محمدلا محسبلا مكتفيا محوقلا

طبعت طبعتها الأولى بمكة د. ت (في ١٣٤ ص).

(د) في أصول الفقه :

٨- «وسيلة الحصول إلى مهمات الأصول» منظومة في أصول الفقه، مطلعها :

الحمد للعدل الحكيم الباري المستعان الواحد القهار

انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣هـ، وتقع في ٦٤٠ بيتًا، طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٣٥ص).

٩- متن (لامية المنسوخ) منظومة لامية الروي في النسخ وما يدخله من الكتب الفقهية، مطلعها :

الحمد للّه في الدارين متصل هو السلام فلا نقص ولا علل

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٠ص).

(هـ) في الفرائض :

١٠- «النور الفائض من شمس الوحي في علم الفرائض» رسالة منثورة في علم الفرائض، انتهى من كتابتها في ١٥/٨/ ١٣٦٥هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ٤٦ص).

(و) في التاريخ والسيرة النبوية :

١١- «نيل السول من تاريخ الأمم وسيرة الرسول ﷺ» منظومة تاريخية، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتًا) مطلعها :

الحمد للّه المهيمن الأحد وباري الباريا الواحد الفرد الصمد

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٥٢ ص).

(ز) في النصائح والوصايا والآداب العلمية :

١٢- نصيحة الإخوان المشهورة ب(القاتية)، وعنوانها : «**هذا سؤال بشأن القات والدخان والشمة**» وهي قصيدة تائية، مطلعها :

حمدًا لمن أسبغ النعما وألهمنا حمدًا عليها بألطاف خفيات

وقد طبع معها رد عليها لأحد أهل اليمن، ثم جواب الشيخ عليه، وفي الجواب الأخير فوائد جليلة، طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٥ ص).

١٣- «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية» قصيدة ميمية رائعة في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، مطلعها :

الحمد للّه رب العالمين على آلائه وهو أهل الحمد والنعم
طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٤١ص).

وقد طبعت جميع هذه الكتب من مؤلفات الوالد الشيخ حافظ الحكمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ طبعتها الأولى - ما أرخ منها وما لم يؤرخ - في سنتي ١٣٧٣هـ - ١٣٧٤هـ على نفقة جلالة المغفور له الملك سعود بن عبد العزيز بمطابع البلاد السعودية بمكة المكرمة، عدا كتاب «معارج القبول» الذي طبع طبعتها الأولى د. ت (نحو سنة ١٣٧٧هـ) في المطبعة السلفية بمصر.

وللوالد الشيخ - من بعد - بعض الرسائل والمنظومات المخطوطة التي لم تطبع بعد، سنعمل على طبعها ونشرها في وقت قريب إن شاء اللّه، حتى ينتفع بها كما انتفع بغيرها من مؤلفاته المطبوعة، أهمها:

١- «مفاتح دار السلام بتحقيق شهادتي الإسلام».

٢- «شرح الورقات، في أصول الفقه - لأبي المعالي الجويني».

٣- «همزية الإصلاح في تشجيع الإسلام وأهله، والتمسك كل التمسك بأساسه وأصله».

٤- «مجموعة خطب للجمع والمناسبات الدينية».

وكل مؤلفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعطيك الدليل الواضح على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، وهي كتب قيمة يكفي للدلالة على جودتها وقيمتها أن بعضها عُرض على فضيلة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ - مفتي الديار السعودية آنذاك، رَحِمَهُ ٱللَّهُ - فاستحسنها، واستجادها، وأشار إلى الحكومة بطبعها وتوزيعها حتى يستفيد منها الخاصة والعامة على السواء، لما فيها من فوائد جمة، ونصائح عامة لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها تحضهم على التمسك بكتاب اللّه وسنة رسوله الأمين ﷺ، وعلى اتباع السلف الصالح والأئمة المبرزين من علماء المسلمين.

رحم اللّه الشيخ حافظًا الحكمي رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، وجزاه عما قدم خير الجزاء، وغفر له ولوالديه ولشيخه ولجميع المسلمين.

أحمد بن حافظ الحكمي

نص منظومة

سُلَّم الوُصُول إلى عِلْم الأُصُول

في توحيد الله واتِّباع الرَّسُول ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم

أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ مُسْتَعِينَا — رَاضٍ بِهِ مُدَبِّرًا مُعِينَا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا — إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ وَاجْتَبَانَا
أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهْ — وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي أَسْتَغْفِرُهْ
وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا — وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِيمَا قَضَى
وَبَعْدُ إِنِّي بِالْيَقِينِ أَشْهَدُ — شَهَادَةَ الإِخْلَاصِ أَنْ لَا يُعْبَد
بِالْحَقِّ مَأْلُوهٌ سِوَى الرَّحْمَنِ — مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ
وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدَا — مَنْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
رَسُولُهُ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ — بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
صَلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدَا — وَالآلِ وَالصَّحْبِ دَوَامًا سَرْمَدَا
وَبَعْدُ: هَذَا النَّظْمُ فِي الأُصُولِ — لِمَنْ أَرَادَ مَنْهَجَ الرَّسُولِ
سَأَلَنِي إِيَّاهُ مَنْ لَا بُدَّ لِي — مِن امْتِثَالِ سُؤْلِهِ الْمُمْتَثِل
فَقُلْتُ مَعْ عَجْزِي وَمَعْ إِشْفَاقِي — مُعْتَمِدًا عَلَى الْقَدِيرِ الْبَاقِي

مقدمة تُعرف العبد بما خلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه الميثاق في ظهر أبيه آدم وبما هو صائر إليه

اعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا — لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدًى وَهَمَلَا
بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ — وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ
أَخْرَجَ فِيمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ — آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ
وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ — لَا رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ غَيْرُهُ
وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَدْ أَرْسَلَا — لَهُمْ وَبِالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلَا
لِكَي بذا العهد يذكروهم — وينذروهم ويبشروهم

كَي لَا يكُونَ حُجَّةٌ لِلنَّاسِ بَلْ ... لِلَّهِ أَعْلَى حُجَّةٍ عَزَّ وَجَلْ
فَمَنْ يصَدِّقْهُمْ بِلَا شِقَاقِ ... فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ
وَذَاكَ نَاجٍ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ... وَذَلِكَ الْوَارِثُ عُقْبَى الدَّارِ
وَمَنْ بهم وبالكتاب كَذَّبَا ... وَلَازَمَ الإِعْرَاضَ عَنْهُ وَالإِبَا
فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلَا الْعَهْدَينِ ... مُسْتَوْجِبٌ لِلْخِزْيِ فِي الدَّارَينِ

فصل في كوْن التوحيد ينقسم إلى نوعين
وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بِالتَّوْحِيدِ
إِذْ هُوَ مِنْ كُلِّ الأَوَامِر أَعْظَمُ ... إِوَهُوَ نَوْعَانِ أَيا مَنْ يفْهَمُ
ثَبَاتُ ذَاتِ الرَّبِ جَلَّ وَعَلَا ... أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى
وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الأَكْبَرُ ... الْخَالِقُ الْبَارِئُ وَالْمُصَوِّرُ
بَارِي الْبَرَايا مُنْشِئُ الْخَلَائِقْ ... مُبْدِعهُمْ بِلَا مِثَالٍ سَابِقْ
الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِلَا ابْتِدَاءِ ... وَالآخِرُ الْبَاقِي بِلَا انْتِهَاءِ
الأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيرُ الأَزَلِي ... الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيمِنُ الْعَلِي
عُلُوَّ قَهْرٍ وَعُلُوَّ الشَّانِ ... جَلَّ عَنِ الأَضْدَادِ وَالأَعْوَانِ
كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ وَالْفوْقِيهْ ... عَلَى عِبَادِهِ بِلَا كَيفِيهْ
وَمَعَ ذَا مُطَّلِعٌ إِلَيهِمُ ... بِعِلْمِهِ مُهَيمِنٌ عَلَيهِمُ
وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيهْ ... لَمْ ينْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوْقِيه
فَإِنَّهُ الْعَلِي فِي دُنُوِّهْ ... وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهْ
حَي وَقَيومٌ فَلَا ينَامُ ... وَجَلَّ أَنْ يشْبِهَهُ الأَنَامُ
لَا تَبْلُغُ الأَوْهَامُ كُنْهَ ذَاتِه ... وَلَا تُكَيفُ الْحِجَا صِفَاتِه
بَاقٍ فَلَا يفْنَى وَلَا يبِيدُ ... وَلَا يكُونُ غيرُ مَا يرِيدُ
مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالإِرَادَهْ ... وَحَاكِمٌ- جَلَّ- بِمَا أَرَادَه
فَمَنْ يشَأْ وَفَّقهُ بِفَضْلِهِ ... وَمَنْ يشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ
فَمِنْهُمُ الشَّقِي وَالسَّعِيدُ ... وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ
لِحِكْمَةٍ بِالِغَةٍ قَضَاهَا ... يسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا
وَهُوَ الَّذِي يرَى دَبِيبَ الذَّرِّ ... فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ

وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالإِخْفَاتِ   بِسَمْعِهِ الْوَاسِعِ لِلأَصْوَاتِ

وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِي   أَحَاطَ عِلْمًا بِالْجَلِي وَالْخَفِي

وَهْوَ الْغَنِي بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ   جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَانُهُ

وَكُلُّ شَيءٍ رِزْقُهُ عَلَيهِ   وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيهِ

كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمًا   وَلَمْ يزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمًا

جَلَّ كَلَامُهُ عَنِ الإِحْصَاءِ   وَالْحَصْرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ

لَوْ صَارَ أَقْلَامًا جَمِيعُ الشَّجَرِ   وَالْبَحْرُ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرِ

وَالْخَلْقُ تَكْتُبُهُ بِكُلِّ آنِ   فَنَتْ وَلَيسَ الْقَوْلُ مِنْهُ فَانِ

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلْ   بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلْ

عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيرِ الْوَرَى   لَيسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِمُفْتَرَى

يحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ   يتْلَى كَمَا يسْمَعُ بِالآذَانِ

كَذَا بِالأَبْصَارِ إِليهِ ينْظَرُ   وَبِالأَيادِي خَطُّهُ يسَطَّرُ

وَكُلّ ذِي مَخْلُوقَةٌ حَقِيقَهْ   دُونَ كَلَامِ بَارِئِ الْخَلِيقَهْ

جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ   عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحِدْثَانِ

فَالصَّوْتُ وَالأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي   لَكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ قَوْلُ الْبَارِي

مَا قَالَهُ لَا يقْبَلُ التَّبْدِيلَا   كَلَّا وَلَا أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلَا

وَقَدْ رَوَى الثِّقَاتُ عَنْ خَيرِ الْمَلَا   بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا

فِي ثُلُثِ اللَّيلِ الأَخِيرِ ينْزِلُ   يقُولُ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَيقْبلُ

هَلْ مِنْ مُسِيءٍ طَالِبٍ لِلْمَغْفِرَهْ   يجِدْ كَرِيمًا قَابِلًا لِلْمَعْذِرَهْ

يمُنُّ بِالْخَيرَاتِ وَالْفَضَائِلْ   وَيسْتُرُ الْعَيبَ وَيعْطِي السَّائِلْ

وَأَنَّهُ يجِيءُ يوْمَ الْفَصْلِ   كَمَا يشَاءُ لِلْقَضَاءِ الْعَدْلِ

وَأَنَّهُ يرَى بِلَا إِنْكَارِ   فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالأَبْصَارِ

كُلٌّ يرَاهُ رُؤْيةَ الْعِيانِ   كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

وَفِي حَدِيثِ سَيدِ الأَنَامِ   مِنْ غَيرِ مَا شَكٍّ وَلَا إِيهَامِ

رُؤْيةَ حَقٍّ لَيسَ يمْتَرُونَهَا   كَالشَّمْسِ صَحْوًا لَا سَحَابَ دُونَهَا

وَخُصَّ بِالرُّؤْيةِ أَوْلِياؤُهُ   فَضِيلَةً وَحُجِبُوا أَعْدَاؤُهُ

وَكُلُّ مَا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ   أَثْبَتَهَا فِي مُحْكَمِ الآياتِ

أَوْ صَحَّ فِيمَا قَالَهُ الرَّسُولُ فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالْقَبُولُ
نُمِرُّهَا صَرِيحَةً كَمَا أَتَتْ مَعَ اعْتِقَادِنَا لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ
مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلِ وَغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلِ
بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أَئِمَّةِ الْهُدَى طُوبَى لِمَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدِ اهْتَدَى
وَسَمِّ ذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ تَوْحِيدَ إِثْبَاتٍ بِلَا تَرْدِيدِ
قَدْ أَفْصَحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ عَنْهُ فَالْتَمِسِ الْهُدَى الْمُنِيرَ مِنْهُ
لَا تَتَّبِعْ أَقْوَالَ كُلِّ مَارِدِ غَاوٍ مُضِلٍّ مَارِقٍ مُعَانِدِ
فَلَيْسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التِّبْيَانِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ

فصل: في بيان النوع الثاني من التوحيد وهو توحيد الطلب والقصد وأنه هو معنى (لا إله إلا اللّه)

هَذَا وَثَانِي نَوْعَيِ التَّوْحِيدِ إِفْرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدِ
أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ إِلَهًا وَاحِدًا مُعْتَرِفًا بِحَقِّهِ لَا جَاحِدًا
وَهْوَ الَّذِي بِهِ الْإِلَهُ أَرْسَلَا رُسْلَهُ يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَوَّلَا
وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ وَالتِّبْيَانَا مِنْ أَجْلِهِ وَفَرَقَ الْفُرْقَانَا
وَكَلَّفَ اللَّهُ الرَّسُولَ الْمُجْتَبَى قِتَالَ مَنْ عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى
حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصًا لَهُ سِرًّا وَجَهْرًا دِقَّهُ وَجِلَّهُ
وَهَكَذَا أُمَّتُهُ قَدْ كُلِّفُوا بِذَا وَفِي نَصِّ الْكِتَابِ وُصِفُوا
وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَهْ فَهْيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَهْ
مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا
فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِنَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنَا
فَإِنَّ مَعْنَاهَا الَّذِي عَلَيْهِ دَلَّتْ يَقِينًا وَهَدَتْ إِلَيْهِ
أَنْ لَيْسَ بِالْحَقِّ إِلَهٌ يُعْبَدُ إِلَّا الْإِلَهُ الْوَاحِدُ الْمُنْفَرِدُ
بِالْخَلْقِ وَالرِّزْقِ وَبِالتَّدْبِيرِ جَلَّ عَنِ الشَّرِيكِ وَالنَّظِيرِ
وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا
الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ وَالِانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ
وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّهْ وَفَّقَكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهْ

فصل في تعريف العبادة وذِكْر بعض أنواعها
وأن من صرف منها شيئًا لغير اللَّه فقد أشرك

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يَرْضَى الإِلَهُ السَّامِعُ
وَفِي الْحَدِيثِ مُخُّهَا الدُّعَاءُ خَوْفٌ تَوَكُّلٌ كَذَا الرَّجَاءُ
وَرَغْبَةٌ وَرَهْبَةٌ خُشُوعُ وَخَشْيَةٌ إِنَابَةٌ خُضُوعُ
وَالاِسْتِعَاذَةُ وَالاِسْتِعَانَهْ كَذَا اسْتِغَاثَةٌ بِهِ سُبْحَانَهْ
وَالذَّبْحُ وَالنَّذْرُ وَغَيْرُ ذَلِكْ فَافْهَمْ هُدِيتَ أَوْضَحَ الْمَسَالِكْ
وَصَرْفُ بَعْضِهَا لِغَيْرِ اللَّهِ شِرْكٌ وَذَاكَ أَقْبَحُ الْمَنَاهِي

فصل في بيان ضد التوحيد وهو الشرك
وأنه ينقسم إلى قسمين أصغر وأكبر وبيان كل منهما

وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ فَشِرْكٌ أَكْبَرُ بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لَا يُغْفَرُ
وَهْوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللَّهِ نِدًّا بِهِ مُسَوِّيًا مُضَاهِي
يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ
أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
مَعْ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ
فِي الْغَيْبِ سُلْطَانًا بِهِ يَطَّلِعُ عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ
وَالثَّانِ شِرْكٌ أَصْغَرٌ وَهْوَ الرِّيَا فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأَنْبِيَا
وَمِنْهُ إِقْسَامٌ بِغَيْرِ الْبَارِي كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَخْبَارِ

فصل في بيان أمور يفعلها العامةمنها ما هو شرك
ومنها ما هو قريب منه وبيان حكم الرقى والتمائم

وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابِ أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ
أَوْ خَيْطٍ اوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ أَوْ وَتَرٍ أَوْ تُرْبَةِ الْقُبُورِ
لأَيِّ أَمْرٍ كَائِنٍ تَعَلَّقَهْ وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَلَّقَهْ
ثُمَّ الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنِ فَإِنْ تَكُنْ مِنْ خَالِصِ الْوَحْيَيْنِ
فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِي وَشِرْعَتِهْ وَذَاكَ لَا اخْتِلَافَ فِي سُنِّيَّتِه
أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي فَذَاكَ وِسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ

وبِهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ   شِرْكٌ بِلَا مِرْيَةٍ فَاحْذَرَنَّهُ
إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ لَا يَدْرِي   لَعَلَّهُ يَكُونُ مَحْضَ الْكُفْرِ
أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ   عَلَى الْعَوَامِ لَبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ
فَحَذَرًا ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ   لَا تَعْرِفِ الْحَقَّ وَتَنْأَى عَنْهُ
وَفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ   إِنْ تَكُ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتِ
فَالاخْتِلَافُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ   فَبَعْضُهُمْ أَجَازَهَا وَالْبَعْضُ كَفْ
وإِنْ تَكُنْ مِمَّا سِوَى الْوَحْيَيْنِ   فَإِنَّهَا شِرْكٌ بِغَيْرِ مَيْنِ
بَلْ إِنَّهَا قَسِيمَةُ الأَزْلَامِ   فِي الْبُعْدِ عَنْ سِيمَا أُولِي الإِسْلَامِ

فصل من الشرك فعل من يتبرك بحجر أو شجر أو بقعة أو قبر أو نحوهما يتخذ ذلك المكان عيدًا وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية

هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ   مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ
مَا يَقْصِدُ الْجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا   لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ بِأَنْ يُعَظَّمَا
كَمَنْ يَلُذْ بِبُقْعَةٍ أَوْ حَجَرِ   أَوْ قَبْرِ مَيْتٍ أَوْ بِبَعْضِ الشَّجَرِ
مُتَّخِذًا لِذَلِكَ الْمَكَانِ   عِيدًا كَفِعْلِ عَابِدِ الأَوْثَانِ
ثُمَّ الزِّيَارَةُ عَلَى أَقْسَامِ   ثَلَاثَةٍ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ
فَإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فِيمَا أَضْمَرَهْ   فِي نَفْسِهِ تَذْكِرَةً بِالآخِرَهْ
ثُمَّ الدُّعَا لَهُ وَلِلأَمْوَاتِ   بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَّاتِ
وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالَ نَحْوَهَا   وَلَمْ يَقُلْ هُجْرًا كَقَوْلِ السُّفَهَا
فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهْ   فِي السُّنَنِ الْمُثْبَتَةِ الصَّحِيحَهْ
أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّلَا   بِهِمْ إِلَى الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَلَا
فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلَالَهْ   بَعِيدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَهْ
وَإِنْ دَعَا الْمَقْبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ   أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَجَحَدْ
لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ   صَرْفًا وَلَا عَدْلًا فَيَعْفُو عَنْهُ
إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الْغُفْرَانِ   إِلَّا اتِّخَاذَ النِّدِّ لِلرَّحْمَنِ

فصل في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلون عند القبور وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِرَاجًا أَوْقَدَا   أَوِ ابْتَنَى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِدَا

فَإِنَّهُ مُجَدِّدٌ جِهَارَا   لِسُنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى

كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ   فَاعِلَهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنْ

بَلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ   وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشِّبْرِ

وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرْ   بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ

وَحَذَّرَ الأُمَّةَ عَنْ إِطْرَائِهْ   فَغَرَّهُمْ إِبْلِيسُ بِاسْتِجْرَائِهْ

فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَارْتَكَبُوا   مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يَجْتَنِبُوا

فَانْظُرْ إِلَيهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا   وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا

بِالشِّيدِ وَالآجُرِّ وَالأَحْجَارِ   لَا سِيَّمَا فِي هَذِهِ الأَعْصَارِ

وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيْهَا أَوْقَدُوا   وَكَمْ لِوَاءٍ فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا

وَنَصَبُوا الأَعْلَامَ وَالرَّايَاتِ   وَافْتَتَنُوا بِالأَعْظُمِ الرُّفَاتِ

بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا النَّحَائِرْ   فِعْلَ أُولِي التَّسْيِيبِ وَالْبَحَائِرْ

وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهُمْ   وَاتَّخَذُوا إِلَهَهُمْ هَوَاهُمْ

قَدْ صَادَهُمْ إِبْلِيسُ فِي فِخَاخِهْ   بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهْ

يَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ   بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكْ   وَأَوْرَطَ الأُمَّةَ فِي الْمَهَالِكْ

فَيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ وَالإِنْعَامِ   إِلَيْكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الإِسْلَامِ

فصل في بيان حقيقة السحر وحد الساحر وأن منه علم التنجيم وذكر عقوبة من صدق كاهنًا

وَالسِّحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ   لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ

أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ   فِي الْكَوْنِ لَا فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

وَاحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتَّكْفِيرِ   وَحَدُّهُ الْقَتْلُ بِلَا نَكِيرِ

كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَهْ   مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ

عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا فِي أَثَرْ   أَمْرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِي عَنْ عُمَرْ

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مَالِكْ   مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ لِلسَّالِكْ

هَـذَا وَمِـنْ أَنْـوَاعِـهِ وَشُـعَـبِـهْ ... عِلْمُ النُّجُومِ فَادْرِ هَذَا وَانْتَبِهِ
وَحَلُّهُ بِالوَحْيِ نَصًّا يشْرَعُ ... أَمَّا بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَيمْنَعُ
وَمَنْ يصَدِّقْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرْ ... بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ الْمُعْتَبَرْ

فصل يجمع معنى حديث جبريل المشهور
في تعليمنا الدين وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب :
الإسلام، والإيمان، والإحسان، وبيان أركان كل منهما

اِعْلَمْ بِأَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلْ ... فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيهِ ذَا اشْتَمَلْ
كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ ... إذْ جَاءَهُ يسْأَلُهُ جبْرِيلُ
عَلَى مَرَاتِبٍ ثَلَاثٍ فَصَّلَهْ ... جَاءَتْ عَلَى جَمِيعِهِ مُشْتَمِلَهْ
الاِسْلَامِ وَالإِيمَانِ وَالاِحْسَانِ ... وَالْكُلُّ مَبْنِي عَلَى أَرْكَانِ
فَقَدْ أَتَى الإِسْلَامُ مَبْنِيا عَلَى ... خَمْسٍ فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلَا
أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأَعْظَمُ ... وَهْوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الأَقْوَمُ
رُكْنُ الشَّهَادَتَينِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمْ
وَثَانِيا إقَامَةُ الصَّلَاةِ ... وَثَالِثًا تَأْدِيةُ الزَّكَاةِ
وَالرَّابِعُ الصِّيامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ... وَالْخَامِسُ الْحَجُّ عَلَى مَنْ يسْتَطِعْ
فَتِلْكَ خَمْسَةٌ وَلِلإِيمَانِ ... سِتَّةُ أَرْكَانٍ بِلَا نُكْرَانِ
إِيمَانُنَا بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ ... وَمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ
وَبِالْمَلَائِكَة الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ ... وَكُتْبِهِ الْمُنْزَلَةِ الْمُطَهَّرَهْ
وَرُسْلِهِ الْهُدَاةِ لِلأَنَامِ ... مِنْ غَيرِ تَفْرِيقٍ وَلَا إيهَامِ
أَوَّلُهُمْ نَوحٌ بِلَا شَكٍّ كَمَا ... أَنَّ مُحَمَّدًا لَهُمْ قَدْ خَتَمَا
وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أَوْلُو الْعَزْمِ الأُلَى ... فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ وَالشُّورَى تَلَا
وَبِالْمَعَادَ ايقِنْ بِلَا تَرَدُّدِ ... وَلَا ادِّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ
لَكِنَّنا نُؤْمِنُ مِنْ غَيرِ امْتِرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيرِ الْوَرَى
مِنْ ذِكْرِ آياتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا ... وَهْي عَلَامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا
وَيدْخُلُ الإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا ... مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتِمَا
وَأَنَّ كُلًّا مُقْعَدٌ مَسْئُولُ ... مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُول؟
وَعِنْدَ ذَا يثَبِّتُ الْمُهَيمِنُ ... بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيـوقِـنُ الْـمُـرْتَـابُ عِـنْـدَ ذَلِـكْ ... بِـأَنَّـمَـا مَـوْرِدُهُ الْـمَـهَـالِـكْ
وَبِـالـلِّـقَـا وَالْـبَـعْـثِ وَالـنُّـشُـورِ ... وَبِـقِـيَـامِـنَـا مِـنَ الْـقُـبُـورِ
غُـرْلًا حُـفَـاةً كَـجَـرَادٍ مُـنْـتَـشِـرْ ... يقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ ذَا يوْمٌ عَسِرْ
وَيجْمَعُ الْخَلْقُ لِيوْمِ الْفَصْلِ ... جَمِيعِهُمْ عُلْوِيهُمْ والسُّفْلِي
فِي مَوْقِفٍ يجِلُّ فِيهِ الْخَطْبُ ... وَيـعْـظُـمُ الْـهَـوْلُ بِـهِ وَالْـكَـرْبُ
وَأُحْـضِـرُوا لِـلْـعَـرْضِ وَالْـحِـسَـابِ ... وَانْـقَـطَـعَـتْ عَـلَائِـقُ الأَنْـسَـابِ
وَارْتَـكَـمَـتْ سَـحَـائِـبُ الأَهْـوَالِ ... وَانْـعَـجَـمَ الْـبَـلِـيغُ فِـي الْـمَـقَـالِ
وَعَـنَـتِ الْـوُجُـوهُ لِـلْـقَـيُّـومِ ... وَاقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ
وَسَـاوَتِ الْـمُـلُـوكُ لِـلأَجْـنَـادِ ... وَجِـيءَ بِـالْـكِـتَـابِ وَالأَشْـهَـادِ
وَشَـهِـد الأَعْـضَـاءُ وَالْـجَـوَارِحُ ... وَبَـدَتِ الـسَّـوْآتُ وَالْـفَـضَـائِـحُ
وَابْـتُـلِـيـتْ هُـنَـالِـكَ الـسَّـرَائِـرْ ... وَانْكَشَفَ الْمَخْفِي فِي الضَّمَائِرِ
وَنُـشِـرَتْ صَـحَـائِـفُ الأَعْـمَـالِ ... تُـؤْخَـذُ بِـالْـيَـمِـيـنِ والـشِّـمَـالِ
طُـوبَـى لِـمَـنْ يـأْخُـذُ بِـالْـيَـمِـيـنِ ... كِـتَـابَـهُ بُـشْـرَى بَـحُـورٍ عِـيـنِ
وَالْـوَيْـلُ لِـلآخِـذِ بِـالـشِّـمَـالِ ... وَرَاءَ ظَـهْـرٍ لِـلْـجَـحِـيـمِ صَـالِـي
وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ فَلَا ظُلْمٌ وَلَا ... يـوْخَـذُ عَـبْـدٌ بِـسِـوَى مَـا عَـمِـلَا
فَـبَـيْـنَ نَـاجٍ رَاجِـحٍ مِـيـزَانُـهْ ... وَمُـقْـرِفٍ أَوْبَـقَـهُ عُـدْوَانُـه
وَيـنْـصَـبُ الْـجِـسْـرُ بِـلَا امْـتِـرَاء ... كَـمَـا أَتَـى فِـي مُـحْـكَـمِ الأَنْـبَـاءِ
يـجُـوزُهُ الـنَّـاسُ عَـلَـى أَحْـوَالِ ... بِـقَـدْرِ كَـسْـبِـهِـمْ مِـنَ الأَعْـمَـالِ
فَـبَـيْـنَ مُـجْـتَـازٍ إِلَـى الْـجِـنَـانِ ... وَمُـسْـرِفٍ يـكَـبُّ فِـي الـنِّـيـرَانِ
وَالـنَّـارُ وَالْـجَـنَّـةُ حَـقٌّ وَهُـمَـا ... مَـوْجُـودَتَـانِ لَا فَـنَـاءَ لَـهُـمَـا
وَحَوْضُ خَيرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ ... يشْرَبُ فِي الأُخْرَى جَمِيعُ حِزْبِهِ
كَـذَا لَـهُ لِـوَاءُ حَـمْـدٍ يـنْـشَـرُ ... وَتَحْتَهُ الرُّسْلُ جَمِيعًا تُحْشَرُ
كذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى كَمَا ... قَـدْ خَـصَّـهُ الـلَّـهُ بِـهَـا تَـكَـرُّمَـا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ لَا كَمَا يرَى ... كُلُّ قُبُورِي عَلَى اللَّهِ افْتَرَى
يـشْـفَـعُ أَوَّلًا إِلَـى الـرَّحْـمَـنِ فِـي ... فَصْلِ الْقَضَاءِ بَينَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ يطْلُبَهَا النَّاسُ إِلَى ... كُلِّ أُولِي الْعَزْمِ الْهُدَاةِ الْفُضَلَا
وَثَـانِـيـا يـشْـفَـعُ فِـي اسْـتِـفْـتَـاحِ ... دَارِ الـنَّـعِـيـمِ لأُولِـي الْـفَـلَاحِ

هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ ... قَدْ خُصَّتَا به بِلَا نُكْرَانِ
وَثَالِثًا يشْفَعُ فِي أَقْوَامِ ... مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهدَى الإِسْلَامِ
وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ ... فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرَامِ
أَنْ يخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجِنَانِ ... بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الإِحْسَانِ
وَبَعْدَهُ يشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ ... وَكُلُّ عَبْدِ ذِي صَلَاحٍ وَوَلِي
وَيخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النِّيرَانِ ... جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
فِي نَهرِ الْحَياةِ يطْرَحُونَا ... فَحْمًا فَيحْيونَ وَينْبُتُونَا
كَأَنَّمَا ينْبُتُ فِي هَيئَاتِهْ ... حَبُّ حَمِيلِ السَّيلِ فِي حَافَاتِهْ
وَالسَّادِسُ الإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ ... فَأَيقِنَنْ بِهَا وَلَا تُمَارِ
فَكُلُّ شَيءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ ... وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسْتَطَرْ
لَا نَوْءَ لَا عَدْوَى وَلَا طَيرَ وَلَا ... عَمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حِوَلَا
لَا غولَ لَا هَامَةَ لَا وَلَا صَفَرْ ... كَمَا بِذَا أَخْبَرَ سَيدُ الْبَشَرْ
وَثَالِثًا مَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ ... وَتِلْكَ أَعْلَاهَا لَدَى الرَّحْمَنِ
وَهْوَ رُسُوخُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفَانِ ... حَتَّى يكُونَ الْغيبُ كَالْعيانِ

فصل في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحلَّه وأنه تحت المشيئة وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر

إِيمَانُنَا يزِيدُ بالطَّاعَاتِ ... وَنَقْصُهُ يكُونُ بِالزَّلَّاتِ
وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ ... هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلَاكِ أَوْ كَالرُّسُل
وَالْفَاسِقُ الْمِلِّي ذُو الْعِصْيانِ ... لَمْ ينْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الإِيمَانِ
لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي ... إِيمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ
وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ ... مُخَلَّدٌ بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي
تَحْتَ مَشِيئَةِ الإِلَهِ النَّافِذَهْ ... إِنْ شَا عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَا آخَذَهْ
بَقَدْرِ ذَنْبِهِ إِلَى الْجِنَانِ ... يخْرُجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
وَالْعَرْضُ تَيسِيرُ الْحِسَابِ فِي النَّبَا ... وَمَنْ ينَاقَشِ الْحِسَابَ عُذِّبَ
وَلَا نُكَفِّرْ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنَا ... إِلَّا مَعَ اسْتِحْلَالِهِ لِمَا جَنَى
وتُقْبَل التَّوبة قَبلَ الغَرْغَرَهْ ... كَمَا أَتى في الشِّرْعِةِ المطَّهرَةِ

أَمَّا مَتَى تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا ... فَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِها

فصل في معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة وإكمال اللَّه لنا به الدين وأنه خاتم النبيين وسيد ولد آدم أجمعين وأن مَن ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب

نَبِينَا مُحَمَّدٌ مِنْ هَاشِم ... إِلَى الذَّبِيح دُونَ شَكٍّ ينْتَمِي
أَرْسَلَه اللَّهُ إِلَينَا مُرْشِدًا ... وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدَى
مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ الْمُطَهَّرَهْ ... هِجْرَتُهُ لِطَيبَةَ الْمُنَوَّرَهْ
بَعْدَ ارْبَعِينَ بَدَأَ الْوَحْي بِهِ ... ثُمَّ دَعا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ
عَشْرَ سِنِينَ أَيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا ... رَبًّا تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحِّدُوا
وَكَانَ قَبْلَ ذَاكَ فِي غَارِ حِرَا ... يخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الْوَرَى
وَبْعَدَ خَمْسِينَ مِنَ الأَعْوَام ... مَضَتْ لِعُمْرِ سَيدِ الأَنَام
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيهِ فِي الظُّلَمْ ... وَفَرَضَ الْخَمْسَ عَلَيهِ وَحَتَمْ
وَبَعْدَ أَعْوَامِ ثَلَاثَةٍ مَضَتْ ... مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِي وَانْقَضَتْ
أُوذِنَ بِالْهِجْرَةِ نَحْوَ يثْرِبَا ... مَعْ كُلِّ مُسْلِم لَهُ قَدْ صَحِبَا
وَبَعْدَهَا كُلِّفَ بِالْقِتَالِ ... لِشِيعَةِ الْكُفْرَانِ وَالضَّلَالِ
حَتَّى أَتَوْا لِلدِّينِ مُنْقَادِينَا ... وَدَخَلُوا فِي السِّلْم مُذْعِنِينَا
وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَهْ ... وَاسْتَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَهْ
وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الإِسْلَامَا ... وَقَامَ دِينُ الْحَقِّ وَاسْتَقَامَا
قَبَضَهُ اللَّهُ الْعَلِي الأَعْلَى ... سُبْحَانَهُ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى
نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلَا ارْتِيابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ
وَأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلَا ... بِهِ وَكُلُّ مَا إِلَيهِ أُنْزِلَا
وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى ... نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى
فَهْوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاق ... وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلَاقِ

فصل فيمن هو أفضل الأمة بعد رسول اللَّه ﷺ وذكر الصحابة بمحاسنهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم

وَبَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ الشَّفِيقُ ... نِعْمَ نَقِيبُ الأُمَّةِ الصِّدِّيقُ
ذَاكَ رَفِيقُ الْمُصْطَفَى فِي الْغَارِ ... شَيخُ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ
وَهْوَ الَّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى ... جِهَادَ مَنْ عَنِ الْهُدَى تَوَلَّى

ثَانِيهِ فِي الْفَضْلِ بِلَا ارْتِيابِ … الصَّادِعُ النَّاطِقُ بِالصَّوَابِ

أَعْنِي بِهِ الشَّهْمَ أَبَا حَفْصٍ عُمَرْ … مَنْ ظَاهَرَ الدِّينَ الْقَوِيمَ وَنَصَرْ

الصَّارِمُ الْمُنْكِي عَلَى الْكُفَّارِ … وَمُوسِعُ الْفُتُوحَ فِي الأَمْصَارِ

ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ … ذُو الْحِلْمِ وَالْحَيا بِغَيرِ مَينِ

بَحْرُ الْعُلُومِ جَامِعُ الْقُرْآنِ … مِنْهُ اسْتحَتْ مَلَائِكُ الرَّحْمَنِ

بَايَعَ عَنْهُ سَيدُ الأَكْوَانِ … بِكَفِّهِ فِي بَيعَةِ الرِّضْوَانِ

وَالرَّابِعُ ابْنُ عَمِّ خَيرِ الرُّسُلِ … أَعْنِي الإِمَامَ الْحَقِّ ذا الْقَدْرِ الْعَلِي

مُبِيدُ كُلِّ خَارِجِي مَارِقِ … وَكُلِّ خِبٍّ رَافِضِي فَاسِقِ

مَنْ كَانَ لِلرَّسُولِ فِي مَكَانِ … هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِلَا نُكْرَانِ

لَا فِي نُبُوَّةٍ فَقَدْ قَدَّمْتُ مَا … يكْفِي لِمَنْ مِنْ سُوءِ ظَنٍّ سَلِمَا

فَالسِّتَّةُ الْمُكَمِّلُونَ الْعَشَرَهْ … وَسَائِرُ الصَّحْبِ الْكِرَام الْبَرَرَهْ

وَأَهْلُ بيتِ الْمُصْطَفَى الأَطْهَارُ … وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الأَخْيارُ

فَكُلُّهُمْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ … أَثْنَى عَلَيهِمْ خَالِقُ الأَكْوَانِ

فِي الْفَتْحِ وَالْحَدِيدِ وَالْقِتَالِ … وَغَيرِهَا بِأَكْمَلِ الْخِصَالِ

كَذَاكَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ … صِفَاتُهُمْ مَعْلُومَةُ التَّفْصِيلِ

وَذِكْرُهُمْ فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ … قَدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الأَقْطَارِ

ثُمَّ السُّكُوتُ وَاجِبٌ عَمَّا جَرَى … بَينَهُمُ مِنْ فِعْلِ مَا قَدْ قُدِّرَا

فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُثَابُ … وَخطَؤهُمْ يغْفِرُهُ الْوَهَّابُ

خاتمة في وجوب التمسك بالكتاب والسنة
والرجوع عند الاختلاف إليهما فما خالفهما فهو رد

شَرْطُ قَبُولِ السَّعْيِ أَنْ يجْتَمِعَا … فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخْلَاصٌ مَعَا

لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ لَا سِوَاهُ … مُوَافِقَ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ

وَكُلُّ مَا خَالَفَ لِلْوَحْيينِ … فَإِنَّهُ رَدٌّ بِغَيرِ مَينِ

وَكُلُّ مَا فِيهِ الخِلافُ نُصِبَا … فَرَدُّهُ إِلَيهِمَا قَدْ وَجَبَا

فَالدِّينُ إِنَّمَا أَتَى بِالنَّقْلِ … لَيسَ بِالأَوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْلِ

ثُمَّ إِلَى هُنَا قَدِ انْتَهَيتُ … وَتَمَّ مَا بِجَمْعِهِ عَنَيتُ

سَمَّيتُهُ بِسُلَّمِ الْوُصُولِ … إِلَى سَمَا مَبَاحِثِ الأُصُولِ

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى انْتِهَائِي ... كَمَا حَمِدْتُ اللَّهَ فِي ابْتِدَائِي

أَسْأَلُه مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ ... جَمِيعِهَا وَالسَّتْرَ لِلْعُيُوبِ

ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدَا ... تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدًا

ثُمَّ جَمِيعَ صَحْبِهِ وَالآلِ ... السَّادَةِ الأَئِمَّةِ الأَبْدَالِ

تَدُومُ سَرْمَدًا بِلَا نَفَادِ ... مَا جَرَتِ الأَقْلَامُ بِالْمِدَادِ

ثُمَّ الدُّعَا وَصِيَّةُ الْقُرَّاءِ ... جَمِيعِهِمْ مِنْ غَيرِ مَا اسْتِثْنَاءِ

أَبْيَاتُهَا يسْرٌ بِعَدِّ الْجُمَلِ ... تَأْرِيخُهَا الْغُفْرَانُ فَافْهَمْ وَادْعُ لِي

* * *



مقدمة المصنف

الحمد للَّه الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وما كان معه من إله، الذي لا إله إلا هو ولا خالق غيره ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة ولذا قضى أن لا نعبد إلا إياه، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾[الحج: الآية ٦٢] . عالم الغيب والشهادة الذي استوى في علمه ما أسر العبد وما أظهر، الذي علم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما يعزب عن ربك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾[سبأ: الآية ٢] . كيف لا وهو الذي خلق وقدر، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤﴾[المُلك: الآية ١٤] .

رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة وهو أرحم الراحمين، الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم، كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين[1] . ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠﴾[الروم: الآية ٥٠] .

الملك الحق الذي بيده ملكوت كل شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين، المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال والإماتة والهداية والإضلال، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: الآية ٥٤] ، لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه، ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾[الأنعام: الآية ٦٢] ، له ملك السموات

(١) يشير إلى ما أخرجه البخاري (٣١٩٤) ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»، وما أخرجه البخاري (٦٤٦٩) ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة» واللفظ للبخاري.

والأرض وما بينهما وإليه المصير.

القدوس السلام الذي اتصف بصفات الكمال، وتقدس عن كل نقص ومحال. وتعالى عن الأشباه والأمثال، حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١].

المؤمن الذي أمَّن أولياءه من خزى الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في هذه الدنيا حسنة، وسيحلهم دار المقامة في جنة عالية، المهيمن الذي شهد على الخلق بأعمالهم وهو القائم على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية، إنه بعباده لخبير بصير.

العزيز الذي لا مغالب له ولا مرام لجنابه، الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة وهو الذي يجبر كل كسير مما به، المتكبر الذي لا ينبغى الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه، فمن نازعه صفة منها أحل به الغضب والمقت والتدمير.

الخالق البارئ المصور لما شاء إذا شاء في أى صورة شاء من أنواع التصوير، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾، ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝٢٨﴾ [لقمان: الآية ٢٨].

الغفار الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئًا لأتاه بقرابها مغفرة، القهار الذي قصم بسلطان قهره كل مخلوق وقهره.

الوهاب الذي كل موهوب وصل إلى خلقه فمن فيض بحار جوده وفضله ونعمائه الزاخرة.

والرزاق الذي لا تنفد خزائنه ولم يغض ما في يمينه، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ماذا نقص من فضله الغزير. يرزق كل ذى قوت قوته ثم يدبر ذلك القوت في الأعضاء بحكمته تدبيرًا متقنًا محكمًا، يرزق من هذه الدنيا من يشاء من كافر ومسلم أموالًا وأولادًا وأهلًا وخدمًا، ولا يرزق الآخرة إلا أهل توحيده وطاعته، قضى ذلك قضاء حتمًا مبرمًا، وأشرف الأرزاق في هذه الدار ما رزقه عبده على أيدى رسله من أسباب النجاة من الإيمان والعلم والعمل والحكمة وتبيين الهدى المستنير.

الفتاح الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم، يفتح على هذا مالًا وعلى

هذا ملكًا وعلى هذا علمًا وحكمة، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: الآية ٤]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: الآية ٢].

العليم الذي أحاط علمه بجميع المعلومات من ماض وآت وظاهر وكامن ومتحرك وساكن وجليل وحقير، علم فسابق علمه عدد أنفاس خلقه وحركاتهم وسكناتهم وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار في العذاب المهين. ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٩]. ما من جبل إلا ويعلم ما في وعره، ولا بحر إلا ويدرى ما في قعره ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: الآية ١١].

القابض الباسط فيقبض عمن يشاء رزقه فيقدره عليه، ويبسطه على من يشاء فيوسع عليه، وكذا له القبض والبسط في أعمال عباده وقلوبهم، كل ذلك إليه، إذ هو المتفرد بالإحياء والإماتة والهداية والإضلال والإيجاد والإعدام وأنواع التصرف والتدبير.

الخافض الرافع، الضار النافع، المعطى المانع فلا رافع لمن خفض ولا خافض لمن رفعه ولا نافع لمن ضر ولا ضار لمن نفعه ولا مانع لما أعطى ولا معطى لمن هو له مانع، فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع وما فيهن وما بينهما على خفض من هو رافعه أو ضر من هو نافعه أو إعطاء من هو مانعه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٧].
المعز المذل الذي أعز أولياءه المؤمنين في الدنيا والآخرة وأيدهم بنصره المبين وبراهينه القويمة المتظاهرة، وأذل أعداءه في الدارين وضرب عليهم الذلة والصغار وجعل عليهم الدائرة فما لمن والاه وأعزه من مذل، وما لمن عاداه وأذله من ولى ولا نصير.

السميع البصير، لا كسمع ولا بصر أحد من الورى. القائل لموسى وهارون ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: الآية ٤٦]، فمن نفى عن الله ما وصف به نفسه أو شبه صفاته بصفات خلقه فقد افترى على الله كذبًا وقد خاب من افترى، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣].

الحكم العدل في قضائه وقدره وشرعه وأحكامه قولًا وفعلًا ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ

مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: الآية ٥٦]. فلا يحيف في حكمه ولا يجور، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: الآية ٤٦]. الذي حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرمًا ووعد الظالمين الوعيد الأكيد، وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»[1]. ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: الآية ١٠٢]، وهو الذي يضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئًا بل يحصى عليهم الخردلة والذرة والفتيل والقطمير.

اللطيف بعباده معافاة وإعانة وعفوًا ورحمة وفضلًا وإحسانًا، ومن معاني لطفه إدراك أسرار الأمور حيث أحاط بها خبرة تفصيلًا وإجمالًا وسرًّا وإعلانًا، الخبير بأحوال مخلوقاته وأقوالهم وأفعالهم ماذا عملوا؟ وكيف عملوا؟ وأين عملوا؟ ومتى عملوا؟ حقيقة وكيفية ومكانًا وزمانًا، ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: الآية ١٦]. الحليم فلا يعاجل أهل معصيته بالعقاب، بل يعافيهم ويمهلهم ليتوبوا فيتوب عليهم إنه هو التواب العظيم. الذي اتصف بكل معنى يوجب التعظيم وهل تنبغي العظمة إلا لرب الأرباب؟!

خضعت لعظمته وجبروته جميع العظماء، وذل لعزته وكبريائه كل كبير. الغفور الشكور الذي يغفر الكثير من الزلل، ويقبل اليسير من صالح العمل، فيضاعفه أضعافًا كثيرة ويثيب عليه الثواب الجلل، وكل هذا لأهل التوحيد. أما الشرك فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير.

العلي الذي ثبت له كل معاني العُلُوّ، علو الشأن وعلو القهر وعلو الذات، الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائنًا من جميع المخلوقات، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسوله ﷺ في أصح الروايات[2]، وأجمع على ذلك أهل الحل والعقد بلا نزاع بينهم ولا نكير.

الكبير الذي كل شيء دونه والأرض جميعًا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصًّا بينًا محكمًا، الحفيظ على كل شيء فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما، حفظ أولياءه في الدنيا والآخرة ونجاهم من كل أمر خطير.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا به.
(٢) ستأتي الأحاديث في ذلك مفصلة.

المغيث لجميع مخلوقاته، فما استغاثه ملهوف إلا نجاه.

الحسيب الوكيل الذي ما التجأ إليه مخلص إلا كفاه. ولا اعتصم به مؤمن إلا حفظه ووقاه، ومن يتوكل على اللَّه فهو حسبه، فنعم المولى ونعم النصير.

الجليل الذي جلَّ عن كل نقص واتصف بكل كمال وجلال، الجميل الذي له مطلق الجمال في الذات والصفات والأسماء والأفعال.

الكريم الذي لو أن أول الخلق وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في صعيد واحد فسألوه فأعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر[1]، كما روى عنه نبيه المصطفى المفضال، ومن كرمه أن يقابل الإساءة بالإحسان والذنب بالغفران ويقبل التوبة ويعفو عن التقصير.

الرقيب على عباده بأعمالهم، العليم بأقوالهم، الكفيل بأرزاقهم وآجالهم وإنشائهم ومآلهم، المجيب لدعائهم وسؤالهم وإليه المصير. الواسع الذي وسع كل شيء علمًا، ووسع خلقه برزقه ونعمته وعفوه ورحمته كرمًا وحلمًا، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣].

الحكيم في خلقه وتدبيره إحكامًا وإتقانًا، والحكيم في شرعه وقدره عدلًا وإحسانًا، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ومن أكبر من اللَّه شهادة وأوضح دليلًا وأقوم برهانًا.

فهو العدل وحكمه عدل وشرعه عدل وقضاؤه عدل، فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

الودود الذي يحب أولياءه ويحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات، المجيب لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكان كان وفي أي وقت من الأوقات، فلا يشغله سمع عن سمع ولا تختلف عليه المطالب ولا تشتبه عليه الأصوات، فيكشف الغم ويذهب الهم ويفرج الكرب ويستر العيب وهو الستير.

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم (٢٥٧٧) وغيره من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عِبَادِي إني حَرَّمتُ الظُّلمَ عَلَى نَفْسِي وجَعَلْتُهُ بَينكُم مُحَرَّمًا فَلا تَظَالموا...» الحديث، وفيه «يا عِبَادِي، لَو أنَّ أَوَّلَكُم وآخرَكُم وإنْسَكُم وجِنَّكُم قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحدٍ فَسَألُونِي، فَأَعْطَيتُ كلَّ إنسانٍ مَسْألتَه، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مما عِندِي، إلا كَمَا ينقصُ المِخْيطُ إذا أُدْخِلَ البحرَ». والحديث أخرجه أيضًا الترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجة (٤٢٥٧).

المجيد الذي هو أهل الثناء كما مجَّد نفسه وهو الممجد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد .

الباعث الذي بدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه إنه هو الفعال لما يريد .

الشهيد الذي هو أكبر من كل شيء شهادة وكفى بالله شهيدًا ، ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: الآية ٥٣] . هو الحق وقوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير .

القوى المتين الذي لم يقم لقوته شيء وهو الشديد المحال .

الولى للمؤمنين فلا غالب لمن تولاه وإذا أراد بقوم سوءًا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال .

الحميد الذي ثبت له جميع أنواع المحامد . وهل يثبت الحمد إلا لذى العزة والجلال . فله الحمد كما يقول ، وخيرًا مما نقول ، لا نحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وكيف يحصى العبد الضعيف ثناء على العلى الكبير .

المحصى الذي أحصى كل شيء عددًا وهو القائل : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ١٢] .

المبدئ المعيد الذي قال وهو أصدق القائلين : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] ، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: الآية ٢٧] وأنى يعجزه إعادته وقد خلقه من قبل ولم يك شيئًا ؟ ! كل يعلم ذلك ويقر به بلا نكير .

المحيى المميت الذي انفرد بالإحياء والإماتة فلو اجتمع الخلق على إماتة نفس هو محييها أو إحياء نفس هو مميتها لم يك ذلك ممكنًا ، وهل يقدر المخلوق الضعيف على دفع إرادة الخالق العلّام ؟ !

الحى الدائم الباقي الذي لا يموت وكل ما سواه زائل كما قال تعالى : ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ ، القيوم الذي قام بنفسه ولا قوام لخلقه إلا به ، ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: الآية ٢٥] فلا يحتاج إلى شيء وكل شيء إليه فقير .

الواحد الأحد الذي لا شريك له في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وملكوته

وجبروته وعظمته وكبريائه وجلاله، لا ضد له ولا ندَّ ولا شبيه ولا كفء ولا عديل.

الصمد الذي يصمد إليه جميع الخلائق في حوائجهم ومسائلهم فهو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب، فإليه منتهى الطلبات، ومنه يسأل قضاء الحاجات، وهو الذي لا تعتريه الآفات، وهو حسبنا ونعم الوكيل. فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه. والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في صفات الكمال، ولا تنبغي هذه الصفات لغير الملك الجليل. القادر المقتدر الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون، وما كان اللَّه ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه على كل شيء قدير. المقدم المؤخر بقدرته الشاملة ومشيئته النافذة على وفق ما قدَّره وسَبَق به علمه وتمت به كلمته بلا تبديل ولا تغيير.

الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء، والباطن فليس دونه شيء، هكذا فسَّره البشير النذير، الوالي فلا منازع له ولا مضاد، المتعالي عن الشركاء والوزراء والنظراء والأنداد.

البَرُّ وصفًا وفعلًا، ومن بره المن على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة رسله أنه لا يخلف الميعاد.

التوَّاب الذي يرزق من يشاء التوبة فيتوب عليه وينجيه من عذاب السعير.

المنتقم الذي لم يقم لغضبه شيء وهو شديد العقاب والبطش والانتقام.

العفوُّ بمنِّه وكرمه عن الذنوب والآثام، الرءوف بالمؤمنين ومن رأفته بهم أن نزّل على عبده آيات مبينات ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة مع كون الجميع ملكه، ولم ينزع عنهم التوبة قبل الحِمَام[1]، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: الآية ٨]، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء

(١) الحِمَام: الموت.

ويذل من يشاء، ذى الجلال والإكرام والعزة والبقاء، والملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء. المقسط الذي أرسل رسله بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وما للظالمين من نصير. الجامع لشتات الأمور وهو ﴿جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: الآية ٩]، الغنى المغنى فلا يحتاج إلى شيء ولا تزيد في ملكه طاعة الطائعين ولا تنقصه معصية العاصين من العباد. وكل خلقه مفتقرون إليه لا غنى لهم عن بابه طرفة عين، وهو الكفيل بهم رعاية وكفاية وهو الكريم الجواد، وبجوده عم جميع الأنام من طائع وعاص وقوى وضعيف وشكور وكفور ومأمور وأمير.

نور السموات والأرض ومن فيهن كما وصف نفسه بذلك في كتابه ووصفه به محمد عبده ورسوله وحبيبه ومصطفاه[1] وقال ﷺ مستعيذًا به «**أَعُوذُ بِنورِ وَجْهِكَ الذي أَشْرَقَتْ لَه الظُّلُمَات وَصَلَحَ عَلَيهِ أَمْرُ الدُّنْيا والآخِرَة أَنْ يحِلَّ بى غَضَبُكَ أو ينْزِلَ بِي سَخَطُكَ لَكَ العُتْبَى حَتى تَرْضَى ولا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ**»[2]. فبصفات ربنا تعالى نؤمن ولكتابه وسنة رسوله

---

(١) وصف الله سبحانه نفسه بذلك في سورة النور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النور: الآية ٣٥] ووصفه نبيه بذلك فيما أخرجه البخاري (١١٢٠) ومسلم (٧٦٩) من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن...» الحديث.

(٢) في إسناده كلام: أخرجه ابن منده في ترجمة أبي القاسم الطبراني (ص٣٤٦) والضياء المقدسي في «المختارة» (٩/ ١٧٩ح ١٦٢) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١١) جميعًا من طريق الطبراني عن القاسم ابن الليث أبي صالح نزيل تنيس عن محمد بن أبي صفوان الثقفي عن وهب بن جرير عن أبيه عن ابن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن جعفر الطيار مرفوعًا به، وهذا إسناد حسن، محمد بن إسحاق صدوق وباقي رجال الإسناد ثقات، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥) وقال: رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. اهـ.

قلت: وأخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ ٢٧٥ح ١٨٣٩) والقزويني في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٨٢) عن الطبراني عن محمد بن جعفر الدمياطي عن علي بن عبدالله بن جعفر عن وهب بن جرير بمثله.

وهذا مثل ما سبق والدمياطي هو محمد بن جعفر بن محمد بن حفص الحنفي نزيل دمياط ثقة، وشيخه هو ابن المديني.

لكن أخرجه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٢٦٨) وابن جرير الطبري في «تاريخه» (١/ ٥٥٤) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، ويزيد هذا هو المدني مولى عبدالله بن عياش وثقه النسائي وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال البخاري: لا يتابع على حديثه. وفي طريق ابن جرير إلى ابن إسحاق ضعف، لكن هل يحمل هذا الخلاف على ابن إسحاق على أن له شيخين في هذا الحديث؟ هذا هو الأظهر والله أعلم، لكن يبقى الإشكال في عنعنة ابن إسحاق فإنه مدلس.

نحتكم وبحكمهما نرضى ونسلم، وإن أبي الملحد إلا جحود ذلك وتأويله على ما يوافق هواه، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت: الآية ٤٠]. الهادي الذي بيده الهداية والإضلال فلا هادي لمن أضل ولا مضل لمن هدى ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: الآية ١٧]. ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: الآية ٣٩]، ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ [البقرة: الآية ١٢٠]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾﴾ [الحج: الآية ٨]. البديع الذي أبدع السموات والأرض وما بينهما بلطيف صنعه وبديع حكمته بلا معين ولا مثال، الباقي الذي كل شيء هالك إلا وجهه فلا ابتداء لأوليته، ولا لآخريته زوال، الوارث الذي يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. وإليه المرجع والمآل فبإيجاده كل موجود وجد وإليه كل الأمور تصير.

الرشيد في كل أقواله وأفعاله فبالرشاد يأمر عباده وإليه يهديهم. الصبور الذي لا أحد أصبر منه على أذى سمعه، ينسبون له الولد ويجحدون أن يعيدهم ويحييهم. وكل ذلك بسمعه وبصره وعلمه لا يخفى عليه منهم شيء ثم هو يرزقهم ويعافيهم، ذلك بأنهم لم يبلغوا نفعه فينفعوه ولا ضره فيضروه. وإنما يعود نفع طاعتهم إليهم، ووبال عصيانهم عليهم، ﴿وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ * زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾﴾.

أحمده تعالى على جزيل إنعامه وإفضاله. وأشكره على جليل إحسانه ونواله وله الحمد على أسمائه الحسنى وصفات كماله ونعوت جلاله، وله الحمد على عدله قدرًا وشرعًا، وله الحمد في الأولى والآخرة وهو الحكيم الخبير. وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، الملك الحق العلي الكبير. تعالى في إلهيته وربوبيته عن الشريك والوزير، وتقدس في أحديته وصمديته عن الصاحبة والولد والوالد والولي والنصير، وتنزه في صفات كماله ونعوت جلاله عن الكفء والنظير، عز في سلطان قهره وكمال قدرته عن المنازع والمغالب والمعين والمشير، وجل في بقائه وديموميته وغناه وقيوميته عن المطعم والمجير. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله البشير النذير، المرسل إلى الناس كافة بالملة الحنيفية والهدى المنير، بعثه اللّه ﷺ رحمة للعالمين، وأنزل عليه كتابه المهيمن والنور المبين والهدى المستبين، والمنهج المستنير. والشرك مضطرمة ناره، طائر شراره، مرتفع غباره، لا مغير له ولا نكير. فقام بتبليغ الرسالة حق القيام،

وجاهد في اللّه حق جهاده إعلاءً لكلمة اللّه الملك العلام، حتى جاء الحق وزهق الباطل وأدبر ليل الكفر والضلالة وانفجر فجر الإيمان والإسلام. ونشرت أعلام التوحيد وعلا بنيانه وأشرقت أنواره. ونكست راية الشرك وانكسرت شوكته وخمدت ناره ورمى بناؤه بالدمدمة والتكسير والتدمير. ﷺ وعلى آله وصحبه شموس الهداية وأوعية العلم وأنصار الدين القويم، وتابعيهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: الآية ١٠]، وعلى من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وسلك صراطهم المستقيم، وجعلنا من المقتدين بهم المهتدين بهديهم المتمسكين بالكتاب والسنة نقف معهما وبسيرهما نسير.

أما بعد: فاعلموا - رحمكم اللّه - أنه لا صلاح للعباد ولا فلاح ولا نجاح ولا حياة طيبة ولا سعادة في الدارين ولا نجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة إلا بمعرفة أول مفروض عليهم والعمل به. وهو الأمر الذي خلقهم اللّه ﷻ له وأخذ عليهم الميثاق به وأرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم ولأجله خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار وبه حقت الحاقة ووقعت الواقعة وفي شأنه تنصب الموازين وتتطاير الصحف وفيه تكون الشقاوة والسعادة وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار. ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: الآية ٤٠]، وذلك الأمر هو معرفة اللّه ﷻ بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل. والتشبيه والتشبه واجتناب ذلك، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وتوحيد الطريق إلى اللّه ﷻ بمتابعة كتابه ورسوله والعمل على وفق ما شرعه اللّه ﷻ ورسوله ﷺ، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة، ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ باللّه منها. فإن اللّه تعالى أنزل كتابه تبيانًا لكل شيء، وتفصيل كل شيء وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨]. وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣٣]. وأرسل رسوله بذلك الكتاب مبلغًا ومبينًا ليقرأه على الناس على مكث ويبينه لهم أتم البيان ويحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون، ويهديهم به إلى صراط مستقيم، فقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: الآية ٨٩]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: الآية ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟

فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: الآية ٦٤] ، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ ، ولا شفاء للقلوب والأرواح ولا حياة لها إلا بطاعة اللّٰه تعالى ورسوله ﷺ والاستجابة للّٰه ولرسوله ﷺ قال اللّٰه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام: الآية ٣٦] ولم ينج اللّٰه تعالى من عذابه ولم يكتب رحمته إلا لمن اتبع كتابه ورسوله كما قال: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ وقد كان الرسول يبعث في قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨] ، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: الآية ٢٨] ولم يتوفه اللّٰه تعالى حتى أكمل له الدين وبلغ البلاغ المبين، وبين للناس ما نزل إليهم أوضح التبيين، وترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك وما من طائر يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علمًا.

وهدى اللّٰه به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللّٰه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] .

قال ابن عباس ﷺ: كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين[1]، وكذلك هي في قراءة عبد الله وأبي بن كعب . وهذا التفسير مروى عن قتادة ومجاهد أيضًا .

وقوله : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] أي من بعد ما قامت الحجج عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض . وقوله تعالى : ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] قال النبي ﷺ : «**نَحنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يومَ القِيامَةِ فَنَحْنُ أَوَّلُ الناسِ دُخُولا الجنةَ، بَيدَ أَنَّهُم أُوتُوا الكِتَابَ مِن قَبْلِنَا وأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِم فَهَدَانَا اللَّهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فيه مِنَ الحقِّ بِإِذْنِهِ . فَهَذَا اليومُ الذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وهَدَانَا اللَّه لَهُ فالناسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ فَغَدًا لِلْيهُودِ وَبَعدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى**»[2] رواه عبد الرزاق، وهو في الصحيح من طرق بألفاظ . وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه في قوله تعالى : ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] فاختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السبت والنصارى يوم الأحد، فهدى الله أمة محمد ليوم الجمعة .

واختلفوا في القبلة فاستقبلت النصارى الشرق واليهود بيت المقدس . وهدى الله تعالى أمة محمد للقبلة . واختلفوا في الصلاة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم من يصلي وهو يمشي، فهدى الله تعالى أمة محمد للحق من ذلك . واختلفوا في إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- فقالت اليهود : كان يهوديا، وقالت النصارى : كان نصرانيًا، وجعله الله حنيفًا مسلمًا . فهدى الله أمة محمد إلى الحق من ذلك، واختلفوا في عيسى عليه الصلاة والسلام فكذبت به اليهود وقالوا لأمه بهتانًا عظيمًا . وجعلته النصارى إلهًا وولدًا . وجعله الله تعالى روحه وكلمته فهدى الله أمة محمد ﷺ إلى الحق من ذلك[3] .

---

(١) **صحيح إلى ابن عباس**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣٣٤) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩٦ طبعة العلمية) من طريق قتادة عن عكرمة عن ابن عباس به .

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٧٦) ومسلم (٨٥٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

(٣) **ضعيف الإسناد**: لضعف عبدالرحمن بن زيد بن أسلم، والأثر أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩) عن يونس بن عبدالأعلى عن ابن وهب عن ابن زيد، قوله . وهذا صحيح إلى ابن زيد .

وقال الربيع بن أنس في قوله ﷻ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] أي عند الاختلاف أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف، أقاموا على الإخلاص لله ﷻ وحده وعبادته لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأول الذي كان قبل الاختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون وأن رسلهم قد بلغوهم وأنهم كذبوا رسلهم[١]، وفي قراءة أبي بن كعب ليكونوا شهداء على الناس يوم القيامة ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] وكان أبو العالية رحمه الله تعالى يقول: في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن[٢].

وفي «الصحيحين» عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ كان إذا قام يصلي من الليل قال: **«اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السمواتِ والأرضِ عَالِمَ الغَيبِ والشَّهَادَةِ أنتَ تَحكُمُ بَينَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فيهِ يختَلِفُونَ، اهْدِنِي لمَا اختُلفَ فِيهِ مِنَ الحقِّ بإذنِكَ إنَّكَ تَهْدِي مَن تشاءُ إلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ»**[٣].

وفي الدعاء المأثور: **«اللَّهُمَّ أَرِنَا الحقَّ حقًّا وارزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وأَرِنَا البَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقنَا اجْتِنَابَه، وَلا تجْعَلْهُ مُلْتَبِسًا عَلَينَا فَنَضِلَّ، واجْعَلنَا للمُتَّقِينَ إمَامًا»**[٤].

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩) بإسناده إلى الربيع به، وفي إسناده مبهم.

(٢) أورد ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣٣٩) قراءة أبي بن كعب وكلام أبي العالية ملحقًا بالخبر السابق عن الربيع.

(٣) **صحيح**: على كلام في إسناده، عكرمة بن عمار صدوق، لكن في روايته عن يحيى بن أبي كثير ضعف واضطراب، وانظر «تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٦١- ٢٦٣) والحديث أخرجه مسلم (٧٧٠) وأبو داود (٧٦٧) والترمذي (٣٤٣١) والنسائي (٣/ ٢١٢) وابن ماجة (١٣٥٧) جميعًا من طريق عكرمة بن عمار عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة مرفوعًا.

قلت: وقول المصنف: وفي «الصحيحين». خطأ، إنما هو في «صحيح مسلم» فقط، ولم يخرجه البخاري. وهذا الحديث مما انتقده الهروي على الإمام مسلم.

(٤) هذا من المأثور عن بعض الصالحين، لا من المرفوع، وقد أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٥٢) فقال: وفي الدعاء المأثور... وذكره ولم يعزه.

اختلاف الفرق الإسلامية

واعلم أنه كما أخبرنا الله تعالى عن الأمم السابقة أنهم اختلفوا اختلافًا شديدًا وافترقوا افتراقًا بعيدًا، وفي ذلك أعظم واعظ وأكبر زاجر عن الاختلاف والتفرق، ولم يقتصر سبحانه في تذكيرنا بذلك، عليه بل زجرنا عن الاختلاف زجرًا شديدًا، وتوعد على ذلك وعيدًا أكيدًا فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، قال ابن عباس ﷺ: تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدع والاختلاف[1].

ثم فصل تعالى مآل الفريقين، وأين توصل أهلها كل من الطريقين فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾.

وحذرنا من ذلك نبينا محمد ﷺ الذي هو أولى بنا من أنفسنا فقال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ مَن كَانَ قَبلَكُم مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ افْتَرَقُوا عَلَى ثِنْتَينِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَإِنَّ هَذِهِ المِلَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلاثٍ وَسَبْعِينَ، ثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الجنةِ وَهُم الجَمَاعَةُ**»[2].

وفي بعض الروايات: «**هُم مَن كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيهِ اليومَ وَأَصْحَابِي**»[3].

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ٧٢ح ٧٤ طبعة دار طيبة) من طريق ميسرة ابن عبد ربه عن عبدالكريم الجزري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وميسرة متروك واتهم، وأورده ابن حجر في «اللسان» (١/ ٢٠٢) ترجمة أحمد بن عبدالله الأنصاري من حديث ابن عمر مرفوعًا، والمتهم به الأنصاري.

(٢) حديث افتراق الأمة إلى ثنتين وسبعين فرقة أخرجه أبو داود (٤٥٩٦) والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجة (٣٩٩١) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وصححه الترمذي، وإسناده حسن.

أما ذكر أن هذه الفرق في النار إلا واحدة ففي الجنة. فله طرق عن معاوية وعبدالله بن عمرو وعوف بن مالك وأنس بن مالك.

وفي طرقها ضعف، وانظرها في «سنن أبي داود» (٤٥٩٧) والترمذي (٢٦٥٠) وابن ماجة (٣٩٩٢، ٣٩٩٣) «ومسند أحمد» (٣/ ١٤٥ح ١٢٠٧٠) و (٤/ ١٠٢ح ١٦٤٩٠) والحاكم (١/ ١٢٨ طبعة دار المعرفة) وغيرهم، وانظر «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية (١/ ١٢١- ١٢٢) و«كشف الخفاء» للعجلوني (ح٤٤٦، ١٠٠١) و «تمييز الطيب» لابن الديبع (ص١٠٢ح ٤٤٨).

(٣) ضعيف الإسناد: وانظر ما سبق.

وقد حصل مصداق ما أخبر به الرسولﷺ وهو الصادق المصدوق من الافتراق، وتفاقم الأمر وعظم الشقاق فاشتد الاختلاف ونجمت البدع والنفاق فافترقوا في أسماء اللَّه تعالى وصفاته إلى نفاة معطلة، وغلاة ممثلة، وفي باب الإيمان والوعد والوعيد إلى مرجئة ووعيدية من خوارج ومعتزلة، وفي باب أفعال اللَّه وأقداره إلى جبرية غلاة وقدرية نفاة، وفي أصحاب رسول اللَّهﷺ وأهل بيته إلى رافضة غلاة وناصبة جفاة، إلى غير ذلك من فرق الضلال، وطوائف البدع والانتحال، وكل طائفة من هذه الطوائف قد تحزبت فرقًا وتشعبت طرقًا، وكل فرقة تكفر صاحبتها وتزعم أنها هى الفرقة الناجية المنصورة.

الفرقة الناجية

وقد أخبر الصادق المصدوقﷺ أن الفرقة الناجية هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابه، وليس أحد من هؤلاء كذلك، بل إنهم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل. وذلك لأنه لا يعرف ما كان عليه النبيﷺ وأصحابه إلا من طريق سننه المروية وآثاره المصطفوية التى هى الشريعة الغراء والمحجة البيضاء، وهؤلاء من أبعد الناس عنها وأنفرهم منها، وإنما تصلح هذه الصفة لحملتها وحفاظها ونقادها المنقادين لها المتمسكين بها، الذابين عنها يقفون عندها ويسيرون بسيرها، لا ينحرفون عنها يمينًا ولا شمالًا، ولا يقدمون عليها لأحد مقالًا، ولا يبالون من خالفهم ولا من خذلهم، ولا يضرهم ذلك حتى يأتى أمر اللَّه تبارك وتعالى. أعنى بذلك أئمة الحديث وجهابذة السنة وجيش دولتها، المرابطين على ثغورها الحافظين حدودها الحامين حوزتها، وفقهم اللَّه ﷻ للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويم، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه.

واللَّه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم، فآمنوا بما أخبر اللَّه به في كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمدﷺ في سنته، وتلقوه بالقبول والتسليم إثباتًا بلا تكييف ولا تمثيل وتنزيهًا بلا تحريف ولا تعطيل، فهم الوسط في فرق هذه الأمة كما أن هذه الأمة هى الوسط في الأمم، فهم وسط في باب صفات اللَّه تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة، وهم وسط في باب أفعال اللَّه تعالى بين الجبرية والقدرية، وفي باب وعيد اللَّه بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم، وفي باب الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئةوالجهمية وفي أصحاب رسول اللَّهﷺ بين الرافضة والخوارج. فهم واللَّه (أهل السنة والجماعة)، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، الذين لم تزل قلوبهم على

الحق متفقة مؤتلفة، وأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم على الوحي لا مفترقة ولا مختلفة. فانتدبوا لنصرة الدين دعوة وجهادًا، وقاوموا أعداءه جماعات وفرادى، ولم يخشوا في اللَّه لومة لائم ولم يبالوا بعداوة من عادى، فقهروا البدع المضلة وشردوا بأهلها واجتثوا شجرة الإلحاد بمعاول السنة من أصلها، فبهتوهم بالبراهين القطعية في المحافل العديدة، وصنفوا في رد شبههم ودفع باطلهم وإدحاض حججهم الكتب المفيدة، فمنهم المتقصي للرد على الطوائف بأسرها، ومنهم المخلص لعقائد السلف الصالح من غيرها، ولم تنجم بدعة من المضلين الملحدين، إلا ويقيض اللَّه لها جيشًا من عباده المخلصين، فحفظ اللَّه بهم دينه على العباد، وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغ والضلالة إلى نور الهدى والرشاد، وذلك مصداق وعد اللَّه ﷻ بحفظه الذكر الذي أنزله. كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: الآية ٩]، وإعلاء لكلمته وتأييدًا لحزبه إذ يقول: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝١٧٣﴾ [الصافات: الآية ١٧٣].

سبب نظم المتن وتأليف الشرح

وقد سألني من لا تسعني مخالفته من المحبين[١]، أن أنظم مختصرًا يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، ويفصح عن عقيدة السلف الصالح ويبين، فأجبته إلى ذلك مستعينًا باللَّه، راجيا الثواب من اللَّه، قائلا لا حول ولا قوة إلا باللَّه. وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور، وصرف جل العبادة لغير اللَّه من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور، فيسر اللَّه تعالى ذلك بمنه وإفضاله، وأعانني - وله الحمد والمنة - على إكماله، وسميته:

«سلم الوصول، إلى مباحث علم الأصول»

فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأحباب، سئل مني أن أعلق عليه تعليقًا لطيفًا، يحل مشكله ويفصل مجمله، مقتصرًا على ذكر الدليل ومدلوله، من كلام اللَّه تعالى وكلام رسوله، فاستخرت اللَّه تعالى بعلمه. واستقدرته بقدرته، فعنَّ لى أن أعزم على ذلك الأمر المسئول، مستمدًا من اللَّه تعالى الإعانة على نيل السول. وسميته:

(١) في حواشي بعض النسخ أن سائل ذلك هو شيخه القرعاوي.

«**معارج القبول، بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول**»

واللَّه أسأل أن يعين على إكماله بمنه وفضله، وأن ينفعني وطلاب العلم به وبأصله، وأن يهدينا الصراط المستقيم، ويجعلنا من أنصار التوحيد وأهله، إنه سميع قريب مجيب، وما توفيقي إلا باللَّه عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه العلي العظيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح مقدمة المنظومة[1]

أبدأ باسم اللَّه مستعينًا   راض به مدبرًا معينًا

«**أبدأ**» في جميع حركاتي وسكناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كله، ومنه هذا التصنيف «**باسم اللَّه**» متبركًا و«**مستعينًا**» به أو إياه، يتعدى بالباء وبدونه أي طالبًا منه العون على فعل طاعته وترك معصيته، كما قال تعالى معلمًا لنا في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾ [الفاتحة: الآية ٥] وقال النبي ﷺ لابن عمه عبد اللَّه بن عباس ﵄: «**إذا سألتَ فاسْألِ اللَّهَ، وإذا اسْتَعَنتَ فاسْتَعِن باللَّهِ**»[2] وهو خطاب شامل لجميع الأمة، وفي ضمن ذلك الأمر الواقع في جواب الشرط نهى لنا عن الاستعانة بغير اللَّه ﷻ؛ لأنه لا خالق للعباد وأفعالهم غيره تعالى، فإذا كان المخلوق لا يقدر على فعل نفسه إلا بما أقدره اللَّه تعالى عليه، فكيف يجوز أن تطلب الإعانة منه على فعل غيره؟! والعاقل يفهم ذلك بادئ ذي بدء.

خلاصة القول في تفسير البسملة

والكلام على تفسير البسملة مستوفى في كتب المفسرين، لنذكر خلاصة ذلك فنقول: الباء: أداة تخفض ما بعدها، ومعناها في البسملة الاستعانة، وتطويلها في القرآن تعظيمًا لكتاب اللَّه ﷻ، وإسقاط الألف من الاسم طلبًا للخفة لكثرة استعمالها، وقيل: لما أسقطوا الألف ردوا طولها على الباء ليدل على السقوط، ولذلك لما كتبت الألف في ﴿ٱقۡرَأۡ

(١) هذا العنوان في بعض النسخ دون بعض.

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧) وغيرهما من حديث قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعًا به. وحنش: ثقة، وقيس بن الحجاج: صدوق.

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ [العلق: الآية ١] ردت الباء إلى هيئتها. والاسم هو المسمى وعينه وذاته فإنك تقول: يا اللَّه يا رحمن يا رحيم، فتدعوه بأسمائه التي سمَّى بها نفسه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: الآية ١١٠]، ولو كانت أسماء اللَّه غيره لكان الداعي بها مشركًا إذ دعا مع اللَّه غيره، ولكانت مخلوقة إذ كل ما سوى اللَّه مخلوق، وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء اللَّه تعالى وصفاته، تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا، وسيأتي مبسط القول في ذلك إن شاء اللَّه تعالى في الكلام على الأسماء.

: علم على ذاته تبارك وتعالى وكل الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠] وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: الآية ٨] ألا ترى أنك تقول الرحمن من أسماء اللَّه تعالى والرحيم من أسماء اللَّه ونحو ذلك، ولا تقول اللَّه من أسماء الرحمن؟ وقال النبي ﷺ: «إن للَّه تسعة وتسعين إسمًا مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة»[1].

واختلفوا في كونه مشتقًّا أو لا، ذهب الخليل وسيبويه وجماعة من أئمة اللغة والشافعي والخطابي وإمام الحرمين ومن وافقهم إلى عدم اشتقاقه * لأن الألف واللام فيه لازمة فتقول: يا اللَّه ولا تقول: يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام.

وقال آخرون: إنه مشتق، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال: أقواها أنه مشتق من أله يأله إلاهة. فأصل الاسم: الإله. فحذفت الهمزة وأدغمت اللام الأولى في الثانية وجوبًا، فقيل: اللَّه، ومن أقوى الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ٣]. مع قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: الآية ٨٤]، ومعناه ذو الألوهية التي لا تنبغي إلا له. ومعنى أله يأله آلهة عبد يعبد عبادة فاللَّه المألوه أي المعبود. ولهذا الاسم خصائص لا يحصيها إلا اللَّه ﷻ، وقيل: إنه هو الاسم الأعظم.

﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: الآية ١]: اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم فالرحمن يدل على الرحمة العامة، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: الآية ٥] والرحيم يدل على الرحمة الخاصة بالمؤمنين كما قال

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٤٣] ذكره ابن جرير بسنده عن العزرمي بمعناه[١]. وفي الدعاء المأثور: «رَحْمَنَ الدُّنيا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمهمَا»[٢].

والظاهر المفهوم من نصوص الكتاب والسنة أن اسمه الرحمن يدل على الصفة الذاتية من حيث اتصافه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيم يدل على الصفة الفعلية من حيث إيصاله الرحمة إلى المرحوم، فلهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١١٧] ولم يأت قط إنه بهم رحمن، ووصف نبيه محمدًا ﷺ بأنه رءوف رحيم فقال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] ولم يصف قط أحدًا من خلقه أنه رحمن فتأمل ذلك، والله أعلم.

«راض» خبر لمبتدأ محذوف تقديره وأنا راض «به» أي بالله ﷻ.

«مدبرًا» حال من الضمير المجرور أي بتدبيره لي في جميع شئوني، فإن أزِمَّة الأمور بيده وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدر ما لا نقدر، وهو الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: الآية ١٢].

و«معينًا» لي على جميع أموري الدينية والدنيوية فإني لا أقدر إلا على ما أقدرني عليه ولا علم لي إلا ما علمنيه فلا أعبد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله ولا منجى ولا ملجأ إلا إليه.

---

(١) حسن إلى العزرمي: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٥٥) عن السري بن يحيى التميمي عن عثمان بن زفر عن العزرمي قال: الرحمن الرحيم. قال: الرحمن بجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين.
وإسناده حسن إلى العزرمي، السري بن يحيى صدوق، ترجمته بالجرح والتعديل (١/ ١٤٣) وعثمان بن زفر صدوق وهو التيمي، لكن العزرمي نفسه متروك وهو محمد بن عبيدالله بن أبي سليمان، لكنه منتهى الإسناد.

(٢) ضعيف جدًا: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٩٦ح ١٨٩٨ طبعة العلمية) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٠٣) من طريق الحكم بن عبدالله الأيلي عن القاسم عن عائشة مرفوعًا.
والحكم متروك، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٨٦) وعزاه للبزار وأعله بالحكم. وأورده الهيثمي من حديث معاذ وذكر أن في إسناده من لم يعرفهم، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ١٢٦) من حديث أبي سعيد الخدري وفي إسناده عطية العوفي: تالف وإسماعيل بن يحيى التيمي: متهم، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٧٧ح ٢٩٥٩٨) عن عبدالله بن نمير عن موسى بن مسلم الطحان عن عبدالرحمن بن سابط موقوفًا وهذا أصح، وهو حسن إلى عبدالرحمن بن سابط.

القول في حمد اللَّه وشكره والاستعانة به

والحمد للَّه كما هدانا إلى سبيل الحق واجتبانا

أي «و» أثني بحمده فأقول «**الحمد للَّه**» كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[الفاتحة: الآية ٢] وأمر بذلك عباده فقال تعالى مخاطبًا لنبيه خطابًا يدخل فيه جميع أمته ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[النمل: الآية ٥٩] فله الحمد كالذي يقول وخيرًا مما نقول سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمد على أسمائه الحسنى وصفاته العلى وله الحمد على نعمه الظاهرة والباطنة، وله الحمد في الأولى والآخرة.

وعن الأسود بن سريع رضي الله عنه قال: قلت يا رسول اللَّه، ألا أنشدك محامد حمدت بها ربي تبارك وتعالى؟. فقال ﷺ: «**أما إن ربك يحب الحمد**»[1] رواه أحمد والنسائي.

وعن الحكم بن عمير رضي الله عنه - وكانت له صحبة- قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا قلت الحمد للَّه فقد شكرت اللَّه فزادك**»[2] رواه ابن جرير.

وعن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**أفْضَلُ الذِّكرِ لَا إِلَه إِلَّا اللَّهُ، وَأفضَلُ الدُّعَاء الحَمدُ للَّهِ**»[3] رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وقال الترمذي حسن غريب.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَا أنعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبدٍ نِعمَةً فَقَالَ الحمدُ للَّهِ إِلَّا كَانَ الذِي أُعْطِي- يعني من هدايته للحمد- أفضَلُ ممَّا أَخَذَ**»[4] رواه ابن

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٥) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧١٢ح ٦٥٧٥) والضياء في «المختارة» (١٤٤٧-١٤٥١) من طرق عن الحسن عن الأسود بن سريع، وهذا منقطع، لأن الحسن وهو البصري لم يسمع من الأسود كما نص عليه أبو حاتم في «المراسيل» (ص٣٩).

(٢) **ضعيف جدًا**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٦٠) وفي إسناده عيسى بن إبراهيم القرشي الهاشمي وهو تالف، ترجمته «باللسان» (٤/ ٤٥٦).

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) وابن ماجة (٣٨٠٠) وابن حبان (٨٤٦) والحاكم (١/ ٦٧٦ح ١٨٣٤) من طرق عن موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري عن طلحة بن خراش عن جابر بن عبدالله مرفوعًا، وقال الترمذي: حسن غريب وصححه الحاكم.

قلت: موسى بن إبراهيم: صدوق يخطئ، وشيخه: صدوق.

(٤) **حسن**: أخرجه ابن ماجة (٣٨٠٥) والضياء المقدسي في «المختارة» (٢١٩٥) من طريق أبي عاصم عن شبيب بن بشر عن أنس مرفوعًا. وشبيب: صدوق يخطئ، وباقي رجال الإسناد ثقات.

ماجه، وللقرطبي عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَو أنَّ الدُّنيا بِحَذَافِيرِهَا فِي يدِ رجُلٍ ثمَّ قَالَ الحمدُ للَّهِ لَكَانَ الحمدُ للَّهِ أفضَلُ مِنْ ذَلِكَ**»[(١)] قال القرطبى وغيره: أي لكان إلهامه الحمد للَّه أكثر نعمة عليه من نعم الدنيا " لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٦].

وقال على ﷺ: «الحمد للَّه كلمة أَحَبَّها اللَّه تعالى لنفسه ورضيها لنفسه وأحب أن تقال»[(٢)]. وقال ابن عباس ﷺ: «الحمد للَّه كلمة الشكر، وإذا قال العبد: الحمد للَّه قال: شكرنى عبدى»[(٣)]. وقال ﷺ: «الحمد للَّه كلمة كل شاكر»[(٤)]. وقال ﷺ: «الحمد للَّه هو الشكر للَّه، هو الاستخذاء له والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك»[(٥)].

قال الضحاك: الحمد للَّه رداء الرحمن[(٦)]، وقال كعب الأحبار: «**الحمد للَّه ثناء اللَّه**»[(٧)].

---

(١) **ضعفه الألباني**: والحديث أورده القرطبي في «تفسيره» (١/ ١٣١) فقال: وفي «نوادر الأصول» عن أنس بن مالك.. وذكره.

قلت: وهو في «نوادر الأصول» (٢/ ٢٦٧) وفي «مسند الفردوس» (٥٠٨٣) عن أنس، ولم يبرز أحدهم إسناده، والمطبوع من كتاب «نوادر الأصول» محذوف الأسانيد، وأنا.. بمشيئة الله تعالى- بصدد إخراج الكتاب مسندًا، والله الموفق والمعين، والحديث ضعفه الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٨٧٥) وحكم عليه بالوضع.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن أبي حاتم على ما ذكر ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٣) وفي إسناده الحجاج بن أرطاة وهو ضعيف.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن أبي حاتم على ما ذكر ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٣) ﷺ وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

(٤) أورده القرطبي في «تفسيره» (١/ ١٣٤) وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٣) عن ابن عباس من غير عزو أو بيان لإسناده.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٦٠) وابن أبي حاتم على ما ذكر ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٣) من طريق بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس، وهذا ضعيف، لضعف بشر والانقطاع بين الضحاك وابن عباس.

(٦) **ضعيف الإسناد**: أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٣) ولم يعزه وهو في «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ١٤ رقم ١١) وفي إسناده بزيع بن عبدالله اللحام ومولاه يحيى بن عبدالرحمن وفيهما ضعف.

(٧) **حسن إلى كعب**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٦٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٧) عن كعب به.

وفي معنى الحمد للَّه وفضلها آثار غير ما ذكرنا لا تحصى.

ولما كان من أكبر نعم اللَّه علينا، وأجل منته الواصلة إلينا، هدايته إيانا إلى صراطه المستقيم، الذي هو دين الإسلام الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه ولا يقبل من أحد غيره، ناسب الثناء عليه بها فقلت: «كما هدانا» أي على ما هدانا إرشادًا ودلالة بكتبه ورسله وتوفيقًا وتسديدًا بمشيئته وقدره «إلى سبيل الحق» وهو دين الإسلام والإيمان «واجتبانا» له، وبذلك قال تعالى ممتنًّا علينا وله الحمد والمنة: ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: الآية ١٩٨]، وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولًا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ [آل عمران: الآية ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾.

ولما كان الحمد الخبرى أبلغ من الإنشائى لدلالته على الثبوت والاستمرار قدمته عليه أولًا ثم عطفت عليه الإنشائى جمعًا بينهما فقلت:

أحمده سبحانه وأشكره ومن   مساوى عملى أستغفره

«أحمده» أي أنشئ له حمدًا آخر متجددًا على توالى نعمه وتواتر فضله، فله الحمد كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه «سبحانه» أي تنزيهًا عما لا يليق بنعوت جلاله وصفات كماله، وهذه العبارة تتضمن معنى قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ»[1] «وأشكره» على ما أنعم وألهم امتثالًا لقوله ﷻ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: الآية ١٥٢]، واختلف العلماء في معنى الحمد والشكر هل هما مترادفان أو لا؟ فذهب إلى ترادفهما ابن جرير الطبرى صاحب التفسير وجعفر الصادق وغيرهما، وذهب جماعة من المتأخرين إلى التفرقة بينهما، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللَّه تعالى: الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٦) ومسلم (٢٦٩٤) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر. فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر" لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن الله تعالى يحْمَد على ما له من الأسماء الحسنى والمثل الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: الآية ١١١] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: الآية ١] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [سبأ: الآية ١] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ [فاطر: الآية ١]. وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان كما قيل:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: الآية ١٣]، والحمد يكون بالقلب واللسان، فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه. وفي الحديث: «**الحمد لله رأس الشكر**» (١)، فمن لم يحمد الله لم يشكره، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللَّهَ لَيرضَى عَنِ العَبدِ أنْ يأكُلَ الأكْلَةَ فَيحْمَدُهُ عَلَيهَا، وَيشْرَب الشربةَ فَيحْمَدُهُ عَلَيهَا**» (٢)، والله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

«ومن مساوئ» جمع مساءة «عملي» مضاف إليه من إضافة الصفة إلى الموصوف. «أستغفره» السين للطلب أي أطلب منه مغفرة تلك المساوئ ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى نَيلِ الرِّضَا ... وَأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِيمَا قَضَى

«وأستعينه» أطلب منه العون «على نيل الرضا» أي على فعل الأعمال الصالحة التي بسببها ينال رضاه أن يرزقنيها وينيلني رضاه بفضله ورحمته، «وأستمد» أي أطلب منه الإمداد بأن يرزقني «لطفه» بي «فيما قضى» وقدر من المصائب، وأن يجعلني راضيا بذلك مؤمنًا به مستيقنًا أنه من عند الله وأن وقوعه خير عندي من كونه لم يقع، وأن يهدي قلبي كما

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٢٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٩٥) من طريق قتادة عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وهذا منقطع.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣٤) والترمذي (١٨١٦) وغيرهما من حديث أنس بن مالك مرفوعًا به.

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [التغابن: الآية ١١] وكما قال ﷺ: «**وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ**» الحديث[1]، فإن ذلك أعلى درجات الإيمان بالقدر، وهو الرضا بالمصيبة.

القول في كلمة الشهادة

وَبَعْدُ إِنِّي بِالْيَقِينِ أَشْهَدُ ... شَهَادَةَ الإِخْلَاصِ أَنْ لَا يَعْبَد

بِالْحَقِّ مَأْلُوهٌ سِوَى الرَّحْمَنِ ... مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ

«**وبعد**» هو ظرف زماني يؤتى به للتنبيه على ما بعده وفصله عما قبله، ويبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويغنى عن إعادة المضاف إليه «**إني باليقين**» القاطع الجازم بدون شك ولا تردد «**أشهد شهادة**» مصدر مؤكد «**الإخلاص**» مضاف إلى شهادة من إضافة الصفة إلى الموصوف «**أن**» مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن مستكن والتقدير أنه، والخبر «**لا يعبد**» بضم الياء وفتح الباء بالبناء للمفعول، «**بالحق**» متعلق ب«**يعبد**»، «**مألوه**» نائب الفاعل ل«**يعبد**» ومعناه معبود، «**سوى**» أداة استثناء بمعنى إلا، «**الرحمن**» أي لا معبود بحق إلا الله ﷻ، والتقييد بحق يخرج به الآلهة المعبودة بباطل فإنها قد عبدت، والمنفى هو استحقاق العبادة عن غير الله ﷻ لا وقوعها، وهذه هي شهادة أن لا إله إلا الله، ولما لم يمكن في النظم الإتيان بلفظها نظمتها بمعناها، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسط القول في تفسيرها «**من جل**» في صفات كماله ونعوت جلاله «**عن عيب وعن نقصان**» وهما لفظان مترادفان فكل عيب يسمى نقصانًا وكل نقصان يسمى عيبًا، والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك كله، بل له الجلال المطلق والكمال المطلق في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

وَأَنَّ خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدًا ... مَنْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى

رَسُولُهُ إِلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ ... بِالنُّورِ وَالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ

«**و**» أشهد «**أن خير**» أفضل «**خلقه**» هاء الضمير يعود على الرحمن، «**محمدًا**» بدل من خير أو عطف بيان، ومعناه: الكثير المحامد فهو أبلغ من محمود. «**من جاءنا بالبينات**

---

(١) حسن: أخرجه النسائي في «السنن الصغرى» (٣/ ٥٤) وفي «الكبرى» (١٢٢٨) وابن حبان (١٩٧١) من طريق حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار بن ياسر مرفوعًا به، وهذا إسناد حسن، وسماع حماد بن زيد من عطاء قبل الاختلاط، وأخرجه أحمد (٥/ ١٩١) والحاكم (١/ ٦٩٧ح ١٩٠٠) من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا.

والهدى» من عند الله ﷻ، هذه الجملة صلة «**من**» وهو محله النصب نعت لمحمد ﷺ والخبر «**رسوله**»، الرسول بمعنى المرسل وهو: من أوحي إليه وأُمِرَ بالتبليغ، فإن أوحِي إليه ولم يؤمَر بالتبليغ فهو نبي فقط، فكل رسول نبي ولا عكس «**إلى جميع الخلق**» كافة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢٨﴾ [سبأ: الآية ٢٨] وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝١٥٨﴾ [الأعراف: الآية ١٥٨].

وفي «الصحيح» من حديث الخصائص: «**وَكَانَ الرسُولُ يبْعَثُ فِي قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[1] وفيه أيضًا: «**والذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيدِهِ، لا يسمَعُ بِي أحَدٌ مِن هَذِهِ الأمةِ يهُودِي وَلَا نَصْرَانِي ثمَّ يمُوتُ وَلَم يؤمِن بالذِي أُرْسِلتُ بِهِ إلَّا كَانَ مِن أصْحَابِ النَّارِ**»[2].

«**بالنور**»، المبين وهو القرآن الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ۝١٧٤﴾ [النساء: الآية ١٧٤] وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢﴾ [الشورى: الآية ٥٢] الآية، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: الآية ٨] وغير ذلك من الآيات.

«**والهدى**» الإرشاد والدلالة إلى الصراط المستقيم، «**ودين الحق**» الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد غيره، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٣٣﴾ [التوبة: الآية ٣٣] وكل من القرآن والرسول والإسلام يسمى نورًا وهدى وصراطًا مستقيمًا. وكل الثلاثة متلازمة، تقول: أرسل الله ﷻ رسوله وأنزل عليه كتابه بدين الإسلام، وتقول: دين الإسلام هو الذي أرسل الله به رسوله وأنزل به كتابه، وكل منها نور مبين، وهدى مستبين، وصراط مستقيم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٥) ومسلم (٥٢١) وغيرهما من حديث جابر مرفوعًا به.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣) وأحمد (٢/ ٣١٧، ٣٥٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

القول في الصلاة، والتعريف بالآل والأصحاب

صَـلَّـى عَـلَـيـهِ رَبُّـنَـا وَمَـجَّـدَا وَالآلِ وَالـصَّـحْـبِ دَوَامًا سَرْمَدَا

«صلى عليه ربنا» قال أبو العالية: الصلاة من اللَّه ﷻ: ثناؤه على عبده في الملأ الأعلى، ذكره عنه البخاري[1]. ومنه قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٣]. وفي «الصحيح» من الحديث القدسي: «وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُه فِي نَفْسِي، وإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلأ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإ خيرٌ مِنهُم»[2].

«ومجّدا» بألف الإطلاق أي شرفه وزاده تشريفًا وتمجيدًا، «والآل» أي آله ﷺ وهم أتباعه وأنصاره إلى يوم القيامة كما قيل:

آل النبي هـمـو أتـبـاع مـلـتـه على الشريعة من عجم ومن عرب
لـو لـم يـكـن آلـه إلا قـرابـتـه صلى المصلي على الطاغي أبي لهب

ويدخل الصحابة في ذلك من باب أولى، ويدخل فيه أهل بيته من قرابته وأزواجه وذريته من باب أولى وأولى.

«والصاحب»[3]: جمع صحابي وهو: من رأى أو لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ولو لحظة ومات على ذلك ولو تخللت ردة في الأصح، وهم أفضل القرون في هذه الأمة، وسيأتي في آخر المتن الكلام على فضل بعضهم على بعض إن شاء اللَّه تعالى.

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه البخاري في «صحيحه» تعليقًا عن أبي العالية (٨/ ٤١٨ قبل حديث ٤٧٩٧) وعزاه الحافظ في «فتح الباري» لابن أبي حاتم من طريق آدم بن إياس حدثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية.

قلت (يحيى): وأخرجه إسماعيل بن إسحاق الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي» (ح٩٦ بتحقيقي) من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية، وهذا إسناد ضعيف، أبو جعفر ضعيف لسوء حفظه، والربيع صدوق، لكن قال ابن حبان: الناس يتقون من حديثه ما كان من رواية أبي جعفر عنه " لأن في أحاديثه عنه اضطرابًا كثيرًا، وانظر «التهذيب» (٣/ ٢٣٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (ص٢٠٦١ح ٢٦٧٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٣) بسائر الأصول: «والصاحب». وهو خطأ، صوابه: «والصحب».

التعريف بموضوع الكتاب

وَبَعْدُ: هَذَا النَّظْمُ فِي الأُصُولِ لِمَنْ أَرَادَ مَنْهَجَ الرَّسُولِ
سَأَلَنِي إِيَاهُ مَنْ لَا بُدَّ لِي مِن امْتِثَالِ سُؤْلِهِ المُمتَثِلِ

«وبعد» تقدم الكلام عليه قريبًا، أي وبعد الشهادتين والصلاة والسلام على محمد ﷺ وآله وصحبه «هذا النظم» الألف واللام للعهد الحضورى، موضوعه «في الأصول» والمراد بها هنا أصول الدين من الإيمان بالله ﷻ وأسمائه وصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وأركان الإسلام الشهادتين والصلاة والزكاة والصوم والحج وما يتعلق بكل منها، والكلام على رسالة نبينا محمد ﷺ وما يتعلق بها، والكلام في مسألة الخلافة، والاعتصام بالكتاب والسنة وما تحتوى عليه كل مسألة من ذلك، وسترى إن شاء الله تعالى تبيانها مفصلًا «لمن أراد» من المؤمنين «منهج الرسول» سبيله ومسلكه وهو ما عليه أهل السنة والجماعة. «سألني. . .» إلخ البيت بين واضح.

فَقُلْتُ مَعْ عَجْزِي وَمَعْ إِشْفَاقِي مُعْتَمِدًا عَلَى القَدِيرِ الْبَاقِي

«فقلت» جواب سألني «مع عجزي» عدم قدرتي على ذلك «ومع إشفاقي» خوفي من الغلط في هذا الباب الذي المسألة منه أكبر من الدنيا وما فيها، وذلك لقصر باعى وقلة اطلاعى، والذي قوى عزمي على ذلك هو كوني «معتمدًا» أي متوكلًا «على القدير» الذي لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض «الباقي» الذي كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

مقدمة تعرف العبد بما خلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله ﷻ عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه

اعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدًى وَهَمَلَا
بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ وَبِالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ

«اعلم» كلمة يؤتى بها للاهتمام وللحث على تدبر ما بعدها، والخطاب بها في هذا الموضع لكل المكلفين «بأن الله جل» شأنه وتنزه عن كل نقص «وعلا» بكل معانى العلو «لم يترك الخلق سدى» و لا «هملا» أى لا يأمرهم ولا ينهاهم في الدنيا ولا يبعثهم

فيجازيهم في الآخرة؛ لأنه تعالى ما خلقهم إلا بالحق لا عبثًا ولا باطلًا، بل لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾﴾. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ [آل عمران: الآية ١٩١] أي الخلق ﴿بَاطِلًا﴾ [آل عمران: الآية ١٩١] لا بل بالحق ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: الآية ٣١]. ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [البقرة: الآية ٣٢] أي عن أن تخلق شيئًا باطلا تباركت وتعاليت. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾﴾، يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات بما حوت، والعالم السفلي وهو الأرض بما حوت، وأن ذلك مخلوق بالحق لا للعبث، ثم نزه تعالى نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له. فلهذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له. ثم نبه تعالى على خلق جنس الإنسان من نطفة أي مهينة ضعيفة، فلما استقل ودرج إذا هو يخاصم ربه تعالى ويكذبه ويحارب رسله، وهو إنما خلق ليكون عبدًا لا ضدًّا، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٥]، أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثًا بلا قصد ولا إرادة منا ولا حكمة لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٥] أي لا تعودون في الدار الآخرة، لا، ليس الأمر كذلك، إنما خلقناكم للعبادة وإقامة أوامر الله ﷻ ثم نبعثكم ليوم لا ريب فيه فنجازي كل عامل بعمله إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، وهذا يقوله تعالى لأهل النار توبيخًا وتقريعًا وتبكيتًا بعد ما رأوا الحقائق عين اليقين. ثم قال تعالى منزهًا نفسه عما حسبوه ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ [طه: الآية ١١٤] أي تقدس أن يخلق شيئًا عبثًا فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾﴾ [ص: الآية ٢٧] يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثًا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم ليوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر، وليس الأمر كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرون بعثًا ولا معادًا وإنما

يعتقدون هذه الدار فقط ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: الآية ٢٧] أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار المعدة لهم. ثم بين تعالى أنه ﷻ من عدله وحكمته لا يساوى بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: الآية ٢٨] أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمر كذلك فلابد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقى ويعاقب فيها هذا الفاجر. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإرشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء، فإنا نرى الظالم الباغى يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك، ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيم العليم العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا المظلوم من هذا الظالم، وإذا لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك دارًا أخرى لهذا الجزاء والمواساة[1]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [الروم: الآية ٨] يقول تعالى منبهًا على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها وأنه لا إله غيره ولا رب سواه فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ﴾ [الروم: الآية ٨]، يعنى به النظر والتدبر والتأمل لخلق الله ﷻ الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلًا بل بالحق وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة. ولهذا قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٤] أي للحق وإظهار الحق لا على وجه العبث واللعب، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٨] أي في خلقها، ﴿لَءَايَةً﴾ [البقرة: الآية ٢٤٨] أي لدلالة، ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٤] على أنه تعالى المتفرد بالقدر والخلق والتدبير والإلهية.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٤]، أى بالعدل، ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: الآية ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ [الحجر: الآية ٨٥] أي لا على وجه العبث واللعب، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [الأنعام: الآية ٢] أي وإلى مدة معينة مضروبة يعنى يوم القيامة وهو الأجل الذي تنتهى إليه السموات وهو الإشارة إلى فنائهما. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: الآية ٣٦] قال السدي: يعنى لا يبعث. وقال مجاهد والشافعى وعبد الرحمن بن زيد بن

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٤).

أسلم: يعنى لا يؤمر ولا ينهى[١].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: والظاهر أن الآية تعم الحالين، أي ليس يترك في هذه الدنيا مهملًا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهى في الدنيا محشور إلى الله في الدار الآخرة[٢].

«بل خلق» الله تعالى «الخلق ليعبدوه» ﷻ بما شرعه على ألسنة رسله وأنزل به كتبه «و» مع عبادتهم إياه لا يشركون بعبادته أحدًا كائنًا من كان بل «بالإلهية يفردوه» دون ما سواه، فمن عَبَدَ الله تعالى ألف سنة ثم أشرك به لحظة من اللحظات ومات على ذلك حبط جميع عمله وصار هباءً منثورًا حيث أشرك مع الله في عبادته من هو مثله مخلوق لعبادة الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] قال علي ابن أبي طالب رضي الله عنه: أي إلا لآمرهم أن يعبدون وأدعوهم لعبادتي. يؤيده قوله ﷻ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣١] وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: إلا ليعبدون، إلا ليقروا بعبادتى طوعًا أو كرهًا[٣]. وهذا اختيار ابن جرير، وقال ابن جريج ومجاهد: إلا ليعرفون، وقال الربيع بن أنس: أي إلا للعبادة طوعًا أو كرهًا، وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: الآية ٣٨] فهذا منهم عبادة ولا ينفعهم مع الشرك، وقال الضحاك: المراد بذلك المؤمنون. اهـ. من تفسير ابن كثير[٤].

وقال الكلبى والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] – من المؤمنين – ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: الآية ٥٦] ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٩] وقال بعضهم: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتى، والأشقياء منهم إلا لمعصيتى. وهذا معنى قول زيد بن أسلم قال: هم على ما جبلوا عليه من الشقاوة

---

(١) أورد هذه الأقوال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٥٣) وأخرج ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ٢٠١) قول مجاهد لكنه من طريق ابن أبي نجيح عنه، وهذا منقطع. وأخرج قول الشافعي البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٥٣).

(٣) ضعيف الإسناد: للانقطاع بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة، والأثر أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٧/ ١٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩).

والسعادة[١]، وقيل: معناه إلا ليخضعوا إلي ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته ولا يملك أحد لنفسه خروجًا عما خلق عليه قدر ذرة من نفع ولا ضر. وقيل: إلا ليعبدون، إلا ليوحدون. فأما المؤمن فيوحده في الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله ﷻ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت: الآية ٦٥] الآية. اهـ. من تفسير البغوي رحمه الله تعالى[٢].

قلت: وهذه الأقوال في هذه الآية، وإن كانت متقاربة والآية تسع جميعها، أرجحها الأول وهو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁: إلا لآمرهم وأدعوهم لعبادتي. يؤيده قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[التوبة: الآية ٣١] وقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾[البينة: الآية ٥] الآية، وغيرها من الآيات. ويؤيد ذلك أن الله تبارك وتعالى إنما شاء العبادة من جميع عباده وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، فمن أطاع أمره وأتى بما أراده وشاءه منه فله رضاه والجنة ومن خالف في ذلك فله سخطه والنار. ولو شاء الله تعالى من جميعهم العبادة وأرادها في الكون لم يكن لهم يد من ذلك ولم يكن لأحد إلى معصية الله تعالى من سبيل، ولا يخرج عن قضائه تعالى وقدره شيء من المخلوقات مثقال ذرة، فإنه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا مضاد لأمره، ولا ناقض لما أبرمه، ولا دافع لما قدره، ولذلك قال المفسرون هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]، فقال ابن عباس وقتادة والحسن: وأمر ربك[٣]. وقال الربيع بن أنس: وأوجب ربك. وقال مجاهد: وأوصى ربك[٤].

---

(١) صحيح إلى زيد بن أسلم: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١١) عن عبدالأعلى بن واصل عن عبيدالله بن موسى عن سفيان عن ابن جريج عن زيد بن أسلم وهذا صحيح، وله طرق أخرى عن ابن جريج انظرها في «تفسير ابن جرير» (٢٧/ ١١) و«السنة» للخلال (٩٣٣، ٩٣٤).

(٢) «تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٠).

(٣) أخرج ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ٦٢) الأثر بذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة، أما أثر ابن عباس فهو من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وهذا منقطع، وأما أثر الحسن فمن طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وأما أثر قتادة فحسن إليه أخرجه عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة.

(٤) أثر مجاهد أخرجه ابن جرير (١٥/ ٦٢) عن القاسم عن الحسين وهو سنيد بن داود عن الحجاج وهو ابن محمد المصيصي عن ابن جريج عن مجاهد به، لكن هذا منقطع، وابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفًا، وانظر «التهذيب» (٦/ ٤٠٥).

وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم: (ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) ولو أنه تبارك وتعالى قضى في الكون أن لا يعبد إلا إياه لم يشرك به أحد من خلقه، وإنما قضى ذلك شرعًا ليبلوكم أيكم أحسن عملًا، ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى. وهذه المشيئة منه للعبادة من عباده شرعًا عامة لمؤمنهم وكافرهم، وأما مشيئته للعبادة الكونية القدرية فخاصة للمؤمنين، فلهذا اتفقت فيهم المشيئتان فوافقوا المشيئة الشرعية لما سبق لهم في المشيئة القدرية الكونية، وأما الكافر فلم يوافق المشيئة الشرعية لما سبق عليه في المشيئة القدرية من الشقاوة. فتبين بهذا أن المشيئة الكونية القدرية لا خروج لأحد منها، ولا محيد له عنها، سواء سبقت له بالشقاوة أو السعادة. وأما المشيئة الشرعية فمن كان سبق له في القدرية أنه يوافقها كان كذلك، أو يخالفها كان كذلك.

وأما معنى العبادة فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: العبادة هى اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة- يعنى الظاهرة- وكذلك حب الله ورسوله وخشيته والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هى من العبادة لله- يعنى الباطنة[1]- وجماع العبادة كمال الحب مع كمال الذل. وسيأتي إن شاء الله تعالى زيادة بحثها في بابها من المتن.

أَخْرَجَ فِيمَا قَدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ
وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ لَا رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ غَيْرُهُ

«أخرج» أي الله تبارك وتعالى، «فيما» أي الزمن الذي «قد مضى» ذلك بعد خلقه آدم عليه الصلاة والسلام، «من ظهر آدم» أبي البشر ﷺ، «ذريته» كل من يوجد منهم إلى يوم القيامة، «كالذر» أي كهيئته، «وأخذ» ﷻ «العهد عليهم» وتفسير العهد «أنه» الضمير

(١) «العبودية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤).

للشأن أو الحال هو ربهم، «لا رب معبود» مستحق للعبادة ولذا قيد «بحق غيره» وإلا فكم قد اتخذ أعداؤه من أرباب وعبدوها بالباطل بدون حق بل بالظلم العظيم قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقَالُ للرَّجُلِ مِن أهلِ النَّارِ يومَ القِيامَةِ: أَرَأيتَ لَو كَانَ لَكَ مَا عَلَى الأرْضِ مِن شَيءٍ أكُنتَ مُفْتَدِيا به؟ قَالَ. فيقُولُ: نَعَم، فَيَقُولُ قَد أَرَدتُ مِنكَ أَهْوَنَ مِن ذَلِكَ، قَد أَخَذتُ عَلَيكَ فِي ظَهْرِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيئًا فَأَبَيتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»[1] أخرجاه في «الصحيحين».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلًا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً﴾ - إلى قوله - ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣][2]. رواه أحمد والنسائي والحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقد روي من طرق كثيرة موقوفًا.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] الآية، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَيهِ السَّلامُ ثُمَّ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥) وغيرهما من حديث أنس مرفوعًا به.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٧٢) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩١) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٠ح ٧٥) و (٢/ ٥٩٣ح ٤٠٠٠) وابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١١١) والضياء في «المختارة» (٣٦٦-٣٦٩) من طريقين عن جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعًا.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. بينما قال النسائي: كلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ.

قلت (يحيى): كلثوم فيه كلام، وقال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق يخطئ. اهـ.

ومع الكلام في كلثوم فقد اختلف في الحديث بالرفع والوقف، ورجح الحافظ ابن كثير الوقف وذكر أن رواة الوقف أكثر وأثبت، وانظر «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٦٢).

مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيمِينِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنهُ ذُرِّيةً قَالَ: خَلَقتُ هَؤلاءِ لِلجنَّةِ وَبِعَمَلِ أهلِ الجنةِ يعْمَلُونَ، ثمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنهُ ذُريةً قَالَ: خَلَقتُ هَؤُلاءِ للنارِ وَبِعَمَلِ أهلِ النارِ يعْمَلُونَ» فقال رجل: يا رسول اللَّه، ففيم العمل؟ قال رسول اللَّه ﷺ: «إذَا خَلَقَ اللَّهُ العَبدَ للجنَّةِ اسْتَعْمَلَهُ بِأعمَالِ أهلِ الجنَّةِ حتَّى يمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أعمَالِ أهْلِ الجنةِ فَيدخُلُ بِهِ الجنةَ، وإذَا خَلَقَ العبدَ للنَّار اسْتَعْمَلَهُ بِأعمَالِ أهلِ النارِ حتى يمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أعْمَالِ أهلِ النَّارِ فَيدخُلُ بِهِ النَّار»[1] رواه أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وابن أبي حاتم وابن جرير وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لما خَلَقَ اللَّهُ آدمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِن ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا مِن ذُرِّيتِهِ إلَى يوم القِيامَةِ وَجَعَلَ بينَ عَينَي كُلِّ إنسَانٍ مِنهُم وَبِيصًا مِن نُور، ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى آدمَ فقَالَ: أي رَبِّ، مَن هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ ذُرِّيتُك. فَرأى رَجُلًا منهُم فَأَعْجَبَهُ وَبِيصَ مَا بَينَ عَينيهِ فَقَالَ: أي رَبِّ، مَن هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِن آخِرِ الأُمَمِ مِن ذُريتِكَ يقَالُ لَهُ دَاود؟ قَالَ: رَبِّ وَكَم جَعَلْتَ عُمُرَه؟ سِتِّينَ سَنَة. قَالَ: أي رَبِّ، زِدْهُ مِن عُمُرِي أَرْبَعِينَ سَنَة. فَلَمَّا انْقَضَى عُمُر آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ المَوتِ فَقَالَ: أوَ لَم يبقَ مِن عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَة؟ قَالَ: أَوَ لَمْ تُعطِهَا لابنِكَ دَاوُد؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدمُ، فَجَحَدَتْ ذُريتُهُ.

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٨ كتاب القدر باب النهي عن القول بالقدر) عن زيد ابن أبي أنيسة عن عبدالحميد بن عبدالرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار عن عمر بن الخطاب مرفوعًا به، ومن طريق مالك أخرجه أبو داود (٤٧٠٣) والترمذي (٣٠٧٥) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٩٠) وأحمد (١/ ٤٤) وابن حبان (٦١٦٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٦) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٠ح ٧٤) و(٢/ ٣٥٤، ٥٩٤ح ٣٢٥٦، ٤٠٠١) وابن جرير في «التفسير» (٩/ ١١٢) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٥٨ح ٩٩٠) والضياء في «المختارة» (٢٨٩) وقال الترمذي: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلًا مجهولًا. اهـ.

قلت (يحيى): الرجل المذكور بينهما هو نعيم بن ربيعة وهو مجهول الحال، وقد رواه عن زيد بن أبي أنيسة بإثبات نعيم رجلان، الأول هو: عمر بن عبدالله جثعم وهو ضعيف، أخرجه من طريقه أبو داود (٤٧٠٤) وابن جرير (٩/ ١١٤) والضياء (٢٩٠) وعمر هذا تابعه على هذه الرواية يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي وهو ضعيف أيضًا أخرج حديثه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢٠١) ومع ضعف عمر ويزيد بن سنان ومخالفتهما للإمام مالك في إسناد الحديث إلا أن الدارقطني رحمه الله قال: وقولهما أولى بالصواب من قول مالك. نقل ذلك عنه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤).

ونَبِيِّ آدمُ، فَنَسِيتْ ذُرِّيتُهُ»[١] رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره نحو ما تقدم إلى أن قال: «ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى آدَمَ فَقَالَ يا آدَمُ هَؤُلاءِ ذُرِّيتُكَ، وإذَا فِيهِم الأجذَمُ والأبرَصُ والأعْمَى وأنْوَاعُ الأسْقَامِ، فَقَالَ آدَمُ: يا رَبِّ لِمَ فَعَلتَ هَذَا بِذُرِّيتِي؟ قَالَ: كَي تَشْكُرَ نِعْمَتِي، وقَالَ آدَمُ: يا رَبِّ مَن هَؤُلاَءِ الذِينَ أَرَاهُم أظهَرَ الناسِ نُورًا؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الأنبياءُ يا آدَمُ مِن ذُرِّيتِكَ». ثم ذكر قصة داود كنحو ما تقدم[٢].

وعن هشام بن حكيم ﷺ أن رجلًا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أتبدأ الأعمال أم قد قضي القضاء؟ قال فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ قَد أخَذَ ذُرِّيةِ آدَمَ مِن ظُهُورِهِم، ثُمَّ أشْهَدَهُم عَلَى أنفُسِهِم، ثُمَّ أفَاضَ بِهِم فِي كَفَّيهِ ثُمَّ قَالَ: هَؤُلاءِ فِي الجنةِ وَهَؤُلاءِ في النارِ. فأهلُ الجنةِ مُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أهلِ الجنةِ وَأهلُ النارِ مُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أهلِ النارِ»[٣]، رواه ابن

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٠٧٦) والحاكم (٢/ ٣٥٥ح ٣٢٥٧) وأبو يعلى في «مسنده» (٦٣٧٧، ٦٦٥٤) وابن وهب في «القدر» (٨) من طرق عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم على شرط مسلم.
قلت: وهشام بن سعد فيه كلام لكنه من أثبت الناس في زيد بن أسلم.

(٢) ضعيف الإسناد: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤) فقال: ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدثه عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة..
قلت: وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١١٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٦٩ح ٤٣٥) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ١٩١ ت ٢٦٦٤) وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤) لابن جرير وابن مردويه من طرق عن بقية بن الوليد ثني الزبيدي عن راشد بن سعد عن عبدالرحمن ابن قتادة النضري عن أبيه عن هشام بن حكيم به، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٧) وقال: رواه البزار والطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو ضعيف ويحسن حديثه بكثرة الشواهد، وإسناد الطبراني حسن. اهـ.
قلت: وهذا إسناد ضعيف، عبدالرحمن بن قتادة وأبوه مجهولان، وقد اختلف في إسناد هذا الحديث فرواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٦٨) من طريق بقية به، ولم يذكر واسطة بين عبدالرحمن وهشام. وكذا أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٦٨ ح ٤٣٤) وابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١١٨) عن عبدالله بن صالح عن معاوية بن صالح عن راشد عن عبدالرحمن ابن هشام ولم يذكر بينهما واسطة، بينما أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٨٦) وابن حبان في «صحيحه» (٣٣٨) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٥ح ٨٤) عن ليث بن سعد وابن وهب عن معاوية بن صالح عن راشد بن سعد عن عبدالرحمن=

جرير وابن مردويه من طرق عنه .

وعن أبي أمامة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لما خَلَقَ اللَّهُ الخَلقَ وَقَضَى القَضِيةَ أَخَذَ أهلَ اليمِينِ بِيمِينِهِ وَأَهلَ الشِّمَالِ بِشِمَالِهِ فَقَالَ : يا أصْحَابَ اليمِينِ ، فَقَالُوا : لَبَّيكَ وَسَعْدَيكَ . قَالَ : أَلَسْتُ بِرَبِّكُم؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : يا أصْحَابَ الشِّمَالِ . قَالُوا : لَبَّيكَ وَسَعْدَيكَ . قَالَ : أَلَستُ بِرَبِّكُم؟ قَالُوا : بَلَى! ثُمَّ خَلَطَ بَينَهُم . فَقَالَ لَهُ : يا ربِّ لِمَ خَلَطْتَ بَينَهُم؟! قَالَ : لَهُم أَعْمَالٌ مِن دُونِ ذَلِكَ هُم لَهَا عَامِلُونَ أنْ يقُولُوا يومَ القِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ ، ثُمَّ رَدَّهُم فِي صُلبِ آدَمَ»[1] رواه ابن مردويه ، وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف .

وعن ابن عباس ﷺ قال : أخرج اللَّه ذرية آدم من ظهره كهيئة الذر وهو في أذى من الماء»[2] . رواه ابن جرير .

وله عنه ﷺ قال : إن اللَّه تعالى مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وتكفل لهم بالرزق . ثم أعادهم في صلبه . فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول ، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يقر به لم ينفعه

= مرفوعًا وفيه أن عبدالرحمن هذا صحابي ، وأورد البخاري هذا في «التاريخ الكبير» (٥/ ٣٤١) وذكر أن هذا خطأ من معاوية بن صالح ورجح رواية الزبيدي ، بينما رجح ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٣٥٢) أن عبدالرحمن صحابي ، وقال : ويكفي في إثبات صحبته الرواية التي شهد له فيها التابعي بأنه من الصحابة ، فلا يضر بعد ذلك إن كان سمع الحديث من النبي ﷺ أو بينهما فيه واسطة . اهـ.

ونقل الحافظ عن الحسيني في «الإصابة» (٤/ ٣٥٢) وفي «تعجيل المنفعة» (ص٢٥٥) أن الحديث مضطرب .

قلت (يحيى) : وهو كما قال ، والبخاري رحمه الله قد جزم بخطأ معاوية في روايته التي ذكر فيها أن عبدالرحمن من الصحابة ، ثم معاوية له أوهام . وهو مختلف عليه في إسناده ، وخالفه غيره أيضًا . والله أعلم .

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٤٢ح ٧٩٤٣) وأخرجه مختصرًا (٨/ ٢٤١ح ٧٩٤٠) وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤) وعزاه لابن مردويه جميعًا من طريق جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة ، وجعفر هذا متروك وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٩) وقال : رواه الطبراني في «الأوسط» و«الكبير» باختصار وفيه سالم بن سالم وهو ضعيف وفي إسناد الكبير جعفر بن الزبير وهو ضعيف .

(٢) في إسناده ضعف : أخرجه ابن جرير (٩/ ١١٢) وفي إسناده سفيان بن وكيع وهو ضعيف ، والآذي بالمد والتشديد هو الموج الشديد والجمع أواذي من «المعجم الوجيز» (ص١١) .

الميثاق الأول. ومن مات صغيرًا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة»[1].

وله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] قالَ: أَخَذَ مِن ظَهْرِهِ كَمَا يؤْخَذُ بالمُشْطِ مِن الرَّأسِ فَقَالَ لَهُم: وَأَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم ألستُ بِرَبِّكُم؟ قَالُوا: بَلَى قَالَتِ الملائِكَةُ: شَهِدْنَا أنْ تَقُولُوا يومَ القِيامَةِ إنَّا كُنَّا عَن هَذَا غَافِلِينَ»[2] وصحح ابن كثير وقفه.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] الآيات، قال فجمعهم له يومئذ جميعًا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صورهم، ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى. الآية، قال: فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئًا، وإنى سأرسل إليكم رسلا ليذكروكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبى. قالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا ولا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع أباهم آدم فنظر إليهم فرأى فيهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك، فقال: يا رب لو سويت بين عبادك، قال: إنى أحببت أن أشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج عليهم النور وخصوا بميثاق آخر من الرسالة والنبوة فهو الذي يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب: الآية ٧] الآية. وهو الذي يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: الآية ٣٠] الآية. ومن

---

(١) ضعيف الإسناد جدًا: أخرجه ابن جرير (٩/ ١١٢) وفي إسناده جويبر وهو ضعيف جدًا واتهم.

(٢) ضعيف مرفوعًا والأصح الوقف: ووقع بالأصل هنا: عبدالله بن عمر وهو خطأ صوابه: عبدالله بن عمرو، والحديث أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١١٣) عن أحمد بن أبي طيبة عن سفيان بإسنادين عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا به.

لكن أحمد بن أبي طيبة له أفراد، وذكر ابن عدي أنه يحدث بأحاديث غرائب، وقد خالفه يحيى بن سعيد فرواه على الوقف، أخرجه ابن جرير (٩/ ١٣٣) عن ابن بشار عن يحيى بن سعيد عن سفيان عن منصور عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو موقوفًا مختصرًا، وسفيان متابع على الوقف، تابعه جرير، أخرج حديثه ابن جرير (٩/ ١١٣) عن ابن وكيع وابن حميد عن جرير عن منصور عن مجاهد عن عبدالله بن عمرو موقوفًا، وشيخا ابن جرير فيهما كلام لكن يتقوى خبرهما باتفاقهما. وأورد ابن كثير الحديث في «تفسيره» (٢/ ٣٦٣) ثم رجح الوقف بما ذكرته هنا. وكذا أشار ابن جرير (٩/ ١١٨) إلى ترجيح الوقف.

ذلك قال: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النجم: الآية ٥٦]، ومن ذلك قال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢](١) الآية، رواه عبد اللّٰه بن أحمد في مسند أبيه وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مردويه.

وفي البغوي قال مقاتل وغيره من أهل التفسير: إن اللّٰه تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ألست بربكم، قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعًا في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء، قال اللّٰه تعالى فيمن نقض العهد الأول: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢].

وقال بعض أهل التفسير: إن أهل السعادة أقروا طوعًا وقالوا بلى. وأهل الشقاوة قالوا تقية وكرهًا. وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: الآية ٨٣].

واختلفوا في موضع الميثاق، قال ابن عباس رضي الله عنهما: ببطن نعمان واد إلى جنب عرفة(٢). وروي عنه أيضًا أنه بدهناء من أرض الهند وهو الموضع الذي هبط آدم عليه السلام عليه(٣)، وقال الكلبي: بين مكة والطائف، وقال السدي: أخرج آدم عليه السلام من الجنة فلم

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٩/ ١١٥) والحاكم (٢/ ٣٥٣ح ٣٢٥٥) واللالكائي (٩٩١) والضياء المقدسي في «المختارة» (١١٥٩) وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٦٤) لعبدالله بن أحمد في «زوائد المسند»، من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب، وهذا إسناد ضعيف أبو جعفر ضعيف، والربيع صدوق إلا ما كان من رواية أبي جعفر عنه.
وهذا منه، وأخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٥) والضياء في «المختارة» (١١٥٨) عن محمد بن يعقوب بإسناده عن الربيع بن أنس بمثله، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٥) وقال: رواه عبدالله بن أحمد عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي وهو مستور.
قلت: وترجمة محمد بن يعقوب ب«تعجيل المنفعة» (ص٣٨١).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد وغيره، وسبق قبل نحو سبع صفحات.

(٣) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (٢/ ٢٠٧): وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات والله أعلم بصحتها، ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم أو دنياهم لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله ﷺ. اهـ.

يهبطه من السماء ثم مسح ظهره فأخرج ذريته، وروى أن الله تعالى أخرجهم جميعًا وصورهم وجعل لهم عقولًا يعلمون بها وألسنًا ينطقون بها ثم كلمهم قبلًا يعني عيانًا وقال: ألست بربكم؟ وقال الزجاج: وجائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذر فهما تعقل به، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: الآية ١٨] [(١)].

قال البغوي: فإن قيل ما معنى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] وإنما أخرجهم من ظهر آدم؟

قيل: إن الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء في الترتيب فاستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم أنهم كلهم بنوه وأخرجوا من ظهره. قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]، أي أشهد بعضهم على بعض، قوله: ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] قرأ أبو عمرو أن يقولوا، أو يقولوا، بالياء فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما. واختلفوا في قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠] قال السدي: هو خبر من الله ﷻ عن نفسه وملائكته أنهم شهدوا على إقرار بني آدم، وقال بعضهم هو خبر عن قول بني آدم أشهد الله بعضهم على بعض فقالوا بلى شهدنا، وقال الكلبي ذلك من قول الملائكة وفيه حذف تقديره لما قالت الذرية: بلى. قال الله ﷻ للملائكة: اشهدوا. قالوا: شهدنا.

قوله: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ [البقرة: الآية ٢٣٥] يعني وأشهدهم على أنفسهم أن يقولوا أي لئلا يقولوا أو كراهية أن يقولوا. ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام أخاطبكم ألست بربكم لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أي عن هذا الميثاق والإقرار، فإن قيل كيف يلزم الحجة واحدًا لا يذكر الميثاق؟ قيل قد أوضح الله تعالى الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما أخبروا، فمن أنكره كان معاندًا ناقضًا للعهد ولزمته الحجة، وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد إخبار المخبر صاحب المعجزة.

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣] يقول إنما أخذ الميثاق عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقضوا العهد وكنا ذرية من بعدهم أي كنا أتباعًا لهم فاقتدينا بهم فتجعلوا هذا عذرًا لأنفسكم وتقولوا: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣]، أفتعذبنا بجناية آبائنا المبطلين؟ فلا يمكنهم

(١) هذا آخر كلام البغوي رحمه الله في «تفسيره» (٣/ ٢٩٩).

أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله تعالى بأخذ الميثاق على التوحيد: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ [الأنعام: الآية ٥٥]، أي نبين الآيات ليتدبرها العباد، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٤] من الكفر إلى التوحيد. اهـ. البغوي[١].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: وذهب طائفة من السلف والخلف إلى أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد، كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كُلُّ مَولُودٍ يولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ»** وفي رواية: **«عَلَى هَذِهِ المِلَّةِ فَأَبَواهُ يهَوِّدَانِهِ وَيَنَصِّرَانِهِ وَيمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُولَدُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»**[٢] أخرجاه.

وفي صحيح مسلم عن عياض بن حِمَار رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: إنى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم»**[٣] وعن الأسود بن سريع من بنى سعد قال: غزوت مع رسول الله ﷺ أربع غزوات قال: فتناول القوم الذرية بعدما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال: **«ما بال أقوام يتناولون الذرية»**؟ فقال رجل: يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين؟ فقال: **«إن خياركم أبناء المشركين. ألا إنها ليست نسمة تولد إلا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها»**[٤]،

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٣٠٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «على الفطرة».
وأما لفظ: «على الملة» أو: «على هذه الملة» فأخرجه مسلم (٢٦٥٨) والترمذي (٢١٣٨) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٥) وابن حبان (٦٥٣، ٦٥٤) وأحمد (٤/ ١٦٢) وغيرهم.

(٤) صحيح بشواهده: أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥) و (٤/ ٢٤) وابن حبان (١٣٢) والنسائي في «الكبرى» (٨٦١٦) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٣٣ح ٢٥٦٦) والخلال في «السنة» (٨٨٣) والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٨٤ح ٨٢٩- ٨٣٥) وفي «الأوسط» (٢/ ٢٨٠ح ١٩٨٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٧٧، ١٣٠) والضياء المقدسي في «المختارة» (١٤٤٤- ١٤٤٦) من طرق عن الحسن البصري عن الأسود بن سريع به، وقال البيهقي «٩/ ٧٧): رواه هشيم عن يونس ن عبيد وذكر فيه سماع الحسن من الأسود بن سريع.
قلت (يحيى): صرح الحسن بالتحديث في رواية هشيم عن يونس، وأخرجها النسائي في «الكبرى» (٨٦١٦) والبيهقي (٩/ ٧٧) والضياء المقدسي (١٤٤٤) وهذا إسناد صحيح، ويونس من أثبت الناس في الحسن البصري وهشيم صرح بالتحديث. =

قال الحسن: ولقد قال اللّه تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] قالوا: ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] ولم يقل من آدم ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] ولم يقل من ظهره، ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] أي جعل نسلهم جيلًا بعد جيل وقرنا بعد قرن كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٥] وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: الآية ٦٢]، وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٣] ثم قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] أي أوجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالًا، قال والشهادة تكون حالًا بالقول كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠] الآية، وتارة تكون حالًا كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: الآية ١٧] أي حالهم شاهد عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات: الآية ٧] كما أن السؤال تارة يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: الآية ٣٤].

قالوا: ومما يدل على أن المراد بهذا أن جعل هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك فلو كان قد وقع هذا كما قال من قال لكان كل أحد يذكره ليكون حجة عليه.

فإن قيل: إخبار الرسول ﷺ به كاف في وجوده، فالجواب إن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسل من هذا وغيره، وهذا جعل حجة مستقلة عليهم فدل على أنه الفطرة التي فطروا عليها من الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ [البقرة: الآية ٢٣٥] أي لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] أي عن التوحيد ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: الآية ١٧٣] الآية. اهـ[1].

قلت: ليس بين التفسيرين منافاة ولا مضادة ولا معارضة فإن هذه المواثيق كلها ثابتة بالكتاب والسنة.

الأول: الميثاق الذي أخذه اللّه تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم ﷺ

= لكن قد نص ابن المديني وابن منده والبزار على أن الحسن لم يسمع من الأسود بن سريع، وانظر «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٦٨، ٢٦٩) فأخشى أن يكون التصريح بالتحديث من أوهام بعض الرواة، والجزم بأن ابن المديني وابن منده والبزار رحمهم الله فاتهم هذا الموضع اجتراء لا أقدر أنا عليه. لكن الحديث يصحح بشواهده والله أعلم.

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٦٥).

وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين رحمهم الله في هذه الآيات، وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول، كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: الآية ٣٠] الآية، وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض ابن حمار والأسود بن سريع ﷺ وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثالث: هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديدًا للميثاق الأول وتذكيرًا به ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾ [النساء: الآية ١٦٥]، فمن أدرك هذا الميثاق وهو باق على فطرته هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك من أول مرة ولا يتوقف، لأنه جاء موافقًا لما في فطرته وما جبله الله عليه فيزداد بذلك يقينه ويقوى إيمانه فلا يتلعثم ولا يتردد. ومن أدركه وقد تغيرت فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه وهوده أبواه أو نصراه أو مجساه فهذا إن تداركه الله تعالى برحمته فرجع إلى فطرته وصدق بما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول والثاني، وإن كذب بهذا الميثاق كان مكذبًا بالأول فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال: ﴿بَلَىٰ﴾ [البقرة: الآية ٨١] جوابًا لقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] وقامت عليه حجة الله وغلبت عليه الشقوة وحق عليه العذاب ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: الآية ١٨]. ومن لم يدرك هذا الميثاق بأن مات صغيرًا قبل التكليف مات على الميثاق الأول على الفطرة فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم، وإن كان من أولاد المشركين فالله أعلم بما كان عاملًا لو أدركه كما في الصحيحين عن ابن عباس ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال ﷺ: «**الله تعالى إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين**»[1]. وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال ﷺ: «**الله أعلم بما كانوا عاملين**»[2].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٨٣) ومسلم (٢٦٦٠) وغيرهما من حديث ابن عباس.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٨٤) ومسلم (٢٦٥٩) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَدْ أَرْسَلَا ... لَهُمْ وَبِالْحقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلَا
لِكَي بذا العهد يذكروهم ... وينذروهم ويبشروهم
كَي لَا يكُونَ حُجَّةٌ لِلنَّاسِ بَلْ ... لِلَّهِ أَعْلَى حُجَّةٍ عَزَّ وَجَلْ
فَمَنْ يصَدِّقْهُمْ بِلَا شِقَاقِ ... فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ
وَذَاكَ نَاجٍ مِنْ عَذَابِ النَّارِ ... وَذَلِكَ الْوَارِثُ عُقْبَى الدَّارِ
وَمَنْ بهم وبالكتاب كَذَّبَا ... وَلَازَمَ الإعْرَاضَ عَنْهُ وَالإبَا
فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلَا الْعَهْدَينِ ... مُسْتَوْجِبٌ لِلْخِزْي فِي الدَّارَينِ

«وبعد هذا» أي الميثاق الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطرهم وجبلهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به «رسله» باسكان السين للوزن مفعول أرسل مقدم «قد أرسلا» بألف الإطلاق «لهم» أى إليهم «وبالحق» متعلق بأنزل أى بدين الحق «الكتاب» جنس يشمل جميع الكتب المنزلة على جميع الرسل «أنزلا» بألف الإطلاق والأمر الذي أرسل اللّه تعالى به الرسل إلى عباده وأنزل عليهم به الكتب هو «لكى بذا العهد» الميثاق الأول «يذكروهم» تجديدًا له وإقامة لحجة اللّه البالغة عليهم «وينذروهم» عقاب اللّه إن هم عصوه ونقضوا عهده «ويبشروهم» بمغفرته ورضوانه إن هم وفوا بعهده ولم ينقضوا ميثاقه وأطاعوه وصدقوا رسله، والحكمة في ذلك «كى لا يكون حجة» على اللّه ﷻ «للناس بل للّه» على جميع عباده «أعلى حجة» أبلغها وأدمغها «عز» سلطانه «وجل» شأنه عن أن يكون لأحد عليه حجة، كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ وهو خاتم الرسل والمصدق لما جاءوا به وكتابه مصدق لما بين يديه مما معهم من الكتب ومهيمن عليه ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾، وقال تعالى له ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ الآيات. وقال تعالى له: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر: الآية ٢٣]
وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم

مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: الآية ٤٦] . وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ * وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ﴾ الآية . وغير ذلك من الآيات التي يخبر الله تعالى فيها أنه ما أرسل من رسول إلا داعيا إلى عبادة الله ﷻ لا شريك له والكفر بما سواه من الأنداد ومبشرًا لمن صدقه وأطاعه بالجنة ونذيرًا لمن كذبه وعصاه من النار .

ثم أخبر تعالى أن المراد بذلك ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: الآية ١٦٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٩] . وتقدير البحث في الرسالة واتفاق الرسل في دعوتهم يأتي في بابه إن شاء الله ﷻ . «فمن يصدقهم» يعني الرسل «بلا شقاق» تكذيب ولا مخالفة «فقد وفى» لربه ﷻ «بذلك الميثاق» العهد الأول، وهؤلاء هم القليل من الثقلين ولكن هم جند الله الغالبون المنصورون في الدنيا، وحزبه المفلحون الفائزون في الآخرة، وجواب الشرط «فذاك ناج من عذاب النار» إذ لم يرتكب أسباب دخولها من معصية الله وتكذيب رسله كما ارتكب ذلك من خلق لها «وذلك الوارث عقبى الدار» وهي الجنة لفعله أسبابها التي أمره الله ﷻ بها من الوفاء بعهد الله وميثاقه وتصديق رسله وكتبه والعمل بجميع طاعته تبارك وتعالى «ومن بهم» أي بالرسل «وبالكتاب» أي الكتب التي أنزل الله عليهم ليبلغوها إلى عباده ويبينوها ليعملوا بما فيها «كذبا»، «ولازم الإعراض عنه» عما أرسل الله به رسله «والإبا» أي الامتناع، وهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [غافر: الآية ٧٠] الآيات، وقال تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: الآية ١٢٤] الآيات وغيرها وهؤلاء أكثر الثقلين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: الآية ١١٦] وغير ذلك من الآيات. وجواب الشرط «فذاك» أي المكذب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله الآبي منه المعرض عنه المصر على ذلك حتى مات عليه هو «ناقض كلا العهدين» الميثاق الذي أخذه الله عليه وفطره على الإقرار به وما جاءت به الرسل من تجديد الميثاق الأول وإقامة الحجة «مستوجب» بفعله ذلك «للخزي في الدارين» أي في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةًۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: الآية ٤٢] وقد وفي بذكر الفريقين الموفين بالعهد

والناقضين له وما لكم منهم وما عليه في الدنيا والآخرة قول الله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ [الرعد: الآية ١٨] أي فيما دعاهم إليه على ألسنة رسله وهم الفريق الأول ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء: الآية ٩٥] الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ [الرعد: الآية ١٨] وهم الفريق الثاني ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: الآية ١٨]، وتأويل ذلك ما ورد في «الصحيحين» من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابًا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدى به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بى شيئًا، فأبيت إلا أن تشرك بى»**[1] وقد تقدم ذكره قريبًا.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: الآية ١٩] يعنى الفريق الأول: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: الآية ١٩] يعنى الفريق الثانى، لا والله ليسوا سواء ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾﴾ يتناول كل العهود والمواثيق التي أمر الله ﷻ بالوفاء بها مع الحق ومع الخلق وتناولها للميثاق المذكور من باب أولى ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: الآية ٢١] من صلة الأرحام ومن الإيمان بالله ورسله وعدم التفريق بين أحد منهم ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ * وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ على قدر الله وعلى ملازمة طاعته وعن معصيته ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: الآية ٢٢]. فكأنه قيل: ما هى؟ فقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾. ثم ذكر الفريق الثانى بصفاتهم السيئة وبين جزاءهم عليها والعياذ بالله تعالى فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: الآية ٢٥] فسبحان الله وبحمده ما أبلغ حكمته وأعدل حكمه ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٣٤) ومسلم (٢٨٠٥) وغيرهما من حديث أنس مرفوعًا.

فصل في انقسام التوحيد إلى نوعين
وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات

أول واجب على العبيد — معرفة الرحمن بالتوحيد
إذ هو من كل الأوامر أعظم — وهو نوعان أيا من يفهم
إثبات ذات الرب جل وعلا — أسمائه الحسنى صفاته العلى

«**أول واجب**» فرضه اللَّه ﷻ «**على العبيد**» هو «**معرفة الرحمن**» أي: معرفتهم إياه «**بالتوحيد**» الذي خلقهم له وأخذ عليهم الميثاق به، ثم فطرهم شاهدين مقرين به، ثم أرسل به رسله إليهم وأنزل به كتبه عليهم: «**إذ**» حرف تعليل لأولية وجوب معرفة العباد ربهم تبارك وتعالى بالتوحيد «**هو من كل الأوامر**» جمع أمر وهو خطاب اللَّه ﷻ المتعلق بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعل «**أعظم**» كما أن ضده من الشرك والتعطيل والتمثيل هو أعظم المناهي، ولهذا لا يدخل العبد في الإسلام إلا به ولا يخرج منه إلا بضده ولم يزحزح عن النار ويدخل الجنة إلا به. ولا يخلد في النار ويحرم الجنة إلا بضده ولم تدع الرسل إلى شيء قبله ولم تنه عن شيء قبل ضده.

«**وهو**» أي: التوحيد «**نوعان**»:

الأول: التوحيد العلمي الخبرى الاعتقادى المتضمن إثبات صفات الكمال للَّه ﷻ وتنزيهه فيها عن التشبيه والتمثيل وتنزيهه عن صفات النقص وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات.

والثاني: التوحيد الطلبي القصدى الإرادى وهو عبادة اللَّه تعالى وحده لا شريك له وتجريد محبته والإخلاص له وخوفه ورجاؤه والتوكل عليه والرضا به ربًّا وإلهًا ووليا وأن لا يجعل له عدلًا في شيء من الأشياء وهو توحيد الإليهة.

والقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين، لأنه إما خبر عن اللَّه ﷻ وما يجب أن يوصف به وما يجب أن ينزه عنه وهو التوحيد العلمي الخبرى الاعتقادى، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الطلبي الإرادى. وإما أمر ونهى وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييد وما يكرمهم به في الآخرة وهو جزاء

توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يفعل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم توحيده. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزاءه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، اقرأ في الجمع بين التوحيدين ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ وآية الكرسي وقل هو الله أحد وغيرها من القرآن. واقرأ في الأمر والنهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية ٧] واقرأ في إكرام أهل التوحيد في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: الآية ٥١] واقرأ في إخزاء أهل الشرك في الدنيا والآخرة ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

والكلام في هذا الفصل على النوع الأول، وهو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي وهو «إثبات» بالرفع بدل بعض من قولنا «نوعان» أي الأول منهما «إثبات ذات الرب جل وعلا» فإن هذه العوالم العلويات والسفليات لا بد لها من موجد أوجدها ويتصرف فيها ويدبرها. ومحال أن توجد بدون موجد. ومحال أن توجد أنفسها. قال الله تبارك وتعالى في مقام إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ [الطور: الآية ٣٥] أي: من غير رب ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم فلابد له من خالق فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: الآية ٣٥] لأنفسهم وذلك في البطلان أشد لأن ما لا وجود له كيف يخلق فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقًا فليؤمنوا به ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾ [الطور: الآية ٣٦] وهذا في البطلان أشد وأشد فإن المسبوق بالعدم يستحيل إن يوجد بنفسه فضلًا عن أن يكون موجدًا لغيره وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله ﷻ وهم يعلمون أنه الخالق لا شريك له ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: الآية ٣٦] أي ولكن عدم إيقانهم هو

الذي يحملهم على ذلك. وعن جبير بن مطعم ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)﴾ كاد قلبي أن يطير»[1] أخرجاه في «الصحيحين».

وكثيرًا ما يرشد الله تبارك وتعالى عباده إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرة من المخلوقات العلوية والسفلية كما قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠)﴾[الذاريات: الآية ٢٠] أي فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات والمهاد والجبال والقفار والأنهار والبحار واختلاف ألسنة الناس وألوانهم وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات والسعادة والشقاوة وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١)﴾[الذاريات: الآية ٢١] قال قتادة: «من تفكر في خلق نفسه علم أنه إنما لينت مفاصله للعبادة»[2]، وكذا ما في ابتداء الإنسان من الآيات العظيمة إذ كانت نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا إلى أن نفخ فيه الروح. وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٨) وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٤٩)﴾ يقول تعالى منبهًا على خلق العالم العلوي والسفلي ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾[الذاريات: الآية ٤٧] أي: جعلناها سقفًا رفيعًا ﴿بِأَيْدٍ﴾[الذاريات: الآية ٤٧] أي: بقوة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والثوري وغير واحد[3]، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات: الآية ٤٧] قال ابن عباس ﷺ: لقادرون، وعنه أيضًا: لموسعون الرزق على خلقنا. وقيل: ذو

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٥٤) ومسلم مختصرًا (٤٦٣) من حديث جبير بن مطعم، واللفظ للبخاري.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (ح١٨) من طريق أبي الجماهر عن سعيد عن قتادة، وهذا إسناد ضعيف، سعيد هو ابن بشير الأزدي وهو ضعيف، والراوي عنه ثقة وهو محمد بن عثمان التنوخي.

(٣) أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٧/ ٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وإسناده ضعيف للانقطاع، وأخرج ابن جرير أثر مجاهد من طريق ابن أبي نجيح عنه، وإسناده ضعيف للانقطاع، وأما أثر قتادة فحسن إليه، أخرجه ابن جرير عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة.
وأما أثر سفيان فضعيف أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٨) وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، وصح هذا المعنى أيضًا عن ابن زيد أخرجه ابن جرير (٢٣/ ١٣٦).

وسعة. وقال ابن كثير: أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد حتى استقلت كما هي. ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ [الذاريات: الآية ٤٨] أي جعلناها فراشًا للمخلوقات»[1]، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: الآية ٤٨] الباسطون نحن. قال ابن عباس: نعم ما وطأت لعبادي. ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: الآية ٤٩] صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والجنة والنار، والحق والباطل، والحلو والمر، والدنيا والآخرة، والموت والحياة، والجامد والنامي، والمتحرك والساكن، والحر والبرد وغير ذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: الآية ٢٧] أي لتعلموا أن الخالق واحد فرد لا شريك له. اهـ. ابن كثير والبغوي.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: الآية ١٦٤].

قال أبو الضحى: لما نزلت ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: الآية ١٦٣] قال المشركون: إن كان هكذا فليأتنا بآية، فأنزل اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤][2] تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها، وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤] هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الآخر. ويعقبه ولا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: الآية ٤٠] وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان، كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: الآية ٦١] أي: يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤] أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ونقل هذا إلى

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٨).

(٢) ضعيف الإسناد: أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٠٣) من طريقين عن سعيد بن مسروق عن أبي الضحى به، لكن أبا الضحى هو مسلم بن صبيح وهو تابعي، وحديثه هذا مرسل.

هؤلاء ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[البقرة: الآية ١٦٤] ، كما قال تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾[يس: الآية ٣٣] إلى قوله : ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾[يس: الآية ٣٦] . ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾[البقرة: الآية ١٦٤] على اختلاف أشكالها وأنواعها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى : ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾[هود: الآية ٦] . ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾[البقرة: الآية ١٦٤] فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وهي الريح، وتارة تأتي مبشرات بين يدي السحاب، وتارة تسوقها، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمين، وتارة صبا وهي الشرقية، وتارة دبور وهي غربية وغير ذلك والله أعلم ﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[البقرة: الآية ١٦٤] أيْ: سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى : ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: الآية ١٦٤] أي: في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الجاثية: الآية ٥] فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقًا وصانعًا غنيا بذاته وكل ما سواه فقير إليه، قائم بذاته وكل ما سواه لا يقوم إلا به، قدير لذاته وكل ما سواه عاجز لا قدرة له إلا بما أقدره متصف بجميع صفات الكمال، وكل ما سواه فلازمه النقص وليس الكمال المطلق إلا له وهو الله تبارك وتعالى. وقال تبارك وتعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ يقول تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[الروم: الآية ٢٠] الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[الروم: الآية ٢٠] فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين، ثم تصور فكان علقة ثم مضغة ثم صار عظامًا شكله شكل إنسان ثم كسا الله تعالى تلك العظام لحمًا ثم نفخ فيه الروح فإذا هو سميع بصير، ثم أخرج من بطن أمه صغيرًا ضعيف القوى والحركة ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به

الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون ويسافر في أقطار الأقاليم ويركب متن البحور، ويدور أقطار الأرض ويكتسب ويجمع الأموال وله فكرة وغور ودهاء ومكر، ورأى وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه، فسبحان من أقدرهم وسيرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب وفاوت بينهم في العلوم والفكر والحسن والقبح والغنى والفقر والسعادة والشقاوة.

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب والسهل والحزن وغير ذلك**»(١) رواه أحمد وأبوداود والترمذي. وقال حسن صحيح. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: الآية ٢١] أي خلق لكم من جنسكم إناثًا تكون لكم أزواجًا ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: الآية ٢١] كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٩] يعني بذلك حواء خلقها الله تعالى من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر، ولو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورًا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس، ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل الأزواج من جنسهم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ [الروم: الآية ٢١] وهي المحبة ﴿وَرَحْمَةً﴾ [البقرة: الآية ١٥٧] وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد أو محتاجة إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد: الآية ٣] في عظمة الله وقدرته ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الروم: الآية ٢٠] الدالة على قدرته العظيمة ﴿خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤] أي: خلق السموات في ارتفاعها واتساعها وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، وخلق الأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال وأودية وبحار وقفار وحيوان وأشجار ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الروم: الآية ٢٢] يعني اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تتر لهم لغة أخرى، وهؤلاء كرج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بربر، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩٣) والترمذي (٢٩٥٥) وأحمد (٤/ ٤٠٠، ٤٠٦) وابن حبان (٦١٦٠) وعبد بن حميد (٥٤٩) وابن جرير (١/ ٢١٤) والبيهقي (٩/ ٣) من طرق عن عوف الأعرابي عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا به، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

هنود، وهؤلاء فرس، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله ﷻ من اختلاف لغات بنى آدم ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: الآية ٢٢] أي: واختلاف ألوانكم أبيض وأسود وأحمر، وأنتم أولاد رجل واحد، وامرأة واحدة، وغير ذلك من اختلاف الصفات والحلى، فجميع أهل الأرض بل أهل الدنيا منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة كل له عينان وحاجبان وأنف وجبين وفم وخدان وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام ظاهرًا كان أو خفيًا يظهر عند التأمل كل وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه أخرى، ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي ومن الآيات ما جعل الله من صفة النوم في الليل فإن فيه تحصل الراحة وسكون الحركة وذهاب الكلال والتعب، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار وهذا ضد النوم، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس: الآية ٦٧] سماع تدبر واعتبار ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الروم: الآية ٢٠] الدالة على عظمته أنه ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: الآية ٢٤] أي: تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق متلفة، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: الآية ٢٤] أي: بعد ما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء فلما جاءها الماء ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: الآية ٥]، وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على الميعاد وقيام الساعة، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ كقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: الآية ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: الآية ٤١] وكان عمر بن الخطاب ﷺ إذا اجتهد في اليمين قال: «والذي قامت السموات والأرض بأمره»، أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: الآية ٢٥] أي: من الأرض كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء: الآية ٥٢] وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾، وقال

تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس: الآية ٥٣] (١) والآيات في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالقها وقدرته وعظمته أكثر من أن تحصى وأجل من أن تستقصى وفيما ذكرنا كفاية وغنى يغني عن خرط المناطقة ومقدماتهم ونتائجهم وتناقضهم فيها، والله تبارك وتعالى أعلى وأكبر وأجل وأعظم من أن يحتاج في معرفة وجوده إلى شواهد واستدلالات، فذات المخلوق نفسه شاهدة بوجود خالقه حيث أوجده ولم يك من قبل شيئًا، فَلِمَ يذهب يستدل بغيره وفي نفسه الآية الكبرى والبرهان الأعظم؟، وشأن الله تعالى أكبر من ذلك، ولم يجحد وجوده تعالى من جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: الآية ١٤] فكيف بوجود الخالق تبارك وتعالى. ولهذا لما قال أعداء الله لرسله على سبيل المكابرة لما جاءوهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ * قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

«وهذا يحتمل شيئين»:

«أحدهما»: أفي وجوده تعالى شك، فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لغيرها شك واضطراب وأكثر ذلك على سبيل المكابرة والاستهزاء، فيجب إقامة الحجة عليهم للإعذار إليهم، ولهذا قالت لهم رسلهم ترشدهم إلى طريق معرفته فقالوا: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤] الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق، فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة عليهما فلابد لهما من خالق وهو الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، وإلهه ومليكه.

والمعنى الثاني في قولهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: الآية ١٠] أي: أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك وهو الخالق لجميع الموجودات ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالخالق ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم. والجواب لهذا الاستفهام على كلا المعنيين: لا، أي لا شك فيه.

(١) من أول قوله: ومن آياته الدالة على عظمته... إلى هنا منقول من «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٣١).

ذكر مناظرة أخرى بين رسل الله وأعدائه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة: الآية ٢٥٨] .

قال المفسرون وغيرهم من علماء النسب والأخبار: هذا المحاج هو ملك بابل واسمه نمروذ بن كنعان، ذكروا أنه استمر في ملكه أربعمائة سنة وكان قد طغى وبغى وتجبر وعتا وآثر الحياة الدنيا، ولما دعاه الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له حمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق -جل وعلا- عنادًا ومكابرة فحاج إبراهيم الخليل في ذلك وادعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾[البقرة: الآية ٢٥٨] قال قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق: يعنى أنه إذا أتى بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات هذا الآخر(١)، وهذا ليس بالمعارضة للخليل عليه الصلاة والسلام بل هو كلام خارجى عن مقام المناظرة ليس بمنع ولا بمعارضة بل هو تشغيب محض وهو انقطاع في الحقيقة، فإن الخليل عليه الصلاة والسلام استدل على وجود الخالق -جل وعلا- بحدوث هذه المشاهدات من إحياء الحيوانات وإماتتها على وجود فاعل ذلك الذي لابد من استنادها إليه في وجودها ضرورة لعدم قيامها بأنفسها ولابد من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة من خلقها وتسخيرها وتسيير هذه الكواكب والرياح والسحاب والمطر وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهدة ثم إماتتها، ولهذا قال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾[البقرة: الآية ٢٥٨] فقول هذا الجاهل أنا أحيى وأميت إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر وعاند، وإن عنى ما ذكره قتادة والسدي ومحمد بن إسحاق فلم يقل شيئًا يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مستلزمًا ولا عارض الدليل. ولما كان انقطاع مناظرة هذا المحاج قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرهم ذكر دليلًا آخر بين وجود

---

(١) أثر قتادة حسن إليه، أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٥) عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة، وأما أثر السدي فأخرجه (٣/ ٢٦) من طريق أسباط بن نصر وفيه ضعف عن السدي، وأما أثر ابن إسحاق فأخرجه (٣/ ٢٧) وفي إسناده محمد بن حميد الرازي ضعيف لسوء حفظه.

الخالق وبطلان ما ادعاه النمرود وانقطاعه جهرة ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٨] أي: هذه الشمس مسخرة كل يوم تطلع من المشرق كما سخرها خالقها ومسيرها وقاهرها وهو اللّٰه الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، فإن كنت كما زعمت أنك تحيي وتميت فأت بهذه الشمس من المغرب، فإن الذي يحيي ويميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شيء ودان له كل شيء، فإن كنت كما تزعم فافعل هذا، فإن لم تفعله فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكل أحد أنك لا تقدر على شيء من هذا، بل أنت أعجز وأقل وأذل من أن تخلق بعوضة أو تتصرف فيها. فبين ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب الخليل عليه الصلاة والسلام به بل انقطع وسكت، ولهذا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٨].

ذكر مناظرة أخرى من ذلك أيضًا

قال اللّٰه تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ * قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾، يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعون من المقاولة والمحاجة والمناظرة، وما أقامه الكليم على فرعون اللئيم من الحجة العقلية المعنوية ثم الحسية، وذلك أن فرعون قبحه اللّٰه أظهر جحد الخالق تبارك وتعالى وزعم أنه الإله ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: الآية ٣٨] وهو في هذه المقالة معاند يعلم أنه عبد مربوب وأن اللّٰه هو الخالق البارئ المصور الإله الحق كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: الآية ١٤] ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكار لرسالته وإظهار أنه ما ثمَّ رب أرسله ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٣] لأنهما قالا له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: الآية ١٦] فكأنه يقول لهما: ومن رب العالمين الذي تزعمان أنه أرسلكما وابتعثكما، فأجابه موسى قائلا: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: الآية ٦٥] أي: خالق جميع ذلك ومالكه والمتصرف فيه وإلهه لا شريك له هو اللّٰه الذي خلق الأشياء كلها العالم العلوي وما فيه من الكواكب النيرات الثوابت والسيارات، والعالم السفلي وما فيه من بحار وأنهار وقفار وجبال

وأشجار وحيوانات ونبات وثمار وما بين ذلك من الهواء والطير والسحاب المسخر والرياح والمطر وما يحتوى عليه الجو وغير ذلك من المخلوقات التي يعلم كل موقن أنها لم تحدث بأنفسها ولابد لها من موجد ومحدث وخالق وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين الجميع مذللون مسخرون وعبيد له خاضعون ذليلون ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٤] أي: إن كانت لكم قلوب موقنة وأبصار نافذة ﴿قَالَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠] أي: فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ [الشعراء: الآية ٢٥] من أمرائه ومرازبته وكبرائه ورؤساء دولته على سبيل التهكم والتنقص والاستهزاء والتكذيب لموسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٥] أي: ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهًا غيرى، فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٦] أي: هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة في الآباد فإن كل واحد يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ولم يحدث من غير محدث، وإنما أوجده وخلقه رب العالمين، وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: الآية ٥٣] ومع هذا كله لم يستفق فرعون من رقدته ولا نزع عن ضلالته بل استمر على طغيانه وعناده وكفرانه ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢٧] أي: ليس له عقل في دعواه أن ثم ربًا غيرى. ﴿قَالَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠] أي: موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعون ما أوعز من الشبه فأجاب موسى ﷺ بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: الآية ٢٨] أي: هو الذي جعل المشرق مشرقًا تطلع منه الكواكب، والمغرب مغربًا تغرب فيه الكواكب ثوابتها وسياراتها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدرها وهو الله لا إله إلا هو خالق الظلام والضياء ورب الأرض والسماء رب الأولين والآخرين، خالق الشمس والقمر والكواكب السائرة والثوابت الحائرة، خالق الليل بظلامه والنهار بضيائه والكل تحت قهره وتسخيره وتسييره سائرون وكل في فلك يسبحون، يتعاقبون في سائر الأوقات ويدورون، فهو تعالى الخالق المالك المتصرف في خلقه بما يشاء. فإن كان هذا الذي يزعم أنه ربكم وإلهكم صادقًا فليعكس الأمر وليجعل المشرق مغربًا والمغرب مشرقًا، والثابت سائرًا والسائر ثابتًا كما قال تعالى عن الذي حاج إبراهيم في ربه في الآية السابقة. ولما قامت الحجج على فرعون وذهبت شبهه وغُلب وانقطعت حجته ولم يبق له قول سوى العناد عدل إلى استعمال جاهه وقوته، وسلطانه وسطوته، واعتقد أن ذلك نافع له ونافذ في موسى عليه الصلاة والسلام فقال وظن أنه ليس

وراء هذا المقام مقال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الشعراء: الآية ٢٩] إلى آخر ما قص الله ﷻ عنه، حتى قصمه الله تعالى قاصم الجبابرة وأخذه أخذ عزيز مقتدر.

ومناظرة الرسل لأعداء الله في هذا الباب يطول ذكرها ومقامات نبينا محمد ﷺ مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته، إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد الخالق، بل هم مقرون به وبربوبيته، غير أنهم لم يقدروه حق قدره بل عبدوا معه غيره، ولهذا قال تعالى في شأنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزمر: الآية ٣٨]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[العنكبوت: الآية ٦٣]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[الزخرف: الآية ٨٧] إلى غير ذلك من الآيات كما سيأتي بسطه إن شاء الله تعالى.

ذكر ما نقل عن الأئمة وعن غيرهم في هذا الباب

عن الإمام مالك -رحمه الله تعالى- أن الرشيد سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغات والأصوات والنغمات.

وعن أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه، ذكروا لي أن سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد. فقالوا: هذا شيء لا يقوله عقل. فقال: ويحكم!! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع؟ فبهت القوم ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي- رحمه الله تعالى -أنه سئل عن وجود الخالق ﷻ، فقال: هذا ورق التوت طعمه واحد تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاء والبقر والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منه المسك، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أنه سئل عن ذلك فقال: ههنا حصن حصين أملس ليس له باب ولا منفذ ظاهره كالفضة البيضاء وباطنه كالذهب الإبريز فبينا هو كذلك إذ

انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير ذو شكل حسن وصوت مليح . اهـ . يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الديك .

وسئل أبو نواس عن ذلك فأنشد :

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لَجِينٍ شَاخِصَاتٍ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وقال ابن المعتز ، ويروى لأبي العتاهية رحمهما اللّه تعالى :

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وسئل بعض الأعراب عن هذا وما الدليل على وجود الرب تعالى ، فقال : يا سبحان اللّه ، إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل على وجود اللطيف الخبير[(١)] ؟

ومن خطب قس ابن ساعدة الإيادى وكان على ملة إبراهيم رحمه اللّه تعالى[(٢)] : أيها الناس ، اجتمعوا فاسمعوا ، وإذا سمعتم فعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا ، وقولوا وإذا قلتم فاصدقوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . مطر ونبات ، وأحياء وأموات ، ليل داجٍ ، وسماء ذات أبراج ، ونجوم تزهر ، وبحار تزخر ، وضوء وظلام ،

---

(١) أورد ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» (١/ ٥٩- ٦٠) هذه الأخبار ، فقدم كلام الأعرابي ، ثم ذكر الخبر عن مالك وبقية الأخبار على السياق الوارد هنا .

(٢) أسانيد خطبة قس بن ساعدة كلها ضعيفة : ولها طرق مختلفة وألفاظ متعددة لا يصح منها شيء ، قال ابن الجوزي : هذا الحديث من جميع جهاته باطل ، وقال أبو الفتح الأزدي : هو حديث موضوع لا أصل له . وقال ابن حجر : وطرقه كلها ضعيفة .

قلت (يحيى) : وقد تكلمت عن بعض طرقه في تحقيقي لكتاب «الزهد» للإمام أحمد (ص٥٨٨- ٥٩٠ح ٢١٠٦) وتحقيقي لكتاب «الموضوعات» لابن الجوزي (ح٤٧٢ ، ٤٧٣) وانظر للمزيد «الزهد الكبير» للبيهقي (ص٣٦٤ح ٦٨٩) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ١٠١- ١١٣) و «دلائل النبوة» لأبي نعيم (ص٦٢ طبعة العلمية) (١/ ١٢٧ طبعة المكتبة العبية) و«الإصابة» لابن حجر (٥/ ٤١٣ ت ٧٣٥٥) و «اللآلئ المصنوعة» للسيوطي (١/ ١٦٧) و «الفوئد المجموعة» للشوكاني (ص٤٩٩ح ٨٠) و«تنزيه الشريعة» لابن عراق (١/ ٢٤١- ٢٤٣ح ٢٦ ، ٢٧ .

وليل وأيام، وبر وآثام، إن في السماء خبرًا، وإن في الأرض عبرًا، يحار فيهن البصر، مهاد موضوع، وسقف مرفوع، ونجوم تغور، وبحار لا تفور، ومنايا دوان، ودهر خوان، كحد النسطاس ووزن القسطاس. أقسم قس قسمًا، لا كاذبًا فيه ولا آثمًا. لئن كان في هذا الأمر رضى ليكونن سخط، ثم قال: يا أيها الناس، إن للَّه دينًا هو أحب إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه. وهذا زمانه وأوانه. ثم قال: ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالمقام فأقاموا، أم تركوا فناموا. وفي بعض ألفاظها قال: شرق وغرب، ويتم وحزب، وسلم وحرب، ويابس ورطب، وأجاج وعذب، وشموس وأقمار، ورياح وأمطار، وليل ونهار، وإناث وذكور، وبرار وبحور، وحب ونبات، وآباء وأمهات، وجمع وأشتات، وآيات في إثرها آيات، ونور وظلام، ويسر وإعدام، ورب وأصنام. لقد ضل الأنام، نشو مولود، ووأد مفقود، وتربية محصود، وفقير وغني، ومحسن ومسيء، تبًّا لأرباب الغفلة، ليصلحن العامل عمله، وليفقدن الآمل أمله كلا بل هو إله واحد ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا وخلق الذكر والأنثى، رب الآخرة والأولى. أما بعد فيا معشر إياد، أين ثمود وعاد، وأين الآباء والأجداد، وأين العليل والعواد، كل له معاد. يقسم قس برب العباد، وساطح المهاد، لتحشرن على الانفراد. في يوم التناد، وإذ نفخ في الصور، ونقر في الناقور، ووعظ الواعظ، فانتبذ القانط وأبصر اللاحظ فويل لمن صدف عن الحق الأشهر والنور الأزهر والعرض الأكبر، في يوم الفصل، وميزان العدل، إذا حكم القدير، وشهد النذير، وبعد النصير، وظهر التقصير، فريق في الجنة وفريق في السعير».

أسماء اللَّه الحسنى

وأسماء اللَّه الحسنى هى التي أثبتها تعالى لنفسه وأثبتها له عبده ورسوله محمد ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال اللَّه تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: الآية ١١٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [طه: الآية ٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ

ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر**»[1] أخرجاه في «الصحيحين»، ورواه الترمذي وزاد: «**هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد، المحصى المبدئ المعيد، المحيى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الأحد الفرد الصمد، القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالى المتعالى البر التواب المنتقم العفو الرءوف، مالك الملك ذو الجلال والإكرام، المقسط الجامع الغنى المغنى المعطى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور**»[2] ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٥٠٧) وابن حبان (٨٠٨) والحاكم (١/ ٦٢ح ٤١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٧) وفي «شعب الإيمان» (١/ ١١٤ح ١٠٢) وفي «الأسماء والصفات» (ح٦) وفي «الاعتقاد» (ص٥٠) جميعًا من طريق الوليد بن مسلم.

قال: حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا به، وقال الترمذي: هذا حديث غريب. اهـ.

وذهب الحاكم إلى تصحيح الحديث وأورد له شاهدًا من طريق عبدالعزيز بن حصين عن أيوب السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا وسيأتي التعليق على رواية عبدالعزيز في التعليق التالي.

قلت: والعلة في هذا الحديث أن الوليد بن مسلم انفرد بسياق الأسامي فيه، ولم يذكرها غيره، والوليد يدلس تسوية ولم يصرح بالسماع في كل طبقات الإسناد، وأيضًا فقد نقل البيهقي في «الاعتقاد» (ص٥٢) عن بعض أهل العلم بالحديث أن ذكر الأسامي في هذا الحديث من جهة بعض الرواة، وأن الحديث عن النبي ﷺ في ذكر عددها دون تفسير العدد.

وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٢): «لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ...

ثم قال: «وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث. اهـ.

وذهب إلى القول بأن ذكر الأسماء مدرج من بعض الرواة ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٠) وابن العربي=

وقد روى من غير وجه عن أبي هريرة ولا نعلم في كثير من الروايات تذكر الأسماء إلا في هذا الحديث اهـ. ورواه الدارمي وزاد: كلها في القرآن. وأخرج ابن أبي الدنيا والطبراني كلاهما في الدعاء وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي عن أبي هريرة: «**إن للَّه تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة، أسأل اللَّه الرحمن الرحيم الإله الرب الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحليم العليم السميع البصير الحى القيوم الواسع اللطيف الخبير، الحنان المنان البديع الغفور الودود الشكور المجيد المبدى المعيد النور البارئ- وفي لفظ القائم- الأول الآخر الظاهر الباطن العفو الغفار الوهاب الفرد- وفي لفظ القادر الأحد الصمد الوكيل الكافى الباقي المغيث الدائم المتعال ذا الجلال والإكرام المولى النصير الحق المتين الوارث المنير الباعث القدير- وفي لفظ المجيب- المحيى المميت الحميد- وفي لفظ الجميل- الصادق الحفيظ المحيط الكبير القريب الرقيب الفتاح التواب القديم الوتر الفاطر الرازق العلام العلى العظيم الغنى الملك المقتدر، الأكرم الرءوف المدبر المالك القاهر الهادى الشاكر الكريم الرفيع الشهيد الواحد ذا الطول ذا المعارج ذا الفضل الخلاق الكفيل الجليل**»[1].

= فيما نقله عنه الحافظ في «فتح الباري» (١١/ ٢٣٦ شرح حديث ٦٤١٠) وذكر الحافظ (١١/ ٢٤٣) أن عبدالعزيز النخشبي نقل القول بأن ذكر الأسماء مدرج عن كثير من العلماء.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٣ح ٤٢) والطبراني في «الدعاء» (١١٢) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ١٥) والبيهقي في «الاعتقاد» (ص٥١) وفي «الأسماء والصفات» (ح١٠) من طريق عبدالعزيز بن الحصين عن أيوب السختياني وهشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا وذهب الحاكم إلى تصحيحه وقال عن عبدالعزيز بن الحصين: ثقة.

وتعقبه الذهبي فقال: بل ضعفوه. وقال البيهقي في «الأسماء والصفات»: تفرد بهذه الرواية عبدالعزيز ابن الحصين بن الترجمان وهو ضعيف الحديث عند أهل النقل، ضعفه يحيى بن معين ومحمد بن إسماعيل البخاري، ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة.

قلت (يحيى): وقد ورد سرد الأسماء أيضًا عند ابن ماجة في «السنن» (٣٨٦١) من طريق عبدالملك ابن محمد الصنعاني عن زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة.

وقال البوصيري في «الزوائد»: ضعيف لضعف عبدالملك بن محمد.

قلت: وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣٨٠) من طريق الثوري عن إبراهيم بن أدهم عن موسى بن يزيد عن أويس القرني عن علي بن أبي طالب مرفوعًا، وقال أبو نعيم: فيه نظر، لا صحة له.

قلت: ومتون هذه الأحاديث جميعها مختلفة في سرد «الأسماء» وهو ما يرجح القول بأن سرد «الأسماء» مدرج من كلام بعض الرواة.

وأخرج أبو نعيم عن محمد بن جعفر رحمه اللَّه تعالى قال : سألت أبي جعفر بن محمد الصادق عن الأسماء التسعة والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال : هى في القرآن :

ففى الفاتحة خمسة أسماء : يا اللَّه يا رب يا رحمن يا رحيم يا ملك . وفي البقرة ثلاثة وثلاثون اسمًا : يا محيط يا قدير يا عليم يا حكيم يا على يا عظيم يا تواب يا بصير يا ولى يا واسع ، يا كافى يا رءوف يا بديع يا شاكر يا واحد يا سميع يا قابض يا باسط يا حى يا قيوم يا غنى يا حميد يا غفور يا حليم يا إله يا قريب يا مجيب يا عزيز يا نصير يا قوى يا شديد يا سريع يا خبير . وفي آل عمران : يا وهاب يا قائم يا صادق يا باعث يا منعم يا متفضل . وفي النساء : يا حسيب يا رقيب يا شهيد يا مقيت يا وكيل يا على يا كبير . وفي الأنعام : يا فاطر يا قاهر يا لطيف يا برهان . وفي الأعراف : يا محيى يا مميت . وفي الأنفال : يا نعم المولى ويا نعم النصير . وفي هود : يا حفيظ يا مجيد يا ودود يا فعال لما تريد . وفي الرعد : يا كبير يا متعالى . وفي إبراهيم : يا منان يا وارث . وفي الحجر : يا خلاق . وفي مريم : يا فرد . وفي طه : يا غفار . وفي قد أفلح : يا كريم . وفي النور : يا حق يا مبين . وفي الفرقان : يا هاد . وفي سبأ : يا فتاح . وفي الزمر : يا عالم . وفي غافر : يا قابل التوب يا ذا الطول يا رفيع . وفي الذاريات : يا رزاق يا ذا القوة يا متين . وفي الطور : يا بر . وفي اقتربت : يا مقتدر يا مليك . وفي الرحمن : يا ذا الجلال والإكرام يا رب المشرقين يا رب المغربين يا باقى يا معين . وفي الحديد : يا أول يا آخر يا ظاهر يا باطن . وفي الحشر : يا ملك يا قدوس يا سلام يا مؤمن يا مهيمن يا عزيز يا جبار يا متكبر يا خالق يا بارئ يا مصور . وفي البروج : يا مبدى يا معيد . وفي الفجر : يا وتر . وفي الإخلاص يا أحد يا صمد انتهى[1] .

وقد حررها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «تلخيص الحبير»[2] تسعة وتسعين اسمًا من الكتاب العزيز منطبقة على لفظ الحديث ورتبها هكذا : اللَّه الرب الإله الواحد الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الأول الآخر الظاهر الباطن الحى القيوم العلى العظيم التواب الحليم الواسع الحكيم الشاكر العليم ، الغنى الكريم ، العفو القدير اللطيف الخبير السميع البصير المولى

---

(١) **ضعيف الإسناد :** أورده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٣٦ شرح حديث ٦٤١٠) وعزاه لأبي نعيم عن الطبراني بإسناده عن محمد بن جعفر بن علي بن الحسين أنه سأل أباه جعفرًا به ، وإسناده ضعيف محمد ابن جعفر متكلم فيه ، وترجمته ب«اللسان» (٥/ ١١١) .

(٢) «تلخيص الحبير» (٤/ ١٧٤) .

النصير القريب المجيب الرقيب الحسيب القوى الشهيد الحميد المجيد المحيط الحفيظ الحق المبين. الغفار القهار الخلاق الفتاح الودود الغفور الرءوف الشكور الكبير المتعال المقيت المستعان الوهاب الحفى الوارث الولى القائم القادر الغالب القاهر البر الحافظ الأحد الصمد المليك المقتدر الوكيل الهادى الكفيل الكافى الأكرم الأعلى الرزاق ذو القوة المتين غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذوالطول رفيع الدرجات سريع الحساب فاطر السموات والأرض بديع السموات والأرض نور السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام. اهـ.

وقد عدها جماعة غير من ذكرنا كسفيان بن عيينة وابن حزم والقرطبى وغيرهم، وعدها ابن العربى المالكى في «أحكام القرآن» مرتبًا لها على السور لكنه أخطأ في بعض ما عده كما سنشير إليه قريبًا إن شاء اللَّه تعالى.

واعلم أن أسماء اللَّه ﷻ ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورة في حديث أبي هريرة ولا فيما استخرج العلماء من القرآن بل ولا فيما علمته الرسل والملائكة وجميع المخلوقين، لحديث ابن مسعود عند أحمد وغيره عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «ما أصاب **أحدًا قط هم ولا حزن فقال: اللَّهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى، إلا أذهب اللَّه حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحًا**» فقيل: يا رسول اللَّه، أفلا نتعلمها؟ فقال: «**بلى ينبغى لكل من سمعها أن يتعلمها**»[1].

---

(١) **صححه الألباني**: أخرجه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢) والحاكم (١/ ٦٩٠ح ١٨٧٧) وابن حبان (٩٧٢) وأبو يعلى (٥٢٩٧) وابن أبي شيبة (٦/ ٤٠ح ٢٩٣١٨) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٦٩ ح ١٠٣٥٢) والحارث في «مسنده» (١٠٥٧ زوائد الهيثمي) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ح٧) جميعًا من طريق فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبيه عن ابن مسعود مرفوعًا به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه. اهـ.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٦، ١٨٧) وقال: ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان. اهـ.
قلت (يحيى): قد اختلف في سماع عبدالرحمن من أبيه فأثبتها قوم ونفاها قوم، وخصها آخرون=

واعلم أن من أسماء اللَّه ﷻ ما لا يطلق عليه إلا مقترنًا بمقابله فإذا أطلق وحده أوهم نقصًا تعالى اللَّه عن ذلك، فمنها المعطى المانع، والضار النافع، والقابض الباسط، والمعز المذل، والخافض الرافع، فلا يطلق على اللَّه ﷻ المانع الضار القابض المذل الخافض كلا على انفراده، بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها، إذ لم تطلق في الوحي إلا كذلك، ومن ذلك المنتقم لم يأت في القرآن إلا مضافًا إلى ذو كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: الآية ٤] أو مقيدًا بالمجرمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: الآية ٢٢].

واعلم أنه قد ورد في القرآن أفعال أطلقها اللَّه ﷻ على نفسه على سبيل الجزاء العدل والمقابلة. وهى فيما سيقت فيه مدح وكمال، لكن لا يجوز أن يشتق له تعالى منها أسماء ولا تطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٢]، وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٥٤] وقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ * ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾، ونحو ذلك فلا يجوز أن يطلق على اللَّه تعالى مخادع ماكر ناس مستهزئ ونحو ذلك مما يتعالى اللَّه عنه، ولا يقال اللَّه يستهزئ ويخادع ويمكر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا.

= بأحاديث معينة، وممن أثبت سماعه من أبيه: البخاري وأبو حاتم وسفيان الثوري وشريك، واختلفت الرواية عن ابن معين، وأما أبو سلمة الجهني فمجهول الحال، ذكره ابن حبان في الثقات ولم يوثقه غيره، وترجمته في الكنى من «التاريخ الكبير» (ص٣٩) وثقات ابن حبان (٧/ ٦٥٩) و«لسان الميزان» (٧/ ٦٨) و«المغني في الضعفاء» (٢/ ٧٨٩) و«تعجيل المنفعة» (ص٤٩٠). والإسناد بهذا الحال ضعيف.

لكن له شاهد من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٦) وقال: رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه. وأورده الألباني في «الصحيحة» (١٩٩) من طريق عبدالله بن زبيد بن الحارث اليامي عن أبي موسى الأشعري.

قلت: وهذا ضعيف، عبدالله بن زبيد مجهول الحال ولا رواية له عن الصحابة وترجمته ب«التاريخ الكبير» (٥/ ٩٤) و«الجرح والتعديل» (٥/ ٦٢) وثقات ابن حبان (٧/ ٢٣).

وحديث ابن مسعود صححه الألباني رحمه الله، ونقل تصحيحه عن ابن تيمية، وابن القيم.

قلت: وصححه شيخنا أبو عبدالله مصطفى بن العدوي أيضًا، وكنت حكمت عليه بالحسن في تحقيقي لكتاب «الوابل الصيب» (ص١٤٥ ح٣٥٧) وخلاصة بحثي فيه الآن أن أسانيده لا تقوم بها حجة، والله أعلم. والشيخ مصطفى الآن على تضعيفه أيضًا.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : إن الله تعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقًا ، ولا ذلك داخل في أسمائه الحسنى ، ومن ظن من جهال المصنفين في شرح الأسماء الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكر المخادع المستهزئ الكائد فقد فاه بأمر عظيم تقشعر منه الجلود وتكاد الأسماع تصم عند سماعه ، وغرَّ هذا الجاهل أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعال فاشتق له منها أسماء ، وأسماؤه تعالى كلها حسنى فأدخلها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودود الحكيم الكريم ، وهذا جهل عظيم فإن هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقًا بل تمدح في موضع وتذم في موضع فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله تعالى مطلقًا ، فلا يقال إنه تعالى يمكر ويخادع ويستهزئ ويكيد ، فكذلك بطريق الأولى لا يشتق له منها أسماء يسمى بها ، بل إذا كان لم يأت في أسمائه الحسنى : المريد والمتكلم ولا الفاعل ولا الصانع لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوح ومذموم ، وإنما يوصف بالأنواع المحمودة منها كالحليم والحكيم والعزيز والفعال لما يريد ، فكيف يكون منها الماكر والمخادع والمستهزئ ، ثم يلزم هذا الغالط أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعي والآتي والجائي والذاهب والقادم والرائد والناسي والقاسم والساخط والغضبان واللاعن إلى أضعاف أضعاف ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالها في القرآن ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل .

والمقصود أن الله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق ، وقد علم أن المجازاة على ذلك حسنة من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى .

قلت : ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عدَّه ابن العربي ، فإن الفاعل والزارع إذا أطلقا بدون متعلق ولا سياق يدل على وصف الكمال فيهما فلا يفيدان مدحًا ، أما في سياقها من الآيات التي ذكرت فيها فهي صفات كمال ومدح وتوحد كما قال تعالى : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] ، وقال تعالى : ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۝٦٤﴾ الآيات ، بخلاف ما إذا عدت مجردة عن متعلقاتها وما سيقت فيه وله .

وأكبر مصيبة أن عد في الأسماء الحسنى رابع ثلاثة وسادس خمسة مصرحًا قبل ذلك بقوله : وفي سورة المجادلة اسمان فذكرهما . وهذا خطأ فاحش ، فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه ، لا منطوقًا ولا مفهومًا ، فإن الله ﷻ قال : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ﴾ [المجادلة: الآية ٧] الآية . وأين في هذا السياق رابع ثلاثة وسادس خمسة؟ وكان حقه اللائق بمراده أن يقول: رابع كل ثلاثة في نجواهم، وسادس كل خمسة كذلك، فإنه تعالى يعلم أفعالهم ويسمع أقوالهم كما هو مفهوم من صدر الآية، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياق الآية والله تعالى أعلم.

واعلم أن دلالة أسماء الله تعالى حق على حقيقتها مطابقة وتضمنًا والتزامًا [(١)] فدلالة اسمه تعالى: (الرحمن) على ذاته ﷻ مطابقة وعلى صفة الرحمة تضمنًا وعلى الحياة وغيرها التزامًا، وهكذا سائر أسمائه تبارك وتعالى. وليست أسماء الله تعالى غيره كما يقوله الملحدون في أسمائه، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا فإن الله ﷻ هو الإله وما سواه عبيد، وهو الرب وما سواه مربوب، وهو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الأول فليس قبله شيء وما سواه محدث كائن بعد أن لم يكن، وهو الآخر الباقي فليس بعده شيء وما سواه فان، فلو كانت أسماء الله تعالى غيره كما زعموا لكانت مخلوقة مربوبة محدثة فانية إذ كل ما سواه كذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا.

[أسماء الله غير مخلوقة]

وقال عثمان بن سعيد الدارمي - نقمة الله على بشر المريسي وذويه -: باب الإيمان بأسماء الله تعالى وأنها غير مخلوقة. قال: ثم اعترض المعترض - يعني ابن الثلجي - [(٢)].

أسماء الله تعالى المقدسة فذهب في تأويلها مذهب إمامه المريسي فادعى أن أسماء الله غير الله وأنها مستعارة مخلوقة كما أنه قد يكون شخص بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص، يعني الخبيث أن الله تعالى كان مجهولًا كشخص مجهول لا يهْتَدَى لاسمه ولا يدْرَى ما هو حتى خُلِقَ الخَلقُ فابتدعوا له أسماء من مخلوق كلامهم فأعاروه إياها من غير أن يعْرَف له اسم قبل الخلق، قال: ومن ادعى التأويل في أسماء الله فقد

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: فدلالة المطابقة هي دلالة اللفظ على جميع المعنى الذي عناه المتكلم. ودلالة التضمن دلالة اللفظ على ما هو داخل في ذلك المعنى، ودلالة الالتزام دلالة اللفظ على ما هو لازم لذلك المعنى خارج عن مفهوم اللفظ. اهـ. من كتاب «درء تعارض العقل والنقل» (١٠/ ١٢).

(٢) ابن الثلجي هو محمد بن شجاع بن الثلجي كذاب يضع الحديث في سلب أهل السنة، ترجمته في «التهذيب» (٩/ ٢٢٠) وغيره.

نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق، لأن المستعير محتاج مضطر، والمعير أبدًا أعلى منه وأغنى، ففى هذه الدعوى استجهال الخالق إذ كان بزعمه هملا لا يدرى ما اسمه. والله المتعالى عن هذا الوصف المنزه عنه لأن أسماء الله تعالى هى تحقيق صفاته سواء عليك قلت عبدت الله أو عبدت الرحمن أو الرحيم أو الملك العزيز الحكيم، وسواء على الرجل قال كفرت بالله، أو قال كفرت بالرحمن الرحيم أو بالخالق العزيز الحكيم، وسواء عليك قلت عبد الله أو عبد الرحمن أو عبد العزيز أو عبد المجيد. وسواء عليك قلت يا الله أو يا رحمن أو يا رحيم أو يا ملك يا عزيز يا جبار بأى اسم دعوته من هذه الأسماء أو أضفته إليه فإنما تدعو الله نفسه من شك فيه فقد كفر. وسواء عليك قلت ربي الله أو ربي الرحمن كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ١١٢] ، وقال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: الآية ١] . وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾ [الأحزاب: الآية ٤٢] كذلك قال في الاسم: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: الآية ١] كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ [الجُمُعَة: الآية ١] ولو كان الاسم مخلوقًا مستعارًا غير الله لم يأمر الله تعالى أن يسبح مخلوق غيره، وقال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: الآية ٢٤] ثم ذكر الآلهة التي تعبد من دون الله ﷻ بأسمائها المخلوقة المستعارة فقال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [النجم: الآية ٢٣] وكذلك قال هود لقومه حين قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ﴾ [الأعراف: الآية ٧٠] فقال لهم نبيهم: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [الأعراف: الآية ٧١] يعنى أن أسماء الله لم تزل كما لم يزل ﷻ وأنها بخلاف هذه الأسماء المخلوقة التي أعاروها الأصنام والآلهة التي عبدوها من دونه. فإن لم تكن أسماء الله بخلافها، فأى توبيخ لأسماء هذه الآلهة المخلوقة إذ كانت أسماؤها وأسماء الله تعالى مخلوقة مستعارة عندكم بمعنى واحد وكلها من تسمية العباد وتسمية آبائهم بزعمهم. ففى دعوى هذا المعارض أن الخلق عرّفوا الله إلى عباده بأسماء ابتدعوها لا أن الله عرفهم بها نفسه، فأى تأويل أوحش في أسماء الله تعالى من أن يتأول رجل أنه كان كشخص مجهول أو بيت أو شجرة أو بهيمة لم يسبق لشيء منها اسم ولم يعرف ما هو حتى عرفه الخلق بعضهم بعضًا، ولا تقاس أسماء الله تعالى بأسماء الخلق لأن أسماء الخلق مخلوقة مستعارة وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل مخالفة لصفاتهم، وأسماء الله تعالى صفاته ليس شيء منها مخالفًا لصفاته

ولا شيء من صفاته مخالفًا لأسمائه. فمن ادعى أن صفة من صفات الله مخلوقة أو مستعارة فقد كفر وفجر، لأنك إذا قلت الله فهو الله. وإذا قلت الرحمن فهو الرحمن وهو الله، فإذا قلت الرحيم فهو كذلك، وإذا قلت حكيم عليم حميد مجيد جبار متكبر قاهر قادر فهو كذلك، وهو الله سواء لا يخالف اسم له صفته ولا صفته اسمًا. وقد يسمى الرجل حكيمًا وهو جاهل، وحكمًا وهو ظالم، وعزيزًا وهو حقير، وكريمًا وهو لئيم، وصالحًا وهو طالح، وسعيدًا وهو شقى، ومحمودًا وهو مذموم، وحبيبًا وهو بغيض، وأسدًا وحمارًا وكلبًا وجديا وكليبًا وهرًا وحنظلة وعلقمة وليس كذلك. والله تعالى وتقدس اسمه كل أسمائه سواء لم يزل كذلك ولا يزال، لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك، كان خالقًا قبل المخلوقين ورازقًا قبل المرزوقين وعالمًا قبل المعلومين وسميعًا قبل أن يسمع أصوات المخلوقين وبصيرًا قبل أن يرى أعيانهم مخلوقة، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: الآية ٥]، وقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: الآية ٥٩] وقال في موضع: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: الآية ٥٩] لأنهما بمعنى واحد، ولو كان كما ادعى المعارض - يعنى ابن الثلجى وإمامه المريسى - لكان الخالق والمخلوق استويا جميعًا على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقة عندهم إذ كان الله في دعواهم في حد المجهول أكثر منه في حد المعروف لأن لحدوث الخلق حدًا ووقتًا وليس لأزلية الله تعالى حد ولا وقت لم يزل ولا يزال، وكذلك أسماؤه لم تزل ولا تزال. ثم احتج المعارض لترويج مذهبه هذا بأقبح قياس فقال: أرأيت لو كتبت اسمًا في رقعة ثم احترقت الرقعة أليس إنما تحرق الرقعة ولا يضر الاسم شيئًا. فيقال لهذا التائه الذي لا يدرى ما يخرج من رأسه: إن الرقعة وكتابة الاسم ليس كنفس الاسم، إذا احترقت الرقعة احترق الخط وبقى اسم الله له وعلى لسان الكاتب لم يزل قبل أن يكتب لم تنقص النار من الاسم ولا ممن له الاسم شيئًا، وكذلك لو كانت أسماء المخلوقين لم تنقص النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئًا، وكذلك لو كتبت الله بهجائه في رقعة ثم أحرقت الرقعة لاحترقت الرقعة وكان الله سبحانه بكماله على عرشه، وكذلك لو صور رجل في رقعة ثم ألقيت في النار لاحترقت الرقعة ولم يضر المصور شيئًا. وكذلك القرآن لو احترقت المصاحف كلها لم ينقص من القرآن نفسه حرف واحد، وكذلك لو احترق القراء كلهم وقتلوا أو ماتوا لبقى القرآن بكماله كما كان لم ينقص منه حرف واحد لأنه منه بدأ وإليه يعود عند فناء الخلق بكماله غير منقوص.

وقد كان للمريسي في أسماء الله مذهب كمذهبه في القرآن، كان القرآن عنده مخلوقًا من قول البشر لم يتكلم الله بحرف منه في دعواه، وكذلك أسماء الله تعالى عنده من ابتداع البشر من غير أن يقول تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: الآية ٣٠] بزعمه قط، وزعم أني متى اعترفت بأن الله تعالى تكلم ب ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: الآية ٣٠] لزمني أن أقول تكلم بالقرآن. ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبنا في القرآن.

وقد كسره الله عليهم على رغم أنوفهم فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: الآية ٣٠] ولا يستحق مخلوق أن يتكلم بهذا فإن فعل ذلك كان كافرًا كفرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: الآية ٢٤] فهذا الذي ادعوا في أسماء الله ﷻ أصل كبير من أصول الجهمية التي بنوا عليها محنتهم وأسسوا بها ضلالتهم غالطوا بها الأغمار والسفهاء وهم يرون أنهم يغالطون بها الفقهاء، ولئن كان السفهاء وقعوا في غلط مذاهبهم فإن الفقهاء منهم لعلى يقين. أرأيتم قولكم إن أسماء الله مخلوقة، فمن خلقها؟! وكيف خلقها؟! أجعلها أجسامًا وصورًا تشغل أعيانها أمكنة دونه من الأرض والسماء أم موضعًا دونه في الهواء؟! فإن قلتم لها أجسام دونه فهذا ما تنقمه عقول العقلاء، وإن قلتم خلقها في ألسنة العباد فدعوه بها وأعاروها إياه فهو مما ادعينا عليكم أن الله تعالى كان بزعمكم مجهولًا لا اسم له حتى أحدث الخلق فأحدثوا له أسماء من مخلوق كلامهم، فهذا هو الإلحاد في أسماء الله والتكذيب بها، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝﴾ كما يضيفه إلى رب العالمين، ولو كان كما ادعيتم لقيل الحمد لله رب العالمين. المسمى الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وكما قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ كما قال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: الآية ١] كذلك قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝﴾ [فصلت: الآية ٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: الآية ٤٢]، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝﴾ [النمل: الآية ٦] كلها بمعنى واحد وكلها هي الله، والله هو أحد أسمائه - إلى أن قال - وكما قال الله تعالى في كتابه: ﴿أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: الآية ٣٠] كذلك قال على لسان نبيه ﷺ: «أنا الرحمن».

ثم روى بسنده حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: أنا الرحمن، وهي الرحم شققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته ومن

قطعها بتته»[1] فيقول اللّه تعالى : «**أنا شققت لها من اسمى**» وادعت الجهمية مكذبين للّه ولرسوله أنهم أعاروه الاسم الذي شقها منه . ومن أين علم الخلق أسماء الخالق قبل تعليمه إياهم فإنه لم يعلم آدم ولا الملائكة أسماء المخلوقين حتى علمهم اللّه تعالى من عنده وكان بدء علمها منه فقال تعالى : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وقال رسول اللّه ﷺ: «**إن للّه تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها وحفظها دخل الجنة**»[2].

---

(١) **صحيح بشواهده** : أما حديث عبدالرحمن بن عوف فأورده المصنف من كتاب «الرد على المريسي» لعثمان بن سعيد الدارمي، وهو فيه (١/ ١٧٦) عن مسدد عن سفيان عن الزهري عن أبي سلمة ابن عبدالرحمن عن أبيه عبدالرحمن بن عوف، وهذا إسناد ضعيف للانقطاع، أبو سلمة لم يسمع من أبيه وانظر «المراسيل» لابن أبي حاتم (رقم ٩٤٧) و«جامع التحصيل» للعلائي (٣٧٨) والحديث أخرجه أبو داود (١٦٩٤، ١٦٩٥) والترمذي (١٩٠٧) وأحمد (١/ ١٩٤) وابن حبان (٤٤٣) والحميدي (٦٥) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٣) وعبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ١٧١ جامع معمر) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٣٨٧) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٧٤ح ٧٢٦٨- ٧٢٧٢) والطبراني في «الأوسط» (٥/ ٣٧ح ٤٦٠٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٦) وفي الشعب (٧٩٤١) وفي «الأسماء والصفات» (٨١) من طرق عن الزهري به، فأما سفيان وغيره فجعلوه عن الزهري عن أبي سلمة عن أبيه، وأما معمر فجعله عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي رداد الليثي عن عبدالرحمن بن عوف. ونقل الترمذي في «سننه« عن البخاري أن حديث معمر خطأ.

قلت: ولحديث عبدالرحمن بن عوف طريق آخر، أخرجه أبو يعلى (٨٤١) والحاكم (٤/ ١٧٣ح ٧٢٦٧) من طريق يحيى بن أبي كثير، ويحيى مختلف عليه فمنهم من يقول: عن إبراهيم بن عبدالرحمن ابن قارظ عن أبيه عن عبدالرحمن بن عوف، ومنهم من لا يذكر أبا إبراهيم ويجعله عن إبراهيم عن عبدالرحمن بن عوف من غير واسطة.

ومنهم من يجعله عن إبراهيم عن رجل عن ابن عوف، ومنهم من يقول: عن يحيى عن عبدالله بن محمد مرسلًا، ومنهم من يجعله عن يحيى مرسلًا، ومنهم من يرويه عن يحيى عن نسيب لعبدالرحمن ابن عوف عن عبدالرحمن بن عوف، وانظر «علل الدارقطني» (٤/ ٢٩٥ح ٥٧٦). لكن لحديث عبدالرحمن بن عوف شاهد صحيح من حديث أبي هريرة مرفوعًا، أخرجه البخاري (٥٩٨٨) وشاهد آخر من حديث عائشة مرفوعًا أخرجه البخاري (٥٩٨٩) وهو عند مسلم (٢٥٥٥) بلفظ مختلف.

(٢) **صحيح** :أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وسبق، وانظر في الكلام على لفظة «من حفظها» «فتح الباري» (١١/ ٢٤٥).

وساق الأسماء الحسنى كما قدمنا ثم قال: فهذه كلها أسماء اللَّه تعالى لم تزل له كما لم يزل، بأيها دعوت فإنما تدعو اللَّه نفسه. قال: ولن يدخل الإيمان قلب رجل حتى يعلم أن اللَّه تعالى لم يزل إلهًا واحدًا بجميع أسمائه وجميع صفاته لم يحدث له منها شيء كما لم تزل وحدانيته. انتهى كلامه رحمه اللَّه تعالى [١].

واختلف العلماء في معنى قوله ﷺ: «**من أحصاها**» فقال البخاري وغيره من المحققين: معناه حفظها وأن إحدى الروايتين مفسرة للأخرى.

وقال الخطابى: يحتمل وجوها:

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيها، بمعنى أن لا يقتصر على بعضها فيدعو اللَّه بها كلها ويثنى عليه بجميعها فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

وثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بمواجبها فإذا قال: «**الرزاق**» وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بها الإحاطة بجميع معانيها، وقيل أحصاها عمل بها فإذا قال: «الحكيم» سلم لجميع أوامره وأقداره وأنها جميعًا على مقتضى الحكمة، وإذا قال «القدوس» استحضر كونه مقدسًا منزهًا عن جميع النقائص واختاره أبو الوفا بن عقيل. وقال ابن بطال: طريق العمل بها أن ما كان يسوغ الاقتداء به كالرحيم والكريم فيمرن العبد نفسه على أن يصح له الاتصاف بها - يعنى فيما يقوم به، وما كان يختص به نفسه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرار بها والخضوع لها وعدم التحلى بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعد يقف فيه عند الطمع والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيد يقف منه عند الخشية والرهبة. اهـ.

والظاهر أن معنى حفظها وإحصائها هو معرفتها والقيام بعبوديتها كما أن القرآن لا ينفع حفظ ألفاظه من لا يعمل به. بل جاء في المراق من الدين أنهم يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم.

وقال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى بعد كلام طويل على أولية اللَّه تعالى وما في ذلك الشهود من الغنى التام [٢] قال: وليس هذا مختصًا بأوليته تعالى فقط بل جميع ما يبدو

---

(١) انظر «الرد على المريسي» (١/ ١٥٨- ١٨٥).

(٢) انظر «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٧٨- ٨١).

للقلوب من صفات الرب سبحانه يستغني العبد بها بقدر حظه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها ، فمن شهد مشهد علو اللّه تعالى على خلقه وفوقيته لعباده واستوائه على عرشه كما أخبر بها أعرف الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق وتعبد بمقتضى هذه الصفة ، بحيث يصير لقلبه صمد يعرج إليه مناجيا له مطرقًا واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدى الملك العزيز ، فيشعر بأن كلمه وعمله صاعد إليه معروض عليه مع أوفى خاصته وأوليائه فيستحي أن يصعد إليه من كلمه ما يخزيه ويفضحه هناك ، ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه فمراسيمه نافذة فيها كما يشاء ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: الآية ٥] فمن أعطى هذا المشهد حقه معرفة وعبودية استغنى به . وكذلك من شهد مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال بل أحاط بذلك علمه علمًا تفصيليا ثم تعبد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه علم أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإرادته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء . وكذلك إذا أشعر قلبه صفة سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها وسواء عنده من أسرَّ القول ومن جهر به لا يشغله جهر من جهر عن سمعه صوت من أسر ولا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها بل هى عنده كلها كصوت واحد كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة . وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء ويرى تفاصيل خلق الذرة الصغيرة ومخها وعروقها ولحمها وحركتها ويرى مد البعوضة جناحها في ظلمة الليل وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية بحرس حركاته وسكناته وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ومشاهدة لا يغيب عنه منها شيء . وكذلك إذا شهد مشهد القيومية الجامع لصفات الأفعال وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت ، وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره وإيصال جزاء المحسن وجزاء المسيء إليه وأنه بكمال قيوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط

ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يضل ولا ينسى . وهذا المشهد من أرفع مشاهد العارفين وهو مشهد الربوبية وأعلى منه مشهد الإلهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء وهو شهادة أن لا إله إلا اللّٰه وأن إلهية ما سواه باطل ومحال، كما أن ربوبية ما سواه كذلك فلا أحد سواه يستحق أن يؤله ويعبد ويصلى له ويسجد ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله . فهو المطاع وحده على الحقيقة والمألوه وحده وله الحكم فكل عبودية لغيره باطلة وعناء وضلال وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها وكل غنى بغيره فقر وفاقة، وكل عز بغيره ذل وصغار وكل تكثر بغيره قلة وذلة، فكما استحال أن يكون للخلق رب غيره فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، فهو الذي انتهت إليه الرغبات وتوجهت نحوه الطلبات ويستحيل أن يكون معه إله آخر فإن الإله على الحقيقة هو الغنى الصمد الكامل في أسمائه وصفاته الذي حاجة كل أحد إليه ولا حاجة به إلى أحد وقيام كل شيء به وليس قيامه بغيره - إلى أن قال - فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء وهو مشهد جامع للأسماء والصفات وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات، ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم اللّٰه جل جلاله، فإن هذا الاسم هو الجامع، ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء اللّٰه، ولا يقال اللّٰه من أسماء الرحمن . قال اللّٰه تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠] فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها وكل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته . فمن اتسع قلبه لمشهد الإلهية وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب مع كمال الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية فقد تم له غناه بالإله الحق وصار من أغنى العباد ولسان مثل هذا يقول :

غنيت بلا مال عن الناس كلهم ... وإن الغنى العالى عن الشىء لا به

انتهى .

وقوله تعالى : ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠] قال ابن عباس وابن جريج ومجاهد : هم المشركون عدلوا بأسماء اللّٰه تعالى عما هى عليه فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللات من اللّٰه والعزى من العزيز ومناة من المنان[1].

---

(١) أثر مجاهد أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١٣٣) من طريق ابن جريج عن مجاهد بنحوه، وهذا منقطع، وابن جريج لم يسمع من مجاهد إلا حرفًا وانظر «التهذيب» (٦/ ٤٠٥).

وقيل: هى تسميتهم الأصنام آلهة، وروى عن ابن عباس ﷺ «يلحدون في أسمائه أى: يكذبون». وقال قتادة: «**يلحدون يشركون في أسمائه**»(١).

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: «الإلحاد التكذيب(٢)، وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمة الحفر. اهـ(٣).

وهذه الأقوال متقاربة، والإلحاد يعمها وهو ثلاثة أقسام:

الأول: إلحاد المشركين: وهو ما ذكر ابن عباس وابن جريج ومجاهد من عدولهم بأسماء اللَّه تعالى عما هى عليه وتسميتهم أوثانهم بها مضاهاة للَّه ﷻ ومشاقة له وللرسول ﷺ.

الثانى: إلحاد المشبهة: الذين يكيفون صفات اللَّه ﷻ ويشبهونها بصفات خلقه مضادة له تعالى وردًا لقوله ﷻ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: الآية ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٠] وهو مقابل لإلحاد المشركين فأولئك جعلوا المخلوق بمنزلة الخالق وسووه به، وهؤلاء جعلوا الخالق بمنزلة الأجسام المخلوقة وشبهوه بها تعالى وتقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحاد النفاة، وهم قسمان:

قسم: أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات الكمال فقالوا رحمن رحيم بلا رحمة، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة، قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر. واطردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمال للَّه تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم وإنما أثبتوا الألفاظ دون المعانى تسترًا وهو لا ينفعهم.

وقسم: لم يتستروا بما تستر به إخوانهم بل صرحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعانى واستراحوا من تكلف أولئك وصفوا اللَّه تعالى بالعدم المحض الذي لا اسم له

---

(١) أثر قتادة أخرجه ابن جرير (٩/ ١٣٤) من طريق معمر عن قتادة. ومعمر ثقة، لكنه ضعيف في روايته عن قتادة.

(٢) أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير (٩/ ١٣٤) وإسناده ضعيف للانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.

(٣) هذا كلام ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٠).

ولا صفه وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاته تعالى مكذبون بالكتاب وبما أرسل اللَّه به رسله . وكل هذه الأربعة الأقسام كل فريق منهم يكفر مقابله ، وهم كما قالوا كلهم كفار بشهادة اللَّه وملائكته وكتبه ورسله والناس أجمعين من أهل الإيمان والإثبات الواقفين مع كلام اللَّه تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

«**صفاته العلى**»أي وإثبات صفاته العلى التي وصف بها نفسه تعالى ووصفه بها نبيه ﷺمن صفات الكمال ونعوت الجلال ، من صفات الذات وصفات الأفعال ، مما تضمنته أسماؤه بالاشتقاق كالعلم والقدرة والسمع والبصر والحكمة والرحمة والعزة والعلو وغيرها ، ومما أخبر به عن نفسه وأخبر بها عنه رسوله ﷺولم يشتق منه اسمًا كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين ورضائه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلام دينًا . وكراهته انبعاث المنافقين وسخطه على الكافرين وغضبه عليهم وإثبات وجهه ذى الجلال والإكرام ويديه المبسوطتين بالإنفاق وغير ذلك مما هو ثابت في الكتاب والسنة والفطر السليمة ، وسيأتي الكلام على ما ذكر من ذلك في المتن في محله وما لم يذكر في المتن ففى خاتمة الباب إن شاء اللَّه تبارك وتعالى .

وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الأَكْبَرُ   الْخَالِقُ الْبَارِئُ وَالْمُصَوِّرُ
بَارِي الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلائِقْ   مُبْدِعُهُمْ بِلا مِثَالٍ سَابِقْ

«**وأنه الرب**»أى : وإثبات ربوبيته بأنه رب كل شيء ومليكه رب الأولين والآخرين رب المشرقين ورب المغربين . رب السموات والأرضين وما بينهما رب العالمين رب الآخرة والأولى . مالك الملك فلا شريك له في ملكه يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء ويسعد من يشاء ويشقى من يشاء ويخفض من يشاء ويرفع من يشاء ويعطى من يشاء ويمنع من يشاء ويصل من يشاء ويقطع من يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدره على من يشاء يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانًا وإناثًا ويجعل من يشاء عقيمًا إنه عليم قدير . يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الأرض بعد موتها ، وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون خلق فسوى وقدر فهدى ، وأضحك وأبكى وأمات وأحيا وخلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى ، وأغنى وأقنى وأوجد وأفنى ، يبدي ويعيد ويفعل ما يريد ، رفع سمك السماء

فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها، وبسط الأرض ودحاها، فراشًا لعباده ومهادًا، ونصب الجبال عليها أوتادًا، سخر الفلك تجرى في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، فالق الإصباح وجعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلًا ما تشكرون. خالق الكون وما فيه، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه. مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخًا وحجرًا محجورًا، وأسبغ على عباده نعمه الظاهرة والباطنة وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، علم وألهم، ودبر فأحكم وقضى فأبرم لا راد لقضائه ولا مضاد لأمره ولا معقب لحكمه ولا شريك له في ملكه ولا إله غيره ولا رب سواه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

«**الجليل**» أي المتصف بجميع نعوت الجلال وصفات الكمال، المنزه عن النقائص والمحال، المتعالى على الأشباه والأمثال، له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، وله الحمد في الآخرة والأولى.

«**الأكبر**» الذي السموات والأرض وما فيهن وما بينهما في كفه كخردلة في كف آحاد عباده له العظمة والكبرياء وهو أكبر كل شيء شهادة لا منازع له في عظمته وكبريائه ولا ينبغى العظمة والكبرياء إلا له ومن نازعه في صفة منهما أذاقه عذابه وأحل عليه غضبه ومن يحلل عليه غضبه فقد هوى.

«**الخالق**» أى المقدر والمقلب للشيء بالتدبير إلى غيره كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: الآية ٥] الآية. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧)﴾ [مريم: الآية ٦٧]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: الآية ١٦]،

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [الصافات: الآية ٩٦]، فالله تبارك وتعالى الخالق وكل ما سواه مخلوق له مربوب له لا خالق غيره. فجميع السموات والأرض ومن فيهن وما بينهما وحركات أهلها وسكناتهم وأرزاقهم وآجالهم وأقوالهم وأعمالهم كلها مخلوقات له محدثة كائنة بعد أن لم تكن، وهو خالق ذلك كله وموجده ومبدئه ومعيده، فمنه مبدأها وإليه منتهاها ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: الآية ٥٣].

«**البارئ**» أي المنشئ للأعيان من العدم إلى الوجود، والبرء هو الفرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئًا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله ﷻ كما قيل:

ولأنـتَ تَـفـرِي مـا خـلـقـتَ ... وبَعضُ القَوم يخْلُق ثم لايفرِي

أي أنت تنفذ ما خلقت أي قدرت بخلاف غيرك فإنه لا يستطيع كل ما يريد فالخلق التقدير، والفرى التنفيذ.

«**المصور**» الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض، أي: الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها، يقال هذه صورة الأمر أو مثاله فأولًا يكون خلقًا ثم برءًا ثم تصويرًا، وهذه الثلاثة الأسماء التي في سورة الحشر في خاتمتها ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: الآية ٢٤] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي: الذي إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝﴾ [الانفطار: الآية ٨] [(١)].

«**باري البرايا**» جميع الموجودات «**منشئ الخلائق**» أي: جميع المخلوقات «**مبدعهم**» أي خالقهم ومنشئهم ومحدثهم، يفسر ذلك «**بلا مثال سابق**» أي بلا نظير سالف، ومنه سميت البدعة بدعة لأنها على غير مثال سبق في الشرع، وقال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: الآية ١١٧] أي: محدثها وموجدها على غير مثال سبق. وهذا مفسر للبيت الذي قبله وقد تقدم الكلام عليه ولله الحمد والمنة.

الأولُ الـمـبـدي بـلا ابـتـداء ... والآخـر الـبـاقـي بـلا انـتـهـاء

«**الأول**» فليس قبله شيء، «**المبدئ**» الذي يبدئ الخلق ثم يعيده «**بلا ابتداء**» لأوليته

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٤٥).

تعالى، «**والآخر**» فليس بعده شيء، «**الباقي**» وكل ما سواه فانٍ «**بلا انتهاء**» لآخريته تعالى قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: الآية ٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۝٣٤﴾ [يونس: الآية ٣٤]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨﴾ [القصص: الآية ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: الآية ١٦] وقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمواتِ السبعِ ورَبَّ العَرْشِ العَظِيم، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شيءٍ فَالِقَ الحَبِّ والنَّوى مُنْزِلَ التَّوراةِ والإنجِيلِ والقُرآنِ، أَعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ كُلِّ دابَّةٍ أنتَ آخِذٌ بِنَاصِيتِهَا أنتَ الأوَّلُ فَلَيسَ قَبلَكَ شَيءٌ وَأنتَ الآخِرُ فَلَيسَ بَعْدَكَ شَيءٌ وَأنتَ الظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَكَ شَيءٌ وَأَنتَ البَاطِنُ فَلَيسَ دُونَكَ شَيءٌ. اقْضِ عَنِّي الدَّينَ وَأغْنِنِي مِنَ الفَقْرِ**»[1] رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

وفي «الصحيحين» عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: «**اقْبَلُوا البُشْرَى يا بَنِي تَمِيم**» قالوا: قد بشرتنا فأعطنا. مرتين. ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «**اقْبَلُوا البُشْرَى يا أهْلَ اليمَنِ إذْ لَم يقْبَلها بَنُو تَمِيم**» قالوا: قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «**كَانَ اللَّهُ وَلَم يكُنْ شَيءٌ غَيرُهُ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيءٍ وَخَلَقَ السَّمَواتِ والأرْضَ**» الحديث[2]. وقال عمر رضي الله عنه: قام فينا النبي ﷺ مقامًا فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه[3]. رواه البخاري. وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «**أنهُ تَعَالَى يطْوِي السَّمواتِ بِيدِهِ ثم**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧١٣) وأبو داود (٥٠٥١) والترمذي (٣٤٠٠) وابن ماجة (٣٨٧٣) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣١٩٠) ولم يخرجه مسلم، إنما أخرجه أيضًا ابن حبان (٦١٤٢، ٧٢٩٢) وأصل الحديث أخرجه الترمذي وأحمد وغيرهما.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٣١٩٢) تعليقًا، وانظر كلام الحافظ عنه في «فتح الباري (٦/ ٣٢٣) وفي «تغليق التعليق» (٣/ ٤٨٦).

يقولُ: **أنَا المَلِكُ أنَا المَلكُ أنَا الجبَّارُ المُتَكَبِّرُ، أَينَ مُلُوكُ الأرضِ أينَ الجبَّارُونَ أينَ المُتَكَبِّرُونَ»** [١]. وفي حديث الصور: «**أنهُ** ﷻ **إذَا قَبَضَ أرواحَ جَميعِ خَلقِهِ فَلَم يبْقَ سواهُ وَحدَه لا شريك له حينئذٍ يقولُ لِمَن المُلكُ اليومَ ثَلاثَ مَرَّات. ثم يجيب نفسه قائلًا: «لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّار»** [٢] أي الذي هو وحده قد قهر كل شيء وغلبه، ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**ينادى منادبين يدى الساعة يا أيها الناس أتتكم الساعة، فيسمعه الأحياء والأموات. قال: وينزل الله** ﷻ إلى السماء الدنيا ويقول: لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار» [٣].

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في أثناء كلامه على هذه الأسماء الأربعة وهى الأول والآخر والظاهر والباطن: هى أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث ينتهي به قواه وفهمه. واعلم أن لك أنت أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا بل كل شيء فله أول وآخر وظاهر وباطن، حتى الخطرة واللحظة والنفس وأدنى من ذلك وأكثر، فأولية الله ﷻ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سابقة لكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضى العلو، وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحب من حبيبه، هذا لون وهذا لون.

فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة وهى إحاطتان زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريته بالقبل والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤١٢) ومسلم (٢٧٨٨) وغيرهما من حديث ابن عمر مرفوعًا وليس في لفظهما: «أنا الجبار المتكبر»، وقد ورد هذا اللفظ في رواية أحمد في «المسند» (٢/ ٧٢، ٨٧) وورد لفظ: «أنا الجبار» في رواية ابن ماجة (٤٢٧٥).

(٢) **ضعيف الإسناد**: وهو جزء من حديث الصور الطويل، وسيأتي الكلام عنه في بابه.

(٣) **صحيح إلى ابن عباس**: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (ح٢٤٩ بتحقيقي) بإسناد حسن، وأخرجه أيضًا الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٥ح ٣٦٣٧) ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٦٩) وابن أبي حاتم في «تفسيره» عزاه إليه ابن كثير (٤/ ٧٥) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٤) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢/ ٢٣٣ح ٣٦٦) من طرق عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن ابن عباس موقوفًا.

وما من آخر إلا والله بعده، فالأول قِدَمُه والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأوليته وبقى بعد كل شيء بآخريته وعلا كل شيء بظهوره ودنا من كل شيء ببطونه، فلا توارى منه سماء سماء ولا أرض أرضًا. ولا يحجب عنه ظاهر باطنًا بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب والسر عنده علانية.

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا». ثم ساق الكلام على التعبد بهذه الأسماء فشفى وكفى رحمه الله تعالى[1]، ولكنه قد أحاط بذلك المعنى تفسير رسول الله ﷺ في حديث أبي هريرة المتقدم قريبًا بأوجز عبارة وأخصرها فسبحان من خصه بجوامع الكلم ﷺ.

الأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيرُ الأَزَلِي	الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيمِنُ الْعَلِي
عُلُوَّ قَهْرٍ وَعُلُوَّ الشَّانِ	جَلَّ عَنِ الأَضْدَادِ وَالأَعْوَانِ
كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ وَالْفَوْقِيهْ	عَلَى عِبَادِهِ بِلَا كَيفِيهْ

«الأحد الفرد» الذي لا ضد له ولا ند له ولا شريك له في إلهيته وربوبيته ولا متصرف معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيه له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاته. فهو أحد في إلهيته لا معبود بحق سواه ولا يستحق العبادة إلا هو ولذا قضى ألا نعبد إلا إياه، وهو أحد في ربوبيته فلا شريك له في ملكه ولا مضاد ولا منازع ولا مغالب. أحد في ذاته وأسمائه وصفاته فلا شبيه له ولا مثيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: الآية ١١]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾[طه: الآية ١١٠]. فكما أنه الأحد الفرد في ذاته وإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته فهو المتفرد في ملكوته بأنواع التصرفات- من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والخلق والرزق والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال والإسعاد والإشقاء والخفض والرفع والعطاء والمنع والوصل والقطع والضر والنفع- فلو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إماتة من هو محييه أو إعزاز من هو مذله أو هداية من هو مضله أو إسعاد من هو مشقيه، أو خفض من هو رافعه أو وصل من هو قاطعه، أو إعطاء من هو مانعه أو ضر من هو نافعه أو عكس

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٤٦- ٤٧).

ذلك لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنى لهم ذلك والكل خلقه وملكه وعبيده وفي قبضته وتحت تصرفه وقهره، ماض فيهم حكمه، عدل فيهم قضاؤه نافذة فيهم مشيئته لا امتناع لهم عما قضاه ولا خروج لهم من قبضته ولا تحرك ذرة في السموات والأرض ولا تسكن إلا بإذنه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فسحقًا لأصحاب السعير كيف جحدوا بآياته وأشركوا في إلهيته وربوبيته من هو مخلوق مربوب مثلهم لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، واتخذوهم من دونه أربابًا وأندادًا سووهم به وعدلوهم به واعتقدوا أنهم متصرفون معه في ملكوته وعبدوهم من دونه. وهم يرون ويعلمون أنهم محدثون بعد أن لم يكونوا، مسبوقون بالعدم عاجزون عن القيام بأنفسهم فقراء إلى من يقوم بهم.

وألحدوا في أسماء الله وصفاته وآياته على اختلافهم في صناعة الإلحاد فبين مشبه له تعالى بالعدم وهم نفاة أسمائه وصفاته بل هم نفاة وجود ذاته، وبين مشبه له بالمخلوقات ممثل صفاته تعالى بصفات الحادثات المحدثات حاكمين عليه بعقولهم واصفين له بما لم يصف به نفسه.

وآخرون جحدوا إرادته ومشيئته النافذة وقدرته الشاملة وأفعاله وحكمته وحمده وجعلوا أنفسهم هم الفاعلين لما شاءوا الخالقين لما أرادوا من دون مشيئة لله ولا إرادة، وجحدوا أن يكون الله خلقهم وما يعملون.

وآخرون جعلوا قضاءه وقدره حجة لهم على ترك أوامره ونواهيه، وأنهم لا قدرة لهم ولا اختيار، وأنه كلفهم بفعل ما لا يطاق فعله وترك ما لا يطاق تركه، وجعلوا معاصيه طاعات إذ وافقت مشيئته الكونية وقدره الكوني فخاصموه بمشيئته وأقداره وعطلوا أوامره ونواهيه ونسبوه إلى الظلم تعالى، وأن تعذيبه من لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ولم يقم الصلاة ولم يؤت الزكاة ولم يصم ولم يحج ولم يعمل الطاعات ولم يترك المعاصي، كتعذيب الذكر لم يصر أنثى، والأنثى لم تصر ذكرًا، وأن أمرهم بالصلاة وغيرها كأمر الآدمي بالطيران والأعمى بنقط المصاحف، أولئك خصماء الله يوم القيامة، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا. ورضي الله عن المؤمنين إذ عرفوه حق معرفته وقدروه حق قدره ووحدوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأثبتوا له ما أثبته لنفسه، ونفوا عنه التمثيل، وآمنوا بقضائه وقدره وتلقوه بالرضا والتسليم، وأن ذلك موجب ربوبيته ومقتضى إلهيته واللائق بحكمته وحمده، وتلقوا أمره بالسمع والطاعة

والامتثال والانقياد، ووقفوا عند نواهيه وحدوده فلم يعتدوها، ونزلوا كلًّا من القدر والشرع منزلته ولم ينصبوا الخصام بينهما، فالقضاء والقدر يؤمن به ولا يحتج به، والأمر والنهي يطاع ويمتثل، فالإيمان بالقدر من كمال التوحيد وشهادة أن لا إله إلا اللَّه، والقيام بالأمر والنهي موجب شهادة أن محمدًا رسول اللَّه ﷺ، فمن لا يؤمن بالقضاء والقدر وينقاد للأمر والنهي فهو مكذب بالشهادتين ولو نطق بهما بلسانه. وهذا البحث سيأتي تفصيله عن قريب إن شاء اللَّه في موضعه، وإنما ساقنا إليه ههنا الكلام على كمال أحدية اللَّه ﷻ في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله وقدره وشرعه، وأنه لا معارض لمشيئته ولا معقب لحكمه، وأن المخلوق لا تصرف له في نفسه فضلًا عن غيره ولا قدرة له على ما لم يقدره اللَّه تعالى عليه، فكيف يسوى به ويعدل به ويشرك معه في إلهيته أو ينسب إليه التصرف في شيء من ملكوته، وكم يقيم الحجة تبارك وتعالى على من أشرك معه إلهًا غيره بأحديته في الربوبية والأسماء والصفات وإقرار المشركَ بها، وأن آلهته التي أشرك لا تتصف بشيء منها ويلزمه إفراده بالألوهية الملازمة للربوبية كما قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: الآية ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

«القدير» الذي له مطلق القدرة وكمالها وتمامها الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء الذي ما خلق الخلق ولا بعثهم في كمال قدرته إلا كنفس واحدة الذي إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون. الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه. الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، الذي وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما، أي: لا يكرثه ولا يثقله، الفعال لما يشاء إذا شاء كيف شاء في أى وقت شاء، قال اللَّه تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النساء: الآية ١٣٣]، وقال تعالى بعد الكلام على البدء والإعادة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحجّ: الآية ٦٢] الآية. وقال تعالى بعد الكلام

على هذا المعنى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾﴾ [الحج: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: الآية ٤٤]، وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: الآية ٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: الآية ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: الآية ١٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: الآية ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: الآية ١٢]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [الملك: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

والآيات في هذا الباب كثيرة يطول ذكرها، بل كل آيات اللَّه الظاهرة والمعنوية وجميع مخلوقاته العلوية والسفلية تدل على كمال قدرته الشاملة التي لا يخرج عنها مثقال ذرة كما أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، وعبارة العبد تقصر عن ذلك المعنى العظيم، وكفى العبد دليلًا أن ينظر في خلق نفسه كيف قدره أحكم الحاكمين وخلقه في أحسن تقويم، وشق له السمع فسمع والبصر فأبصر واللسان فنطق والفؤاد فعقل إلى غير ذلك، فكيف إذا سرح قلبه في عجائب الملكوت، ونظر بعين بصيرته إلى مبدعات الحي الذي لا يموت، ورأى الآيات الباهرة والبراهين الظاهرة على كمال قدرة ذي العزة والجبروت:

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٥] .

وفي حديث الاستخارة المتفق عليه: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأسْأَلُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيم، فإنَّكَ تَقْدِرُ ولا أقْدِرُ، وَتَعْلَم وَلا أعْلَم**» الحديث[(١)] .

«**الأزلي**» بذاته وأسمائه وصفاته الذي لا ابتداء لأوليته ولا انتهاء لآخريته وليس شيء من أسمائه وصفاته متجددًا حادثًا لم يكن قبل ذلك، كذلك له كمال الربوبية ولا مربوب، واسم الخالق ولا مخلوق، هو العليم قبل إيجاده المعلومات والسميع قبل إيجاده المسموعات، والبصير قبل إيجاده المبصرات، وكذلك سائر أسمائه وصفاته أزلية بأزلية ذاته، باقية ببقاء ذاته، لم يزل متصفًا بها في أوليته وكذلك لم يزل متصفًا بها في سرمديته، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، بل هو سبحانه الخالق قبل خلق المخلوقين والرزاق قبل وجود المرزوقين، وهو المحيي المميت قبل خلقه الموت والحياة.

وكذلك وصف نفسه تبارك وتعالى فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: الآية ٤٤] ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: الآية ٩٦] ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٥٨] ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: الآية ١٣٤] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٤] ، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: الآية ٣٤] ، إلى غير ذلك قال ابن عباس: أي لم يزل كذلك[(٢)] . اهـ.

ولا يجوز أن يعتقد أن اللَّه تعالى وصف بصفة لم يكن متصفًا بها لأن صفاته سبحانه كلها صفات كمال وفقدانها صفة نقص، ولا يجوز كونه قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفًا بضده، وتقدم في الأزلية حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما في بدء الخلق: «**كَانَ اللَّهُ وَلَم يكُنْ شَيءٌ غَيرُهُ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ**»[(٣)] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري(١١٦٦، ٦٣٨٢، ٨٣٩٠) وأبو داود(١٥٣٨) والترمذي(٤٨٠) وغيرهم من حديث جابر بن عبدالله مرفوعًا، ولم يخرجه مسلم.

(٢) حسن إلى ابن عباس: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٤٤٥ فتح)، كتاب التفسير باب سورة حم السجدة، وفيه: وكان الله غفورًا رحيمًا سمى نفسه بذلك وذلك قوله. أي لم يزل كذلك. وفي إسناده المنهال لا بأس به. وأخرجه أيضًا الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢٤٥ح ١٠٥٩٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري وغيره. وسبق.

«الصمد» قال عكرمة عن ابن عباس: يعنى الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم[١].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «**هو السيد الذي قد كمل في سؤدده والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه**»، هذه صفته لا تنبغي إلا له[٢]، ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار.

وعن أبي وائل: «**الصمد**» الذي قد انتهى سؤدده[٣]، ورواه عن ابن مسعود رضي الله عنه[٤]. وعن زيد بن أسلم الصمد السيد[٥]. وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه[٦]. وقال الحسن أيضًا: الصمد الحي القيوم الذي لا زوال له[٧].

وقال عكرمة: «الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولم يطعم»[٨]. وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضًا وسعيد بن جبير وعطاء

---

(١) أخرجه بنحوه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢٥٥ح ١٠٥٩٧) من طريق جويبر عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس، وهذا ضعيف، جويبر متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٠٨) و(٧/ ١٤٤) و (٩/ ٢٨٢) وعزاه للطبراني وقال: وفيه جويبر وهو متروك.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٦) وإسناده ضعيف للانقطاع بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة.

(٣) **صحيح إلى أبي وائل**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٦) من طرق عن وكيع وأبي معاوية وسفيان، ثلاثتهم عن الأعمش عن أبي وائل.

(٤) **حسن إلى ابن مسعود**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٦) من طريق الحسين بن واقد عن عاصم ابن بهدلة عن شقيق عن ابن مسعود، وانظر «العلل» لابن حاتم (ح١٨٤٨).

(٥) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧١) فقال: وقال مالك عن زيد بن أسلم: الصمد السيد. اهـ.

(٦) **حسن إلى قتادة والحسن**: أخرجه عنهما ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٧) عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٧٩) من طريق يزيد بإسناده عن الحسن البصري.

(٧) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (٩٣) من طريق سويد بن عبدالعزيز عن سفيان بن حسين عن الحسن به، وإسناده ضعيف لضعف سويد.

(٨) **صحيح إلى عكرمة**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٧- ٦٧٠) من طرق عن شعبة عن أبي رجاء عن عكرمة، وإسناده صحيح، وأبو رجاء هو محمد بن سيف الحداني.

ابن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي: «الصمد الذي لا جوف له»(١).

وقال الشعبي: هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب(٢). وقال عبد الله بن بريدة أيضًا: «الصمد نور يتلألأ»(٣). قال ابن كثير رحمه الله تعالى: روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني، وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده.

وقال الطبراني في كتاب «السنة» له بعد إيراده كثيرًا من هذه الأقوال في تفسير الصمد:

«وكل هذه صحيحة، وهى صفات ربنا ﷻ، وهو الذي يصمد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقه». وقال البيهقي نحو ذلك(٤).

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن منيع أخبرنا أبو سعد هو الصنعاني عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ والصمد الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت وليس شيء يموت إلا سيورث وإن الله تعالى لا يموت ولا يورث ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: الآية ٤] قال: لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء(٥)، حدثنا عبد بن حميد

---

(١) **صح عن بعض هؤلاء كمجاهد والضحاك وغيرهم،** وانظر لتفاصيل الطرق إليهم «تفسير ابن جرير» (٣٠/ ٣٤٥) و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧١) و«مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٤) و«مسند الروياني» (٤٢) و «المعجم الكبير» (٢/ ٢٢ح ١١٦٢) و «السنة» لابن أبي عاصم (٦٦٥- ٦٨٩) وأبو الشيخ في «العظمة» (٩١).

(٢) **صحيح إلى الشعبي:** أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٨٢- ٦٨٤) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي به.

(٣) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧١) ولم يورد إسناده.

(٤) نقله المصنف عن تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧١) باختصار.

(٥) **ضعيف الإسناد:** أبو جعفر الرازي ضعيف لسوء حفظه، وهو في روايته عن الربيع بن أنس أشد ضعفًا، والراوي عنه: أبو سعد محمد بن مُيسّر ضعيف، ورواية أبو سعد منكرة، خالفه عبيدالله ابن موسى وهو ثقة فرواه على الإرسال، ورجح الترمذي الإرسال.

والحديث أخرجه الترمذي (٣٣٦٤) وأحمد (٥/ ١٣٣) وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٨) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٤٥) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ١٤٠) وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٢٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨١) جميعًا من طريق محمد بن ميسر بهذا الإسناد به، وابن مُيسر=

أخبرنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية أن النبي ﷺ ذكر آلهتهم فقالوا: «**انسب لنا ربك**»، قال: «**فأتاه جبريل** ﷺ بهذه السورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١] [1]» فذكر نحوه ولم يذكر فيه أُبَي بن كعب، وهذا أصح من حديث أبي سعيد. اهـ.

قلت: وهذه السورة العظيمة التي قال فيها النبي ﷺ: «**إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»[2]. مشتملة على توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات، جامعة بين الإثبات لصفات الكمال وبين التنزيه له تعالى عن الأشباه والأمثال، متضمنة الرد على جميع طوائف الكفر من الدهرية والوثنية والملاحدة من المشبهة والمعطلة وأهل الحلول والاتحاد ومن نسب له الصاحبة والولد وغيرهم، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. والله أعلم.

= متابع على هذا الوجه من محمد بن سابق وهو صدوق، أخرج حديثه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٨٩ح ٣٩٨٧) والبيهقي في الشعب (١٠١) وفي «الاعتقاد» (ص٤٤) وفي «الأسماء والصفات» (٥٠) لكن محمد بن سابق ومحمد بن ميسر مخالفان، خالفهما عبيدالله بن موسى وهو ثقة فرواه عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية مرسلًا، أخرجه الترمذي (٣٣٦٥) ورجحه. وعبيدالله بن موسى متابع على رواية الإرسال، تابعه هاشم بن القاسم وهو ثقة أخرج حديثه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ١٤٠) وقال: وهذا أولى، وتابعهما على هذا الوجه أيضًا مهران، أخرج حديثه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٣) وخالف الجميع عبدالله بن أبي جعفر الرازي وهو صدوق يخطئ، فرواه عن أبيه عن الربيع مرسلًا ولم يذكر أُبي بن كعب ولا أبا العالية.

أخرج حديثه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٤٥) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨١). وعلى كل فمدار الحديث على رواية أبي جعفر الرازي عن الربيع، وأبو جعفر ضعيف لسوء حفظه، وهو أشد ضعفًا في روايته عن الربيع وهذا منه.

وللحديث شواهد لا تصح، فأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٣) من مرسل قتادة وعكرمة وفي إسنادهما مع الإرسال محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

وأخرجه أيضًا من طريق محمد بن حميد بإسناده عن ابن إسحاق عن محمد عن محمد عن سعد، وأخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٤٣) والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٢٥ح ٥٦٨٧) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣١٩) من حديث جابر مرفوعًا، وفي إسناده مجالد بن سعيد وهو ضعيف.

(١) **ضعيف الإسناد**: للإرسال وضعف أبي جعفر الرازي والحديث أخرجه الترمذي (٣٣٦٥) وانظر ما سبق، ووقع بالأصول هنا: «وهذا أصح من حديث أبي سعيد».

قلت: وهو خطأ، صوابه: أبي سعد، وهو محمد بن ميسر الصنعاني السابق ذكره.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٨١١) من حديث أبي الدرداء، وأخرجه (٨١٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

«البر» وصفًا وفعلًا، قال ابن عباس: «اللطيف». وقال الضحاك: «الصادق فيما وعد».

«المهيمن» قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي ومقاتل: «هو الشهيد على عباده بأعمالهم، يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبًا على الشيء كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[المجادلة: الآية ٦] ، وقوله: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ﴾[يونس: الآية ٤٦] »، وقال: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾[الرعد: الآية ٣٣] وقال الحسن: «الأمين»، وقال الخليل: «هو الرقيب الحافظ»، وقال ابن زيد: «المصدق». وقال سعيد بن المسيب والضحاك: «القاضي». وقال ابن كيسان: «هو اسم من أسماء الله تعالى في الكتب، والله أعلم بتأويله». اهـ.

«العلي» فكل معاني العلو ثابتة له، «علو قهر» فلا مغالب له ولا منازع، بل كل شيء تحت سلطان قهره ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾[ص: الآية ٦٥] . ﴿لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٤﴾[الزمر: الآية ٤] وقد جمع الله تعالى بين علو الذات والقهر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾[الأنعام: الآية ١٨] أي وهو الذي قهر كل شيء وخضع لجلاله كل شيء، وذل لعظمته وكبريائه كل شيء، وعلا بذاته على عرشه فوق كل شيء.

«وعلو الشأن» فتعالى عن جميع النقائص والعيوب المنافية لإلهيته وربوبيته وأسمائه الحسنى وصفاته العلى. تعالى في أحديته عن الشريك والظهير والوالي والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائه وجبروته عن الشفيع عنده بدون إذنه والمجير. وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولد والوالد والكفء والنظير. وتعالى في كمال حياته وقيوميته وقدرته عن الموت والسنة والنوم والتعب والإعياء، وتعالى في كمال علمه عن الغفلة والنسيان وعن عزوب مثقال ذرة عن علمه في الأرض أو في السماء، وتعالى في كمال حكمته وحمده عن الخلق عبثًا وعن ترك الخلق سدى بلا أمر ولا نهي ولا بعث ولا جزاء، وتعالى في كمال عدله عن أن يظلم أحدًا مثقال ذرة أو أن يهضمه شيئًا من حسناته، وتعالى في كمال غناه عن أن يطعم أو يرزق أو أن يفتقر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كماله ونعوت جلاله عن التعطيل والتمثيل. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾[آل عمران: الآية ٦٢] ، وقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[محمد: الآية ١٩] ، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[فاطر: الآية ٤٠] ، وقال: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ

إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢)﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٍ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٍ (٢٢)﴾ [سبأ: الآية ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: الآية ١١١]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢) لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ (٣) وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ (٤)﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣)﴾ [الجن: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا (٦٥)﴾ [مريم: الآية ٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٨]، وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ﴾ [يونس: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ﴾ [المؤمنون: الآية ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: الآية ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ (٣٨)﴾ [ق: الآية ٣٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلۡخَلۡقِ ٱلۡأَوَّلِۚ بَلۡ هُمۡ فِي لَبۡسٖ مِّنۡ خَلۡقٖ جَدِيدٖ (١٥)﴾ [ق: الآية ١٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ (٣٣)﴾ [الأحقاف: الآية ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: الآية ٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا﴾ [مريم: الآية ٦٤] وقال تعالى عن موسى لما قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ * قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى (٥٢)﴾، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ﴾ [سبأ: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [ص: الآية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ (٣٩)﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ (١١٥)﴾ [المؤمنون: الآية ١١٥]، وقال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ [القيامة: الآية ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: الآية ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: الآية ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا (١١٢)﴾ [طه: الآية ١١٢]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ

أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: الآية ١٤] . وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ ، وقال تعالى : ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: الآية ١٥] ، وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ۝١١٠﴾ [طه: الآية ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١] .

والآيات في هذا الباب كثيرة جدًا ، وهذان المعنيان من العلو لم يخالف فيها أحد ممن يدعى الإسلام وينتسب إليه ، إنما ضل من ضل منهم وأخطأ في التنزيه الذي هو مقصوده حيث لم يسلك الطريق الموصلة إليه ، وأحسن الظن بنفسه وعقله ومتبوعه ، وأساءه بالكتاب والسنة ، وكثير منهم اغتر بقول كان مقصود قائله الزيغ والفساد والكفران ، فحسب - لإحسان الظن به - أن مقصوده التحقيق والإيمان والعرفان . واتبعوا السبل المضلة فتفرقت بهم عن صراط الرحمن ، فمنهم من نزهه تعالى عن فوقيته على عرشه بائنًا من خلقه ووقع في أعظم من ذلك حيث اعتقد أنه في كل مكان ، ولم ينزهه حتى عن الأماكن الخسيسة . ومنهم من نزهه عن العلو والفوقية وجعله هو الوجود بأسره ، ومنهم من نزهه عن وجود ذاته ووصفه بالعدم المحض ، ومنهم من نزهه عن أفعاله ومشيئته فرارًا من وصفه بالظلم ، ووقع في تعطيله عن قدرته ونسبته إلى العجز ، وغلا بعضهم في ذلك حتى أنكر علمه السابق ووصفه بضده ، ومنهم من غلا في مسألة القدر وإثباته وخاصم به الأمر والنهي فرارًا مما وقع فيه الأولون ووقع في أعظم ذلك تعطيل الشريعة ونسبته تعالى إلى الظلم وإلى تكليف عباده ما لا يطاق تعالى اللَّه عما يقولون علوًّا كبيرًا ، ففروا من الهدى إلى الضلالة ومن الرشد إلى الغي ومن الإسلام إلى الكفر ومن السنة إلى البدعة ومن النور إلى الظلمات وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا ، وهدى اللَّه الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه فجعلوا إمامهم وقدوتهم الكتاب والسنة وساروا معهما حيث سارا ووقفوا حيث وقفا . فأثبتوا للَّه ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وآمنوا بالقدر خيره وشره وتلقوه بالرضا والتسليم ، وانقادوا للشريعة فقابلوا أوامرها ونواهيها بالامتثال والتعظيم فما أثبت اللَّه لنفسه أثبتوه ، وما نفاه عن نفسه نفوه ، فإذا سمعوا آيات الصفات وأحاديثها قالوا : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: الآية ٧] ، وإن أحسنوا قالوا : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ

﴿هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، وإن أساءوا قالوا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٣]، وإذا أصابتهم مصيبة قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٦].

«كذا» ثابت «له العلو والفوقية» بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة «على عباده» فوقهم مستويا على عرشه عاليا على خلقه بائنًا منهم، يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم لا تخفى عليه منهم خافية، والأدلة في ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصى وأجل من أن تُستقصى، والفطر السليمة، والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره، ولنشر إلى بعض ذلك إشارة تدل على ما وراءها وبالله التوفيق.

فمن ذلك أسماؤه الحسنى الدالة على ثبوت جميع معانى العلو له تبارك وتعالى: كاسمه الأعلى واسمه المتعالي واسمه الظاهر واسمه القاهر وغيرها. وقال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: الآية ١] ولما نزلت قال النبي ﷺ: «اجْعَلُوهَا في سُجُودِكُم»[1]، وقال تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: الآية ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ۝٦٢﴾ [الحج: الآية ٦٢]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: الآية ٥١]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ۝٩﴾ [الرعد: الآية ٩]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية ٣]، وقال النبي ﷺ في دعائه: «وأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيسَ فَوقَكَ شَيءٌ»[2]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية ١٨] وهذه الأسماء تدل

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود (٨٦٩) وابن ماجة (٨٨٧) وأحمد (٤/ ١٥٥) وابن حبان (٥٠٥ موارد) والدارمي (١/ ٣٤١ح ١٣٠٥) والحاكم (١/ ٣٤٧ح ٨١٨) وابن خزيمة (٦٧٠) وأبو يعلى (١٧٣٨) والطبراني (١٧/ ٣٢١ح ٨٨٩- ٨٩١) جميعًا من طريق موسى بن أيوب الغافقي عن عمه إياس ابن عامر عن عقبة بن عامر الجهني مرفوعًا به، وإسناده ضعيف، موسى بن أيوب فيه كلام وثقه أبو داود وابن معين في رواية وذكره ابن حبان في «الثقات»، وضعفه ابن معين أيضًا وقال منكر الحديث وضعفه أيضًا العقيلي والساجي. وترجمته «بالتهذيب» (١٠/ ٣٣٦) وشيخه إياس بن عامر ذكره ابن حبان في الثقات وقال العجلي: لا بأس به، بينما قال الذهبي: ليس بالقوي.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧١٣) وغيره، وسبق.

على ثبوت جميع معاني العلو له تبارك وتعالى ذاتًا وقهرًا وشأنًا .

ومن ذلك التصريح بالاستواء على عرشه كما قال تعالى في سورة الأعراف : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤] . وقال تعالى في سورة يونس : ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: الآية ٣] ، وقال تعالى في سورة الرعد : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: الآية ٢] ، وقال تعالى في سورة طه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] ، وقال تعالى في سورة الفرقان : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: الآية ٥٩] ، وقال تعالى في سورة الم تنزيل السجدة : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية ، وقال تعالى في سورة الحديد : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: الآية ٤] .

وفي حديث أنس في فضل الجمعة وتسميته في الآخرة يوم المزيد الحديث بطوله وفي آخره قال : «**وهُو اليومُ الذي استَوَى فيه ربُّك على العرشِ**»[1]، وقد رواه الشافعي في مسنده وعبد اللَّه بن أحمد في كتاب السنة وابن خزيمة وغيرهم . وقد جمع أبو بكر بن أبي داود طرقه في جزء وسيأتي إن شاء اللَّه تعالى بطوله وألفاظه في إثبات رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى . وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**إذَا جَمَعَ اللَّهُ تُعَالَى الخَلَائِقَ حَاسَبَهُم فَيَمَيزُ بَينَ أَهْلِ الجنةِ وأَهْلِ النارِ وهُوَ تَعَالَى في جَنَّتِهِ على عَرْشِهِ**»[2]، قال محمد بن عثمان الحافظ هذا حديث صحيح .

---

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه الشافعي في «مسنده» (١/ ٧٠ط العلمية) من طريق موسى بن عبيدة، قال حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبدالله بن عمير أنه سمع أنس بن مالك ، ومن طريق الشافعي أورده ابن القيم في «حاشيته» (١٣/ ٢٣) ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٢٩) وإسناده ضعيف ، موسى بن عبيدة هو الربذي ضعيف ، وأبو الأزهر صدوق يهم ، وأصل الحديث أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (ح٤٩٩ بتحقيقي) وليس فيه هذا اللفظ ، وذكرت هناك طرقًا أخرى لا تصح .

(٢) لم أقف على إسناده ، وقد أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٥٥) ونقل عن محمد بن عثمان الحافظ تصحيحه .

قلت : ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة له كتاب «العرش وما روي فيه» ، وليس فيه هذا الحديث .

وعن قتادة بن النعمان ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لَمَّا فَرَغَ اللَّهُ مِن خَلْقِهِ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ**»[(1)] رواه الخلال في كتاب السنة بإسناد صحيح على شرط البخاري .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن اليهود أتوا النبي ﷺ فسألوه عن خلق السموات والأرض، فذكر حديثًا طويلًا ، قالوا : «**ثم ماذا يا محمد؟**» ، قال : «**ثمَّ استوى على العرش**» . قالوا : «**أصبت يا محمد ، لو أتممت ثم استراح**» ، فغضب غضبًا شديدًا ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾[ق: الآية ٣٨] »[(2)] ، رواه ابن منده والحاكم وصححه ، وفي إسناده البقال ضعفه ابن معين . وعن أبي رزين العقيلى قال : قلت يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ قال : «**كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاء وَمَا تَحْتَهُ هَوَاء . ثُم خَلَقَ العَرْشَ فَاسْتَوَى عَلَيهِ**»[(3)] ، رواه أبو داود وابن ماجه وقال الذهبي إسناده حسن ، ورواه الترمذي وحسنه لكن لفظه «وَخَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ» قال يزيد بن هارون : «**العماء ، أي ليس معه شيء**» .

وعن ابن عباس ﷺ وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: الآية ٢٩] قال «إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئًا قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانًا فارتفع فوق الماء

---

(١) لم أقف على إسناده ، وقد بحثت عنه في كتاب «السنة» للخلال فلم أجده ، والحديث أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٥٤) وعزاه للخلال في كتاب «السنة» وقال : بإسناد صحيح على شرط البخاري .

(٢) ضعيف الإسناد : أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩٢ح ٣٩٩٧) وابن جرير في «التفسير» (٢٤/ ٩٤) وفي «التاريخ» (١/ ٢١) وأبو الشيخ في «العظمة» (٧٨٤) من طريق أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس ، وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي بضعف البقال ، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٩٥) وقال : هذا الحديث فيه غرابة .

قلت : أبو سعيد البقال هو سعيد بن مرزبان ضعيف ، والحديث أخرجه بنحوه ابن جرير (٢٦/ ١٧٩) من طريق ابن حميد عن مهران عن أبي سنان عن أبي بكر ، وهذا إسناد تالف أبو سنان فيه كلام وحديثه عن أبي بكر معضل ، وأبو سنان هو سعيد بن سنان ، ومهران ضعيف وهو ابن أبي عمر ، وابن حميد ضعيف أيضًا .

(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه الترمذي (٣١٠٩) وابن ماجة (١٨٢) وأحمد (٤/ ١١ ، ١٢) وعبدالله ابن أحمد في «السنة» (٤٨٩ بتحقيقي) وأبو داود الطيالسي (١٠٩٣) وغيرهم من طريق وكيع بن عدس أو حدس عن عمه أبي رزين العقيلي به ، وحسنه الترمذي ، قلت : وكيع مجهول .

فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضًا ثم فتقها فجعلها سبع أرضين». الحديث. إلى أن قال: «فلما فرغ الله ﷻ من خلق ما أحب استوى على العرش»[1]. رواه السدي وابن جرير الطبري في تفسيره والبيهقي في الأسماء والصفات.

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي أخذه بيده فقال: «يا أبا هُريرة، إن اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ السمواتِ والأرْضِينَ ومَا بَيْنَهُمَا في سِتةِ أيام ثُم استوَى على العرشِ يومَ السَّابع»[2] الحديث بطوله رواه النسائي في تفسير سورة السجدة من سننه الكبرى. وفيه أخضر بن عجلان قال الذهبي وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم يكتب حديثه، ولينه الأزدى، وحديثه في السنن الأربعة وهذا الحديث غريب من أفراده.

ومن ذلك التصريح بالفوقية لله تعالى قال الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل: الآية ٥٠]، ولما حكم سعد بن معاذ ﷺ في بني قريظة بأن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذريتهم وتغنم أموالهم قال له النبي

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١/ ١٩٤) وفي «التاريخ» (١/ ٣٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (٥٩٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٠٧) جميعًا من طريق أسباط عن السدي عن أبي مالك، وعن أبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ به، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦٩) وعزاه للسدي في «تفسيره».

قلت: وإسناده ضعيف، أسباط بن نصر فيه ضعف، والسدي له أوهام، وأبو صالح هو باذام ضعيف ووقع بالأصل هنا: وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن مرة عن ناس من أصحاب النبي ﷺ.

وما بين المعقوفين زدته من مصادر التخريج.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٩٢) من طريق الأخضر بن عجلان عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة مرفوعًا، وهو حديث خلق التربة يوم السبت.

وهذا إسناده ظاهره الحسن، والأخضر لا بأس به، ويحسن حديثه أو يصحح، لكن الأخضر مخالف في روايته، خالفه حجاج بن محمد الأعور فرواه عن ابن جريج عن إسماعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبدالله بن رافع عن أبي هريرة مرفوعًا أخرجه مسلم (٢٧٨٩) وابن خزيمة (١٧٣١) وابن حبان (٦١٦١) وأحمد (٢/ ٣٢٧) والنسائي في «الكبرى» (١١٠١٠) وأبو يعلى (٦١٣٢) والبيهقي (٩/ ٣) وأبو الشيخ في «العظمة» (٨٧٥١، ٨٧٧٢) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ١٨٨) وحجاج متابع على هذا الوجه، تابعه محمد بن ثور أخرج حديثه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٠٣ح ٣٢٣٢).

قلت: وأيضًا فحديث حجاج مُنتقد، وقد ذكر البخاري رحمه الله في «التاريخ الكبير» (١/ ٤١٣) أن بعضهم يرويه عن أبي هريرة عن كعب، قال البخاري: وهو أصح. اهـ. وصوب ابن القيم رحمه الله كلام البخاري رحمه الله، وانظر نقد المنقول (ص٧٨).

ﷺ: «**لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة**»[١] وفي لفظ: «**من فوق سبع سموات**»[٢] وأصله في «الصحيحين» وهذا سياق ابن إسحاق.

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كانت زينب رضي الله عنها تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجنى الله من فوق سبع سموات»[٣]. وفي سنن أبي داود من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله جهدت الأنفس وضاعت العيال ونهكت الأموال وهلكت الأنعام فاستسق الله لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك. قال رسول الله ﷺ: «**ويحك أتدرى ما تقول**» وسبح رسول الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه. ثم قال: «**ويحك، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك. ويحك أتدرى ما الله، إن عرشه على سمواته لهكذا**» وقال بأصبعيه مثل القبة عليها «**وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب**» قال ابن بشار في حديثه: «**إن الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته**»[٤] وساق الحديث.

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢١/ ١٥٣) وفي «التاريخ» (٢/ ١٠١) وابن هشام في «السيرة» (٤/ ٢٠٠) من طريق محمد بن إسحاق قال فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن علقمة بن وقاص الليثي مرفوعًا، وهذا الإسناد ضعيف للإرسال. وأما قوله: «لقد حكمت فيهم بحكم الله أو: بحكم الملك» فصحيح دون الزيادة، أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري ومن حديث عائشة.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٥٩٣٩) وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٢٦) والحارث في «مسنده» (٦٩٣ زوائد الهيثمي) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٦٣) وفي «الأسماء والصفات» (٨٨٥) جميعًا من طريق محمد بن صالح التمار عن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه، وإسناده ضعيف، محمد بن صالح التمار فيه كلام وقد خالفه شعبة في المتن والإسناد، فخالفه في الإسناد فرواه عن سعد بن إبراهيم عن أبي أمامة بن سهل عن أبي سعيد الخدري، وخالفه في المتن فلم يذكر فيه: من فوق سبع سماوات. أخرج حديث شعبة البخاري (٤١٢١) ومسلم (١٧٦٨) وغيرهما.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٢٠) والبيهقي (٧/ ٥٧).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) وابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٧) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٥) والدارقطني في «الصفات» (٣٨، ٣٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٥٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٨ح ١٥٤٧) وأبو الشيخ في «العظمة» (٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٤٠) جميعًا من طريق محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن جبير بن محمد عن أبيه عن جده، وعلة هذا الإسناد تدليس ابن إسحاق وعنعنته.

وله عن العباس ابن عبد المطلب رضي الله عنه قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ فمرت بهم سحابة فنظر إليها فقال: **«ما تسمون هذه»** قالوا: السحاب. قال: **«والمزن»** قالوا: والمزن، قال: **«والعنان»**، قالوا: والعنان. قال أبو داود: ولم أتقن العنان جيدًا، قال: **«هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟»** قالوا: لا ندرى، قال: **«إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك- حتى عد سبع سموات- ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك»** زاد أحمد: **«وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم»**[1].

وفي سنن ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة. قال: وذلك قول الله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾** [يس: الآية ٥٨] ، قال: **فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»**[2]، وفي إسناده الرقاشي ضعيف، ومعناه ثابت في الكتاب والسنة.

وفي حديث الشفاعة الطويل عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«فَأَدْخُلُ عَلَى رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ»**[3] وذكر الحديث، وفي بعض ألفاظ البخاري في

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود (٤٧٢٣- ٤٧٢٥) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجة (١٩٣) وأحمد (١/ ٢٠٦) وابن خزيمة (١٤٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٧، ٨٨٢) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٢٨٤) وغيرهم من طريق سِمَاك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبدالمطلب، وإسناده ضعيف، عبدالله بن عميرة مجهول.

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن ماجة (١٨٤) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٢٧٤) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٢٠) وابن الجوزي في «الموضوعات» (ح٢٠٣٩ بتحقيقي) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨٣٦) جميعًا من طريق أبي عاصم العباداني عن الفضل الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر، وإسناده ضعيف لضعف الفضل الرقاشي والراوي عنه، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٨) وعزاه للبزار وأعله بالفضل الرقاشي.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٦) وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٥٨) وابن منده في «الإيمان» (٨٧٤) من حديث حميد عن أنس مرفوعًا به، وأصل حديث أنس في الشفاعة في الصحيح وغيره.

صحيحه : «فأسْتَأذِنُ عَلى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيؤذَنُ لِي عَلَيهِ»(١)، قال عبد الحق في «الجمع بين الصحيحين» : هكذا قال «في داره» في المواضع الثلاثة يريد مواضع الشفاعات الثلاث التي يسجد فيها ثم يرفع رأسه .

وعن عمير بن عبد الملك قال : خطبنا على رضي الله عنه فقال : إن رسول الله ﷺ حدثني عن ربه عز وجل فقال : «وَعِزَّتي وَجَلالِي وَارْتِفَاعِي فَوقَ عَرْشِي مَا مِن أهْلِ قَرْيَةٍ ولا بَيت وَلا رَجُل بِبَادِيةٍ كَانُوا عَلَى ما كَرِهتُ مِن مَعْصِيتِي فَتَحَوَّلُوا عَنْهَا إلى مَا أحببتُ مِن طَاعَتي إلا تحولتُ لَهُم عَمَّا يكرَهُونَ مِن عَذَابِي إلى مَا يحِبُّونَ مِن رَحْمَتِي»(٢)، رواه ابن أبي شيبة في كتاب العرش والعسال في المعرفة وضعفه الذهبي . وعن جابر بن سليم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن رجلًا ممن كَانَ قَبْلَكُم لبسَ بَردين فتبَخْتَرَ ، فَنَظَرَ اللّه إليهِ مِن فَوقِ عَرْشِهِ فَمَقَتَهُ ، فأمرَ الأرضَ فأخذَتْهُ فَهُوَ يتَجَلْجَلُ فِيهَا»(٣) رواه الدارمي ، وله شاهد في البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي حديث عمران بن حصين في بدء الخلق : «كَانَ اللّهُ عزَّ وجَلَّ عَلَى العَرْشِ وكَانَ قَبلَ كُلِّ شَيء ، وَكَتَبَ فِي اللَّوحِ المحفُوظِ كُلَّ شَيءٍ يكُون»(٤) حديث صحيح أصله في

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٧٤٤٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٠٤) وابن منده في «الإيمان» (٨٦٣) من حديث قتادة عن أنس مرفوعًا .

(٢) **ضعيف الإسناد** : أخرجه محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتاب العرش (ح١٩) من طريق الهيثم بن الأشعث عن أبي حنيفة اليمامي عن عمير بن عبدالله عن علي مرفوعًا ، وإسناده ضعيف ، لجهالة الهيثم بن الأشعث ، والحديث أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٠٥) من طريق ابن أبي شيبة به ، وقال : وهذا غريب وفي إسناده من لا أعرفه .

(٣) **ضعيف الإسناد** : أخرجه الدارمي في الرد على المريسي (١/ ٣٣٦) عن سهل بن بكار عن عبدالسلام أبي الجليل عن عبيدة الهجيمي عن أبي جري جابر مرفوعًا به ، وإسناده ضعيف ، عبدالسلام هو ابن عجلان ، ترجم له الذهبي في «الميزان» وقال : قال أبو حاتم : يكتب حديثه ، وتوقف غيره في الاحتجاج به . اهـ. وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال : يخطئ ويخالف ، وترجمته في «لسان الميزان» (٤/ ١٧) وأصل الحديث ثابت من حديث أبي هريرة أخرجه البخاري (٥٧٨٩) ومسلم (٢٠٨٨) وأحمد (٢/ ٣١٥، ٤٩٧) والدارمي (٤٣٧) وأبو عوانة (٨٥٦٢- ٨٥٦٩) والطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٥٧ح ٧٧٢٠) والبيهقي في «الشعب» (٥/ ١٤٤ح ٦١٢٣) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٨٣) من طرق عن أبي هريرة ، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري ، وأخرجه أبو يعلى (٤٣٠٢) من حديث أنس ، وانظر أيضًا «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٥- ١٢٦) وليس في شيء من هذه الروايات لفظة : «من فوق عرشه» .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣١٩١) وغيره .

البخاري. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **«إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى ييسر له نظر الله له من فوق سبع سموات فيقول للملائكة اصرفوه عنه فإن يسرته له أدخلته النار»**[١] رواه البغوى وسكت الذهبي عنه. وعنه رضي الله عنه قال: **«العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»**[٢]، قال الذهبي رواه عبد الله بن أحمد في السنة وأبو بكر بن المنذر وأبو أحمد العسال وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ وأبو القاسم اللالكائى وأبو عمرو الطلمنكى وأبو بكر البيهقي وأبو عمر بن عبد البر في تواليفهم، وإسناده صحيح.

وأخرج ابن أبي شيبة أن حسان بن ثابت رضي الله عنه أنشد النبي ﷺ[٣]:

شهدت بإذن الله أن محمدًا ... رسول الذي فوق السموات من علُ
وإن أخا الأحقاف إذ قام فيهمو ... يقول بذات الله فيهم ويعدل
وإن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل من الله متقبل

ومن ذلك التصريح بأنه تعالى في السماء قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ وفي «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: بعث على بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروض لم تحصل من ترابها قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع ابن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر ابن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: **«أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَن فِي السَّماءِ، يأتِينِي خَبرُ السَّماءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»** قال: فقام

---

(١) صحيح إلى ابن مسعود: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٩) عن سفيان، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤/ ٦٨٨ح ١٢١٩) من طريق أبي شهاب، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٢٣ ح ١٠٤٥٥) من طريق محاضر، جميعًا عن الأعمش عن خيثمة عن ابن مسعود موقوفًا، وإسناده صحيح، وأخرجه هناد في الزهد» (٤٠٤) عن أبي معاوية عن خيثمة عن ابن مسعود به.

(٢) حسن إلى ابن مسعود: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٩، ١٥٠) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٥٩) وأبو الشيخ في «العظمة» (١٤، ١٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥١) من طرق عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود موقوفًا، وإسناده حسن إليه.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٢٧٣ح ٢٦٠١٧) وأبو يعلى في «مسنده» (٥/ ٦١ح ٢٦٥٣) من حديث حبيب بن أبي ثابت مرسلًا، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٤) وقال: رواه أبو يعلى وهو مرسل.

رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشر الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول الله اتق الله. فقال ﷺ: «وَيلَكَ، أولَسْتُ أحَقَّ أهْلِ الأرْضِ أنْ يَتَّقِي اللَّهَ؟» قال: فلما ولى الرجل قال خالد بن الوليد: يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ قال: «لَا، لَعَلَّهُ أنْ يكُونَ يصَلِّي» فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه. قال رسول الله ﷺ: «إنِّي لَم أومَر أنْ أنَقِّبَ في قُلُوبِ الناسِ ولا أشُقَّ بُطُونَهُم» قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: «إنَّه يخْرُجُ مِن ضِئْضِئِ هَذَا قَومٌ يتْلُونَ كِتَابَ اللَّه رَطْبًا لا يجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، يمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يمْرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيةِ» وأظنه قال: «لَئِنْ أدْرَكتُهُم لأقْتُلَنَّهُم قَتْلَ ثَمُودَ» [١].

وعن معاوية بن الحكم في حديث طويل قال: وكانت لى جارية ترعى غنمًا لى قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بنى آدم آسف كما يأسفون، لكنى صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك على، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: «ائْتِنِي بِهَا» فأتيته بها فقال لها: «أينَ اللَّه؟» قالت: في السماء. قال: «مَن أنَا؟» قالت: أنت رسول الله ﷺ. قال: «أعْتِقْهَا فَإنَّهَا مُؤْمِنَة» [٢] أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم. وعن أبي الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنِ اشْتَكَى مِنكُم شَيئًا أو اشْتَكَاهُ أخ لَه فَلْيقُل: رَبُّنَا اللَّه الذِي في السَّماءِ، تَقَدَّسَ اسمُك، أمرُكَ في السَّماءِ والأرضِ، كَمَا رَحْمَتُك في السَّماءِ فَاجْعَل رَحْمَتَكَ في الأرضِ، اغْفِر لَنَا حَوْبَنَا وخَطَايانَا أنتَ رَبُّ الطَّيبِينَ، أنْزِلْ رَحْمَةً مِن رَحْمَتِكَ وشِفَاءً من شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الوَجَع. فَيبْرَأ» [٣] رواه أبو داود. وعن عبد الله بن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤) وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٥٣٧) وأبو داود (٩٣٠، ٣٢٨٢) وأحمد (٥/ ٤٤٨) والنسائي في «الكبرى» (٨٥٨٩) وابن حبان (١٦٥) من حديث معاوية بن الحكم السلمي.

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٩٢) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٧٦، ١٠٨٧٧) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٧) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩٤ح ١٢٧٢)، (٤/ ٢٤٣ح ٧٥١٢) والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٢٨٠ح ٨٦٣٦) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٨٩ح ٦٤٨) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٩٧) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٠٨) جميعًا من طريق زياد بن محمد عن محمد ابن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء، وإسناده ضعيف لضعف زياد بن محمد، وأخرجه أحمد (٦/ ٢٠) عن أبي بكر بن أبي مريم عن الأشياخ عن فضالة، والأشياخ مجهولون، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٧٤) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٥) عن طلق عن أبيه، وأخرجه في «الكبرى» (١٠٨٧٥) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٣٦) عن طلق عن رجل عن أبيه، والرجل مجهول.

عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الراحِمُونَ يرحَمُهُم الرَّحمنُ، ارْحَمُوا مَن في الأرضِ يرْحَمُكُم مَن في السَّماءِ. الرَّحِمُ شجنةٌ مِنَ الرحمنِ، فَمَن وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ، ومَن قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ**»[1] رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وله عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: «**يا حُصَينُ! كَم تَعْبُدُ اليومَ إلهًا**» قال أبي: سبعة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء. قال ﷺ: «**فأيهم تعد لرَغْبَتِك ورَهْبَتِكَ**» قال الذي في السماء. قال: «**يا حُصينُ! أمَا إنكَ لَو أسلمتَ عَلَّمتُكَ كَلِمَتَينِ تَنْفَعَانِكَ**» قال فلما أسلم حصين قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني. فقال ﷺ: «**قُل: اللَّهُمَّ أَلْهِمنِي رُشْدِي، وأَعِذْنِي مِن شَرِّ نَفْسِي**»[2] قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقد روى هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذِي نَفْسِي بِيدِهِ مَا مِن رَجُلٍ يدْعُو امْرَأتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأبَى عَلَيه إلا كَانَ الذِي في السَّماءِ سَاخِطًا عَلَيهَا حتى يرْضَى عَنْهَا**»[3] رواه مسلم في «صحيحه».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا جلوسًا ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ إذ مرت امرأة من بناته، فقال أبو سفيان: ما مثل محمد في بني هاشم إلا كمثل الريحانة في وسط الزبل، فسمعت فأبلغته رسول الله ﷺ فخرج فصعد على منبره وقال: «**مَا بالُ أقوامٍ تبلغني عن أقوامٍ، إن اللَّهَ خَلَقَ سمواتٍ سبعًا فاختَارَ العُليا فَسَكَنهَا، وأسْكَنَ سمواتِهِ مَن شاءَ من خلقِهِ، ثم اختارَ خَلقَه فاختارَ بنِي آدمَ فاختَارَ العربَ فاختارَ مُضَرَ فاختَارَ قُريشًا فاختارَ بَني**

---

(١) ضعيف الإسناد ولبعضه شواهد: وهذا الحديث أخرجه أبو داود (٤٩٤١) والترمذي (١٩٢٤) وأحمد (٢/ ١٦٠) والحميدي (٥٩١، ٥٩٢) والحاكم (٤/ ١٧٥ح ٧٢٧٤) والبيهقي (٩/ ٤١) من طريق سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وإسناده ضعيف، أبو قابوس ذكره البخاري في «الضعفاء الكبير»، وانظر «التهذيب» (١٢/ ٢٠٣).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧٤ح ٣٩٦) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٨٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٩٤) جميعًا من طريق شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن حصين، وهذا ضعيف الحسن عن عمران منقطع، وشبيب متروك، ولذا قال الترمذي: هذا حديث غريب. اهـ وللحديث طريق آخر أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٧٧) وفي إسناده ضعيف ومتروك.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٣٦) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

هاشِمَ فاختَارَني ، فلَم أَزَل خِيارًا مِن خِيار ، فَمَن أحَبَّ قُرَيشًا فَبُحبي أحَبَّهُم ومَن أبغَضَ العَرَبَ فبِبُغْضِي أبغَضَهُم»[(١)].

قال الذهبي هو حديث منكر رواه جماعة في كتب السنة وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد. وعن أبي هريرة ﷺأن رسول اللَّه ﷺقال: «الميتُ تَحْضُرُهُ الملائكةُ، فإذَا كانَ الرَّجُلُ الصالحُ قَالُوا اخرُجِي أيتُهَا النفسُ المُطْمَئِنَّةُ كَانَت فِي الجَسَدِ الطيبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وأبْشِرِي بِرَوحٍ وَرَيحَانٍ وَرَبٍّ غيرِ غَضْبَان. فَيقُولُونَ ذَلِكَ حَتى يعْرُجَ بِهَا إلى السَّماءِ التِي فِيهَا اللَّهُ ﷻ»[(٢)] وذكر باقي الحديث رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن جرير واللفظ له، وفي الباب أحاديث تأتي إن شاء اللَّه تعالى في ذكر الموت وفتنة القبر.

وعن ابن عباس ﷺأن رسول اللَّه ﷺقال: «لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَرتُ بِرَائِحَةٍ طيبةٍ فقُلتُ: يا جِبرِيلُ مَا هَذِهِ الرائِحَةُ الطَّيبةُ؟ قَالَ: هَذِهِ رائحةُ مَاشِطَةِ ابنةِ فِرعَونَ وأوْلادَهَا كَانَتْ

---

(١) ضعيف جدًا: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٥٥ح ١٣٦٥٠) وفي «الأوسط» (٦/ ٢٠٠ح ٦١٨٢) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ١٤٠ح ١٣٩٣)، (٢/ ٢٢٩ح ١٦٠٦) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٠) جميعًا من طريق حماد بن واقد عن محمد بن ذكوان عن عمرو ابن دينار عن ابن عمر، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢١٥) وعزاه للطبراني في «الكبير والأوسط»، قال: وفيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به وبقية رجاله وثقوا. اهـ.

قلت: شيخه محمد بن ذكوان ضعيف منكر الحديث، وحماد متابع تابعه يزيد بن عوانة وهو ضعيف أخرج حديثه الحاكم (٤/ ٨٣ح ٦٩٥٤) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٣٨٨) وأخرجه الحاكم (٦٩٥٣) من طريق حماد بن واقد عن محمد بن ذكوان عن محمد بن المنكدر عن ابن عمر، وذكر محمد ابن المنكدر وهم من بعض رواته خاصة مع قول الطبراني في الأوسط (٦/ ٢٠٠): لم يرو هذا الحديث عن عمرو بن دينار إلا محمد بن ذكوان، ولا عن محمد بن ذكوان إلا حماد بن واقد، ولا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد. اهـ.

قلت: ولبعضه شاهد من حديث أنس، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٧٦ح ٢٥٣٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٣٣) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٣٥٥) من طريق الهيثم بن جماز عن ثابت عن أنس مرفوعًا، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٩) و(١٠/ ٥٣) قال: وفيه الهيثم بن جماز وهو متروك وله شاهد آخر أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٣٠٢) من حديث أنس وفيه محمد بن أحمد بن سهيل وهو متهم بالكذب ووضع الحديث، وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٩١) وفي إسناده: عبدالرحمن بن قيس وهو ضعيف.

(٢) حسن: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٤٢) وابن ماجة (٤٢٦٢) وأحمد (٢/ ٣٦٤)، (٦/ ١٣٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٠٢ ط دار الحديث) جميعًا من طريق ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة مرفوعًا به.

تُمَشِّطُهَا فَوَقَعَ المُشْطُ مِن يدِهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَتِ ابنَتُه: أَبِي؟ قَالَتْ: لا، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّ أبِيكِ اللَّهُ. فَقَالَتْ أُخْبِرُ بِذَلِكَ أَبِي؟ قَالَتْ: نَعَم، فَأَخْبَرَتْهُ فَدَعَا بِهَا فَقَالَ: مَن رَبُّكِ، هَل لَكِ رَبٌّ غَيرِي؟ قَالَتْ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّه الذِي فِي السَّمَاءِ. فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِن نُحَاسٍ فَأُحْمِيتْ ثُمَّ دَعَا بِهَا وَبِوَلَدِهَا فَأَلْقَاهُمَا فِيهَا»[١]، وساق الحديث بطوله، رواه الدارمي وأبو يعلى الموصلي، وقال الذهبي: هذا حديث حسن الإسناد.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَمَّا أُلْقِي إبراهيمُ ﷺ في النارِ قَالَ: اللَّهمَّ إنكَ وَاحِدٌ في السماءِ وأنَا واحدٌ في الأرضِ أعبُدُك»[٢] رواه الدارمي في النقض وقال الذهبي حسن الإسناد.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: «إِذَا أحَبَّ اللَّهُ العَبدَ نَادَى جِبْرِيلَ إنَّ اللَّهَ يحِبُّ فُلانًا فأَحِبَّهُ فيحِبُّه جِبْرِيلُ فَينَادِي جِبْرَائيلُ فِي أهلِ السَّماءِ إنَّ اللَّهَ يحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ فيحِبُّهُ أهلُ السماءِ، ثُمَّ يوضَع لَهُ القَبُولُ في الأرضِ»[٣] رواه البخاري.

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إذا أرادَ اللَّهُ أن يوحِي بالأمرِ تكلمَ بالوَحيِ أخذتِ السمواتُ مِنهُ رجفة أو قال رَعدَة شديدة خَوفًا من اللَّه ﷻ، فإذا سَمِعَ ذلِكَ أهلُ السمواتِ صُعِقُوا وَخَرُّوا للَّه سُجَّدًا فيكونُ أولُ مَن يرفَعُ رَأسَهُ جبريلُ عَلَيهِ السلامُ فيكلمُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِن وَحْيِهِ بما أرادَ، ثم يمُرُّ جِبريلُ عَلَى الملائكةِ كلمَا مرَّ بِسَمَاءٍ سَألَهُ مَلائِكَتُهَا: ماذا قَالَ ربُّنا يا جِبريلُ؟ فيقولُ: قَالَ الحقَّ وهُوَ العَلِي الكبيرُ، فيقُولُونَ كلُّهم مثلَ

---

(١) رجاله ثقات: أخرجه أحمد (١/ ٣٠٩) وابن حبان (٢٩٠٤) وأبو يعلى (٢٥١٧) والحاكم (٢/ ٥٣٨ح ٣٨٣٥) والطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٥٠ح ١٢٢٧٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٣٦) والضياء «في المختارة» (٢٩١) جميعًا من طريق حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعًا.

وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن عطاء بن السائب اختلط، وسماع حماد بن سلمة منه قبل الاختلاط وبعده، ولا يتميز ما سُمِعَ منه قبل الاختلاط مما سُمِعَ بعده، وانظر «التهذيب» (٧/ ٢٠٥).

وعلق شيخنا أبو عبدالله بقوله: أرى حمادًا سمع من عطاء قبل الاختلاط، والله أعلم. اهـ.

قلت (يحيى): وبه يصح الحديث، والله أعلم.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٤٦) وعزاه ابن القيم في حاشيته (١٣/ ٣٣) لمسند الحسن بن سفيان، جميعًا من طريق أبي جعفر الرازي عن عاصم ابن بهدلة عن أبي صالح عن أبي هريرة، وإسناده ضعيف لضعف أبي جعفر الرازي.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٨٥) ومسلم (٢٦٣٧) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

مَا قَالَ جبريلُ، فينتهي جبريلُ بالوَحيِ إلى حَيثُ أَمَرَهُ اللَّهُ ﷻ»[١] رواه ابن جرير وابن خزيمة والطبراني وابن أبي حاتم واللفظ له.

ومن ذلك التصريح باختصاص بعض الأشياء بأنها عنده، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٩] وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: الآية ١١] الآية. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ لَمَّا قَضَى الخَلْقَ كَتَبَ عِندَهُ فَوقَ عَرْشِهِ إنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ

---

(١) **ضعيف الإسناد، ولبعضه شاهد صحيح:** أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٠٦) والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٩١) وابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ٩١) والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢١٦) وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٣٥) وعزاه ابن كثير (٣/ ٥٣٨) لابن أبي حاتم. جميعًا من طريق نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا عن جابر بن حيوة عن النواس بن سمعان، ونقل ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٣٨) عن ابن أبي حاتم قوله: سمعت أبي يقول: ليس هذا بالحديث التام عن الوليد بن مسلم. اهـ.

ونقل الذهبي في ترجمة نعيم من «الميزان»، وفي «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٦٠٢) عن أبي زرعة الدمشقي قوله: عرضت على دحيم هذا الحديث... فقال دحيم: لا أصل له. اهـ. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٥) وقال: رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان ابن صالح وقد وثق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات. اهـ.

قلت (يحيى): الكلام في هذا الإسناد من وجهين:

الأول: تضعيف نعيم بن حماد، والذي أراه بعد البحث والنظر أن نعيم صدوق، ثم هو لم ينفرد به، بل تابعه عمرو بن مالك الراسبي عند أبي الشيخ في «العظمة» (٤٦).

الثاني: تدليس الوليد بن مسلم وهو يدلس تسوية. لكن لبعض الحديث شواهد صحيحة، منها ما أخرجه البخاري (٤٨٠٠) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير».

غَضَبِي»[١].

ولمسلم عنه في حديث طويل: «وَمَا اجْتَمَعَ قَومٌ فِي بَيتٍ مِن بُيوتِ اللَّهِ يتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُم إلا نَزَلَتْ عَلَيهم السَّكِينَةُ وَغَشِيتْهُمُ الرحْمَةُ وحَفَّتهُمُ الملائِكَةُ وذَكَرَهُم اللَّهُ فِي مَن عِندَهُ»[٢] وفيهما عنه ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أنَا عندَ ظَنِّ عَبْدِي بي وأنَا مَعَهُ إذا ذَكَرَني فَإنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي وإنْ ذَكَرَني فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي ملأٍ خَيرٌ مِنهُم وإنْ تَقرَّبَ إلي شِبرًا تَقَرَّبتُ إليهِ ذِرَاعًا وإن تَقَرَّبَ إلي ذِرَاعًا تَقَرَّبتُ إليهِ بَاعًا وإنْ أتَانِي يمشِي أتَيتُهُ هَرْوَلَة»[٣].

وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة ﷺ قال: خرج علينا رسول اللَّه ﷺ، وذكر الحديث إلى أن قال: ثم خرج علينا فقال: «أَلَا تُصَفُّونَ كَمَا تُصَفُّ الملائكةُ عِندَ ربِّهَا» فقلنا: يا رسول اللَّه وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: «يتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلِ وَيتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ»[٤].

ولهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «احتجَّ آدَم وَمُوسَى عِندَ رَبِّهِمَا عزَّ وجلَّ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»[٥] وذكر الحديث، وسيأتي إن شاء اللَّه بتمامه.

ومن ذلك الرفع والصعود والعروج إليه وهو أنواع: منها رفعه عيسى ﷺ، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ۞ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: الآية ٥٥] وسيأتي إن شاء اللَّه تعالى ذكر الأحاديث الواردة في نزوله إلى الأرض حكمًا عدلًا في آخر هذه الأمة بشريعة نبيهم محمد ﷺ في أشراط الساعة.

ومنها صعود الأعمال إليه كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: الآية ١٠]. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تمرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيبٍ- وَلا يصْعَدُ إلى اللَّهِ إلا الطَّيبُ- فإنَّ اللَّهَ تَعَالَى

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٤) ومسلم (٢٧٥١) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٩٩) وأبو داود (١٤٥٥) وابن ماجة (٢٢٥) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٤٣٠) وأبو داود (٦٦١) والنسائي (٢/ ٩٢) وابن ماجة (٩٩٢) وغيرهم.
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

يتقبَّلُها بيمينِهِ، ثمَّ يربِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يرَبِّي أَحَدُكُم فُلُوَّهُ حتى تَكُونَ مِثلَ الجَبَلِ»(١) ورواه مسلم أيضًا والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه.

وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الذينَ يذْكُرونَ من جلال اللَّه ﷻ من تسبيحهِ وتكبيرهِ وتحميدِهِ وتهليلِهِ يتَعَاطَفنَ حولَ العرشِ لَهُنَّ دَوِي كَدَوي النحلِ يذَكِّرنَ بِصَاحِبِهِنَّ. ألا يحبُّ أحدُكُم أن لا يزَالُ له عندَ اللَّه شَيء يذكرُ بِهِ**»(٢) رواه أحمد وابن ماجه. وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اتقُوا دَعوَةَ المظلُومِ فإنَّها تَصْعَدُ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ كأنها شَرَارَة**»(٣) قال الذهبي غريب وإسناده جيد. وفي الصحيحين من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا: «**وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ فإنَّه لَيسَ بَينَهَا وَبَينَ اللَّهِ حِجَابٌ**»(٤).

وعن أبي موسى الأشعرى ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ لا ينَامُ ولا ينْبَغِي لهُ أنْ ينَام. يخفِضُ القِسطَ ويرْفَعُه، يرْفَعُ إليهِ عَمَلُ الليلِ قَبلَ النَّهَارِ وعَمَلُ النهَارِ قَبلَ الليلِ. حِجابُهُ النُّورُ لَو كَشَفَهُ لأحْرَقَتْ سَبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إليهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ**»(٥) وفي ذلك أحاديث لا تحصى في «الصحيحين» وغيرهما.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) في إسناده ضعف: أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٨، ٢٧١) وابن ماجة (٣٨٠٩) وابن أبي شيبة (٢٩٤١٥، ٣٥٠٣٧) والحاكم (١/ ٦٧٨ح ١٨٤١) جميعًا من طريق عون بن عبدالله ووقع في بعض الطرق الجزم بشيخ عون، فقيل: عن أبيه عن النعمان، وفي بعضها التردد في شيخه، فقيل: عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي على تصحيحه، وصححه البوصيري في «الزوائد».

قلت: رواية عون عن أبيه مرسلة.

(٣) في إسناده كلام: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٨٣ح ٨١) من طريق حسين بن علي عن زائدة عن عاصم بن كليب عن محارب بن دثار عن ابن عمر مرفوعًا، وقال الحاكم: قد احتج مسلم بعاصم بن كليب والباقون من رواة هذا الحديث متفق على الاحتجاج بهم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي على تصحيحه.

قلت (يحيى): وهذا إسناد ظاهره الحسن، وعاصم بن كليب صدوق، لكن قال ابن المديني: لا يحتج به إذا انفرد، وانظر «التهذيب» (٥/ ٥٦) وقد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٧٠) عن شريك بن عبدالله عن عبدالملك بن عمير عن رجاء بن حيوة عن أبي الدرداء موقوفًا، وهذا إسناد حسن على بعض كلام في شريك.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤٣٤٧) ومسلم (١٩) وغيرهما.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٩) وابن حبان (٢٦٦) وابن ماجة (١٩٥، ١٩٦) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري.

ومنها صعود الأرواح إلى الله ﷻ أعني أرواح المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠]. وروى الإمام أحمد من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح- وفيه قال: «إن العبدَ المُؤمنَ إذا كانَ في انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنيا وإِقبَالٍ مِنَ الآخرةِ نزَلَ إليه ملائكةٌ مِنَ السَّماءِ بِيضُ الوُجُوهِ كأنَّ وجُوهَهُم الشمسُ مَعَهُم كَفَنٌ مِنَ أكفانِ الجنةِ وحَنُوطٌ مِن حَنُوطِ الجنةِ حتى يجْلِسُوا مِنهُ مَدَّ البَصَرِ، ثم يجِيءُ مَلَكُ الموتِ حتَّى يجلسَ عندَ رَأسِهِ فيقُولُ: أيتُهَا النفسُ الطيبةُ اخْرُجِي إلى مَغفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ ورِضْوَانٍ، قال: فتخرُجُ فتَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِن فِي السِّقاءِ فيأخُذُها، فَإذَا أخَذَهَا لم يدَعُوهَا فِي يدِهِ طَرْفَةَ عَينٍ حتى يأخُذُوهَا فَيجْعَلُوهَا في ذَلِكَ الكَفَنِ وفي الحَنُوطِ ويخرجُ مِنهَا كأطْيبِ نَفحةِ مِسكٍ عَلَى وَجْهِ الأرضِ، قال: فَيصْعَدُونَ بهَا فلا يمُرُّون على مَلأٍ مِنَ الملائِكَةِ إلا قَالُوا مَا هذهِ الرُّوحُ الطيبةُ، فَيقُولُونَ فُلانُ ابنُ فُلانٍ بأحْسَنِ أسْمَائِهِ التي كَانُوا يسَمُّونَهُ في الدُّنيا حتى ينْتَهُوا إلى سمَاءِ الدُّنيا فَيستفتِحُونَ لَهُ فيشَيعُهُ مِن كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إلى السَّماءِ التي تَلِيهَا حتى ينْتَهُوا بِهَا إلى السَّماءِ السَّابِعَةِ فَيقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: اكتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي في عِلِّيينَ وأَعِيدُوهُ إلى الأرضِ، فَإنِي مِنهَا خَلَقْتُهُم وفِيهَا أُعِيدُهُم وَمِنهَا أُخرِجُهُم تَارَةً أُخرَى»[(١)] وذكر الحديث، وسيأتي إن شاء الله بطوله. وقد تقدم حديث أبي هريرة في ذلك وفيه أحاديث جمة سنذكر منها ما يسره الله تعالى في بابه إن شاء الله.

ومنها عروج الملائكة والروح إليه قال الله تبارك وتعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يتَعَاقَبُونَ فِيكُم ملائكةٌ بالليلِ وملائكةٌ بالنَّهَارِ ويجْتَمِعُونَ في صَلاةِ العَصْرِ وصَلاةِ الفَجْرِ ثم يعرُجُ الذِينَ بَاتُوا فِيكُم فيسْأَلُهُم وَهُوَ أعلَمُ بِهِم فَيقُولُ: كَيفَ تَرَكْتُم عِبَادِي، فيقُولُونَ تَرَكْنَاهُم وَهُم يصَلُّونَ وأَتَينَاهُم وَهُم يصَلُّون»[(٢)].

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ للَّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى مَلائكةً يطُوفُونَ في الطُّرقِ يلْتَمِسُونَ أهلَ الذكْرِ فَإذَا وَجَدُوا قومًا يذكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إلَى حَاجَتِكُم. قال: فيحُفُّونَهُم بِأجْنِحَتِهِم إلى السماءِ الدُّنيا، قال: فَيسْأَلُهُم ربُّهم عزَّ وجلَّ وهُوَ أعلمُ مِنهُم: مَا

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) وأحمد (٢/ ٢٨٧، ٢٨٨) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٤٤٣ بتحقيقي) من حديث البراء بن عازب مرفوعًا، وله طرق انظرها في تحقيقي لكتاب «السنة».

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

يقُولُ عِبَادِي. قال: يقُولُونَ: يسَبِّحُونَك ويكَبِّرُونَكَ ويحْمَدُونَكَ ويمَجِّدُونَكَ، قال: فَيقُولُ تعَالَى: هَل رَأَوْنِي؟ قال: فَيقُولُونَ: لا واللَّهِ مَا رَأَوكَ. قال: فَيقُولُ: وكَيفَ لَو رَأَوْنِي؟، قال: يقُولُونَ: لَو رَأَوْكَ كَانُوا لَكَ أَشَدَّ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تمجِيدًا وأكثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا قال: يقُولُ: فَمَا يسْألونِي؟ قال: يسْألُونَكَ الجنةَ، قال: يقُولُ: وَهَل رَأَوْهَا؟ قال: يقُولُونَ: لا واللَّهِ يا رَبِّ مَا رَأَوهَا، قال: يقُولُ: فَكَيفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟، قال: يقُولُونَ: لَو أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أشَدَّ عَلَيهَا حِرصًا وأشَدَّ لَهَا طَلَبًا وأعظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قال: فَمِمَّ يتَعَوَّذُونَ؟ قال: يقُولُونَ: مِنَ النَّار، قال: يقولُ: وَهَل رَأَوْهَا؟، قال: يقُولُونَ: لا واللَّهِ مَا رَأَوْهَا، قال: يقُولُ: فَكَيفَ لَو رَأَوْهَا، قال: يقُولُونَ: لو رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ فيقُولُ: فَأُشْهِدُكُم أنِّي قَد غَفَرتُ لَهُم. قال: يقُولُ مَلَكٌ مِنَ الملائِكَةِ: فِيهِم فُلانٌ لَيسَ مِنهُم، إنما جَاءَ لحَاجَةٍ، قال: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يشْقَى بِهِم جَلِيسُهُم»[1] متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

وعنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «كَانَ مَلَكُ الموتِ يأتِي النَّاسَ عَيانًا، فَأَتَى مُوسَى عَلَيهِ الصَّلاةُ والسلامُ فَلَطَمَهُ فَذَهَبَ بِعَينِهِ، فَعَرَجَ إلَى رَبِّهِ عزَّ وجلَّ فَقَالَ: يا رَبِّ بَعَثْتَنِي إلَى مُوسَى فَلَطَمَنِي فَذَهَبَ بِعَينِي وَلَوْ لَا كَرَامَتُهُ عَلَيكَ لشَقَقْتُ عَلَيهِ. قال: ارْجِعْ إلى عَبْدِي فَقُل لَهُ فَلْيضَعْ يدَهُ علَى ثَورٍ فَلَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ وَارَتْ كَفُّهُ سَنَة يعِيشَهَا، فَأَتَاهُ فَبَلَغَهُ مَا أَمَرَهُ فَقَالَ: ثمَّ مَاذا بَعدَ ذَلِكَ، قَالَ: الموتُ، قَالَ: الآنَ، فَشَمَّهُ شَمَّةً قَبضَ فِيهَا رُوحَهُ، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَى مَلَكِ المَوتِ بَصَرَهُ» وفي لفظ: «فَلَطَمَ عَينَهُ فَفَقَأَهَا فَرَجَعَ فَقَالَ أرْسَلْتَنِي إلَى عَبدٍ لا يرِيدُ الموتَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيهِ عَينَهُ وَقَالَ ارْجِع إلى عَبْدِي فَقُلْ لَهُ إنْ كُنتَ تُرِيدُ الحَياةَ فَضَعْ يدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ». وفيه «قَالَ: يا رَبِّ فَالآنَ، وَقَالَ: رَبِّ أَدْنِنِي مِنَ الأرْضِ المُقَدَّسَةِ رَمْيةً بِحَجَرٍ»، قال رسول اللَّه ﷺ: «لَوْ كُنتُ ثَمَّ لأَرَيتُكُم قَبْرَهُ إلى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِندَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ»[2] متفق عليه.

ومن ذلكَ معراج نبينا محمد ﷺ إلى سدرة المنتهى وإلى حيث شاء اللَّه ﷻ كما ثبتت به الأحاديث الصحيحة المشهورة في «الصحيحين» وغيرهما، قال البخاري

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به، واللفظ للبخاري.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٣٩، ٣٤٠٧) ومسلم (٢٣٧٢) وغيرهما بنحوه من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

رحمه الله تعالى: باب المعراج: حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال[1]: «بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الحَطِيمِ- وربما قال: «فِي الحِجْرِ مُضْطَجِعًا»- إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدْ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يقُولُ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إلى هَذِهِ- فَقُلْتُ للجَارُودِ وهُوَ إلى جَنْبِي قَالَ مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إلى شِعْرَتِهِ وسمعتُهُ يقُولُ مِن قَصِّهِ إلى شِعْرَتِهِ- فاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطِسْتٍ مِن ذَهَبٍ مملوءَةٍ إيمَانًا فغسَلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثم أُعِيدَ. ثم أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ وَفَوقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ» فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة، فقال أنس: نعم، يضع خطوه عند أقصى طرفه. «فَحُمِلتُ عَلَيهِ فَانْطَلَقَ بي جِبْرِيلُ حَتَى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنيا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم قِيلَ: مَرحبًا بِهِ فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِحَ فلمَّا خَلصْتُ فإذَا فِيهَا آدمُ فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدمُ فَسَلِّم عَلَيهِ فَسَلَّمتُ عَلَيهِ فَرَدَّ السلامَ ثُمَّ قَالَ: مَرحبًا بالابن الصَّالح والنبي الصَّالح. ثم صَعدَ حتى أتَى السَّماءَ الثَّانيةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبريلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم قِيلَ: مَرحبًا بِهِ فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِح فلمَّا خلصتُ إذا بيحْيى وعِيسَى وَهُمَا ابنَا الخَالَةِ. قَالَ: هَذَا يحْيى وعِيسَى فَسَلِّم عَلَيهِمَا، فَسَلَّمتُ فَرَدَّا ثم قَالا مَرْحبًا بالأخ الصَّالح والنبي الصَّالح. ثم صَعِدتُ إلى السَّماء الثَّالثةِ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبريلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم قِيلَ: مَرحبًا بِهِ فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَفُتِح فلمَّا خَلصتُ إذا يوسُف، قَالَ: هذا يوسُف فَسَلِّم عَلَيهِ، فسلمتُ عَلَيهِ فَرَدَّ، ثمَّ قَالَ: مَرْحبًا بالأخ الصَّالح والنبي الصَّالح. ثم صَعَدَ بي حتى أتَى السماءَ الرابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبريلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم قِيلَ: مَرحبًا بِهِ فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ. ففتح فلما خلصتُ إذَا إدْرِيسُ، قَالَ: هذَا إدريسُ فسلِّم عَلَيهِ، فَسَلَّمتُ عَلَيهِ فردَّ، ثم قَالَ: مَرحبًا بالأخ الصَّالح والنبي الصَّالح. ثم صَعَدَ بي حتَّى أتَى السَّماءَ الخَامسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جِبريلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم قِيلَ: مَرحبًا بِهِ فَنِعمَ المَجِيءُ جَاءَ. فَلَمَّا خلصتُ فَإذَا هَارُونُ، فَقَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسلِّم عَلَيهِ، فسلمتُ عَلَيهِ فردَّ، ثم

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٧) ومسلم (١٦٤) وغيرهما من طريق قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة به مرفوعًا.

قَالَ: مَرحبًا بالأخ الصَّالح والنَّبي الصَّالح. ثم صَعَدَ بي حَتَّى أَتَى السَّماءَ السَّادسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جبريلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم قِيلَ: مَرحبًا بِهِ فَنِعمَ المَجِيءَ جَاءَ. فَلمَّا خَلصت فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّم عَلَيهِ، فسلمتُ عَلَيهِ فَردَّ ثمَّ قَالَ: مَرحبًا بالأخ الصَّالِحِ والنَّبي الصَّالِح. فَلَمَّا تجاوَزْتُ بَكَى، قِيل لَهُ: مَا يبْكِيكَ، قَالَ: أبْكِي لأنَّ غُلامًا بُعِثَ بَعْدِي يدْخُلُ الجنةَ من أُمَّتِهِ أكثرَ ممَّا يدْخُلُهَا من أُمَّتي. ثمَّ صَعَد بِي إلى السَّمَاء السَّابعة فَاسْتَفْتَحَ جِبريلُ قِيلَ: مَن هَذَا؟ قَالَ: جبريلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَم قِيلَ: مَرحبًا بِهِ فَنِعمَ المَجِيءَ جَاءَ. فلمَّا خلصتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هَذَا أَبُوك فَسَلِّم عَلَيهِ، قَالَ: فَسَلَّمتُ عَلَيهِ فَرَدَّ السَّلامَ قَالَ: مَرْحَبًا بالابنِ الصَّالِحِ والنَّبي الصَّالِح، ثم رُفِعتُ إلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثلَ قِلالِ هَجَر، وإِذَا وَرَقُهَا مثلُ آذانِ الفِيلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أرْبَعَةُ أنْهَارٍ نَهْرَانِ ظَاهِرَان وَنَهْرَان بَاطِنَان فقُلتُ: مَا هَذَانِ يا جِبرِيلُ؟، قَالَ: أمَّا البَاطِنَانِ فنَهْرَانِ في الجنةِ، وأمَّا الظَّاهِرَانِ فالنِّيلُ والفُرَاتُ، ثمَّ رُفِعَ لِي البَيتُ المَعْمُورُ، ثمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِن خَمرٍ وإِنَاءٍ مِن لَبَنٍ وإِنَاءٍ مِن عَسَلٍ، فأخَذْتُ اللبنَ فَقَالَ: هِي الفِطْرَةُ أنتَ عَلَيهَا وَأُمَّتُكَ. ثم فُرِضَتْ عَلَي الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاةً كلَّ يوم، فَرَجِعتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ بمَا أُمِرتَ، قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمسينَ صَلاةً كُلَّ يومٍ، قَالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمسينَ صَلاةً كلَّ يوم، وإنِّي واللَّهِ قَد جَرَّبتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالجتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أشَدَّ المعَالَجَةِ، فَارْجِع إِلى رَبِّكَ فَاسْأَلهُ التَّخْفِيفَ لأمَّتِكَ، فَرَجِعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا فَرَجِعتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجِعتُ فَوُضِعَ عني عَشْرًا، فرَجِعتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثلَهُ، فَرَجِعتُ فَوُضِعَ عنِّي عشرًا، فَرَجِعتُ إلى مُوسَى فَقَالَ مِثلَهُ، فَرَجِعتُ فَأُمِرتُ بِعَشْرَةِ صَلَواتٍ كُلَّ يوم، فَرَجِعتُ فَقَالَ: مثلهُ، فَرَجِعتُ فَأُمرتُ بِخَمسِ صَلَواتٍ كُلَّ يوم، فَرَجِعتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بما أُمِرتَ؟، قُلتُ: أُمِرتُ بِخَمسِ صَلَواتٍ كُلَّ يوم، قَالَ: إنَّ أُمَّتَكَ لا تَسْتَطِيعُ خَمس صَلَواتٍ كُلَّ يوم وإنِّي قَد جَربتُ النَّاسَ قَبلَكَ وعَالجتُ بَنِي إِسْرائيلَ أَشَد المُعَالجةِ فَارْجِع إِلَى رَبِّكَ فاسْأَلهُ التَّخْفِيفَ لأمَّتِكَ، قَالَ: سَألتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْييتُ ولَكِنِّي أرْضَى وأُسَلِّم، قَالَ: فلمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ أمْضَيتُ فَرِيضَتِي وخَفَّفتُ عَن عِبَادِي».

ومن ذلك: التصريح بنزوله تبارك وتعالى كما في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا حِينَ يبْقَى ثُلُثُ الليلِ الآخرِ

فَيقُولُ : مَن يدْعُونِي فَأسْتَجِيبُ له ، مَن يسْأَلُنِي فَأُعطِيهُ ، مَن يسْتَغْفِرُنِي فَأغْفِر لَهُ»[١] وقد ثبت في ذلك أحاديث كثيرة عن نحو ثلاثين صحابيًا ، وقد ثبت أيضًا نزوله تبارك وتعالى ليلة النصف من شعبان[٢]. وعشية عرفة[٣]، وعند فناء الخلق «حينَ ينزِلُ إلى السماءِ الدنيا فَينَادِي : لمنِ المُلكُ اليومَ للّهِ الوَاحِدِ القهّار»[٤] وكذا نزوله تعالى لفصل القضاء بين عباده كما يشاء وعلى ما يليق بجلاله وعظمته ، وسيأتي إن شاء اللّه تعالى بسط ذلك كله في آخر هذا الفصل من المتن .

ومن ذلك : تنزل الملائكة ، ونزول الأمر من عنده ، وتنزيل الكتاب منه تبارك وتعالى ، قال اللّه ﷿ : ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النّحل : الآية ٢] ، وقال حكاية عنهم : ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريَم : الآية ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السّجدَة : الآية ٥] الآية . وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطّلَاق : الآية ١٢] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النّساء : الآية ١٣٦] وقال تعالى : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عِمرَان : الآية ٣] ، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم : الآية ١] ، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبيَاء : الآية ٥٠] ، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [السّجدَة : الآية ٢] ، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾ [الزُّمَر : الآية ١] ، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾ [الزُّمَر : الآية ٢] ، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ [غَافر : الآية ٢] ، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ [فُصّلَت : الآية ٢] ، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصّلَت : الآية ٤٢] ، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسرَاء : الآية ١٠٦] ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به .

(٢) حديث نزول الرب سبحانه في ليلة النصف من شعبان له طرق كثيرة لا تصح ، وأنا بصدد جمع أحاديث ليلة النصف من شعبان وتحقيقها ، والله الموفق والمعين .

(٣) أخرج مسلم في «صحيحه» (١٣٤٨) من حديث عائشة مرفوعًا : «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة ، وأنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة ، فيقول : ما أراد هؤلاء؟!» .

(٤) ضعيف مرفوعًا صحيح إلى ابن عباس موقوفًا : أما المرفوع فجزء من حديث الصور الطويل وسيأتي الكلام عنه في بابه ، وأما الموقوف فأخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢٤٩ بتحقيقي) وسبق الكلام عنه عند شرح كلام الناظم : «الأول المبدي بلا ابتداء . . .» إلخ .

ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ وغير ذلك من الآيات.

وفي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما «بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه: اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء»(١). وقد تقدم في حديث الذُّهيبة قوله ﷺ: «يأتيني خَبرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً»(٢). وفي «الصحيح» قال المغيرة رضي الله عنه: «أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا تبارك وتعالى أنه من قتل منا صار إلى الجنة»(٣). وفيه: قالت عائشة رضي الله عنها: من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تصدقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [المائدة: الآية ٦٧](٤). وفيه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قال رجل يا رسول الله أي الذنب أعظم- وذكر الحديث إلى أن قال- فأنزل الله تصديقها ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: الآية ٦٨](٥) الآيات، وغير ذلك من نصوص الكتاب والسنة.

ومن ذلك: رفع الأيدي إليه والأبصار كما في أحاديث القنوت(٦)، وأحاديث الاستسقاء(٧). وحديث دعائه ﷺ على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريف سلا الجزور وهو ساجد(٨)، وحديث استغاثته ربه ببدر ومناشدته إياه حتى سقط

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٦١) ومسلم (٢٤٧٤) وغيرهما من حديث ابن عباس به.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤) وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣١٥٩، ٧٥٣٠).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٣١) ومسلم (١٧٧) وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٣٢) ومسلم (٨٦) وغيرهما من حديث ابن مسعود مرفوعًا به.

(٦) قنت النبي ﷺ شهرًا يدعو على رعل وذكوان، وهذا صحيح أخرجه البخاري (٣١٧٠) ومسلم (٦٧٧) وغيرهما، وليس فيه أنه رفع يديه، بل ورد الرفع في هذه القصة من طريق علي بن صقر عن عفان بن مسلم عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٥١ح ٣٦٠٦) وفي «الأوسط» (٤/ ١٣١ح ٣٧٩٣) وفي «الصغير» (٥٣٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٢٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢١١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٤٤٠) وإسناده ضعيف لضعف علي بن صقر، وترجمته باللسان (٤/ ٢٧٥).

(٧) صح أن النبي ﷺ رفع يديه في «الاستسقاء»، أخرجه البخاري (١٠١٣) ومسلم (٨٩٧) من حديث أنس ابن مالك.

(٨) خبر النفر الذين وضعوا على ظهره ﷺ سلا الجزور، ودعائه ﷺ عليهم ثابت أخرجه البخاري (٢٤٠) ومسلم (١٧٩٤) من حديث ابن مسعود، وليس فيه رفع اليدين.

رداؤه[١]، وكذا في أحد[٢] والخندق[٣] وحنين[٤] واستغفاره لرفيق أبي موسى[٥] يومئذ وغير ذلك، فكتب السنة مملوءة بهذا النوع.

وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثر من مائة حديث في وقائع متفرقة، وذلك معلوم بالفطر، فكل من حزبه أمر من المؤمنين رفع يديه إلى العلو يدعو الله ﷻ. وكذلك رفع البصر ثبت في الدعاء بعد الوضوء في سنن أبي داود وهو في الصحيح بدون رفع البصر[٦].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وما طرف صاحب الصور من وكل به مستعدًا ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان»[٧]

---

(١) صح أن النبي ﷺ رفع يديه يوم بدر يدعو ربه سبحانه ويناشده حتى سقط رداؤه، أخرجه مسلم (١٧٦٣) وغيره من حديث ابن عباس عن عمر بن الخطاب.

(٢) ورد أن النبي ﷺ دعا يوم أحد والناس خلفه صفوفًا، وليس فيه رفع اليدين، أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٤) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٤٥) وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٠٩) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ٤٧ح ٤٥٤٩) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٨٦ح ١٨٦٨)، (٣/ ٢٦ح ٤٣٠٨) من طريق عبدالواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة الزرقي عن أبيه، ورواه عن عبدالواحد مروان بن معاوية وخلاد بن يحيى، وخالفهما أبو نعيم الفضل بن دكين، فرواه عن عبدالواحد عن عبيد بن رفاعة مرسلًا، أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٤٦) وفي «عمل اليوم والليلة» (٦١٠).

(٣) صح أن النبي ﷺ دعا يوم الأحزاب فقال: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم». أخرجه البخاري (٤١١٥) ومسلم (١٧٤٢) وغيرهما من حديث عبدالله بن أبي أوفى، وليس فيه رفع اليدين.

(٤) صح أن النبي ﷺ دعا يوم حنين، أخرجه مسلم (١٧٧٦) وغيره من حديث البراء بن عازب، وليس فيه رفع اليدين، وأصل الحديث في الصحيحين وغيرهما من غير ذكر الدعاء.

(٥) صح أن النبي ﷺ رفع يديه ودعا لرفيق أبي موسى الأشعري، وهو عبيد بن سليم أبو عامر عم أبي موسى أو ابن عمه، أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨) وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٦) **حديث رفع البصر إلى السماء بعد الوضوء ضعيف**، أخرجه أبو داود (١٧٠) من طريق حيوة بن شريح عن أبي عقيل عن ابن عمه عن عقبة بن عامر، وإسناده ضعيف، أبو عقيل هو زهرة بن معبد وهو ثقة لكن ابن عمه مبهم لم يسم، وأصل الحديث أخرجه مسلم (٢٣٤) وغيره وليس فيه رفع البصر إلى السماء.

(٧) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٠٣ح ٨٦٧٦) من طريق مروان بن معاوية الفزاري عن عمرو بن عبدالله عن يزيد عن أبي هريرة مرفوعًا، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وليس كما قالا، فإن مروان يدلس أسماء الشيوخ والأسانيد، وقد عنعن هنا، وراويه عنه ليس بالمتين، ويظهر من هذا الإسناد أن شيخ مروان هو أبو إسحاق السبيعي، ويزيد هو ابن أبي مريم، لكن الحديث أخرجه=

أخرجه الحاكم وصححه . وأخرج البغوى عن ثابت البنانى قال: كان داود ﷺ يطيل الصلاة ثم يركع ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول : «**إليك رفعت رأسى يا عامر السماء نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء**»(١) قال الذهبي : إسناده صالح . وعن أبي هريرة ﷺ قال : «**يحشر الناس حفاة عراة مشاة قيامًا أربعمائة سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء . وقد ألجمهم العرق من شدة الكرب ، وينزل اللّه تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسى**»(٢) أخرجه أبو أحمد العسال في كتاب المعرفة .

وعن عبد اللّه بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : «**يجْمَعُ اللّهُ الأوَّلينَ والآخِرِينَ لميقَاتِ يوم مَعْلُوم أرْبعينَ سنةً شَاخِصَةً أبْصَارُهُم إلَى السَّمَاءِ ينْتَظِرُونَ فَصلَ القضَاءِ ، وينْزِلُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ مِنَ العَرْشِ إلى الكُرْسِي**»(٣) الحديث بطوله ، قال الذهبي

= أبو الشيخ في «العظمة» (٣٩١) عن أبي كريب عن مروان بن معاوية عن عبيدالله بن عبدالله عن يزيد عن أبي هريرة مرفوعًا ، وهذا إسناد ضعيف ، ومروان صرح بالتحديث فيه ، وشيخه هو عبيدالله بن عبدالله ابن الأصم وهو مجهول الحال ، وأما يزيد فهو ابن الأصم ، وهذا الإسناد أثبت من إسناد الحاكم ويعلو، وهو ضعيف كما أسلفت ، وفيه أيضًا خلاف على مروان ، فقد أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٩٢) عن ابن مصعب عن عبدالجبار عن مروان عن عبيدالله بن عبدالله عن يزيد عن ابن عباس موقوفًا ، ومروان صرح فيه بالتحديث أيضًا ، والإسناد ضعيف لجهالة حال عبيدالله بن عبدالله بن الأصم .

(١) **حسن إلى ثابت البناني** : أخرجه عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٤٥٥ بتحقيقي) وابن الجعد في «مسنده» (١٣٨٨) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٦٩) جميعًا عن علي بن مسلم الطوسي عن سيار عن جعفر عن ثابت به ، والأثر مع ذلك من الإسرائيليات التي لا تقوم بها حجة في الأحكام والعقائد والأخبار .

(٢) لم أقف على إسناده إلى أبي هريرة .

(٣) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٢٩٤ بتحقيقي) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٥٧ح ٩٧٦٣) عن ابن أبي كريمة عن محمد بن سلمة الحراني عن خالد بن أبي يزيد عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبدالله عن مسروق عن ابن مسعود مرفوعًا ، قلت : وإسناده ضعيف ، وابن أبي كريمة هو إسماعيل بن عبيد وثقه الدارقطني ، وقال أبو بكر الجعابي : يحدث عن محمد بن سلمة بعجائب . وترجمته «بالتهذيب» ، والمنهال متكلم فيه ، وأخرجه أيضًا الطبراني (٩/ ٣٥٧) والحاكم (٤/ ٥٨٩) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨) من طريق عبدالسلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن المنهال بن عمرو به ، وصححه الحاكم واستنكره الذهبي .

قلت : وإسناده ضعيف ، أبو خالد الدالاني متكلم فيه والمترجح ضعفه ، وعبدالسلام له مناكير ، ومما يضعف الحديث أيضًا ، أن المروزي أخرجه في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٩) من طريق الأعمش عن المنهال ، فأسقط منه مسروق ولم يرفعه ، ثم أخرجه (٢٨٠) من طريق يزيد بن سنان الرهاوي عن زيد بن =

إسناده حسن. وفي أحاديث غير ما ذكرنا.

ومن ذلك: إشارة النبي ﷺ إلى العلو في خطبته في حجة الوداع بأصبعه وبرأسه، كما في حديث جابر الطويل عند مسلم وفيه «وقَدْ تَرَكْتُ فِيكُم مَا لَنْ تَضِلُّوا إن اعْتَصَمْتُم بِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وأنتم تُسَأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنتُم قَائِلُونَ؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللَّهُمَّ اشْهَد. اللَّهُمَّ اشْهَد**» ثلاث مرات. وذكر الحديث[1].

وللبخاري من حديث ابن عباس في خطبته ﷺ يوم النحر - وفيه - ثم رفع رأسه فقال: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**» الحديث[2].

من ذلك النصوص الواردة في ذكر العرش وصفته وإضافته غالبًا إلى خالقه تبارك وتعالى وأنه تعالى فوقه، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ [النمل: الآية ٢٦]، وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: الآية ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ إلى غير ذلك.

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ يقول عند الكرب: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَلِيمُ الحَلِيمُ. لا إلهَ إلا اللَّهُ ربُّ العَرْشِ العَظِيم. لا إلهَ إلا اللَّهُ ربُّ السَّمَواتِ وربُّ الأرضِ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيم**»[3]. وفيه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ في الجنةِ مِائةَ درجةٍ أعَدَّها اللَّهُ للمُجَاهِدِينَ في سَبِيلِهِ كلُّ دَرَجَتينِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّماءِ والأرْض فَإِذَا سَألتُم اللَّهَ فَسَلُوه الفِردوسَ فإنَّه أوسَط الجنة وأعْلَى الجنةِ وفَوقَهُ عَرشُ الرحمَنِ ومِنهُ تَفَجَّرُ أنهَارُ الجنةِ**»[4]. وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال

= أبي أنيسة به، لكن وقفه على ابن مسعود ولم يرفعه، وأيضًا فأصل الحديث في «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وليس فيه هذا اللفظ.

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٢١٨) وأبو داود (١٩٠٥) وابن ماجة (٣٠٧٤) وابن حبان (٣٩٤٤) وغيرهم من حديث جابر مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٧٣٩) وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٣٠) وغيرهما من حديث ابن عباس.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٩٠) وغيره من حديث أبي هريرة.

النبي ﷺ : «فإنَّ الناسَ يصْعَقُونَ يومَ القِيامَةِ فَأَكُونُ أوَّلُ مَن يفِيقُ، فإذَا أنَا بمُوسَى آخِذٌ بِقَائمَةٍ مِن قَوَائِمِ العَرْشِ» الحديث[1]. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يدُ اللَّهِ مَلأى لا يغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ الليلَ والنَّهَارِ»، وقال: «أرأيتُم مَا أنفَقَ مُنذُ خَلَقَ السمواتِ والأرضَ فإنَّه لَم يغِضْ مَا فِي يمِينِهِ، وَعَرْشُهُ علَى الماءِ، وَبِيدِهِ الأخْرَى الفَيضُ أو القَبضُ، يرْفَعُ وَيخْفِضُ» وفي رواية: «وَبِيدِهِ الأخْرَى المِيزَانُ يخْفِضُ ويرْفَعُ»[2].

وفيه عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعةٌ يظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه»[3] قال الذهبي: إسناده صالح.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أُذِنَ لي أنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِن ملائكةِ اللَّهِ تَعَالَى مِن حَمَلَةِ العَرْشِ أنَّ مَا بَينَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةِ سَبْعُمِائةِ عَام»[4] رواه أبو داود وابن أبي حاتم ولفظه: «أُذِنَ لِي أنْ أُحَدِّثَكُم عَن مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ العَرْشِ بُعد ما بَينَ شَحْمَةِ أذُنِهِ وَعُنُقِهِ مِخْفَقُ الطيرِ سَبْعِمِائةِ عَامٍ» وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات، وفيه جملة أحاديث غير ما ذكرنا وقد تقدم منها جملة وافية.

ومن ذلك: ما قصه اللَّه تعالى عن فرعون لعنه اللَّه في تكذيبه موسى عليه السلام في أن إلهه اللَّه عز وجل العلى الأعلى خالق كل شيء وإلهه. قال اللَّه تعالى في سورة القصص: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: الآية ٣٨]، وقال تعالى في سورة المؤمن: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤١٢) ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا به.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٤) صحيح الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٣٥٦ح ٤٤٢١) وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٧٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٩٤) وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤١٥) لابن أبي حاتم، جميعًا من طريق أحمد بن حفص بن عبدالله النيسابوري عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا به، وقال ابن كثير: وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٠) وعزاه للطبراني في «الأوسط» وقال: ورجاله رجال الصحيح.

قلت: رجاله كلهم ثقات، واختلفت الروايات في لفظ: سبعمائة عام. ففي بعضها: خمسمائة، أو خمسين، أو سبعين.

إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ ففرعون لعنه الله تعالى كذب موسى في أن رب السموات والأرض ورب المشرق والمغرب وما بينهما هو الله الذي في السماء فوق جميع خلقه مباين لهم لا تخفى عليه منهم خافية، فكل جهمي ناف لعلو الله ﷻ فهو فرعوني وعن فرعون أخذ دينه، وكل سني يصف الله تعالى بما وصف به نفسه أنه استوى على عرشه بائن من خلقه فهو موسوي محمدي متبع لرسل الله وكتبه.

ومن ذلك: ما قصه الله تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلى للجبل فاندك الجبل قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾[الأعراف: الآية ١٤٣] الآية.

قال الترمذي في جامعه في تفسير سورة الأعراف: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[الأعراف: الآية ١٤٣] قال حماد: هكذا- وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى- قال: فساخ الجبل وخر موسى صعقا[1].

---

(١) **صحيح الإسناد**: أخرجه الترمذي في «السنن» (٣٠٨٥، ٣٠٨٦) وأحمد في «المسند» (٣/ ١٢٥)، (٣/ ٢٠٩) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٤٢ بتحقيقي) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥١ح ٣٢٤٩)، (٢/ ٦٣٠ح ٤١٠٤) والضياء في «المختارة» (١٦٧٤) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٤٨) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣٧٣ بتحقيقي) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١١٣- ١١٤) من طرق عن حماد بن سلمة به، وله طرق أخرى أورد بعضها ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٤٩- ٢٥٠) وصححه الحاكم على شرط مسلم، وقال الترمذي في الموضع الأول: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة.

وقال في الموضع الثاني: هذا حديث حسن.

قلت: والمستنكر في هذا الخبر هو تمثيل التجلي بطرف الخنصر، ولذا قال الذهبي في «تلخيص الموضوعات» (ص٢٣ح ١٨): سنده قوي مع نكارته. وأورده السيوطي في «اللآلئ» (١/ ٢٥) طرقًا، وقال: هذا الحديث صحيح، رواه خلق عن حماد، وأخرجه الأئمة من طرق عنه وصححوه.

وانظر أيضًا «تلخيص الأباطيل والمناكير» للذهبي (ص٥٧ح ١٤) و «تنزيه الشريعة» لابن عراق (١/ ١٤٤- ١٤٥ح ٣٠) و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص٤٦٤ح ١٠) و«ذيل القول المسدد» للمدراسي الهندي (ص٤٨ح ١) وقد فصلت الكلام على طرقه في كتابي «التعقيبات على تعقبات السيوطي على موضوعات ابن الجوزي».

هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة. ورواه أيضًا من طريق معاذ بن معاذ العنبرى عن حماد نحوه.

ومن طريق معاذ أيضًا رواه أحمد حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾[الأعراف: الآية ١٤٣] قال هكذا- يعنى أنه أخرج طرف الخنصر- قال أحمد: أرانا معاذ، فقال له حميد الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدره ضربة شديدة وقال: من أنت يا حميد؟ وما أنت يا حميد؟ يحدثنى به أنس بن مالك عن النبي ﷺ وتقول ما تريد إليه(١)؟

ورواه أبو جعفر بن جرير الطبرى في تفسير هذه الآية عن طريق هدبة بن خالد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس ﷺ قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[الأعراف: الآية ١٤٣] قال: «ووضع الإبهام قريبًا من طرف خنصره» قال: فساخ الجبل، قال حميد لثابت: يقول هكذا؟ فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله ﷺ ويقول أنس: وأنا أكتمه(٢).

ورواه الحاكم في مستدركه من طرق عن حماد بن سلمة وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ورواه الخلال من طريق هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة فذكره وقال هذا إسناد صحيح لا علة فيه.

ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا حماد بن سلمة ومن طريق عفان بن مسلم قال حدثنا حماد بن سلمة، ومن طريق الهيثم بن جميل قال حدثنا حماد بن سلمة، ومن طريق مسلم بن إبراهيم قال حدثنا حماد، ومن طريق حجاج يعنى ابن منهال عن حماد بن سلمة، ومن طريق سليمان بن حرب عن حماد بن سلمة.

قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله تعالى على هذه الآية قبل سياق الحديث بهذه الطرق: أفليس العلم محيطًا يا ذوى الألباب أن الله ﷻ لو كان في كل موضع ومع كل بشر وخلق كما زعمت المعطلة لكان متجليا لكل شيء، وكذلك جميع ما في الأرض لو كان الله تعالى

---

(١) **صحيح الإسناد:** أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٢٥) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٤٢، ٥٤٣ بتحقيقي) وابن خزيمة (١٦٢) وأبو محمد المذكور هو ثابت بن أسلم البناني.

(٢) **صحيح الإسناد:** أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٥٣) وانظر ما سبق.

متجليًا لجميع أرضه سهلها ووعرها وجبالها وبراريها ومفاوزها ومدنها وقراها وعمارتها وخرابها وجميع ما فيها من نبات وبناء لجعلها دكًّا كما جعل اللَّه الجبل الذي تجلى له دكا قال اللَّه تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] انتهى[(١)].

وبالجملة فجميع رسل اللَّه عليهم الصلاة والسلام وجميع كتبه المنزلة وجميع أهل السموات ومؤمنى أهل الأرض من الجن والإنس أتباع رسل اللَّه وجميع الفطر السليمة والقلوب المستقيمة التي لم تجتلها الشياطين عن دينها جميعها شاهدة حالًا ومقالًا أن خالقها وفاطرها ومعبودها الذي تأله وتفزع إليه وتدعوه رغبًا ورهبًا هو فوق كل شيء عال على جميع خلقه استوى على عرشه بائنًا من مخلوقاته وهو يعلم أعمالهم ويسمع أقوالهم ويرى حركاتهم وسكناتهم وجميع تقلباتهم وأحوالهم لا يخفى عليهم منهم خافية، ولهذا ترى جميع المؤمنين عالمهم وعاميهم وحرهم ومملوكهم وذكرهم وأنثاهم وصغيرهم وكبيرهم كل منهم إذا دعا اللَّه تبارك وتعالى في جلب خير أو كشف مكروه إنما يرفع يديه ويشخص ببصره إلى السماء إلى جهة العلو إلى من يعلم سره ونجواه متوجهًا إليه بقلبه وقالبه يعلم أن معبوده فوقه وأنه إنما يدعى من أعلى، لا من أسفل كما يقوله الجهمية قبحهم اللَّه تعالى وتنزه عما يقولون علوًّا كبيرًا.

ذكر أقوال أصحاب رسول اللَّه ﷺ ورضى عنهم

روى ابن أبي شيبة عن ابن عمر ﵄ قال: لما قبض رسول اللَّه ﷺ قال أبو بكر ﵁: **«أيها الناس، إن كان محمد إلهكم الذي تعبدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهكم اللَّه الذي في السماء فإن إلهكم لم يمت»** ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] حتى ختم الآية[(٢)].

وللبخارى في تاريخه ﵁ قال: لما قبض رسول اللَّه ﷺ دخل أبو بكر ﵁ عليه فأكب عليه وقبل جبهته وقال: **«بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتًا»**. وقال: **«من كان يعبد**

---

(١) انظر «التوحيد» لابن خزيمة (ص٩٦- ٩٨ طبعة دار الحديث).

(٢) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٤٢٧ح ٣٧٠٢١) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٠١) والبزار في «مسنده» (١٠٣) من طريق محمد بن فضيل بن غزوان عن أبيه عن نافع عن ابن عمر به، وإسناده حسن. والخبر أخرجه بنحوه البخاري في «صحيحه» (١٢٤١، ١٢٤٢، ٣٦٦٨) من حديث عائشة ومن حديث ابن عباس.

محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت»[١]. ولابن أبي شيبة عن قيس بن أبي حازم قال: لما قدم عمر رضي الله عنه الشام استقبله الناس وهو على بعيره، فقالوا لو ركبت برذونا يلقاك عظماء الناس ووجوههم. فقال عمر رضي الله عنه: «ألا أراكم ههنا، إنما الأمر من ههنا» فأشار بيده إلى السماء[٢]. قال الذهبي إسناده كالشمس.

وروى الزهرى عن سالم أن كعبًا قال لعمر: «ويل لسلطان الأرض من سلطان السماء»، فقال عمر: «إلا من حاسب نفسه». فقال كعب: «إلا من حاسب نفسه». فكبر عمر ثم خر ساجدًا[٣].

وعن عبد الرحمن بن غنم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه، إلا من أمر بالعدل فقضى بالحق ولم يقض على هوى ولا على قرابة ولا على رغبة ولا رهب، وجعل كتاب الله مرآة بين عينيه»، قال ابن غنم: فحدثت بهذا عثمان ومعاوية ويزيد وعبد الملك[٤]. رواه أبو نعيم.

وعن أبي يزيد المدنى قال: «لقيت عمر امرأة يقال لها خولة بنت ثعلبة، فقال عمر: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات»[٥]. قال الذهبي هذا إسناد صالح فيه انقطاع، أبو يزيد لم يلحق عمر رضي الله عنه، وفي لفظ عن عمر رضي الله عنه أنه مر بعجوز فاستوقفته فوقف

---

(١) «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٢٠١) ترجمة محمد بن عمران بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى.

(٢) صحيح إلى عمر: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٩، ٩٣ح ٣٣٨٤٤، ٣٤٤٤٣) والخلال في «السنة» (٣٩٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٤٧) عن وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم به، وهذا إسناد صحيح.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٧) من طريق الزهري عن سالم أن كعبًا قال لعمر، وإسناده ضعيف للانقطاع، سالم لم يدرك عمر، وأخرجه بنحوه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٩٣) عن مالك أن كعبًا قال لعمر وإسناده ضعيف للانقطاع أيضًا، وأخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٨٩) من طريق سعيد بن أبي هلال أن كعبًا مر بعمر، وإسناده ضعيف للانقطاع؛ سعيد لم يدرك عمر أيضًا.

(٤) صحيح إلى عمر بن الخطاب: أخرجه أحمد في «الزهد» (٦٦٣ بتحقيقي) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ٥٤٠ح ٢٢٩٦٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٧) من طريق سعيد ابن عبدالعزيز التنوخي عن إسماعيل بن عبيدالله عن عبدالرحمن بن غنم عن عمر، وليس عندهم قول ابن غنم: فحدثت به عثمان... إلخ.

(٥) ضعيف الإسناد: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١٩) وعزاه لابن أبي حاتم من طريق جرير ابن حازم عن أبي يزيد عن عمر، وقال ابن كثير: هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب.

يحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبست الناس على هذه العجوز، فقال: ويلك أتدرى من هي، هذه امرأة سمع اللَّه شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة التي أنزل اللَّه فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾[المجادلة: الآية ١][١] وهذا الحديث رواه عثمان ابن سعيد الدارمي، قال ابن عبد البر: حدثنا من وجوه عن عمر ﷺ، فذكره.

ومن شعر عبد اللَّه بن رواحة ﷺ:

شهدت بأن وعد اللَّه حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة كرام ... ملائكة الإله مسومينا

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: رويناه من وجوه صحاح[٢].

وروى الدارمي عن ابن مسعود ﷺ قال: «**ما بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء، واللَّه تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه**»[٣].

وروى الأعمش عن خيثمة عنه: «**إن العبد ليهم بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى إذا تيسر له نظر اللَّه إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة اصرفوه عنه، فإنه إن يسرته له أدخلته النار**»[٤] أخرجه اللالكائي بإسناد قوي.

---

(١) **ضعيف الإسناد**: وانظر ما سبق، وبهذا اللفظ أوردها ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٤/ ١٨٣٠) ترجمة خولة بنت ثعلبة وقال: وروينا من وجوه عن عمر بن الخطاب... وذكره وانظر أيضًا «الإصابة» (٧/ ٦٢٠).

(٢) القصة أوردها ابن عبدالبر في «الاستيعاب» (٣/ ٩٠٠) وقال: رويناها من وجوه صحاح. اهـ.
قلت: وقد رويت هذه القصة بأسانيد ضعيفة، أخرجها الدارقطني في «سننه» (١/ ١٢٠، ١٢١) وانظر أيضًا «أعلام الموقعين» (٣/ ١٥٥، ١٩٠) وحاشية ابن القيم (١٣/ ٣٠) و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٣٨) و«المغني» لابن قدامة (٩/ ٣١٤) و(١٠/ ٤١١).

(٣) **حسن إلى ابن مسعود موقوفًا**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٩، ١٥٠) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٥٩) وأبو الشيخ في «العظمة» (١٤، ١٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥١) من طرق عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن ابن مسعود موقوفًا.

(٤) **صحيح إلى ابن مسعود**: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٩) وهناد في «الزهد» (٤٠٤) واللالكائي في «اعتقاد أهل اسنة» (١٢١٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٥٥) من طرق عن الأعمش وأبي معاوية عن خيثمة عن ابن مسعود به.

وعنه ﷺ قال: «**إن اللَّه تعالى يبرز لأهل جنته في كل جمعة وكثب من كافور أبيض فيحدث لهم من الكرامة ما لم يروا مثله ويكونون في الدنو منه كمسارعتهم إلى الجمع**»[١] أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى بإسناد جيد.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: البحر المسجور يجرى تحت العرش[٢].

وتقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «**وينزل اللَّه تعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي**»[٣].

وعن أم سلمة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] قالت: الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول والإقرار به إيمان والجحود به كفر[٤].

قال الذهبي: هذا القول محفوظ عن جماعة كربيعة الرأى، ومالك الإمام، وأبي جعفر الترمذي، فأما عن أم سلمة فلا يصح لأن أبا كنانة ليس بثقة وأبو عمير لا أعرفه. وعن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال: «**قالت الملائكة يا ربنا منا الملائكة المقربون ومنا حملة العرش ومنا الكرام الكاتبون**» وذكر الحديث[٥]، قال الذهبي إسناده صالح.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «وايم اللَّه إنى لأخشى لو كنت أحب قتله لقتلته - يعنى عثمان رضي الله عنه - ولكن علم اللَّه من فوق عرشه أنى لم أحب قتله»[٦] رواه الدارمي.

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه بنحوه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٥١٧ بتحقيقي) وابن المبارك في «الزهد» (٤٣٦ زيادات نعيم بن حماد) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٣٨ح ٩١٦٩) من طريق المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة عن ابن مسعود، وإسناده ضعيف للانقطاع.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٧/ ٢٠) عن علي، وفي إسناده محمد بن حميد ضعيف، ومهران العطار سيئ الحفظ، وأخرجه ابن جرير أيضًا من كلام عبدالله بن عمرو ابن العاص، وفي إسناده من الضعف ما سبق، وأيضًا فيه ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(٣) سبق حديث أبي هريرة موقوفًا، وعزاه المصنف لأبي أحمد العسال في كتاب «المعرفة».
قلت: ولم أقف على إسناده، وسبق أيضًا من حديث ابن مسعود مرفوعًا وإسناده ضعيف.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٦٣) و«القزويني في التدوين في أخبار قزوين» (٣/ ٢٤٥) وفي إسنادهما إلى أم سلمة محمد بن أشرس أبو كنانة وهو متهم.

(٥) في إسناده ضعف: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على المريسي (١/ ٢٥٦- ٢٥٧) عن عبدالله ابن عمرو بن العاص موقوفًا وفي إسناده عبدالله بن صالح كاتب الليث فيه كلام، والأثر أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٤) من غير موضع الشاهد هنا، وعزاه لابن أبي حاتم وفي إسناده خارجة بن مصعب وهو متروك.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (ص٥٧ ح٨٣) من طريق نافع=

وعن أسماء بنت عميس أن جعفر رضي الله عنه جاءها إذ هم بالحبشة يبكي فقالت ما شأنك قال: «رأيت فتى مترفًا من الحبشة شابًّا جسيمًا مر على امرأة فطرح دقيقًا كان معها فنسفته الريح فقالت أكلك إلى يوم يجلس الملك على الكرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم»[1] رواه

= عن عائشة وإسناده ضعيف للانقطاع، قال ابن أبي حاتم، رواية نافع عن عائشة وحفصة مرسلة، وانظر «التهذيب» (١٠/ ٤١٤) والأثر أخرجه بنحوه نعيم بن حماد في «الفتن» (٢٠٢) وفي إسناده خصيف وهو ضعيف، وليس فيه موضع الشاهد: «من فوق عرشه».

(١) حسن بمجموع طرقه: ولم يخرجه ابن ماجة من حديث أسماء بنت عميس، وإنما أخرجه من حديثها ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ٢٣٩ح ٣٥٦٦٦) عن أبي أسامة عن زكريا عن أبي إسحاق عن سعد بن معبد عن أسماء بنت عميس، وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد فإن سعد ابن معبد مجهول الحال، ترجم له ابن حجر في «التهذيب» (٣/ ٤٨٢) فقال: روى عن علي وعنه ابنه الحسن، ذكره ابن حبان في «الثقات».

وقال في «التقريب»: مقبول.

قلت: روى عنه أيضًا أبو إسحاق كما في رواية ابن أبي شيبة. والحديث أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٢٨ح ٢١٧١) وصوب أن اسمه سعيد بن معبد، ونقل عن أبي زرعة أن سعيد أصح، فهل الراوي عن أسماء بنت عميس هو الراوي عن علي أو غيره؟ فليحرر بمزيد بحث.

وأما ابن ماجة فأخرج هذا الحديث (٤٠١٠) من طريق سعيد بن سويد ثنا يحيى بن سليم عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر، وقال في «الزوائد»: إسناده حسن، وسعيد بن سويد مختلف فيه. اهـ.

قلت (يحيى): كذا وقع في سنن ابن ماجة: «سعيد بن سويد»، وهو خطأ، وأظن الخطأ من الناسخ أو الطابع، فإني لم أجد في «التهذيب» وأصله ومختصره من اسمه سعيد بن سويد، وهو من شرط هذه الكتب، وإنما المذكور في شيوخ ابن ماجة هو سويد بن سعيد، وهو مختلف فيه كما قال البوصيري، والمترجح ضعفه، وأما شيخه يحيى بن سليم فهو الطائفي وهو سيئ الحفظ، وأيضًا فأبو الزبير مدلس وقد عنعن.

فهذه ثلاث علل في إسناد ابن ماجة وهو من حديث جابر لا من حديث أسماء بنت عميس.

وأخرجه أيضًا أبو الحسين الصيداوي في «معجم الشيوخ» (ص١٧١) والطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٣٥ح ٦٥٥٩) من طريق مكي بن عبدالله الرعيني عن سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر، وقال الطبراني، لم يرو هذا الحديث عن سفيان بن عيينة إلا مكي بن عبدالله الرعيني. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٨) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه مكي ابن عبدالله الرعيني وهو ضعيف.

قلت: ومكي قال عنه العقيلي: حديثه غير محفوظ، وأخرج الحديث من طريقه (٤/ ٢٥٧)، وقال الذهبي عن مكي: له مناكير، وترجمته في «لسان الميزان» (٦/ ١١٨).

وفي الحديث علة أخرى هي تدليس أبي الزبير، وطريق مكي لا تصلح لتقوية طريق ابن ماجة لانفراد=

ابن ماجه وغيره.

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «لما لعن الله إبليس وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: رب أخزيتني ولعنتني وطردتني عن سمواتك وجوارك، فوعزتك لأغوين خلقك ما دامت الأرواح في أجسادهم، فأجابه الرب تبارك وتعالى فقال: وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السموات والأرض خطايا ثم لم يبق من عمره إلا نفس واحد فندم على ذنوبه لغفرتها وبدلت سيئاته كلها حسنات»(١)، وقد روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الشيطانَ قَالَ: وعِزَّتِكَ لا أبرحُ أُغوِي عِبَادَكَ ما دامتْ أرْواحُهُم في أجسَادِهِم فَقَالَ الربُّ: وعِزَّتِي وَجَلالِي وارْتِفَاعِ مَكَانِي، لا أزَالُ أغْفِرُ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»(٢).

= مكي بهذا الإسناد مع روايته للمناكير، وللحديث رواية ثالثة من حديث بريدة أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٨٢) والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٢٥٢ح ٥٢٣٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٩٥)، (١٠/ ٩٤) وفي «شعب الإيمان» (٦/ ٨١ح ٧٥٤٨) وفي «الأسماء والصفات» (ح ٨٦٠) من طرق عن منصور بن أبي الأسود وعن عمرو بن أبي قيس عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه، وعطاء صدوق اختلط، ولم يذكر العلماء منصورًا أو قيسًا فيمن سمع منه قبل الاختلاط، والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٨) وقال: رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه عطاء بن السائب وهو ثقة لكنه اختلط وبقية رجاله ثقات.

قلت (يحيى): وهل يصحح الحديث أو يحسن بمجموع طرقه، الأظهر ذلك والله أعلم، وإن كنت في تردد من الجزم بذلك خشية أن تعود الطرق بعضها لبعض بسبب سوء حفظ يحيى بن سليم، أو اختلاط عطاء بن السائب، والحديث قال عنه الألباني رحمه الله في تعليقه على السنة لابن أبي عاصم (ح ٥٨٢): حديث صحيح ورجاله ثقات على اختلاط عطاء بن السائب وضعف يسير في عمرو بن أبي قيس... وقد تابعه منصور بن أبي الأسود عند البيهقي. اهـ.

(١) لم أقف له على إسناد، وقد أورده ابن القيم في كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٦) من غير سند أو عزو، وقد سبق نحوه من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا بإسناد ضعيف. وعلى كل فأثر أبي أمامة موقوف.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٣/ ٢٩) وأبو يعلى (١٣٩٩) والحاكم (٤/ ٢٩٠ح ٧٦٧٢) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، وهذا إسناد ضعيف ودراج ضعيف خاصة في روايته عن أبي الهيثم وهذا منه، وأخرجه أحمد (٣/ ٢٩، ٤١) وأبو يعلى (١٢٧٣) والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٣٣ح ٨٧٨٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٣٢) من طريق يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمرو عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا به، وهذا ضعيف للانقطاع بين أبي سعيد وعمرو، وهل يشهد لهذا ما قبله؟ الأظهر أنه لا يشهد. لأن الضعف في طبقة مقاربة، والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد»=

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**إن الكرسى الذي وسع السموات والأرض لموضع قدميه، وما يقدر قدر العرش إلا الذي خلقه، وإن السموات في خلق الرحمن عز وجل مثل قبة في صحراء**»[1] رواه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة. وللدارمى عنه رضي الله عنه أنه استأذن على عائشة رضي الله عنها وهى تموت فقال: «كنتِ أحب نساء النبي ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ يحب إلا طيبًا، وأنزل الله تعالى براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يذكر فيها إلا وهو يتلى فيها آناء الليل وآناء النهار»[2].

وذكر الطبراني في شرح السنة عن مجاهد قال: قيل لابن عباس إن ناسًا يكذبون بالقدر، قال: «**يكذبون بالكتاب، لئن أخذت شعر أحدهم لا ينبتونه، إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلق شيئًا فخلق الخلق فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإنما يجرى الناس على أمر قد فرغ منه**»[3]. ولإسحاق بن راهويه عن عكرمة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾[الأعراف: الآية ١٧] قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**لم يستطع أن يقول من فوقهم، علم أن الله تعالى من فوقهم**»[4]. وليحيى بن سعيد الأموى عن عدى بن عميرة رضي الله عنه قال: خرجت مهاجرًا إلى النبي ﷺ، فذكر قصة طويلة وقال فيها: فإذا

= (١٠/ ٢٠٧) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه... والطبراني في «الأوسط»، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح وكذلك أحد إسنادي أبي يعلى.

قلت (يحيى): قد بينت ما في الطريقين.

(١) **حسن إلى ابن عباس**: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٣٨ بتحقيقي) وأبو الشيخ في «العظمة» (٧) من طريق عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا.

(٢) **حسن إلى ابن عباس**: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٤) وفي «الرد على المريسي» (١/ ٥٢١) وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٦٣٩) وأبو يعلى في «المسند» (٢٦٤٨) وابن سعد في «الطبقات» (٨/ ٧٥) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٣٢١ح ١٠٧٨٣) من طرق عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن عبدالله بن أبي مليكة عن ذكوان مولى عائشة عن ابن عباس به، وأخرجه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٩ح ٦٧٢٦) وصححه.

(٣) **صحيح إلى ابن عباس**: أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٢٩/ ١٧) وفي «التاريخ» (١/ ٢٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٦ح ٦٦٠) من طريق سفيان عن أبي هاشم وهو الرماني عن مجاهد عن ابن عباس موقوفًا.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٧ح ٦٦١) من طريق إسحاق بن راهويه عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس، وإبراهيم بن الحكم ضعيف.

هو ومن معه يسجدون على وجوههم ويزعمون أن إلههم في السماء، فأسلمت وتبعته [١].

وأقوال الصحابة في هذا الباب وتفاسيرهم أكثر من أن تحصر، وفيما ذكرنا كفاية.

ذكر أقوال التابعين رحمهم اللّه تعالى ومن بعدهم من أهل السنة والجماعة

عن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: قال اللّه عز وجل في التوراة: «**أنا اللّه فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي. ولا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض**»[٢] قال الذهبي: رواته ثقات.

وعنه رحمه الله قال: «**إن اللّه تعالى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ثم جعل بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وجعل كثفها مثل ذلك، ثم رفع العرش فاستوى عليه**»[٣]. وذكر الأثر.

رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة، قال الذهبي: إسناده نظيف، وأبو صالح لينوه وما هو بمتهم بل سيئ الإتقان.

وعن مسروق رحمه اللّه تعالى أنه كان إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: «**حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة اللّه المبرأة من فوق سبع سموات**»[٤]، قال الذهبي إسناده

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه على ما ذكر ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٦) من طريق ابن إسحاق عن يزيد بن سنان بإسناده عن عدي بن عميرة به، ومن طريق الأموي أخرجه ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص٥٢) وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن سنان.

(٢) حسن إلى كعب الأحبار: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧) من طريق نعيم بن حماد عن أبي صفوان الأموي عن يونس بن يزيد عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن كعب الأحبار، وهذا إسناد حسن على كلام في نعيم بن حماد والمترجح فيه عندي الصدق ما لم يخالف أو ينفرد بغريب.

(٣) في إسناده ضعف: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٨) وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٥) من طريق عبدالله بن صالح كاتب الليث عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد ابن أبي هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن كعب، وليس لهذا الإسناد علة إلا الكلام في عبدالله بن صالح.

(٤) صحيح إلى مسروق: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٤١) وابن المبارك في «الزهد» (١٠٧٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٣٥٤) والطبراني في «الكبير» (٢٣/ ١٨١ح ٢٨٩، ٢٩٠) وفي «الأوسط»=

صحيح. ويروى عن عطاء بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ أن موسى ﷺ قال: **«يا رب من أهلك الذين هم أهلك الذين تظلّهم في ظل عرشك؟ قال: هم الذين يأوون إلى مساجدى كما تأوى النسور إلى أوكارها»**[1].

وعن عبيد بن عمير قال: **«ينزل الرب ﷻ شطر الليل إلى سماء الدنيا فيقول: من يسألنى فأعطيه من يستغفرنى فأغفر له، حتى إذا كان الفجر صعد الرب ﷻ»**[2]. أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في رده على الجهمية.

وعن شريح ابن عبيد الله أنه كان يقول: **«ارتفع إليك ثغاء التسبيح، وصعد إليك وقار التقديس، سبحانك ذا الجبروت، بيدك الملك والملكوت والمفاتيح والمقادير»**[3]. إسناده صحيح.

وعن أبي قلابة رحمه الله تعالى قال: **«أهبط الله تعالى آدم. قال: يا آدم إنى مهبط معك بيتًا يطاف حوله كما يطاف حول عرشي ويصلى عنده كما يصلى عند عرشى»**[4] وذكر

= (٥/ ٣١٤ح ٥٤١١) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٥٨) واللفظ للطبراني في «الأوسط».

(١) صحيح إلى عطاء بن يسار: أخرجه ابن أبي الدنيا في كتابه «الأولياء» (٣٧) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار به، والأثر أخرجه أيضًا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٢٧٥) عن أبي خالد الأحمر عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم أن نبيا من أنبياء الله قال... وذكره وإسناده حسن إلى زيد بن أسلم، وأخرجه بنحوه عبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٠٢ جامع معمر) عن معمر عن رجل من قريش، ومن طريق عبدالرزاق أخرجه البيهقي في «الشعب» (٩٠٥٣) وليس فيه قوله: «تظلهم في ظل عرشك».

(٢) ضعيف الإسناد: أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٦٣، ١٧٠) فقال: ذكر عبدالله بن أحمد في كتاب «السنة» من رواية حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير... وذكره.
قلت: هو في كتاب «السنة» (ح٥٥١ بتحقيقي) وليس في لفظه: «حتى إذا كان الفجر صعد»، ثم عبدالله لم يذكر من أخبره عن حجاج، بل قال: أخبرت عن حجاج، لكن أخرجه بهذا اللفظ عبدالرزاق في «المصنف» (٢/ ١٦٢ح ٢٨٩٨) عن ابن جريج عن عطاء أنه بلغه عن عبيد بن عمير، وهذا ضعيف للانقطاع بين عطاء وعبيد.

(٣) حسن إلى شريح بن عبيد: والأثر أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١٠٧) من طريق أبي المغيرة عبدالقدوس بن الحجاج عن صفوان بن عمرو عن شريح به.

(٤) صححه المنذري والهيثمي موقوفًا على عبدالله بن عمرو: فأورده المنذري في «الترغيب والترهيب»=

الأثر، قال الذهبي: هو ثابت عن أبي قلابة.

وعن عمرو بن ميمون قال: «لما تعجل موسى إلى ربه رأى في ظل العرش رجلًا يغبطه، فسأل اللَّه تعالى أن يخبره باسمه فقال: لا ولكنى أحدثك بشيء من فعله، كان لا يحسد الناس على ما آتاهم اللَّه من فضله، ولا يعق والديه، ولا يمشي بالنميمة»[1] قال الذهبي: إسناده قوي.

وعن مجاهد رحمه اللَّه تعالى قال: ما أخذت السموات والأرض من العرش إلا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة[2]. وعنه رحمه اللَّه تعالى في قول اللَّه ﷻ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩] قال: «يجلسه أو يقعده على العرش»[3]. قال الذهبي: لهذا القول طرق خمسة. وأخرجه ابن جرير في تفسيره، وعمل فيه المروزي مصنفًا.

وعن نوف البكالي: «أن موسى ﷺ لما سمع الكلام قال: من أنت الذي يكلمني قال: أنا ربك الأعلى»[4] قال الذهبي: إسناده صحيح.

= (٢/ ١٠٨) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٨٨) موقوفًا على عبدالله بن عمرو، وعزوه للطبراني في «الكبير»، وقالا: ورجال إسناده رجال الصحيح.

قلت: وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥/ ٩٣ ح ٩٠٩٦) وابن جرير في «تفسيره» (١/ ٥٤٧) و (١٧/ ١٤٢) عن معمر عن قتادة قوله، ورواته ثقات لكن في رواية معمر عن قتادة ضعف واضطراب.

(١) صحيح إلى عمرو بن ميمون: أخرجه علي بن الجعد في «مسنده» (٢٥٣٦) عن زهير عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون به، ومن طريق ابن الجعد أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٥٧) وهذا إسناد رجاله ثقات، وأبو إسحاق هو السبيعي، لكنه تغير بآخره، وزهير ابن معاوية سمع منه بآخره، وهذا مما يضعف الأثر، لكن أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٤٩٦) من طريق سعيد بن منصور عن ابن جريج عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وبه يتقوى طريق زهير، وإن كان فيه هنا زيادة رجل، لكن هذه الزيادة لا تعل رواية الوقف على عمرو بن ميمون، والله أعلم.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٤٩٥ بتحقيقي) وابن جرير في «تفسيره» (٢٨/ ١٥٣) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢٩، ٥٩، ٦٠) من طريق ليث عن مجاهد، وإسناده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم، وقد ورد هذا المعنى مرفوعًا من حديث أبي ذر ولا يصح.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٠٥ ح ٣١٦٥٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٩٥) والخلال في «السنة» (٢٤١- ٢٤٥) وابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ١٤٥) من طريق ليث عن مجاهد، وإسناده ضعيف لضعف ليث، وذكر ابن جرير أن الصواب تفسير الآية بالشفاعة.

(٤) حسن إلى نوف البكالي: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٠٧ بتحقيقي) عن علي بن مسلم عن أبي عبدالصمد عن أبي عمران عن نوف، وإسناده حسن، ومن طريق عبدالله أخرجه أبو بكر النجاد في كتابه «الرد على من يقول القرآن مخلوق» (٦٦) وهذا الأثر من الإسرائيليات.

وعنه قال: «إني أجد في التوراة لو أن السموات والأرض كن طبقًا من حديد فقال رجل لا إله إلا اللَّه لخرقتهن حتى تنتهي إلى اللَّه ﷻ»[١] رواه حماد بن سلمة. وعن أبي عيسى يحيى بن رافع رحمه اللَّه تعالى أن ملكًا لما استوى الرب على كرسيه سجد فلا يرفع رأسه حتى تقوم الساعة فيقول: لم أعبدك حق عبادتك[٢]. وعن قتادة رحمه اللَّه تعالى قال: «**قالت بنو إسرائيل: يا رب أنت في السماء ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت استعملت عليكم شراركم**»[٣] قال الذهبي: هذا ثابت عن قتادة.

وعن عكرمة رحمه اللَّه تعالى قال: بينما رجل في الجنة اشتهى الزرع، فيقول للملائكة ابذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول الرب ﷻ من فوق عرشه: «**كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع**»[٤] قال الذهبي: إسناده ليس بذاك.

وصح في السنة للالكائي عن ثابت البناني قال: كان داود ﷺ يطيل الصلاة، ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول إليك رفعت رأسي نظر العبيد إلى أربابها يا ساكن السماء[٥].

وفي الحلية بإسناد صحيح عن مالك بن دينار أنه كان يقول: خذوا، فيقرأ ثم يقول:

---

(١) **صحيح إلى نوف**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٨٦) عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي أيوب عن نوف به.

(٢) **صحيح إلى أبي عيسى**: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢٤) ومن طريقه أبو الشيخ في «العظمة» (٦٥) عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي عيسى قوله.

(٣) **في إسناده ضعف**: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٨٧) وفي «الرد على المريسي» (١/ ٥٢٣) عن موسى بن إسماعيل عن أبي هلال عن قتادة، وأبو هلال فيه لين، وهو ضعيف في قتادة، وأخرجه أيضًا عبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (١٥٩٩ بتحقيقي) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٩٠) من طريق سيار عن جعفر عن عنبسة الخواص عن قتادة. وعنبسة لم أعرفه، وفي طبقته غير واحد اسمه عنبسة، ولم يتبين لي تعيينه.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٤) وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١١٠) وأورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص١٢١) وفي «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٧) من طريق إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة، وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم.

(٥) **حسن إلى ثابت البناني**: أخرجه عبدالله بن أحمد في «الزهد» (٤٥٥ بتحقيقي) وابن الجعد في «مسنده» (١٣٨٨) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٠٠ح ٦٦٩) عن علي بن مسلم عن سيار عن جعفر عن ثابت به.

اسمعوا إلى قول الصادق من فوق عرشه[1] .

وعن مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾[مريم: الآية ٥٢] قال : بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب ، فما زال يقرب موسى حتى كان بينه وبينه حجاب ، فلما رأى مكانه وسمع صريف القلم قال : ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[الأعراف: الآية ١٤٣][2] هذا ثابت عن مجاهد إمام التفسير أخرجه البيهقي في كتاب الأسماء والصفات .

وعن سفيان قال : كنت عند ربيعة بن أبي عبد الرحمن فسأله رجل فقال : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾[طه: الآية ٥] كيف استوى؟ فقال : «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول . ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق»[3] . وعن حسان بن عطية قال : حملة العرش أقدامهم ثابتة في الأرض السابعة ورءوسهم قد جاوزت السماء السابعة وقرونهم مثل طولهم عليها العرش[4] . وذكر أيوب السختياني المعتزلة وقال : إنما مدار القوم على أن يقولوا ليس في السماء شيء[5] . قال الذهبي : هذا إسناد كالشمس وضوحًا وكالأسطوانة ثبوتًا عن سيد أهل البصرة وعالمهم رحمه الله تعالى .

---

(١) **حسن إلى مالك بن دينار :** أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٨) من طريق سيار عن جعفر عن مالك بن دينار به .

(٢) **في إسناده ضعف :** أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٩٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٩٠ ، ٧١٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٥) من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وفي سماع ابن أبي نجيح للتفسير من مجاهد كلام .

(٣) **صحيح إلى ربيعة بن أبي عبدالرحمن :** أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٨ح ٦٦٥) وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١١٤) وفي «ذم التأويل» (ص٢٥ح ٤٢) من طريق سفيان بن عيينة عن ربيعة به ، وأخرجه بنحوه اللالكائي (٣/ ٥٢٧ح ٩٢٨) من طريق أبي عبيد القاسم بن سلام عن ربيعة ، وأخرجه بنحوه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٨) من طريق عبدالله بن صالح عن ربيعة .

(٤) **صحيح إلى حسان بن عطية :** أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤٧٩) عن أبي بكر بن أبي داود عن محمود بن خالد عن عمر بن عبدالواحد عن الأوزاعي عن حسان بن عطية ، وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٥) من طريق يحيى عن الأوزاعي عن حسان بن عطية ، ويحيى هو البابلتي ضعيف .

(٥) الأثر أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٥٧) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٤٤ بتحقيقي) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٨) عن علي بن مسلم عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد أنه ذكر الجهمية فقال : إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء شيء ، وهذا صحيح إلى حماد بن زيد ، وورد هذا المعنى في الجهمية أيضًا من كلام عبدالرحمن بن مهدي ومن كلام عباد بن العوام .

وقرأ ابن محيصن رفيق ابن كثير بمكة: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢﴾ [الذاريات: الآية ٢٢] (١)

وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٧] قال: هو على عرشه وعلمه معهم أينما كانوا (٢)، وفي لفظ: هو فوق العرش وعلمه معهم أين ما كانوا أخرجه العسال وابن بطة وابن عبدالبر بإسناد جيد.

وعن سليمان التيمي رحمه الله تعالى قال: لو سُئلت: أين الله؟ لقلت: في السماء (٣).

وعن حبيب بن أبي حبيب قال: شهدت خالد بن عبد الله القسرى وخطبهم بواسط فقال: **«أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإنى مضح بالجعد بن درهم فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليما سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا»** ثم نزل فذبحه (٤).

---

(١) ابن محيصن ليس من القراء العشرة أو رواتهما، وقراءته هنا شاذة وليست في شيء من القراءات المتواترة، لا من طريق «الشاطبية» و«الدرة».
ولا من طريق طيبة النشر، وقراءته «وفي السماء رازقكم» بألف بعد الراء، وفي سائر القراءات العشرة المتواترة: «وفي السماء رزقكم» من غير ألف، ووقع بالأصول هنا: «رزقكم» وهو خطأ، وقد نص على قراءة ابن محيصن القرطبي في «تفسيره» (٩/ ٦٢١١) وغيره.

(٢) حسن إلى الضحاك وهو ابن مزاحم، والأثر أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٤٠ بتحقيقي) وابن جرير في «تفسيره» (٢٨/ ١٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٠٩) من طريق نوح بن ميمون عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان وهو النبطي عن الضحاك.

(٣) في إسناده ضعف: أخرجه ابن أبي خيثمة في «تاريخه»، على ما ذكر ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٧) عن هارون بن معروف عن ضمرة بن ربيعة عن صدقة عن سليمان التيمي به، ومن طريق ابن أبي خيثمة أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٧١) وابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١١٤) وفي إسناده صدقة هو ابن يزيد الفلسطيني فيه كلام وترجمته في «اللسان» (٣/ ٢١٩) والأثر أورده أيضًا البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٣٧) تعليقًا عن ضمرة عن صدقة عن سليمان به.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٣٨٧) وفي الرد على المريسي (١/ ٥٨١) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٥٨) وفي «خلق أفعال العباد» (ص٢٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥١٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٥) وفي «الأسماء والصفات» (٥٦٣) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤٢٥) من طريق عبدالرحمن بن حبيب بن أبي حبيب أو عبدالرحمن بن محمد بن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده به، وإسناده ضعيف، عبدالرحمن بن محمد وأبوه مجهولان وجده حبيب لين.

قال الذهبي والمعتزلة تقول هذا وتحريف نص التنزيل في ذلك، وزعموا أن الرب منزه عن ذلك. وقال أبو عمر بن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ في التمهيد: وعلماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[المجادلة: الآية ٧] هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به.

ذكر أقوال طبقة أُخرى في صفة العلو

عن نوح الجامع قال: كنت عند أبي حنيفة أول ما ظهر جهم، إذا جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهمًا فدخلت الكوفة فأظنني أقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس، فقيل لها: إن ههنا رجلا قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأتيه. فأتته فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك، أين إلهك الذي تعبده؟ فسكت عنها ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها ثم خرج إلينا وقد وضع كتابًا إن اللَّه عَزَّوَجَلَّ في السماء دون الأرض، فقال له رجل: أرأيت قول اللَّه عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[الحديد: الآية ٤] قال: هو كما تكتب إلى الرجل أني معك، وأنت غائب عنه[1]. رواه البيهقي ثم قال: لقد أصاب أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ فيما نفى عن اللَّه عَزَّوَجَلَّ من الكون في الأرض. وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع بأن اللَّه تعالى في السماء[2]، قلت: وإنما أراد بقوله هو كما تكتب إلى الرجل... إلخ نفى الحلول، وإلا فربنا تبارك وتعالى سواء عنده الغيب والشهادة والسر والعلانية.

وعن أبي مطيع الحكم ابن عبد اللَّه البلخي قال: «سألت أبا حنيفة عمن يقول لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: إذا أنكر أنه في السماء أو في الأرض فقال قد كفر لأن اللَّه تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾[طه: الآية ٥] وعرشه فوق سمواته. فقلت إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال: لا يدرى العرش في السماء أو في الأرض، قال إذا أنكر إنه في السماء فقد كفر»[3] رواه شيخ الإسلام الأنصاري في الفاروق.

---

(١) ضعيف الإسناد جدًا: نوح بن أبي مريم كذاب يضع، والخبر أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥٣٦ح ٩٠٥) من طريق نوح به.

(٢) الكلام للبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥٣٦).

(٣) ضعيف الإسناد جدًا: أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٤) وعزاه لأبي إسماعيل الأنصاري في كتابه «الفاروق»، وأورده العظيم آبادي في «عون المعبود» (٩/ ٧٦) وعزاه للذهبي في=

وروى المقدسي عنه رحمه اللَّه تعالى أنه قال: من أنكر أن اللَّه ﷻ في السماء فقد كفر[١]. وعن ابن جريج رحمه اللَّه تعالى قال: كان عرشه على الماء قبل أن يخلق الخلق[٢]. وروى الحاكم عن الأوزاعي رحمه اللَّه تعالى قال: **«كنا- والتابعون متوافرون- نقول: إن اللَّه ﷻ فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته»**[٣] وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات. وللثعلبي عنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤] قال: هو على عرشه كما وصف نفسه[٤]. وسئل رحمه اللَّه تعالى عن أحاديث الصفات فقال: أمرها كما جاءت[٥].

وعن مقاتل بن حيان في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٧] قال: هو على عرشه وعلمه معهم[٦]، رواه عبد اللَّه ابن أحمد في السنة.

وللبيهقي عنه قال: بلغنا واللَّه أعلم في قوله تعالى: ﴿ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: الآية ٣]، هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء والباطن أقرب من كل شيء، وإنما قربه بعلمه وهو فوق عرشه[٧].

= «العلو».

قلت: راويه عن أبي حنيفة هو أبو مطيع الحكم بن عبدالله البلخي وهو متروك متهم ترجمته ب«اللسان» (٢/ ٣٨٠).

(١) أورده ابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص١١٧) وقال: بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال في كتاب «الفقه الأكبر».. وذكره.

(٢) ورد هذا المعنى من كلام ابن عباس وغيره، أما عن ابن جريج فلم أقف له على إسناد.

(٣) **حسن إلى الأوزاعي**: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٥) من طريق الحاكم بإسناده عن إبراهيم بن الهيثم عن محمد بن كثير المصيصي عن الأوزاعي وإسناده حسن، وإبراهيم بن الهيثم لا بأس به، وترجمته ب«اللسان» (١/ ٢٢٣).

(٤) **لم أقف على إسناده**، ويشهد له ما سبق.

(٥) **حسن إلى الأوزاعي**: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٥٢٧ح ٩٣٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٥٥)، وفي «الاعتقاد» (ص١١٨) من طريق الهيثم بن خارجة عن الوليد بن مسلم أنه سأل الأوزاعي ومالك وسفيان الثوري والليث بن سعد عن هذه الأحاديث فكلهم قال: أَمِرُّوها كما جاءت بلا كيفية.

(٦) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٤٠) لكنه ليس من كلام مقاتل، بل من روايته عن الضحاك، وإسناده إلى الضحاك حسن، وسبق.

(٧) **ضعيف الإسناد**: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٠٩) من طريق يزيد بن صالح عن بكير بن معروف عن مقاتل بلاغًا وإسناده ضعيف، يزيد بن صالح أبو صالح اليشكري مجهول.

وعن سفيان الثوري في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: الآية ٤] قال علمه[١]. وقال في جميع أحاديث الصفات أمروها كما جاءت[٢].

وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى قال: «**الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء**»، وسأله رجل فقال: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: الآية ٥] كيف استوى؟ فأطرق مالك وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: «**الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوع، وأنت صاحب بدعة، أخرجوه**»[٣]. وفي رواية قال: «**الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني أخاف أن تكون ضالا**»[٤]. وأمر به فأخرج.

وقال سلام بن أبي مطيع: ويلكم ما تنكرون هذا الأمر، والله ما في الحديث شيء إلا وفي القرآن ما هو أثبت منه، قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: الآية ٧٥]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٨]، ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: الآية ١١٦]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤] ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: الآية ٦٧]، ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية ٧٥] ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٦٤]، ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ [طه: الآية ١٤] فما زال في ذلك من العصر إلى المغرب[٥].

وصح عن ابن الماجشون أنه سئل عما جحدت به الجهمية فقال: أما بعد فقد فهمت ما

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٤٥ بتحقيقي) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٠١ح ٦٧٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٠٨) وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٤٢) من طريق معدان العابد عن سفيان الثوري، ومعدان شيخ مجهول الحال.

(٢) **حسن إلى سفيان الثوري**: أخرجه اللالكائي (٩٣٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٥٥) وفي «الاعتقاد» (ص١١٨).

(٣) **صحيح إلى مالك**: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٦) من طريق أبي الربيع ابن وهب عن مالك، وهذا صحيح، وأبو الربيع هو سليمان بن داود المهري المصري.

(٤) أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٠٤) وفي إسناده رجل لم يسم، وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٧) وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.

(٥) **صححه الحافظ ابن حجر**: فأورده في «فتح الباري» (١٣/ ٣٩٩) شرح حديث رقم (٧٣٧٧) وعزاه لابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية»، وقال: بسند صحيح عن سلام بن أبي مطيع. اهـ.
قلت: والأثر أورده الذهبي في كتاب «العلو للعلي الغفار» (ح٣٨٤) عن أبي زرعة عن هدبة بن خالد عن سلام بن أبي مطيع به.

سألت عنه فيما تتابعته الجهمية في صفة الرب العظيم الذي فاتت عظمته الوصف والتقدير وكلّت الألسن عن تفسير صفته، وانحسرت العقول دون معرفة قدره، فلم تجد العقول مساغًا فرجعت خاسئة حسيرة، وإنما أمروا بالنظر والتفكير فيما خلق، وإنما يقال: «كيف» لما لم يكن مرة ثم كان، أما من لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو [١]. وساق فصلا طويلًا في هذا المعنى، وذكر جملة من نصوص الصفات رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال حماد بن زيد: إنما يدورون على أن يقولوا ليس في السماء إله، يعني الجهمية [٢]، رواه ابن أبي حاتم الرازي.

وقال محمد بن إسحاق إمام أهل المغازي: كان اللّه تعالى كما وصف نفسه إذ ليس إلا الماء عليه العرش، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، الظاهر في علوه على خلقه فليس شيء فوقه، الباطن لإحاطته بخلقه فليس شيء دونه، الدائم الذي لا يبيد، وكان أول ما خلق النور والظلمة ثم السموات السبع من دخان، ثم دحى الأرض، ثم استوى إلى السماء فحبكهن وأكمل خلقهن في يومين، ففرغ من خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم استوى على العرش [٣].

طبقة أخرى

روى ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد قال: كلام الجهمية أوله عسل وآخره سم، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله [٤]. وصح عن على بن الحسن بن شقيق

---

(١) في إسناده كلام :أخرجه الذهبي بإسناده في «العلو» (٣٨٦، ٣٨٧) وفي «السير» (٧/ ٣١١) من طريق أبي بكر الأثرم عن عبدالله بن صالح عن عبدالعزيز بن الماجشون به، لكن عبدالله بن صالح فيه كلام.

(٢) صحيح إلى حماد بن زيد :أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٤٤ بتحقيقي) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٥٨) من طريق سليمان بن حرب عن حماد بن زيد به.

(٣) ضعيف الإسناد :أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٠) من طريق محمد بن عيسى الدامغاني عن سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق به وأخرج بعضه ابن جرير في «تاريخه» (١/ ٢٩) ومن طريق سلمة أورده الذهبي في «العلو» (٣٩٥) وإسناده ضعيف سلمة كثير الخطأ، ومحمد بن عيسى قال عنه ابن حجر: مقبول يعني عند المتابعة، وهو متابع عند ابن جرير من ابن حميد وهو ضعيف.

(٤) حسن إلى جرير بن عبدالحميد :أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٧) وعزاه لابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية»، وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٤٩ح ٣٩٧) فقال: =

قال: قلت لعبد اللَّه بن المبارك كيف نعرف ربنا ﷻ؟ قال: في السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية إنه ههنا في الأرض. فقيل هذا لأحمد بن حنبل فقال: هكذا هو عندنا[1]. وعنه ﷺ أن رجلًا قال له: يا أبا عبد الرحمن قد خفت اللَّه من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخف فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء[2]. رواه عبد اللَّه بن أحمد.

وقال نوح الجامع وسأله رجل عن اللَّه ﷻ في السماء هو؟ فحدث بحديث النبي ﷺ حين سأل الأمة أين اللَّه قالت في السماء قال: «أعتقها فإنها مؤمنة» ثم قال: سماها النبي ﷺ مؤمنة أن عرفت أن اللَّه ﷻ في السماء[3]. رواه عبد اللَّه بن أحمد أيضًا. وقال عباد بن العوام كلمت بشرا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيء، أرى أن لا يناكحوا ولا يوارثوا[4]. وثبت عن أبي يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ قال: من طلب الدين بالكلام تزندق، ومن طلب المال بالكيمياء أفلس، ومن تتبع غريب الحديث كذب[5].

= قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو هارون محمد بن خالد حدثنا يحيى بن المغيرة سمعت جرير ابن عبدالحميد يقول. . . وذكره.

قلت: وهذا إسناد حسن، ومحمد بن خالد هو الرازي صدوق ترجمته ب«الجرح والتعديل» (٧/ ٢٤٥).

(١) صحيح إلى ابن المبارك: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢٤، ٦٤٦ بتحقيقي) وابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٤٢) من طريق علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك به، وأخرجه بنحوه مختصرًا عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية (ح ٦٧، ١٦٢).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢٦ بتحقيقي) عن رجل عن ابن المبارك وإسناده ضعيف لإبهام الرجل الراوي عن ابن المبارك.

(٣) ضعيف الإسناد: والحديث صحيح مرفوعًا من غير هذا الطريق، والخبر أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٤٤) عن أحمد بن سعيد الدارمي عن أبيه عن أبي عصمة نوح بن أبي مريم، لكن نوحًا نفسه متهم، والراوي عنه مجهول.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٧٢، ٢٢٤، ٥٦٠) بتحقيقي، وفي إسناده يحيى ابن إسماعيل الواسطي قال عنه الحافظ في «التقريب» مقبول، يعني إذا توبع وإلا فلين، وليس في المواضع الثلاثة: «أرى أن لا يناكحوا ولا يوارثوا» وإنما ورد هذا اللفظ من كلام عبدالرحمن بن مهدي بإسناد صحيح إليه وهو في «السنة» برقم (١٦٣).

(٥) في إسناده كلام: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣٠٥) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٤٥) من طريق بشر بن الوليد عن أبي يوسف به، وبشر فيه كلام، وترجمته ب«اللسان» (٢/ ٤٢).

وقد ضرب عليا الأحول وطوف به في شأن الكلام وضرب آخر كان معه(١).

وقال محمد بن الحسن: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول اللَّه ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه. فمن فسر شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة لأنه وصفه بصفة لا شيء(٢).

وكتب بشر المريسي قبحه اللَّه تعالى إلى منصور بن عمار رحمه اللَّه تعالى يسأله عن قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] كيف استوى؟ فكتب إليه استواؤه غير محدود والجواب فيه تكلف ومسألتك عن ذلك بدعة والإيمان بجملة ذلك واجب قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: الآية ٧] (٣).

وقيل ليزيد بن هارون: من الجهمي؟ قال: من زعم أن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي(٤)، رواه عبد اللَّه ابن أحمد. وقال سعيد بن عامر الضبعي وذكر الجهمية قال: هم شرٌّ قولًا من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن اللَّه ﷻ على العرش، وقالوا هم ليس على العرش(٥). وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا وكيع عن

---

(١) ضعيف الإسناد: أورده الذهبي في «العلو» (٤٠٨) وعزاه لابن أبي حاتم من طريق بشار بن موسى الخفاف، وهو ضعْيف لضعف بشار.

(٢) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٤٠) من طريق داود بن طلحة أبي سليمان عن عبدالله بن أبي حنيفة الدبوسي عن محمد بن الحسن، ولم أقف لداود وشيخه على ترجمة إلا ما كان من ترجمة داود بـ«الإكمال» لابن ماكولا (٧/ ٧٢).

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٧٦) وأورده الذهبي في «السير» (٩/ ٩٧) وفي إسناده الحسين بن القاسم الكوكبي وهو شيخ يروي المناكير ترجمته بـ«اللسان» (٢/ ٣٥٣) وفيه أيضًا من لم أقف له على ترجمة.

(٤) في إسناده ضعف: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٠، ١٩٨ ' بتحقيقي) من طريق شاذ بن يحيى عن يزيد بن هارون به، وشاذ في تعيينه كلام، والمترجح فيه أنه مقبول إذا توبع وإلا فلين.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي حاتم عن أبيه قال: حدثت عن سعيد بن عامر الضبعي، أورده من طريقه الذهبي في «العلو» (٤٣٠) وعزاه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٣٤) لكتاب «السنة» لابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف لإبهام الواسطة بين سعيد بن عامر وأبي حاتم.

إسرائيل بحديث: «وإذا جلس الرب جل جلاله على الكرسي» فاقشعر رجل عند وكيع، فغضب وكيع وقال: أدركنا الأعمش والثوري يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها (١) وقال مرة: نسلم هذه الأحاديث كما جاءت ولا نقول كيف كذا ولا لم كذا (٢) وقال عبد الرحمن ابن مهدي: إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله تعالى كلم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم (٣).

وقال وهب بن جرير: إياكم ورأي جهم فإنهم يحاولون أنه ليس شيء في السماء، وما هو إلا من وحي إبليس، ما هو إلا الكفر (٤).

وقال الأصمعي لما قدمت امرأة جهم فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدود على محدود. قال الأصمعي: هي كافرة بهذه المقالة (٥).

وقال الخليل بن أحمد في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: الآية ٢٩] يقول ارتفع (٦). وقال الفراء: صعد (٧). وعن عبد الله بن أبي جعفر الرازي أنه ضرب رأس قرابة له كان يرى رأي جهم وكان يضرب بالنعل على رأسه ويقول: لا. حتى تقول الرحمن على العرش استوى، بائن من خلقه (٨).

---

(١) المرفوع ضعيف، والخبر صحيح إلى وكيع: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٣٥) عن أبيه عن وكيع به، وأخرج نحوه الدارقطني في «الصفات» (٥٨) من طريق يحيى بن معين عن وكيع.

(٢) صحيح إلى وكيع: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٣٧) عن أحمد الدورقي عن وكيع.

(٣) صحيح إلى عبدالرحمن بن مهدي: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٤٦) بهذا اللفظ، وأخرجه بنحوه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٠، ٥٤) واللالكائي (٥٠٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٤٥).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (٤٣٥) بإسناده عن وهب، وأورده ابن قدامة في إثبات «صفة العلو» (ص١١٨) عن أبي بكر الأثرم عن أبي عبدالله الأوسي عن وهب بن جرير به.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (٤٣٦) ولم يسنده وإنما قال: بلغنا. وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٤٠) وعزاه لابن أبي حاتم.

(٦) أخرجه الذهبي في «العلو» (٤٣٧) بإسناده، وفي إسناده من لم أعرف.

(٧) صحيح إلى الفراء: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٧١) بإسناد صحيح إلى الفراء، وفيه أن هذا «التفسير» من كلام ابن عباس، وصوب الفراء هذا الوجه وآخرون ثم قال: وكل في كلام العرب جائز، وأورده الذهبي في «العلو» (٤٣٨) وعزاه للبيهقي.

(٨) في إسناده ضعف: أورده الذهبي في «العلو» (٤٤١) عن محمد بن يحيى الذهلي عن صالح بن الضريس عن عبدالله، وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم في=

طبقة الشافعي وأحمد رضي الله عنهما

روى الحافظ المقدسي عن محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله : القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما إقرار بشهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ﷺ ، وأن اللّه تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء ، وذكر سائر الاعتقاد[١] .

وقال عبد اللّه بن مسلمة القعنبي : من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي[٢] .

وقال عاصم بن علي شيخ البخاري رحمهما اللّه تعالى : ناظرت جهمًا فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء ربًّا[٣] .

وقال عبد اللّه بن الزبير الحميدي : نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة ، نقول :

= كتاب «الرد على الجهمية» ، لكن صالح مجهول الحال ، ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٤٠٦) ولم يذكر فيه جرحًا أو تعديلًا .

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (١٢١) من طريقين مدارهما على أبي الحسن علي بن أحمد الهكاري وهو متهم بوضع الحديث ، وترجمته باللسان (٤/ ٢٣٦) ومن طريق الهكاري أورده الذهبي في «العلو» (٤٤٣) لكن أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٩٤) فقال : قال الإمام ابن الإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي حدثنا أبو شعيب وأبو ثور عن أبي عبدالله بن محمد بن إدريس الشافعي . . .
قلت : فإن كان ابن القيم رحمه الله نقله من كتاب ابن أبي حاتم وهو الظاهر فالخبر صحيح إلى الشافعي رحمه الله .

(٢) في إسناده ضعف : أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٥) ، والذهبي في «العلو» (٤٥١) عن بنان بن أحمد عن القعنبي به ، وعزاه للذهبي لعبدالعزيز القحيطي في تصانيفه .
قلت : بنان مجهول الحال ، وقال عنه الدارقطني : كان صالحًا فيه غفلة ، وترجمته «باللسان» (٢/ ٧٥) وقال الذهبي : والمراد بالعامة عامة أهل العلم .
قلت (يحيى) : بل الأظهر حمل اللفظ على عموم الناس ، وما يقر في قلوب العامة من التسليم وعدم السؤال عن كيف أو صفة هو الفطرة ، وهذا الذي قلته هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، نقله عنه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٤) .

(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢١٤ بتحقيقي) وفيه مبهم ، وأورده الذهبي في «العلو» (٤٥٣) ولم يعزه أو يورد له إسنادًا .

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي [١].

وقال هشام بن عبيد اللّٰه الرازي وحبس رجل في التجهم فجيء به إليه ليمتحنه فقال له: أتشهد أن اللّٰه على عرشه بائن من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائن من خلقه، فقال: ردوه فإنه لم يتب بعد [٢].

وقال محمد بن مصعب العابد: من زعم أنك لا تتكلم ولا ترى في الآخرة فهو كافر بوجهك، أشهد أنك فوق العرش فوق سبع سموات، ليس كما تقول أعداء اللّٰه الزنادقة [٣].

وقال أبو عمران الطرسوسي قلت لسنيد بن داود: هو ﷻ على عرشه بائن من خلقه؟ قال نعم [٤]، وقال نعيم بن حماد في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: الآية ٤] قال: معناه أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٧] الآية [٥]، وقال رحمه الله: من شبه اللّٰه بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به

---

(١) صحيح إلى الحميدي: أخرجه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤١٤) وفي «العلو» (٤٥٤) بإسناده إلى الحميدي، وإسناد الذهبي غير شيخه وشيخ شيخه هو إسناد مسند الحميدي ثم وجدت كلام الحميدي في كتابه «أصول السنة» (فقرة ٦) فلله الحمد والمنة.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٤٥٧) وعزاه لابن أبي حاتم عن علي بن الحسن بن يزيد عن أبيه عن هشام بن عبيدالله، وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٥) وعزاه لابن أبي حاتم، لكن علي وأبوه لم أعرفهما.

(٣) صحيح إلى محمد بن مصعب العابد: وهو أبو جعفر الدعاء، والأثر أخرجه عبدالله بن أحمد في السنة (٢٣٥ بتحقيقي) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨٠) من طريق أبي الحسن العطار عنه، ومحمد بن مصعب ترجم له الخطيب ونقل توثيق ابن سعد، وقال: كان أحد العباد المذكورين والقراء المعروفين، أثنى عليه أحمد بن حنبل ووصفه بالسنة.

(٤) حسن إلى سنيد بن داود: أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٤٦) والذهبي في «العلو» (٤٦٢) عن ابن أبي حاتم قال حدثنا أبو عمران موسى الطرطوسي قال: قلت لسنيد بن داود... وذكره وإسناده حسن، وموسى هو ابن سعيد بن النعمان صدوق والمشهور أن كنيته هي: أبو بكر.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (٤٦٣) وفي «السير» (١٠/ ٦١١) عن محمد بن مخلد العطار عن الرمادي عن نعيم بن حماد به، وإسناده صحيح إلى نعيم بن حماد، لكن ينظر فيمن أخرجه ورجال الإسناد إلى محمد ابن مخلد، ومحمد هو ابن مخلد بن حفص العطار من شيوخ الدارقطني ترجمته في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣١٠) و«المقصد الأرشد» (٢/ ٤٩٨) والرمادي هو أحمد بن منصور، والخبر أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٧) من غير عزو أو إسناد.

نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهًا (١).

وقال بشر الحافي: والإيمان أن الله تعالى على عرشه استوى كما شاء وأنه عالم بكل ما كان وأنه يقول ويخلق، فقوله كن ليس بمخلوق (٢)» ومن دعائه: اللَّهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلى من الشرف، اللَّهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلى من الغنى، اللَّهم إنك تعلم فوق عرشك أنى لا أوثر على حبك شيئًا (٣).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام في أحاديث الرؤية، والكرسى موضع القدمين، وضحك ربنا، وحديث أين كان ربنا، فقال: هذه أحاديث صحاح حملها أصحاب الحديث بعضهم عن بعض، وهى عندنا حق لا نشك فيها. ولكن إذا قيل لنا كيف وضع قدمه وكيف يضحك قلنا: لا نفسر هذا ولا سمعنا أحدًا يفسره (٤).

وقال أحمد بن نصر وسئل عن علم الله- فقال: علم الله منا وهو على عرشه (٥).

وقال مكى بن إبراهيم: دخلت امرأة جهم على زوجتى فقالت يا أم إبراهيم هذا زوجك الذي يحدث عن العرش من نجره؟ قالت: نجره الذي نجر أسنانك. قال وكانت بادية الأسنان (٦). وقال قتيبة بن سعيد قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: «نعرف

---

(١) **صحيح إلى نعيم بن حماد**: أخرجه الذهبي في «العلو» (٤٦٤) وفي «السير» (١٠/ ٦١٠) من طريق محمد ابن إسماعيل الترمذي عن نعيم بن حماد به، وإسناده صحيح، وكذا وقع بالكتابين: الترمذي. لكن أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٧) وذكر أن راويه عن نعيم هو البخاري، وهو وهم منه رحمه الله، والمصرح به في الرواية هو الترمذي وهو محمد بن إسماعيل بن يوسف السلمي وهو ثقة حافظ.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٤٦٥) فقال: بشر الحافي زاهد العصر له عقيدة رواها ابن بطة في كتاب «الإبانة» وغيره.

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (٤٦٦) بإسناده إلى بشر الحافي وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.

(٤) **صحيح إلى أبي عبيد**: أخرجه الدارقطني في «الصفات» (٥٧) عن محمد بن مخلد عن العباس الدوري عن أبي عبيد به، وإسناده صحيح، ومن طريق الدارقطني أخرجه الذهبي في «العلو» (٤٦٧) وفي «السير» (١٠/ ٥٠٥).

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (٤٦٨) فقال: قال إبراهيم الحربي فيما صح عنه قال أحمد بن نصر... وذكره.

(٦) أورده الذهبي في «العلو» (٤٦٩) فقال: قال أحمد بن علي الأبار حدثنا محمد بن عبدالرحمن البلخي قال مكي بن إبراهيم، وصوّب الألباني رحمه الله في «مختصر العلو» (ص١٨٧) أن الراوي عن مكي هو محمد بن عمرو البلخي، وبه يكون رجال الإسناد ثقات، لكن يبقى النظر فيمن رواه عن الأبار.

ربنا في السماء السابعة على عرشه كما قال جل جلاله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] »[١] . وقال أبو معمر إسماعيل ابن إبراهيم القطيعي : آخر كلام الجهمية أنه ليس في السماء إله[٢] . وقال يحيى بن معين : إذا قال لك الجهمي وكيف ينزل؟ فقل كيف يصعد؟[٣] قلت : الكيف في الحالين منفى عن اللّٰه تعالى لا مجال للعقل فيه[٤] .

وعن على بن المدينى أنه سئل : ما قول أهل الجماعة؟ قال : يؤمنون بالرؤية وبالكلام وأن اللّٰه ﷻ فوق السموات على عرشه استوى . فسئل عن قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٧] فقال : اقرأ ما قبله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾ [المجادلة: الآية ٧] [٥] .

وسئل أبو عبد اللّٰه أحمد بن حنبل إمام أهل السنة : اللّٰه فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه ، وقدرته وعلمه بكل مكان؟ قال : نعم هو على عرشه ، ولا يخلو شيء من علمه[٦] . وقيل له : ما معنى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: الآية ٤] قال : علمه محيط بالكل ، وربنا على العرش بلا حد ولا صفة[٧] .

---

(١) أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٤٤) والذهبي في «العلو» (٤٧٠) وفي «السير» (١١/ ٢٠) عن أبي العباس السراج عن قتيبة ، وعن موسى بن هارون عن قتيبة ، وعزاه الذهبي لأبي أحمد الحاكم ولأبي بكر النقاش .

(٢) صحيح إلى أبي معمر : أخرجه ابن أبي حاتم عن يحيى بن زكريا عن عيسى عن أبي شعيب صالح الهروي عن أبي معمر ، أورده الذهبي في «العلو» (٤٧١) وفي «السير» (١١/ ٧٠) وفي «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٧٢) وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٣٨) وعزاه لابن أبي حاتم .

(٣) أورده ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٤١) وعزاه لابن بطة في «الإبانة» ، وأورده الذهبي في «العلو» (٤٧٢) من طريق جعفر بن أبي عثمان الطيالسي عن يحيى بن معين .

(٤) القائل قلت . . . إلخ هو الإمام الذهبي رحمه الله ، وكلامه في «العلو» (٤٧٢) .

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (٤٧٣) وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٤٦) من طريق الحسن بن محمد بن الحارث عن ابن المديني ، لكن الحسن لم يوثقه غير ابن حبان بذكره في «الثقات» (٨/ ١٨٠) .

(٦) حسن إلى أحمد : أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٢٣) فقال : قال الخلال في كتاب «السنة» حدثنا يوسف ابن موسى قال أخبرنا عبدالله بن أحمد قال : قيل لأبي . . . وذكره وأورده الذهبي في «العلو» (٤٧٤) عن يوسف بن موسى به ، وإسناده حسن ، ويوسف صدوق .

(٧) أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٧٥) من رواية حنبل بن إسحاق عن أحمد ، ومن طريق حنبل أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٢٣) والذهبي في «العلو» (٤٧٧) وعزاه ابن القيم للطبري الشافعي في كتاب «السنة» .

وقال حرب بن إسماعيل الكرماني: قلت لإسحاق بن راهويه قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٧] كيف تقول فيه؟ قال: حيث ما كنت فهو أقرب إليك من حبل الوريد وهو بائن من خلقه، ثم ذكر عن ابن المبارك قوله هو على عرشه بائن من خلقه، ثم قال: أعلى شيء في ذلك وأبينه قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: الآية ٥] [1] رواه الخلال في السنة.

وقال إسحاق بن راهويه: دخلت على ابن طاهر فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن اللَّه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم رواه الثقات الذين يروون الأحكام. فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال: نعم. قلت فلم تتكلم في هذا؟[2] وروى الخلال عنه قال: قال اللَّه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: الآية ٥] إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة[3]. وقال رجل لابن الأعرابي رَحِمَهُ اللَّهُ: يا أبا عبد اللَّه ما معنى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝﴾ [طه: الآية ٥]؟ قال: هو على عرشه كما أخبر. فقال الرجل: ليس كذاك، إنما معناه استولى. فقال: اسكت ما يدريك ما هذا، العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد، فأيهما غلب قيل استولى، واللَّه تعالى لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر، ثم قال: الاستيلاء بعد المغالبة، قال النابغة:

إلا لمثلك أو ما أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد[4]

---

(١) أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص ١٤٠) والذهبي في «العلو» (٤٨٢) عن حرب الكرماني به، وعزاه الذهبي للخلال في «السنة».

(٢) صحيح إلى إسحاق بن راهويه: أورده الذهبي في «العلو» (٤٨٤) فقال: قال النجاد حدثنا أحمد ابن علي الأبار حدثنا علي بن خشرم حدثنا إسحاق. وهذا إسناد رجاله ثقات.

(٣) أخرجه الخلال في «السنة» عن المروزي عن محمد بن الصباح النيسابوري عن سليمان بن داود الخفاف عن إسحاق بن راهويه، أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص ١٤٠) والذهبي في «العلو» (٤٨٧) عن الخلال به، وابن الصباح لم أعرفه وليس هو المترجم له بالتهذيب، وأما شيخه فصدوق ترجمته «بالجرح والتعديل» (٤/ ١١٥) وثقات ابن حبان (٨/ ٢٨٢).

(٤) صحيح إلى ابن الأعرابي: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٦٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٧٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٣) من طريق نفطويه عن داود بن علي عن ابن الأعرابي، ولم يورد البيهقي بيت النابغة، وإسناد الخبر صحيح، والخبر أورده الذهبي في «العلو» (٤٩٠) أيضًا.

وقال ذو النون المصرى رَحِمَهُ اللَّهُ: أشرق لنور وجهه السموات، وأنار لوجهه الظلمات، وحجب جلاله عن العيون، وناجاه على عرشه ألسنة الصدور [١].

طبقة أخرى

وقال المزنى في عقيدته: الحمد للَّه أحق ما بدئ وأولى من شكر وعليه أُثني، الواحد الصمد، ليس له صاحبة ولا ولد، جل عن المثل فلا شبيه له ولا عديل، السميع البصير العليم الخبير المنيع الرفيع عالٍ على عرشه فهو دان بعلمه من خلقه، والقرآن كلام اللَّه ومن اللَّه، ليس بمخلوق فيبيد، وقدرة اللَّه ونعته وصفاته كلمات غير مخلوقات. دائمات أزليات، ليس محدثات فتبيد، ولا كان ربنا ناقصًا فيزيد، جلت صفاته عن شبه المخلوقين، عالٍ على عرشه، بائن من خلقه [٢]. وذكر ذلك المعتقد. وقال: لا يصح لأحد توحيد حتى يعلم أن اللَّه على عرشه بصفاته. قلت: مثل أي شيء؟ قال: سميع بصير عليم قدير [٣]، رواه ابن منده.

وسئل محمد بن يحيى الذهلي رَحِمَهُ اللَّهُ عن حديث عبد اللَّه بن معاوية عن النبي ﷺ: **«ليعلم العبد أن اللَّه معه حيث كان»** فقال: يريد أن اللَّه علمه محيط بكل ما كان واللَّه على العرش [٤].

---

(١) في إسناده ضعف: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٩٨ح ١٠٧) عن عمر بن بحر الأسدي عن ذي النون، وإليه عزاه ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٧١) والذهبي في «العلو» (٤٩٣) وعمر بن بحر قال الألباني رحمه الله في «مختصر العلو» (ص١٩٨): لم أعرفه.
قلت (يحيى): هو مجهول الحال، ترجم له أبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ٢١٦ ت ٥١٩).

(٢) أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٩٥) وعزاه لرسالة المزني في «السنة» التي رواها أبو طاهر السلفي عنه بإسناده، وأورده الذهبي في «العلو» (٤٩٥) بإسناده إلى المزني لكن راويه عن المزني مجهول.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٤٩٦) وفي «السير» (١٢/ ٤٩٤) من طريق عمرو بن تميم المكي عن محمد بن إسماعيل الترمذي عن المزني به، وعزاه في «العلو» لابن منده وأورد إسناده.

(٤) صحيح إلى محمد بن يحيى الذهلي، والحديث المرفوع صحيح بشواهده: أما أثر محمد بن يحيى فأورده الذهبي في «العلو» (٤٩٧) فقال: قال الحاكم: قرأت بخط أبي عمرو المستملي: سئل محمد بن يحيى عن حديث. . . وذكره.
قلت: أما الحديث المرفوع فأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٣٣٤ح ٥٥٥) وابن قانع في=

وقال أبو عبد اللَّه محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في آخر الجامع الصحيح في كتاب الرد على الجهمية: باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: الآية ٧] قال أبو العالية: استوى على عرشه ارتفع، وقال مجاهد في استوى: علا على العرش[1].

وقالت زينب أم المؤمنين رضي الله عنها: «زوجني اللَّه من فوق سبع سموات»[2]. ثم إنه بوَّب رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أكثر ما تنكره الجهمية من الصفات محتجًا بالآيات والأحاديث.

وقال أبو زرعة الرازي وسئل عن تفسير: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] فغضب وقال: تفسيره كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمه في كل مكان، من قال غير هذا فعليه لعنة اللَّه[3].

وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة رحمهما اللَّه تعالى عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصرًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم أن اللَّه تبارك وتعالى على عرشه بائن من

= «معجم الصحابة» (٢/ ١٠٢ ت ٥٥٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٨٧ح ٣٢٩٧) من طريق عبدالله بن سالم الزبيدي عن يحيى بن جابر الطائي عن عبدالرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن عبدالله بن معاوية الغاضري مرفوعًا به، وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن ابن معاوية إلا بهذا الإسناد، ولا يعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثًا غير هذا. اهـ.

قلت (يحيى): رواه عن عبدالله بن سالم رجلان الأول عبدالحميد بن إبراهيم أبو تقي وحديثه عند الطبراني وابن قانع، لكن عبدالحميد ضعيف، قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق ذهبت كتبه فساء حفظه، وتابعه آخر هو: عمرو بن الحارث الزبيدي.

قال عنه في «التقريب»: مقبول. لكن راويه عنه هو إسحاق بن إبراهيم بن العلاء وهو ضعيف واتهم، وروايته أخرجها البيهقي، لكن للحديث شاهد من حديث عبادة بن الصامت أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٣٣٦ح ٨٧٩٦) وفي الشاميين (١٤١٦) والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٧٠ح ٧٤١) من طريق نعيم بن حماد عن عثمان بن كثير بن دينار عن محمد بن مهاجر أخي عمرو عن عروة بن رويم عن عبدالرحمن بن غنم عن عبادة بن الصامت مرفوعًا، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٦٠) وقال: تفرد به عثمان بن كثير ولم أر من ذكره بثقة ولا جرح.

قلت (يحيى): ولم أجد فيه كلامًا. وللحديث شواهد أخرى من عموم القرآن والسنة يتقوى بها.

(١) «صحيح البخاري» كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء، «فتح الباري» (١٣/ ٤٤٧ قبل حديث ٧٤١٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٢٠) وغيره.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٠١).

خلقه كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علمًا.

وقال محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي أبو حاتم الرازي ونعتقد أن اللَّه ﷻ على عرشه بائن من خلقه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1]. رواه أبو القاسم الطبرى.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: إن اللَّه على العرش بائن من خلقه أحاط بكل شيء علمًا، لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج اللَّه بخلقه رواه صاحب الفاروق[2].

وعن محمد بن أسلم الطوسي رحمه الله قال: قال لي عبد اللَّه بن طاهر: بلغني أنك لا ترفع رأسك إلى السماء. فقلت: وهل أرجو الخير إلا ممن هو في السماء[3]. رواه الحاكم في ترجمته.

وقال عبد الوهاب الوراق: من زعم أن اللَّه ههنا فهو جهمي خبيث، إن اللَّه ﷻ فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة[4].

وكتب حرب الكرماني إلى عبد الرحمن بن محمد الحنظلي: إن الجهمية أعداء اللَّه، وهم الذين يزعمون أن القرآن مخلوق، وأن اللَّه لم يكلم موسى، ولا يرى في الآخرة، ولا يعرف للَّه مكان، وليس على العرش، ولا كرسي، وهم كفار فاحذرهم[5].

وقال عثمان بن سعيد الدارمي الإمام في كتاب النقض: قد اتفقت الكلمة من المسلمين أن اللَّه فوق عرشه فوق سمواته يعلم ويسمع من فوق العرش لا تخفى عليه خافية من خلقه ولا يحجبهم عنه شيء[6].

---

(١) صحيح إلى أبي حاتم وأبي زرعة: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣٢١) والذهبي في «العلو» (٥٠٢، ٥٠٣) من طرق عن ابن أبي حاتم به.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٥٠٧) وعزاه لأبي إسماعيل الأنصاري في «الفاروق» بإسناده إلى محمد بن محمود سمعت يحيى بن معاذ... وذكره.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٠٩) وفي «السير» (١٢/ ٢٠٢) عن أحمد بن سلمة عن محمد بن أسلم الطوسي، وعزاه في «العلو» للحاكم في ترجمة محمد بن أسلم.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (٥١١) وابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٤٤) وقال ابن القيم: صح ذلك عنه، حكاه عنه محمد بن عثمان في رسالته في «الفوقية».

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (٥١٢).

(٦) كلام عثمان بن سعيد الذي أورده المصنف هنا هما فقرتان أوردهما الذهبي في «العلو» (٥١٣، ٥١٤) وجعلهما المصنف فقرة واحدة. وهما في كتاب الدارمي الرد على المريسي (١/ ٢٤٠، ٤٤٣).

وقال أبو محمد بن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ : كيف يسوغ لأحد أن يقول إن الله سبحانه بكل مكان على الحلول فيه مع قوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] ، ومع قوله : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: الآية ١٠] كيف يصعد إليه شيء هو معه ، وكيف تعرج الملائكة والروح إليه وهو معه ، قال : لو أن هؤلاء رجعوا إلى فطرتهم وما ركبت عليه ذواتهم من معرفة الخالق لعلموا أن الله ﷻ هو العلى الأعلى وأن الأيدى ترفع بالدعاء إليه والأمم كلها عجميها وعربيها تقول إن الله في السماء ما تركت على فطرها[(١)] .

وقال أبوبكر بن أبي عاصم الشيباني : جميع ما في كتابنا «كتاب السنة الكبير» من الأخبار التى ذكرنا أنها توجب العلم فنحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها ، ويجب التسليم لها على ظاهرها ، وترك تكلف الكلام في كيفيتها . فذكر من ذلك النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش[(٢)] .

وقال أبو عيسى محمد بن سورة الترمذى رَحِمَهُ اللَّهُ في جامعه لما روى حديث أبي هريرة وهو خبر منكر عند أهل الحديث : **«لو أنكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله»** فقال : قال أهل العلم : أراد لهبط على علم الله وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه[(٣)] .

وقال أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى في كتاب السنة من سننه- باب في الجهمية[(٤)] وساق في ذلك حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : **«لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل**

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص١٨١) طبعة المتنبي .

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٥١٦) وقال : سمعت عاتكة بنت أبي بكر هذا الكلام من أبيها .

(٣) جامع الترمذي (٥/ ٤٠٣ح ٣٢٩٨) والحديث الوارد ضعيف أخرجه الترمذي (٣٢٩٨) وأحمد (٢/ ٣٧٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٥٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٩) من حديث الحسن عن أبي هريرة وهذا منقطع والحسن لم يسمع من أبي هريرة، وأخرجه الذهبي في «المغني في الضعفاء» (ت ٧٣٧٨) من طريق الحسن عن الأحنف عن العباس مرفوعًا وفي إسناده عيسى بن ماهان منكر الحديث ، وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٥٠) من حديث أبي ذر مرفوعًا وفي إسناده ضعيف هو أحمد بن عبدالجبار العطاردي ومجهول هو أبو نصر ، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٧/ ٢١٦) عن قتادة مرسلًا .

(٤) «سنن أبي داود» (٤/ ٢٣٠).

آمنت بالله»[1] وفي رواية «فإذا قالوا ذلك فقولوا: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝﴾، ثم ليتفل عن يساره ثلاثًا وليستعذ من الشيطان»[2] وذكر حديث الأوعال[3] وحديث جبير ابن مطعم[4] وحديث أذن لي أن أحدث عن ملك، الحديث[5] وقد ترجم قبل ذلك وبعده على معتقدات أهل السنة وما ورد فيها من الأحاديث رحمه الله كالرؤية والنزول وطى السموات والأرض وتكلم الله عز وجل والشفاعة والبعث وخلق الجنة والنار وفتنة القبر وعذابه والحوض والميزان وغير ذلك ورد على طوائف الجهمية والمرجئة والخوارج والروافض رحمه الله.

وقال ابن ماجه رحمه الله في سننه: باب ما أنكرت الجهمية، فساق حديث الرؤية وحديث أبي رزين وحديث جابر: بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، الحديث تقدم، وحديث الأوعال وغيرها[6]. وكذلك مسلم في صحيحه والنسائي في سننه وغيرهم من أهل السنن ساقوا أحاديث الصفات وأمروها كما جاءت لم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل.

وقال ابن أبي شيبة رحمه الله تعالى: ذكروا أن الجهمية يقولون ليس بين الله وبين خلقه حجاب، وأنكروا العرش وأن يكون الله فوقه وقالوا إنه في كل مكان ففسرت العلماء

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٧٦) ومسلم (١٣٤) وأبو داود (٤٧٢١) وغيرهم. واللفظ لمسلم وأبي داود.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٧٢٢) بإسناد حسن.

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٧٢٣- ٤٧٢٥) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجة (١٩٣) وأحمد (١/ ٢٠٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٤٧) وغيرهم من طريق عبدالله بن عميرة عن الأحنف عن العباس، وابن عميرة مجهول، وأيضًا فالحديث فيه خلاف بالرفع والوقف كما ذكر الترمذي رحمه الله في «سننه».

(٤) في إسناده ضعف: أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) وفي «متنه»: «ويحك أتدري ما الله؟ إن عرشه على سماواته لهكذا» وقال بأصابعه مثل القبة عليه. وفي إسناده محمد بن إسحاق وقد عنعن، وفيه خلاف آخر ذكره أبو داود وغيره وسبق هذا الحديث وما قبله في أول كلام المصنف عن الفوقية.

(٥) صحيح الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣٥٦ح ٤٤٢١) وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٧٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٩٤) وغيرهم بإسناد صحيح من حديث جابر مرفوعًا، وسبق.

(٦) «سنن ابن ماجة» (١/ ٦٣) والأحاديث المذكورة سبق تخريجها والحكم عليها.

وهو معكم يعني علمه ثم تواترت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه فهو فوق العرش متخلصًا من خلقه بائنًا منهم(١) .

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله : لا يجوز لمؤمن أن يقول كيف استوى لمن خلق الاستواء؟ ولنا عليه الرضا والتسليم لقول النبي ﷺ : «إنه تعالى على العرش» قال : وإنما سمي الزنديق زنديقًا لأنه وزن دقة الكلام بمخبول عقله ، وترك الأثر وتأول القرآن بالهوى فعند ذلك لم يؤمن بأن الله تعالى على عرشه(٢) .

طبقة أخرى

قال زكريا بن يحيى الساجي رحمه الله : القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم إن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء . وساق سائر الاعتقاد(٣) .

وقال أبو جعفر بن جرير الطبري إمام المفسرين رحمه الله في عقيدته : وحسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى ، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسر(٤) . ونقل في تفسير ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه : الآية ٥] في المواضع كلها أي علا وارتفع ، وتفسيره مشحون بأقوال السلف على الإثبات . وقال حماد بن هناد البوشنجي : هذا ما رأينا عليه أهل الأمصار وما دلت عليه مذاهبهم فيه وإيضاح منهاج العلماء وصفة السنة وأهلها ، إن الله فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وعلمه وسلطانه وقدرته بكل مكان(٥) .

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة : من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقى على

(١) كتاب «العرش» لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (ص٤٩) طبعة مكتبة السنة ، ونقله عنه الذهبي في «العلو» رقم (٥٢٠) .

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٥٢١) وفي «السير» (١٣/ ٣٣١) .

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٢٢) وذكر أنه من رواية ابن بطة عنه .

(٤) كتاب «صريح السنة» لابن جرير الطبري (ص٢٧ رقم ٣٥) طبعة الخلفاء بالكويت . ورواه عنه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١/ ١٨٦ رقم ٣٢٥) والذهبي في «العلو» (٥٢٥) .

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (٥٢٧) .

مزبلة لئلا يتأذى برائحته أهل القبلة وأهل الذمة [١]، وقال أبو العباس بن سريج: قد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآى والأخبار الصادقة عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منها كما ورد وأن السؤال عن معانيها بدعة، والجواب كفر وزندقة، مثل قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: الآية ٢١٠]، وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] وذكر الاعتقاد [٢].

وقال ثعلب إمام العربية: ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: الآية ٥]: علا [٣].

وقال أبو جعفر الترمذى وسأله سائل عن حديث نزول الرب: فالنزول كيف هو يبقى فوقه علو؟ فقال: النزول معقول والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة [٤].

وقال الطحاوى الإمام في عقيدته: والعرش والكرسى حق كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه [٥]. وقال أبو الحسن الأشعرى في ذكرى مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث: وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] قال: ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش [٦].

وقال أبو محمد البربهاري رحمه الله: الكلام في الرب محدثة وبدعة وضلالة، فلا يتكلم في الله إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته لم ولا كيف، يعلم السر وأخفى وعلى عرشه استوى وعلمه بكل مكان [٧].

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (٥٢٨) عن الحاكم قال سمعت محمد بن صالح بن هانئ يقول سمعت إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة... وذكره.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص٢٠٧ رقم ٥٢٩).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٣٢) وعزاه للالكائي في «السنة»، وهو في «اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٣٩٩ح ٦٦٨).

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٣٦٥) ومن طريقه أخرجه الذهبي في «العلو» رقم (٥٣٣).

(٥) «العقيدة الطحاوية» للإمام الطحاوي الفقرات (٤٩، ٥٠، ٥١).

(٦) «مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (ص٢٩٠).

(٧) «شرح السنة» للبربهاري (ص٢٨ رقم ٩) طبعة مكتبة السنة.

طبقة أخرى من أئمة الإسلام وعلماء السنة

قال أبو أحمد العسال في باب تفسير قوله تعالى: «﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] فساق ما ورد فيه من أقوال السلف وأئمتهم وحديث ابن مسعود وقد مر[(١)].

وقال أبو بكر الصبغي في قوله تعالى: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [المُلك: الآية ١٦] أي: من على العرش كما صحت الأخبار عن رسول الله ﷺ»[(٢)].

وقال أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة: «باب ما جاء في استواء الله على عرشه بائنًا من خلقه»، فساق في الباب حديث أبي رزين العقيلي وحديث الأوعال وغيرهما من أحاديث العلو[(٣)].

وقال أبو بكر الآجري: «الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله تعالى على عرشه فوق سمواته وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العلى وبجميع ما خلق في سبع أرضين يرفع إليه أعمال العباد»[(٤)].

وقال أبو الشيخ في كتاب العظمة له: «ذكر عرش الرب تبارك وتعالى وكرسيه وعظم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه. وساق جملة أحاديث في ذلك»[(٥)]. وقال أبو بكر الإسماعيلي: «استوى على العرش بلا كيف فإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه»[(٦)].

وقال الأستاذ أبو منصور الأزهري: «الله تعالى على العرش»[(٧)].

وقال أبو الحسن بن مهدي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥]: «اعلم أن الله تعالى في السماء فوق كل شيء مستوٍ على العرش بمعنى أنه عالٍ عليه، ومعنى الاستواء الاعتلاء. وإنما أمرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعها

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (٥٤٤) وعزاه للعسال في كتاب «المعرفة» من تأليفه.
(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٥٤٥) وذكر أنه من رواية الحاكم عنه.
(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٤٦).
(٤) كتاب «الشريعة» لأبي بكر الآجري (ص٢٣٢) باب «التحذير من مذاهب الحلولية».
(٥) كتاب «العظمة» لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٥٤٣) طبعة دار العاصمة.
(٦) كتاب «اعتقاد أهل السنة» لأبي بكر الإسماعيلي فقرة (٦).
(٧) أورده الذهبي في «العلو» (٥٥٠) وعزاه لكتاب «الفاروق» للأنصاري.

نحو العرش الذي هو مستو عليه»[1].

وقال ابن بطة رَحِمَهُ اللَّهُ: «باب الإيمان بأن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه وعلمه محيط بخلقه». أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين: أن الله على عرشه فوق سمواته بائن من خلقه[2]. وقال الدارقطني رَحِمَهُ اللَّهُ[3]:

حديث الشفاعة في أحمد ... إلى أحمد المصطفى نسنده
وأما حديث بإقعاده ... على العرش أيضًا فلا نجحده
أمروا الحديث على وجهه ... ولا تدخلوا فيه ما يفسده

وقال ابن منده رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهو تعالى موصوف غير مجهول، وموجود غير مدرك، ومرئى غير محاط به لقربه كأنك تراه، وهو يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش استوى، فالقلوب تعرفه والعقول لا تكيفه وهو بكل شيء محيط»[4].

وقال محمد بن أبي زيد المغربي: «وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه»[5].

قلت: وقد أطلق هذه العبارة أعنى قوله: «بذاته» أبو جعفر بن أبي شيبة والدارمي ويحيى ابن عمار وأبو نصر السجزى وابن عبد البر وشيخ الإسلام الأنصارى وأبو الحسن الكرجى وأحمد بن ثابت الطرقى وعبد العزيز القحيطى، وعبد القادر الجيلى وطائفة».

وقال ابن فورك رَحِمَهُ اللَّهُ: «استوى بمعنى علا. وقال في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: الآية ١٦] أي: من فوق السماء»[6]. وقال ابن الباقلاني في إبانته: «فإن قيل فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل معاذ الله بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه فقال تعالى:

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (٥٥٢) وعزاه لأبي الحسن علي بن مهدي في كتابه «مشكل الآيات».

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٥٥٣) وعزاه لابن بطة في «كتاب الإبانة».

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٥٤).

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (٥٥٥).

(٥) كتاب «الجامع» لابن أبي زيد القيرواني (ص١٠٨) طبعة الرسالة، وقد طبعت هذه العقيدة مفردة عدة مرات باسم عقيدة ابن أبي زيد القيرواني، والذي في الجامع: وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه وأنه في كل مكان بعلمه.

(٦) كتاب «مشكل الحديث وبيانه» لابن فورك (ص١٧٧)، ونقله عنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٥١٨) طبعة دار ابن رجب، وعنه الذهبي في «العلو» (٥٥٨).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥]، وقال: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: الآية ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: الآية ١٦]» إلى آخر كلامه[١].

وقال أبو أحمد القصاب في عقيدته: «كان ربنا ﷻ وحده لا شيء معه ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء بقدرته وخلق العرش لا لحاجة إليه فاستوى عليه استواء استقرار كيف شاء وأراد، لا استقرار راحة كما يستريح الخلق»[٢].

قلت: تفسير الاستواء بالاستقرار لم يرد في الكتاب ولا السنة، ونحن لا نصف اللَّه إلا بما ثبت في الكتاب والسنة، لا نزيد عليه ولا ننقص منه.

وقال الحافظ أو نعيم رحمه اللَّه تعالى: «طريقتنا طريقة السلف المتبعين للكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومما اعتقدوه أن اللَّه لم يزل كاملًا بجميع صفاته القديمة لا يزول ولا يحول لم يزل عالمًا بعلم بصيرًا ببصر سميعًا بسمع متكلمًا بكلام. إلى أن قال: وأن الأحاديث التي ثبتت في العرش واستواء اللَّه عليه يقولون بها ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل. وأن اللَّه بائن من خلقه والخلق بائنون منه لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه دون أرضه»[٣].

وقال معمر بن زيادة في أثناء وصيته: «وإن اللَّه استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف مجهول، وأنه بائن من خلقه والخلق بائنون منه. وذكر سائر الاعتقاد»[٤].

وقال أبو القاسم اللالكائي في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] وأن اللَّه على عرشه: قال اللَّه ﷻ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: الآية ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: الآية ١٦]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: الآية ١٨] فدلت هذه الآيات: أنه في السماء وعلمه في كل مكان، روى ذلك عن عمر وابن مسعود وابن عباس وأم سلمة، ومن التابعين ربيعة وسليمان التيمي ومقاتل بن حيان، وبه قال مالك والثوري وأحمد[٥]. وقال يحيى بن عمار: «هو بذاته على العرش وعلمه محيط بكل شيء

(١) أورده الذهبي في «العلو» (٥٥٩).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص٢٣٩ رقم ٥٦٠).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٦١) وذكر أنه في كتاب «الاعتقاد» لأبي نعيم الأصبهاني.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (٥٦٢).

(٥) كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» لأبي القاسم الطبري اللالكائي (٣/ ٣٨٧).

وعلمه وسمعه وبصره وقدرته مدركة لكل شيء»، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: الآية ٤] فهذا الذي قلناه هو كما قال اللّه تعالى وقاله رسول اللّهﷺ[1]

قلت: لفظة «بذاته» مستغنى عنها بصريح النصوص الكافية الوافية.

وقال القادر باللّه أمير المؤمنين في معتقده المشهور: «وأنه خلق العرش لا لحاجة، واستوى عليه كيف شاء لا استواء راحة، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسولهﷺ فهي صفة حقيقية لا صفة مجاز»[2].

وقال أبو عمرو الطلمنكي رحمه الله: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[الحديد: الآية ٤] ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن اللّه تعالى فوق السموات بذاته، مستو على عرشه كيف شاء[3].

وقال أبو عثمان الصابوني رحمه الله: ويعتقد أصحاب الحديث ويشهدون أن اللّه فوق سبع سموات على عرشه كما نطق به كتابه[4]، وعلماء الأمة وأعيان الأئمة من السلف لم يختلفوا أن اللّه على عرشه فوق سمواته.

وقال أبو نصر السجزي: «أئمتنا كسفيان الثوري ومالك وحماد بن سلمة وحماد بن زيد وسفيان ابن عيينة والفضل وابن المبارك وأحمد وإسحاق متفقون على أن اللّه سبحانه ذاته فوق العرش وعلمه بكل مكان»[5].

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (٥٦٤) وذكر أنه في رسالة أبي زكريا يحيي بن عمار.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٥٦٥).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٦٦) وعزاه لأبي عمر الطلمنكي في كتابه «الوصول إلى معرفة الأصول».
قلت (يحيى): وما بين المعقوفين ساقط من أصول الكتاب، وأظن السبب فيه أن الأصل الذي اعتمد عليه المصنف رحمه الله من كتاب «العلو» قد سقطت منه صفحة كاملة، أو أن البصر أخطأ فانتقل من آخر الصفحة لا إلى التي تليها بل إلى ما بعدها، والله أعلم.
والمصنف رحمه الله يعتمد على كتاب «العلو» للإمام الذهبي رحمه الله، وينقل منه ويختصره، بل إنه ربما عقب بقوله «قلت» ثم أورد تعقيب الذهبي رحمه الله بلفظه في أغلب الأحوال وبالمعنى في بعض، وهذا الأمر هو ما جعلني أجزم بالسقط، وأجترئ لإصلاحه والله الموفق والمعين.

(٤) كتاب «عقيدة السلف أصحاب الحديث» لأبي عثمان الصابوني باب استواء الله على عرشه. وآخر كلامه: كما نطق به كتابه.
أما ما بعد ذلك وهو قوله: وعلماء الأمة... إلخ فهو من كلام الإمام الذهبي رحمه الله في «العلو» (ص٢٤٧ رقم ٥٦٧).

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (٥٦٩) وعزاه لأبي نصر السجزي في كتابه «الإبانة».

وقال أبو عمرو الداني في أرجوزته التي في عقود الديانة(١) :

كلامه وقوله قديم وهو فوق عرشه العظيم

وقال أبو عمر بن عبد البر في شرح حديث النزول : «هذا حديث صحيح لم يختلف أهل الحديث في صحته ، وفيه دليل أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قالت الجماعة»(٢) . وقال أيضًا : «أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى : ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: الآية ٧] : هو على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله»(٣) . وقال أبو يعلى رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ذكر حديث الجارية : «الكلام في هذا الخبر في فصلين أحدهما جواز السؤال عن الله سبحانه بأين هو؟ والثاني جواز الإخبار عنه بأنه في السماء. وقد أخبرنا تعالى أنه في السماء فقال : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: الآية ١٦] وهو العرش»(٤) .

وقال أبو بكر البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب المعتقد له : «باب القول في الاستواء ، قال الله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥] وقال : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤] ، ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: الآية ١٨] ، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: الآية ٥٠] ، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: الآية ١٠] ، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: الآية ١٦] وأراد من فوق السماء كما قال تعالى : ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: الآية ٧١] وقال : ﴿فَسِيحُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: الآية ٢] أي : على الأرض ، وكل ما علا فهو سماء ، والعرش أعلى السموات ، فمعنى الآية أأمنتم من على العرش كما صرح به في سائر الآيات»(٥) .

طبقة أخرى

قال أبو الفتح نصر المقدسي : «وأن الله مستوٍ على عرشه بائن من خلقه كما قال في كتابه»(٦) . وقال شيخ الإسلام الأنصاري صاحب منازل السائرين في التصوف . قال في

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (٥٧٠) .

(٢) نقله المصنف من كتاب «العلو» للذهبي (٥٧١) والذهبي اختصر كلام ابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٢٨ ، ١٢٩) .

(٣) كتاب «التمهيد» لابن عبدالبر (٧/ ١٣٩) طبعة أوقاف المغرب .

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (٥٧٥) وعزاه لأبي يعلى الفراء في كتابه «إبطال التأويل» .

(٥) كتاب «الاعتقاد» للبيهقي (ص١١٣) طبعة الآفاق بيروت .

(٦) أورده الذهبي في «العلو» (٥٧٨) وعزاه لأبي الفتح المقدسي في كتابه «الحجة» .

كتاب له: «باب استواء الله على عرشه فوق السماء السابعة بائنًا من خلقه من الكتاب والسنة»، فساق الحجة من الآيات والأحاديث إلى أن قال: وفي أخبار شتى أن الله ﷻ في السماء السابعة على العرش بنفسه وهو ينظر كيف تعملون، وعلمه وقدرته واستماعه ونظره ورحمته في كل مكان(١).

وقال البغوى رحمه الله في قول الله ﷻ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤] قال الكلبي ومقاتل: استقرّ، وقال أبو عبيدة: صعد، وأوّلت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء. فأما أهل السنة فإنهم يقولون: الاستواء على العرش صفة للّه تعالى بلا كيف، يجب على الرجل الإيمان به ويكل العلم فيه إلى الله ﷻ. ثم ذكر قول مالك المتقدم، وقال: وروى عن سفيان الثورى والأوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الآيات التى جاءت في الصفات المتشابهات. أمروها كما جاءت بلا كيف(٢). وقال أبو الحسن الكرجى في بائيته(٣):

عقائدهم أن الإله بذاته	على عرشه مع علمه بالغوائب
وأن استواء الرب يعقل كونه	ويجهل فيه الكيف جهل الشهارب

وقال الشيخ عبد القادر الجيلانى رحمه الله في كتاب الغنية: «أما معرفة الصانع بالآيات والدلائل على وجه الاختصار فهو أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد. إلى أن قال: وهو مستو على العرش. محتو على الملك، محيط بالأشياء، إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه، ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: الآية ٥]، وينبغى إطلاق ذلك من غير تأويل، وكونه تعالى على العرش مذكور في كل كتاب أنزل، على كل نبى أرسل، بلا كيف»(٤).

وقال أبو عبد الله القرطبى: «وقد كان السلف الأول ﵃ لا يقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها للّه تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله، ولم ينكر أحد من السلف الصالح أن استواءه على عرشه حقيقة، وخص عرشه بذلك لأنه أعظم

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (٥٨٤) وعزاه للهروي في كتابه «الصفات».
(٢) «تفسير البغوي» المسمى «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٥).
(٣) أورده الذهبي في «العلو» (٥٩٠).
(٤) أورده الذهبي في «العلو» (٥٩٣).

مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا يعلم حقيقة كيفيته [(١)].

قلت: أراد بالجهة إثبات العلو لله تعالى، أما لفظ الجهة فلم يرد في الكتاب ولا السنة، ولا يلزم من إثبات العلو إثباتها، لأن العرش سقف جميع المخلوقات فما فوقه لا يسمى جهة، ولو سلمنا أنه يلزم من إثبات العلو إثبات الجهة فلازم الحق حق، فما استلزمه صريح الآيات والأحاديث فهو حق بلا خلاف عند أهل السنة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في العقيدة الواسطية بعد سرد الآيات والأحاديث في الصفات: فصل وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسول الله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه على على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾ [الحديد: الآية ٤] وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: الآية ٤] أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان، والله سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وكل هذا الكلام الذي ذكر الله تعالى من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن ظاهر قوله: ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: الآية ١٤٤] أن السماء تقله أو تظله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله تعالى قد وسع كرسيه السموات والأرض، وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا، ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره. اهـ [(٢)].

ومصنفات هذا الإمام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى في الانتصار لمعتقد أهل السنة والجماعة قد طبقت المشارق والمغارب.

---

(١) تفسير القرطبي المسمى «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢٦٥٥) طبعة الريان تفسير الآية ٥٤ من سورة الأعراف.

(٢) «العقيدة الواسطية» لابن تيمية مع شرحها لمحمد خليل هراس (ص٩٤).

ولو ذهبنا نذكر أقوال أهل العلم والدين من السلف والخلف لا حتجنا إلى عدة أسفار بل إلى عدة أحمال، وفيما ذكرناه كفاية. ونحن نشهد اللّه وحملة عرشه وجميع ملائكته وأنبياءه ورسله وجميع خلقه أنا نثبت لربنا ﷻ ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته رسوله ﷺ وأجمع عليه أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا ممن ذكرنا وممن لم نذكر من أن ربنا وإلهنا فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه. وهو يعلم ما هم عليه لا يخفى عليه منهم خافية، واستواؤه على عرشه كما أخبر وعلى الوجه الذي عناه وأراده كما يليق بجلال ربنا وعظمته، لا نتكلف لذلك تأويلًا ولا تكييفًا بل نقول آمنا باللّه وبما جاء عن اللّه على مراد اللّه، وآمنا برسول اللّه وبما جاء عن رسول اللّه على مراد رسول اللّه ﷺ، ولا نطلب إمامًا غير الكتاب والسنة، ولا نتخطاهما إلى غيرهما ولا نتجاوز ما جاء فيهما، فننطق بما نطقا به ونسكت عما سكتا عنه ونسير سيرهما حيث سارا ونقف معهما حيث وقفا، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

ومَعَ ذَا مُطّلِعٌ إِلَيهُمُو	بِعلمه مُهَيمنٌ عَلَيهمُ
وذكره للقرب والمعيه	لم ينفِ للعُلُوِّ وَالفَوقيه
فإنَّهُ العَلي في دُنُوِّه	وهُوَ القَريبُ جَلّ في عُلُوِّهِ

«ومع ذا» الاتصاف بالعلو والاستواء على العرش والمباينة منه لخلقه تبارك وتعالى فهو «مطلع» ﷻ «إليهمو» الواو للإشباع «بعلمه» المحيط بجميع المعلومات لا تخفى عليه منهم خافية، كما جمع تبارك وتعالى بين ذلك في قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ فجمع تعالى بين استوائه على عرشه وبين علمه السر وأخفى، وكذلك جمع ﷻ بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد: الآية ٣] وهو الأول فليس قبله شيء، والآخر فليس بعده شيء والظاهر فليس فوقه شيء والباطن فليس دونه شيء، هكذا فسره رسول اللّه ﷺ في حديث أبي هريرة عند مسلم[1]. وكذلك جمع تعالى بينهما في الآية التي تليها فقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤﴾[الحديد: الآية ٤] وكذلك جمع النبي ﷺ بين هذين المعنيين في

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧١٣) وغيره. وسبق.

حديث الأوعال إذ يقول: «**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**»[1] وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماع المؤمنين.

«**مهيمن**» رقيب «**عليهمو**» بواو الاشباع «**وذكره**» تبارك وتعالى «**للقرب**» في قوله ﷻ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ: الآية ٥٠]، وقول النبي ﷺ في حديث الصحيحين: «**إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**»[2].

«**و**» كذلك ذكره «**المعية**» العامة في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: الآية ٧]، وقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: الآية ٤]، وكذا المعية الخاصة في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: الآية ١٢٨]، وقوله: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٤٦]، وقوله لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: الآية ٤٦]، وقوله في قصة نبينا ﷺ مع الصديق رضي الله عنه: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية ٤٠]، كل ذلك لم ينف العلو المذكور في النصوص السابقة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة من أنه تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه - إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه - تعرج الملائكة والروح إليه - يدبر الأمر من السماء إلى الأرض.

«**والفوقية**» عطف على العلو وهو رديفه في المعنى أي ولم ينف قوله ﷻ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: الآية ١٨]، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: الآية ٥٠]، وقول النبي ﷺ: «**والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه**»[3] بل كل ذلك حق على حقيقته ولا منافاة بين قربه ﷻ وبين علوه «**فإنه**» هو «**العلي**» المتصف بجميع معاني العلو ذاتًا وقهرًا وشأنًا «**في دنوه**» فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء. وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء، وليس ذلك

---

(١) ضعيف الإسناد: وسبق الكلام عنه.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٢) والنسائي في «الكبرى» (٧٦٨٠) وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا به، وأصل الحديث أخرجه البخاري (٦٣٨٤) ومسلم (٢٧٠٤) وغيرهما بلفظ: «إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا ولكن تدعون سميعًا بصيرًا».

(٣) ضعيف الإسناد: وسبق الكلام عنه.

منافيا لفوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ومعيته العامة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: الآية ٤] معناها إحاطته بهم علمًا وقدرة كما يدل عليه أول السياق وآخره، وهو إجماع الصحابة والتابعين كما تقدم نقل إجماعهم على ذلك.

وأما معيته الخاصة لأحبابه وأوليائه فتلك غير المعية العامة، فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق والتسديد وغير ذلك مما تجفو عبارة المخلوق عنه، ويقصر تعريفه دونه، وكفاك قول اللَّه ﷻ فيما رواه عنه نبيه ﷺ إذ يقول: «ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»[1]، وفي بعض الروايات «وقلبه الذي يعقل به، ولسانه الذي ينطق به»[2] وليس معنى ذلك أن يكون جوارح للعبد، تعالى اللَّه عن ذلك علوًّا كبيرًا. وإنما المراد أن من اجتهد بالتقرب إلى اللَّه ﷻ بالفرائض ثم بالنوافل قربه إليه ورقاه من درجة الإيمان إلى درجة الإحسان، فيصير يعبد اللَّه على الحضور والمراقبة كأنه يراه فيمتلئ قلبه بمعرفة اللَّه تعالى ومحبته وعظمته وخوفه ومهابته وإجلاله والأنس به والشوق إليه حتى يصير هذا الذي في قلبه من المعرفة مشاهدًا له بعين البصيرة. إلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «**أحبوا اللَّه من كل قلوبكم**»[3] فمتى امتلأ القلب بعظمة اللَّه تعالى محا ذلك من القلب كل ما سواه، ولم يبق للعبد شيء من نفسه وهواه، ولا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٠٢) وابن حبان (٣٤٧) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في «العلل» (١٨٧٢) من طريق علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة وإسناده ضعيف لضعف علي بن يزيد، وقال أبو حاتم: منكر جدًّا.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٨٢) من طريق بعض العلماء عن إبراهيم بن أدهم أنه بلغه أن الله أوحى إلى زكريا عليه السلام، وإسناده ضعيف إلى إبراهيم ثم هو من أخبار بني إسرائيل، وليس من الحديث المرفوع.

(٣) ضعيف الإسناد: أورده ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ٣٠) عن ابن إسحاق من غير إسناد، ولأوله شاهد من حديث ابن عباس مرفوعًا بلفظ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه»، وإسناده ضعيف أخرجه الترمذي (٣٧٨٩) وأحمد في «فضائل الصحابة» (١٩٥٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٨٣ ت ٥٦٢) والطبراني في «الكبير» (٣/ ٤٦ح ٢٦٣٩) و(١٠/ ٢٨١ح ١٠٦٦٤) والحاكم (٤٧١٦) والبيهقي في «الاعتقاد» (ص٣٢٨) وصححه الحاكم، وقال الترمذي: حسن غريب.
قلت: وإسناده ضعيف.

إرادة إلا لما يريد منه مولاه. فحينئذ لا ينطق العبد إلا بذكره ولا يتحرك إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمع سمع به، وإن نظر نظر به، وإن بطش بطش به، فهذا هو المراد بقوله ﷺ: «**كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها**»[1]. ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسوله بريئان منه.

«**وهو القريب جل في علوه**» فهو ﷻ مستو على عرشه عال على جميع خلقه وهو قريب يجيب دعوة الداع إذا دعاه. ويعلم سره ونجواه، وهو أقرب إلى داعيه من عنق راحلته. ويعلم ما توسوس به نفس الإنسان وهو أقرب إليه من حبل الوريد، فإن الذي عند عنق راحلته أو عند حبل وريده لا يعلم ما خفي عليه من كلامه، والله ﷻ على عرشه ويعلم السر وأخفى، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو مع خلقه بعلمه وقدرته ولا تخفى عليه منهم خافية وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، فهو على كل شيء شهيد وبكل شيء محيط، فهو سبحانه القريب في علوه، العلي في دنوه وهو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

حَــي وَقَــيــومٌ فَــلَا يــنَــامُ وَجَــلَّ أَنْ يــشْــبِــهَــهُ الأَنَــامُ
لَا تَــبْــلُــغُ الأَوْهَــامُ كُــنْــهَ ذَاتِــه وَلَا تُــكَــيِّــفُ الْــحِــجَــا صِــفَــاتِــه

«حي» لا يموت كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: الآية ٥٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: الآية ٦٥] فهو الحي الذي لم تسبق حياته بالعدم ولم يعقب بالفناء، هو الأول فليس قبله شيء والآخر فليس بعده شيء، وفي «الصحيحين» عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»[2].

«**وقيوم**» فهو القيوم بنفسه القيم لغيره فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ولا قوام لها إلا به ولا قوام لها بدون أمره كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: الآية ٢٥] وهو القائم على كل شيء والقائم بجميع أمور عباده والقائم على كل

(١) صحيح: أخرجه البخاري وغيره وسبق.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٨٣) ومسلم (٢٧١٧) وغيرهما من حديث ابن عباس مرفوعًا به.

نفس بما كسبت. وفي «الصحيحين» من دعائه ﷺ في صلاة الليل: «**اللَّهم لك الحمد أنت رب السموات والأرض، ولك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض**» الحديث[1].

وقد جمع تعالى بين هذين الاسمين ﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] في ثلاثة مواضع من كتابه:

الأول: آية الكرسى من سورة البقرة ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥].

والثانى: أول سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾.

الثالث: في سورة طه: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾﴾ [طه: الآية ١١١].

وروى ابن مردويه عن أبي أمامة مرفوعًا قال: «**اسم اللَّه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب في ثلاثة سور: سورة البقرة وآل عمران وطه**»[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٣٨٥) ومسلم (٧٦٩) وغيرهما من حديث ابن عباس مرفوعًا.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٨) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٨٤ح ١٨٦١) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٣٧ح ٧٩٢٥) وفي «الأوسط» (٨/ ١٩٢ح ٨٣٧١) من طريق هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عن عبدالله بن العلاء عن القاسم أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة مرفوعًا، وقال الطبراني في «الأوسط»: لم يرو هذا الحديث عن عبدالله بن العلاء إلا الوليد، تفرد به هشام.

قلت (يحيى): هشام لم يتفرد به، بل تابعه عمار بن نصر، أخرج حديثه الحاكم (١/ ٦٨٦ح ١٨٦٦) والوليد لم ينفرد به عن العلاء، بل رواه عنه أيضًا عمرو بن أبي سلمة، أخرجه الحاكم (١٨٦٧) وأخرجه أيضًا ابن ماجة (٣٨٥٦) لكن وقفه على القاسم، وأخرجه أيضًا ابن ماجة (٣٨٥٦) والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٨٣ح ٧٧٥٨) عن عمرو بن أبي سلمة عن عيسى بن موسى عن غيلان بن أنس عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا.

ومدار طرق الحديث على القاسم وهو متكلم فيه، وقال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق يغرب كثيرًا، وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعًا وليس فيه سورة طه، أخرجه أبو داود (١٤٩٦) والترمذي (٣٤٧٨) وابن ماجة (٣٨٥٥) وأحمد (٦/ ٤٦١) وابن أبي شيبة (٢٩٣٦٣،=

«فلا ينام» أي لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذهول عن خلقه فإن ذلك نقص في حياته وقيوميته، ولهذا أردف هذين الاسمين بنفي السِّنة والنوم فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] أي لا تغلبه سنة وهو الوسن والنعاس، ولا نوم ونفيه من باب أولى لأنه أقوى من السنة، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء ولا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية.

وفي «الصحيحين» عن أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور- أو النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**»[1].

«وجل» عن **«أن يشبهه الأنام»** في ذاته أو أسمائه أو صفاته أو أفعاله لأن الصفات تابعة لموصوفها فكما أن ذاته لا تشبه الذوات فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقات، ولو اهتدى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى الله إليه أهل السنة والجماعة لما نفوا عن الله ما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله ﷺ ولما عطلوه عن صفات كماله ونعوت جلاله فرارًا بزعمهم من التشبيه فوقعوا في أعظم من ذلك ولزمهم أضداد ما نفوه من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وسبب ضلالهم أنهم تقدموا بين يدى الله ورسوله واتهموا الوحيين فيما نطقا به ووزنوهما بعقولهم السخيفة وأذهانهم البعيدة وقوانينهم الفاسدة التى هى ليست من الله في شيء، ولا من علوم الإسلام في ظل ولا فىء، وإنما هى أوضاع مختلفة أدخلها الأعادى على أهل الإسلام لقصد إظهار الفساد، ولغرس شجرة الإلحاد، المثمرة تعطيل البارى ﷻ عن صفات كماله وعلوه واعتقاد الحلول والاتحاد.

جَاءُوا بِهَا فِي قَالَبِ التَّنْزِيهِ ... لِلَّهِ كَيْ يَغْوُونَ كُلَّ سَفِيهِ
قَالُوا صِفَاتُ كَمَالِهِ مَنْفِيَّة ... عَنْهُ مَخَافَةَ مُوجِبِ التَّشْبِيهِ
تَعْطِيلُهُمْ سَمَّوْهُ «تَنْزِيهًا» لَهُ ... لِيُرَوِّجُوا فَاعْجَبْ لِذَا التَّمْوِيهِ
وَالوَحْيُ قَالُوا نَصُّهُ لَا يُوجِبُ ... العِلْمَ اليَقِينَ فَأَيُّ دِينٍ فِيهِ

= ٣٥٦٠٦) وفي إسناده عبدالله بن أبي زياد القداح وهو ضعيف، وشهر بن حوشب فيه كلام، وله شاهد موقوف من حديث ابن مسعود أخرجه الدارمي (٢/ ٥٤٣ح ٣٣٩٣).

(١) **صحيح**: لكن لم يخرجه البخاري، إنما أخرجه مسلم (١٧٩) وابن ماجة (١٩٥، ١٩٦) وابن حبان (٢٦٦) وغيرهم من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا به.

مَا الدِّينُ إِلَّا مَا عَنِ اليُونَانِ قَدْ جِئْنَا بِهِ طُوبَى لِمَنْ يَحْوِيهِ
نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ وَبَقَوْا حَيَارَى فِي ضَلَالِ التِّيهِ

فسموا النور الذي أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ تفصيل كل شيء وتبيانًا لكل شيء ولم يفرط فيه من شيء وبيان النبي ﷺ من جوامع كلمه التى اختصه الله بها ، فسموا ذلك كله «آحادًا ظنية لا تفيد اليقين» ، وسموا زخارف أذهانهم ووساوس شيطانهم «قواطع عقلية» ، لا والله ما هى إلا خيالات وهمية ووساوس شيطانية ، هى من الدين بريئة وعن الحق أجنبية ، توجب الحيرة وتعقب الحسرة كثيرة إلى مبانى قليلة المعانى كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، ويا ليته إذا جاءه لم يجده شيئًا لكن وجده السم النقيع والداء العضال ، فخاخ هلكة نصبها الأعداء لاصطياد الأغبياء ، وخدعة ماكر في صورة ناصح فعل عدو الله اللعين في قصته مع الأبوين عليهما السلام في دلالتهما على الشجرة التى نهاهما ربهما عنها ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ إلى آخر الآيات ، وكذلك كتب الكلام والمنطق اليونانى أدخله الأعداء علينا وسموه علم التوحيد تلبيسًا وتمويهًا وما هو إلا سلم الإلحاد والزندقة ، وجحدوا صفات البارى ﷻ وسموا ذلك تنزيهًا ليغروا الجهال بذلك ، وإنما هو محض التعطيل . وسموا أولياء الله المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاته مشبهة لينفروا الناس عنهم مكرًا وخديعة ، فأصبح المغرور بقولهم المخدوع بمكرهم حائرًا ، مخذولا لأنهم لما عزلوا كتاب الله عن البيان وحكموا عقولهم السخيفة في نصوص صفات الديان لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارح والأدوات التى منحه الله إياها ومتى شاء سلبه ، ولم ينظروا المتصف بها من هو ، فلذلك نفوها عن الله ﷻ لئلا يلزم من إثباتها التشبيه ، فشبهوا أولًا وعطلوا ثانيا ، فلما نفوا عن الله صفات كماله لزمهم إثبات ضدها وهو النقائص ، فمن نفى عن الله كونه سميعًا بصيرًا فقد شبهه بما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى شيئًا وكذلك سائر الصفات وماذا عليهم لو أثبتوا لله ﷻ ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ كما شاء الله تعالى وعلى الوجه الذي أراد ، فجميع صفاته صفات كمال وجلال تليق بعظمة ذاته ونفيها ضد ذلك ، ولا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق المسميات فإن الله تعالى قد سمى نفسه سميعًا بصيرًا ، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعًا بصيرًا ، وسمى نفسه الرءوف الرحيم ، وأخبر أن نبيه ﷺ بالمؤمنين رءوف رحيم ، وسمى نفسه الملك فقال : ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾[الفاتحة: الآية ٤] ، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢﴾[النَّاس: ٢] وسمى بعض خلقه ملكًا فقال : ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾[يوسف: ٥٤]

وهو العزيز وسمى بعض عباده عزيزًا وغير ذلك، فلا يلزم من اتفاق التسمية اتفاق الأسماء ومقتضياتها، فليس السمع كالسمع ولا البصر كالبصر ولا الرأفة كالرأفة ولا الرحمة كالرحمة ولا العزة كالعزة، كما أنه ليس المخلوق كالخالق ولا المحدث الكائن بعد أن لم يكن كالأول الآخر الظاهر الباطن، وليس الفقير العاجز عن القيام بنفسه كالحى القيوم الغنى عما سواه وكل ما سواه فقير إليه، فصفات الخالق الحى القيوم قائمة به لائقة بجلاله أزلية بأزليته دائمة بديموميته، لم يزل متصفًا بها ولا يزال كذلك، لم تسبق بضد ولم تعقب به، بل له تعالى الكمال المطلق أولًا وأبدًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١]، فمن شبه اللَّه تعالى بخلقه فقد كفر ومن نفى عنه ما وصف به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف اللَّه به نفسه ورسوله تشبيه.

«**لا تبلغ الأوهام كنه ذاته**» أى نهاية حقيقتها كما قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: الآية ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] وإنما نعرفه تعالى بما وصف به نفسه في كتبه المنزلة على رسله بأنه أحد صمد ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥] إلى آخر الآية، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾، ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: الآية ٣] إلى غير ذلك من آيات الأسماء والصفات.

«**ولا يكيف الحجا**» أى: العقل «**صفاته**» لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو، فالواجب علينا أيها العبيد: الإيمان باللَّه وأسمائه وصفاته وإمرارها كما جاءت واعتقاد أنها حق كما أخبر اللَّه ﷻ وأخبر رسوله ﷺ، وعدم التكييف والتمثيل لأن اللَّه ﷻ أخبرنا بأسمائه وصفاته وأفعاله ولم يبين كيفيتها فنصدق الخبر ونؤمن به ونكل الكيفية إلى اللَّه ﷻ، فصفات ذاته تعالى من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها وكذلك صفات أفعاله من الاستواء على العرش والنزول إلى سماء الدنيا والمجيء لفصل القضاء بين عباده وغير ذلك كلها حق على حقيقتها، علمنا اتصافه تعالى بها بما علمنا في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتها ولم يحيطوا بها علمًا كما قالت أم سلمة ﵂ وربيعة

الرأى ومالك ابن أنس وغيرهم رحمهم اللَّه تعالى: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ومن اللَّه الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق والتسليم»(١). وكذلك القول في جميع صفاته ﷻ، وإنا واللَّه لكالون حائرون في كيفية سراية الدم في أعضائنا وجريان الطعام والشراب فينا وكيف يدبر اللَّه تعالى قوت كل عضو فيه بحسب حاجته، وفي استقرار الروح التى هى بين جنبينا وكيف يتوفاها اللَّه في منامها وتعرج إلى حيث شاء اللَّه ﷻ ويردها إذا شاء، وفي كيفية إقعاد الميت في القبر وعذابه ونعيمه، وكيفية قيام الأموات من القبور حفاة عراة غرلا، وكيفية الملائكة وعظم خلقهم فكيف العرش الذي لا يقدر قدره إلا اللَّه ﷻ، كل ذلك نجهل كيفيته ونحن مؤمنون به كما أخبرنا اللَّه ﷻ عنه على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام إيمانًا بالغيب وإن لم نعلم الكيفية، فكيف بالخالق ﷻ وأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وللَّه المثل الأعلى في السموات والأرض وله الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون. ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٥٢]. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: الآية ٧]، ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: الآية ٥٣].

انفراده ﷻ بالإرادة والمشيئة

بَاقٍ فَلَا يَفْنَى وَلَا يَبِيدُ ... وَلَا يَكُونُ غَيْرُ مَا يُرِيدُ
مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالإِرَادَهْ ... وَحَاكِمٌ- جَلَّ- بِمَا أَرَادَه

«**باق**» كما أنه الأول بلا ابتداء فهو الباقي بلا انتهاء، فكما لا ابتداء لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته «**فلا يفنى ولا يبيد**» بل هو المفنى المبيد، وهو المبدئ المعيد، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: الآية ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧].

«**ولا يكون**» في الكون «**غير ما يريد**» والمراد بالإرادة هنا الإرادة القدرية الكونية التى لا بد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها وهى مشيئة اللَّه الشاملة وقدرته النافذة فما شاء اللَّه تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعال لما يريد، ولا نفوذ

(١) صح ذلك إلى مالك بن أنس وربيعة بن أبي عبدالرحمن، ولا يصح عن أم سلمة، وسبق تخريج أسانيده، إليهم.

لإرادة أحد إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكون في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئته، ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، وورود ذلك في نصوص الكتاب والسنة معلوم كقوله تبارك وتعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: الآية ١٠٧]، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: الآية ٨٢]، ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٦]وهذا الأمر القدري الكوني غير الأمر الشرعي، فإن الله لا يأمر بالفسق شرعًا ولا يحب الفاسقين وإنما هو أمر تكوين، ألا ترى أن الفسق علة (حق القول عليهم) و (حق القول عليهم) علة لتدميرهم وهكذا الأمر سبب لفسقهم ومقتض له وذلك هو أمر التكوين، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥]، ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: الآية ٨٢]، ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: الآية ٤١]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: الآية ٤١] وقول نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: الآية ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: الآية ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: الآية ١٦]، ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: الآية ١٧]، ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: الآية ١٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ [الفتح: الآية ١١]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٦]، وقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: الآية ١٨]، وقول صاحب يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [يس: الآية ٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: الآية ٣٨].

وقول النبي ﷺ: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»** (١)، **«من يرد الله به خيرًا يصب**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧١، ٣١١٦) ومسلم (ص١٥٢٤ ح ١٠٣٧) وغيرهما من حديث معاوية مرفوعًا.

منه» [١]، **«إذا أراد اللَّه رحمة أمة قبض نبيها قبلها وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فأقر عينه بهلاكها»** [٢]، **«إذا أراد اللَّه بعبد خيرًا عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد اللَّه بعبد شرًا أمسك عنه بذنوبه حتى يوافي به يوم القيامة»** [٣]، **«إذا أراد اللَّه قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة»** [٤]، **«إذا أراد اللَّه بأهل بيت خيرًا أدخل عليهم باب الرفق»** [٥]، **«إذا أراد اللَّه بقوم عذابًا أصاب من كان فيهم ثم بعثوا على نياتهم»** [٦]. والآثار النبوية في ذلك كثيرة.

وكذلك لفظ «المشيئة» في الكتاب والسنة وروده معلوم كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٦٤٥) ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٤١) وابن حبان في «صحيحه» (٢٩٠٧) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٨٨) وابن حبان (٦٦٤٧، ٧٢١٥) وغيرهما من حديث أبي موسى مرفوعًا.

(٣) **حسن بمجموع طرقه**: أخرجه أحمد (٤/ ٨٧) وابن حبان (٢٩١١) والحاكم (١٢٩١، ٨١٣٣) والبيهقي في «الشعب» (٩٨١٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٥) من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن عبدالله بن المغفل مرفوعًا به، وعلة هذا الإسناد تدليس الحسن البصري وأخرجه الترمذي (٢٣٩٦) وأبو يعلى (٤٢٥٤، ٤٢٥٥) والحاكم (٨٧٩٩) وابن عدي (٣/ ٣٥٥، ٣٥٦) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن سنان عن أنس مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف سعيد بن سنان، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣١٣ح ١١٨٤٢) من حديث ابن عباس مرفوعًا وفي إسناده عبدالرحمن بن محمد العرزمي وهو ضعيف، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٢٨٠ح ٥٣١٥) من حديث أبي تميمة الهجيمي مرفوعًا بنحوه وفي إسناده هشام بن لاحق وهو ضعيف وأخرجه هناد في «الزهد» (٤٣٣) عن الحسن مرسلًا، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ٨٣) عن قتادة موقوفًا بإسناد حسن، ومرسلًا أيضًا. والحديث يصحح أو يحسن بمجموع طرقه، والله أعلم.

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٤٧) وأحمد (٣/ ٤٢٩) والطيالسي (١٣٢٥) وأبو يعلى (٩٢٧) وابن حبان (٦١٥١) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٢٧٦ح ٧٠٦-٧٠٨) من طرق عن أيوب عن أبي المليح بن أسامة عن أبي عزة مرفوعًا به وله طرق أخرى أيضًا.

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٧١) عن هيثم بن خارجة عن حفص بن ميسرة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة مرفوعًا، وأخرجه (٦/ ١٠٤) عن أبي سعيد عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبي نمر عن عطاء بن يسار عن عائشة مرفوعًا.

وهذان صحيحان، وله عن عائشة طريق ثالث أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٤١٨) والخطيب في «موضع أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٣١٢) من طريق أبي غرارة عن أبيه عن القاسم عن عائشة، وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٥٣ح ١٩٥٣) ونقل عن أبيه قوله: هذا حديث منكر، بهذا الإسناد هو منكر.

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٠٨) ومسلم (٢٨٧٩) وغيرهما من حديث ابن عمر مرفوعًا بلفظ: «بعثوا على أعمالهم».

مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٣] ، وقال تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٤٠] ، وقال : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾ [الأنعَام: الآية ١١٢] ، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يُونس: الآية ٩٩] ، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ﴾ [هُود: الآية ١١٨] ، ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرّعد: الآية ٣١] ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ﴾ [الأنعَام: الآية ٣٥] ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السَّجدَة: الآية ١٣] ، ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمَّد: الآية ٤] ، ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسرَاء: الآية ٨٦] ، ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾ [الشّورى: الآية ٢٤] ، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾﴾ [النّساء: الآية ١٣٣] ، ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: الآية ٢٧] ، ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ [هُود: الآية ٣٣] ، وقوله عن إمام الحنفاء : ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ [الأنعَام: الآية ٨٠] ، وقوله عن الذبيح : ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصَّافات: الآية ١٠٢] ، وقوله عن شعيب عليه السلام : ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾ [الأعرَاف: الآية ٨٩] ، وقوله عن يوسف : ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يُوسُف: الآية ٩٩] ، وقوله عن موسى : ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: الآية ٦٩] ، وقوله عن قوم موسى : ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٧٠] ، وقوله لنبيه ﷺ : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٨٨] ، وقال : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ [هُود: الآية ١٠٧] وعن أهل النار مثل ذلك ، وقال : ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ﴾ [الإسرَاء: الآية ٥٤] ، وقال : ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٢٩] ، وقال : ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ﴾ [الشورى: الآية ٢٧] ، وقال : ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ [الإسرَاء: الآية ٣٠] ، وقال : ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ﴾ [الرّعد: الآية ٣٩] ، وقال : ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ﴾ [يُونس: الآية ١٦] ، وقال : ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ [الإنسَان: الآية ٢٨] ، وقال : ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [المدَّثر: الآية ٥٦] ، وقال : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الإنسَان: الآية ٣٠] فأخبر أن مشيئتهم وفعلهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا . وقال : ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢٦] ، وقال : ﴿وَيُعَذِّبَ

ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[الأحزاب: الآية ٢٤] ، وقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: الآية ١٠٥] ، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾[النور: الآية ٢١] ، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[البقرة: الآية ٢٦١] ، وقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾[يوسف: الآية ٥٦] ، وقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾[الأنعام: الآية ٨٣] ، وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[المائدة: الآية ٥٤] ، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[إبراهيم: الآية ١١] ، وقال: ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾[يوسف: الآية ١١٠] ، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[الروم: الآية ٤٨] ، وقال: ﴿رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾[يوسف: الآية ١٠٠] ، وقال: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: الآية ٢٦٩] ، وقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ﴾[يس: الآية ٦٦] ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾[البقرة: الآية ٢٠] ، وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾[الشورى: الآية ٣٣] ، وقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا﴾[الواقعة: الآية ٦٥] ، ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾[الواقعة: الآية ٧٠] ، وقال: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾[التوبة: الآية ٢٨] ، وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾[إبراهيم: الآية ١٩] ، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ﴾[الأنعام: الآية ١٣٣] ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾[البقرة: الآية ٢٢٠] ، ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾[الشورى: الآية ١٣] ، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾[البقرة: الآية ٢٦١] ، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾[القصص: الآية ٦٨] ، ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ ، ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[آل عمران: الآية ٦] ، ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[الانفطار: الآية ٨] ، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾[إبراهيم: الآية ١١] ، ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾[الشورى: الآية ١٩] . ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾[القصص: الآية ٨٢] وغير ذلك من الآيات.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن ساق نحوًا من هذه الآيات: «وهذه الآيات ونحوها تتضمن الرد على طائفتي الضلال نفاة المشيئة بالكلية ونفاة مشيئة أفعال العباد وحركاتهم وهداهم وضلالهم، وهو سبحانه يخبر تارة أن كل ما في الكون بمشيئته. وتارة أن ما لم يشأ لم يكن، وتارة أنه لو شاء لكان خلاف الواقع وأنه لو شاء لكان خلاف القدر الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عُصِي وأنه لو شاء لجمع خلقه على الهدى وجعلهم أمة واحدة، فتضمن ذلك أن الواقع بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئته، وهذا حقيقة

الربوبية وهو معنى كونه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾[الفاتحة: الآية ٢] وكونه القيوم القائم بتدبير أمور عباده، فلا خلق ولا رزق ولا عطاء ولا منع ولا قبض ولا بسط ولا موت ولا حياة ولا ضلال ولا هدى ولا سعادة ولا شقاوة إلا بعد إذنه، وكل ذلك بمشيئته وتكوينه إذ لا مالك غيره ولا مدبر سواه ولا رب غيره. اهـ»[1].

والأحاديث من السنة النبوية في إثبات المشيئة كثيرًا جدًّا منها: قوله ﷺ في شأن الجنين: «**فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك**»[2]، وقوله: «**اشفعوا تؤجروا ويقضي اللَّه على لسان نبيه ما يشاء**»[3]، «**إن اللَّه قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء**»[4]، «**إن اللَّه لو شاء لم تناموا عنها، ولكنه أراد ليكون لمن بعدكم**»[5]، «**قولوا ما شاء اللَّه وحده**»[6]، «**قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء**»[7]، «**ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه**»[8]، وكان ﷺ يقول:

---

(١) «شفاء العليل» لابن القيم (ص٤٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٤٥) وابن حبان (٦١٧٧) وغيرهما من حديث حذيفة بن أسيد مرفوعًا به.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٧٦) ومسلم (٢٦٢٧) وغيرهما من حديث أبي موسى مرفوعًا.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٧١) وغيره من حديث أبي قتادة مرفوعًا به.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ١٨٧ ح ٥٢٨٥) من طريق عبدالرحمن وهو ابن مهدي عن المسعودي عن جامع بن شداد عن عبدالرحمن بن أبي علقمة عن ابن مسعود، مرفوعًا، وإسناده ضعيف، عبدالرحمن بن أبي علقمة مجهول الحال، وقيل له صحبة ولا يصح، والمسعودي اختلط وسماع ابن مهدي منه بعد الاختلاط.

(٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤٣٠) عن شعبة عن منصور عن عبدالله بن يسار عن حذيفة مرفوعًا به، وإسناده صحيح وعبدالله بن يسار هو الجهني، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) وابن أبي شيبة (٥/ ٣٤٠ح ٢٦٦٩١) والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٢٥) والبيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢١٧) من طريق الأجلح عن يزيد وهو ابن الأصم عن ابن عباس مرفوعًا، والأجلح متكلم فيه، وفي إسناد حديثه اختلاف أيضًا، وأخرجه أبو يعلى (٤٦٥٥) والحاكم (٤٩٤٥، ٤٩٤٦) من حديث عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن أبي الصفيل، وفي بعض طرقه اختلاف، وأصح طرقه طريق أبي داود الطيالسي عن حذيفة وهو صحيح.

(٧) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٥٤) وغيره من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا.

(٨) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) وابن ماجة (١٩٩) وابن حبان (٩٤٣) والحاكم (١٩٢٦، ٣١٤١، ٧٩٠٧) وابن جرير (٣/ ١٨٨) من طرق عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن بسر ابن عبيدالله الحضرمي عن أبي إدريس الخولاني عن النواس بن سمعان مرفوعًا به، وهذا إسناد صحيح، وله طريق آخر عن أم سلمة وثالث عن عائشة وفيهما ضعف وانظر ما يأتي.

«اللَّهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك»[١] ، وقوله عن اللَّه ﷻ : «فذلك فضلي أوتيه من أشاء»[٢] ، وقوله : «مثل الكافر كمثل الأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها اللَّه إذا شاء»[٣] ، وقوله : «تعرضوا لنفحات رحمة اللَّه ، فإن للَّه ﷻ سحائب من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده»[٤] ، وقوله في حديث البيعة : «ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره اللَّه فهو إلى اللَّه ﷻ ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[٥] ، وفي حديث احتجاج الجنة والنار قوله تعالى للجنة : «أنت رحمتى أرحم بك من أشاء» وللنار : «أنت عذابى أعذب بك من أشاء»[٦] ، وقوله ﷺ : «لا يقل أحدكم اللَّهم اغفر لى إن شئت اللَّهم ارحمنى إن شئت وارزقنى إن شئت ، ليعزم المسألة ، فإن اللَّه تعالى لا مكره له»[٧] ، وقوله : «ولكن قل قدر اللَّه وما شاء فعل»[٨] ، وقوله عن اللَّه ﷻ : «ذلك بأنى جواد أفعل ما أشاء ، عطائى كلام

---

(١) صحيح : من حديث النواس بن سمعان وتخريجه ما سبق ، وأخرجه الترمذي (٣٥٢٢) وأحمد (٦/ ٣٠٢ ، ٣١٥) وابن جرير (٣/ ١٨٩) من حديث أم سلمة وفي إسناده شهر بن حوشب فيه كلام ، وأخرجه أحمد (٦/ ٩١) والنسائي في «الكبرى» (٧٧٣٧) من طريق الحسن عن عائشة وإسناده ضعيف للانقطاع .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري في مواضع منها (٥٥٧) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٦٦) ومسلم (٢٨٠٩) وغيرهما من حديث أبي هريرة . واللفظ للبخاري .

(٤) ضعيف الإسناد : أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٢٥٠ ح ٧٢٠) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٠١) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤٢ح ١١٢١) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٦٢) وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٣٥) لابن عساكر ، من طرق عن يحيى بن أيوب عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن أنس مرفوعًا به ، وهذا إسناد صحيح في ظاهره ، ولذا أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣١) وقال : رواه الطبراني ، وإسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهو ثقة . اهـ.

قلت : لكن أخرجه البيهقي في «الشعب» (١١٢٣) وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٣٥) لابن عساكر من طريق الليث بن سعد عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن رجل من أشجع عن أبي هريرة مرفوعًا ، وهذا إسناد ضعيف والرجل مبهم ، وقال البيهقي : وهذا هو المحفوظ دون الأول .

قلت : وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١١١ح ٣٤٥٩٤) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢١) عن محمد بن بشر عن الحكم بن الفضل عن زيد بن أسلم عن أبي الدرداء موقوفًا .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٣٨٩٢) وغيره من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا به .

(٦) صحيح : أخرجه البخاري (٤٨٥٠) ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة .

(٧) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٧٧) ومسلم (٢٦٧٩) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

(٨) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦٤) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»[١]، وقوله: «ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولد فيقول ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيه آفة دون الموت»[٢]، وفي حديث الشفاعة: «فيدعني ما شاء الله أن يدعني»[٣] وفي حديث آخر أهل الجنة دخولا الجنة: «فيسكت ما شاء الله أن يسكت»[٤]، وفيه قوله تعالى: «لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قدير»[٥]، وقال: «فأريد إن شاء الله أن أختبيء دعوتي شفاعة لأمتي»[٦]، وقال: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة الذين بايعوا تحتها أحد»[٧]، وقال: «إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء الله ما بين أيلة إلى كذا»[٨]، وقال في المدينة: «لا يدخلها الطاعون ولا الدجال إن شاء الله تعالى»[٩]، وفي زيارة القبور: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[١٠]، وفي حصار الطائف: «إنا قافلون غدًا إن شاء الله»[١١] وفي قدومه مكة: «منزلنا غدًا إن شاء الله بخيف بني كنانة»[١٢]، وفي قصة بدر: «هذا مصرع فلان غدًا إن شاء الله وهذا مصرع فلان إن شاء الله»[١٣]، وفي بعض أسفاره: «إنكم تأتون الماء

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجة (٤٢٥٧) وأحمد (٥/ ١٥٤) من طريق شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن أبي ذر مرفوعًا، وشهر فيه كلام، واختلف عليه أيضًا في إسناد هذا الحديث كما أشار لذلك الترمذي رحمه الله.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ١٢٦ح ٥٩٩٥) والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٩٠ح ٤٣٦٩) من طريق عبدالملك بن زرارة الأنصاري عن أنس بن مالك مرفوعًا، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٠) وقال: رواه الطبراني في «الصغير والأوسط» وفيه عبدالملك بن زرارة وهو ضعيف.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤١٠) ومسلم (١٩٣) وغيرهما من حديث أنس.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٧) وأحمد (١/ ٤١٠) من حديث أنس عن ابن مسعود مرفوعًا.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٧٤) ومسلم (١٩٩) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٧) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٩٦) وغيره من حديث أم مبشر مرفوعًا.

(٨) صحيح: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٥٠) من طريق الحكم بن نافع عن شعيب عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا به.

(٩) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٧٣) وغيره من حديث أنس.

(١٠) صحيح: أخرجه مسلم (٩٧٥) والنسائي (٤/ ٩٤) وابن ماجة (١٥٤٧) وغيرهم من حديث بريدة مرفوعًا.

(١١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٨٠) ومسلم (١٧٧٨) وغيرهما من حديث ابن عمر.

(١٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٧٩) ومسلم (١٣١٤) من حديث أبي هريرة.

(١٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٧٣) وغيره من حديث أنس مرفوعًا به.

غدًا إن شاء اللَّه» [١]، وقال: **«من حلف فقال إن شاء اللَّه فإن شاء مضى وإن شاء رجع غير حنث»** [٢]، وقال: **«لأغزون قريشًا»** ثم قال في الثانية: **«إن شاء اللَّه»** [٣]. وقال: **«ألا مشمر للجنة»** فقال الصحابة نحن المشمرون لها يا رسول اللَّه، فقال: **«قولوا إن شاء اللَّه»** قالوا:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٦٨١) وغيره من حديث أبي قتادة.

(٢) في أسانيده مقال ويصح بشواهده: والحديث أخرجه أبو داود (٣٢٦١، ٣٢٦٢) والترمذي (١٥٣١) والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٢٥) وفي «الكبرى» (٤٧٧٠، ٤٧٧١) وابن ماجة (٢١٠٥، ٢١٠٦) وابن حبان (٤٣٣٩، ٤٣٤٠، ٤٣٤٢) والحميدي (٦٩٠) وعبد بن حميد (٧٧٩) والبيهقي (١٠/ ٤٦) جميعًا من طرق عن أيوب وهو السختياني عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا به.

وهذا إسناد صحيح، لكن قال الترمذي عقبه: حديث حسن، وقد رواه عبيدالله بن عمر وغيره عن نافع عن ابن عمر موقوفًا، وهكذا روي عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفًا، ولا نعلم أحدًا رفعه غير أيوب السختياني، وقال إسماعيل بن إبراهيم: كان أيوب أحيانًا يرفعه وأحيانًا لا يرفعه. اهـ.

قلت (يحيى): ونقل البيهقي في «السنن» عن حماد بن زيد قوله: كان أيوب يرفع هذا الحديث ثم تركه.

قال البيهقي: لعله إنما تركه لشك اعتراه في رفعه، وهو أيوب بن أبي تميمة السختياني وقد روي ذلك أيضًا عن موسى بن عقبة وعبدالله بن عمر وحسان بن عطية وكثير بن فرقد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ولا يكاد يصح رفعه إلا من جهة أيوب السختياني، وأيوب يشك فيه أيضًا، ورواية الجماعة من أوجه صحيحة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما من قوله غير مرفوع والله أعلم. اهـ.

قلت: وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٤٧٦٩) وفي «الصغرى» (٧/ ٢٥) من طريق كثير ابن فرقد عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وهذا إسناد صحيح لا أعلم له علة إلا قول البيهقي رحمه الله: «ولا يكاد يصح رفعه إلا من جهة أيوب...» إلخ.

وللحديث طرق عن نافع عن ابن عمر موقوفًا ولم يرفعه، أخرجها عبدالرزاق في «المصنف» (٨/ ٥١٥، ٥١٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٤٦) وغيرهما. وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٩) وأبو يعلى (٦٢٤٦) وابن ماجة (٢١٠٤) وابن حبان (٤٣٤١) عن عبدالرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، لكن هذا الحديث أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» (٦/ ٣٩٠ح ١١٣٣٣) عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قوله، ولم يذكر أبا هريرة أو يرفعه، لكن له شاهد صحيح في قصة سليمان بن داود عليهما السلام، وفيه: «لو قال إن شاء الله لم يحنث» أخرجه البخاري (٦٧٢٠) ومسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن حبان (٤٣٤٣) وأبو يعلى (٢٦٧٤، ٢٦٧٥) والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٨٢ح ١١٧٤٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٤٧) وفي «الأسماء والصفات» (٣٦٣) من طريق مسعر وشريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا به.

وأخرجه أبو داود (٣٢٨٥، ٣٢٨٦) والبيهقي (١٠/ ٤٧، ٤٨) من طريق مسعر وشريك عن سماك عن عكرمة مرسلًا، وإسناده ضعيف في الحالين لضعف رواية سماك عن عكرمة.

إن شاء الله[١]، وغير ذلك من الأحاديث الثابتة.

«منفرد» ربنا ﷻ «بالخلق» فما من مخلوق في السموات والأرض إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه فهو خالق كل صانع وصنعته وخالق الكافر وكفره والمؤمن وإيمانه والمتحرك وحركته والساكن وسكونه كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٢]، وقال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فَاطِر: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الرُّوم: الآية ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

وفي «الصحيح» من حديث الأشعريين: «**ما أنا أحملكم ولكن الله حملكم**»[٢].

وفيه من حديث المصورين: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو**

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن ماجة (٤٣٣٢) وابن حبان (٧٣٨١) والطبراني في الشاميين (١٤٢١) وأبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٦٤) والضياء في «المختارة» (١٣٤٣) جميعًا من طريق الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى عن كريب عن أسامة بن زيد مرفوعًا. وإسناده ضعيف سليمان بن موسى الأموي ضعيف على الراجح، والضحاك مجهول.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٢٣) ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا.

ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرًا» [١]، وفيه: **«من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»** [٢] وغير ذلك من الأحاديث الثابتة الصحيحة. فللّه الخلق والأمر وله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

«والإرادة» أي ومنفرد بالإرادة فلا مراد لأحد معه ولا إرادة لأحد إلا بعد إرادته ﷻ ومشيئته كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّـٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾، فللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة والله خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم ولا قدرة لهم ولا مشيئة إلا بإقدار الله ﷻ لهم إذا شاء وأراد.

«وحاكم جل بما أراده» فلا معقب لحكمه ولا راد لإرادته ولا مناقض لقضائه وقدره ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر: الآية ٤٤]، بل هو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: الآية ١٠٧] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾ [القصص: الآية ٦٨] ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: الآية ١١٧] ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: الآية ٨٢] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: الآية ١] ويفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء لا ناقض لما أبرم ولا معارض لما حكم ولا يقال لم فعل كذا وهلا كان كذا لأنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣].

وفي حديث أبي ذر عند الترمذي وغيره وفي آخره قال: **«ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردته أن أقول له كن فيكون»** [٣].

فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ ... وَمَنْ يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ
فَمِنْهُمُ الشَّقِي وَالسَّعِيدُ ... وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٥٣) ومسلم (٢١١١) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٤٢) ومسلم (٢١١٠) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجة (٤٢٥٧) وأحمد (٥/ ١٥٤) وسبق.

قال اللَّه ﷻ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٩] وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٦]، وقال تعالى: ومن يهد اللَّه فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾، وقال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: الآية ١٧]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فَاطِر: الآية ٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرّعد: الآية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القَصص: الآية ٥٦]، وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرة: الآية ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يُونس: الآية ٣٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البَقَرة: الآية ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧، ٨]، وقال النبي ﷺ في خطبته: «**من يهد اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له**»(١)، وقال ﷺ: «**اللَّهم آت نفسى تقواها، زكها أنت خير من زكاها. إنك أنت وليها ومولاها**»(٢).

«فمنهم» أى من عباده «الشقى» وهو من أضله بعدله «و» منهم «السعيد» وهو من وفقه وهداه بفضله. فالسعيد من سعد بقضاء اللَّه والشقى من شقى بقضاء اللَّه، فللَّه الحمد على فضله وعدله «وذا مقرب» بتقريب اللَّه إياه إليه وهو السعيد «وذا طريد» بإبعاد اللَّه إياه وهو الشقى البعيد. فبيده تعالى الهداية والإضلال والإشقاء والإسعاد، فهدايته العبد وإسعاده فضل ورحمة، وإضلاله وإبعاده عدل منه وحكمة، وهو أعلم بمواقع فضله وعدله وهو الحكيم العليم الذي يضع الأشياء مواضعها، وهو أعلم بمن هو محل الهداية فيهديه، ومن هو محل الإضلال فيضله وهو أحكم الحاكمين، وهو عليم بالمتقين، وعليم بالظالمين،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر، (٨٦٨) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٢) وغيره من حديث زيد بن أرقم مرفوعًا به.

وعليم بالمهتدين، وهو أعلم بالشاكرين وأعلم بما في صدور العالمين، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهو أعلم بمن ضل عن سبيله، وهو أعلم بمن اهتدى، وله في ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة ولذا نقول:

لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا   يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا

أي إن جميع أفعاله من هدايته من يشاء وإضلاله من يشاء وإسعاد من يشاء وإشقاء من يشاء وجعله أئمة الهدى يهدون إلى الحق بأمره وأئمة الضلالة يهدون إلى النار، وإلهامه كل نفس فجورها وتقواه، وجعله المؤمن مؤمنًا والكافر كافرًا عاصيا مع قدرته التامة الشاملة وأنه لو شاء لجعل الناس أمة واحدة ولو شاء لجمعهم على الهدى، ولو شاء لآمن من في الأرض كلهم جميعًا ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتهم إلى ضال ومهتد وشقي وسعيد ومقرب وطريد وطائع وعاص ومؤمن وكافر وغير ذلك هو مقتضى حكمته وموجب ربوبيته، وحكمته حكمة حق وهي صفته القائمة به كسائر الصفات، وهي متضمن اسمه «الحكيم»، وهي الغاية المحبوبة له ولأجلها خلق فسوى، وقدر فهدى، وأسعد وأشقى، ومنع وأعطى، وخلق السموات والأرض والآخرة والأولى، فهو سبحانه الحكيم في خلقه وتكوينه، الحكيم في قضائه وقدره، الحكيم في أمره ونهيه وجميع شرعه، فإن أسماءه وصفاته صفات كمال وجلال وأفعاله كلها عدل وحكمة، والفعل لغير الحكمة عبث، والعبث من صفات النقص، والله تعالى منزه بجميع أسمائه وصفاته وأفعاله عن جميع النقائص، فجميع ما خلقه وقضاه وقدره خير وحكمة من جهة إضافته إليه ﷻ، وكذلك جميع ما شرعه وأمر به كله حكمة وعدل، وما كان من شر في قضائه وقدره فمن جهة إضافته إلى فعل العبد لأنها معصية مذمومة مكروهة للرب غير محبوبة، وأما من جهة إضافته إلى الرب ﷻ فخير محض ولحكمة بالغة وعدل تام وغاية محمودة لا شر فيها البتة، ولهذا قال تعالى فيما قصه عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾ [الجن: الآية ١٠] فبنى الفعل في إرادة الشر للمفعول لأنه لا شر في حقه تعالى وقال النبي ﷺ في دعاء الافتتاح من صلاة الليل: «لبيكَ اللَّهُمَّ وَسَعْدَيكَ، والخيرُ كُلهُ في يدَيكَ، والشرُّ لَيسَ إليكَ»[1] فنفى أن يضاف الشر إلى الله بوجه من الوجوه وإن كان هو خالقه، لأنه ليس شرًا من جهة إضافته إليه ﷻ، وإنما كان شرًا من جهة إضافته إلى العبد. وذلك لأن

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٧١) وغيره من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا.

الشر ليس إلا السيئات وعقوبتها، وموجب السيئات شر النفس وجهلها، ولهذا قال النبي ﷺ: «الحمدُ للَّهِ نَحْمَدُه ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَعُوذُ باللَّهِ مِن شُرُورِ أنْفسِنَا وسَيئاتِ أعْمَالِنَا»(١)، وقال ﷺ في سيد الاستغفار الذي علمه أمته: «اللَّهُمَّ أنتَ رَبِّي لَا إلهَ إلَّا أنْتَ، خَلَقْتَنِي وأنَا عَبْدُكَ، وأنَا عَلَى عَهْدِكَ ووَعْدِكَ مَا اسْتَطَعتُ، أعُوذُ بِكَ مِن شَرِّ مَا صَنَعتُ، أبوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلي، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي لَا يغفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنتَ»(٢)، وقال تعالى في حكايته استغفار الملائكة للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٖ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر: الآية ٩] ومن وقاه اللَّه السيئات وأعاذه منها فقد وقاه عقوبتها من باب الاستلزام فإذا علم أن موجب السيئات هو الظلم والجهل وذلك من نفس العبد وهي أمور ذاتية لها، وأن السيئات هي موجب العقوبة، والعقوبة من اللَّه عدل محض، وإنما تكون شرًّا في حق العبد لما يلحقه من ألمها، وذلك بما كسبت يداه جزاء وفاقًا كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشورى: الآية ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٦﴾ [الزخرف: الآية ٧٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٤﴾ [يونس: الآية ٤٤]، فأفعال اللَّه ﷻ كلها خير بصدورها عن علمه وحكمته وعدله وغناه التي هي من صفات ذاته، فإذا أراد بعبده الخير أعطاه من فضله علمًا وعدلًا وحكمة فيصدر منه الإحسان والطاعة والبر والخير. وإذا أراد به شرًّا أمسكه عنه وخلاه ودواعي نفسه وطبعه وموجبها، فصدر منه موجب الجهل والظلم من كل شر وقبيح، وليس منعه لذلك ظلمًا منه سبحانه فإنه فضله يؤتيه من يشاء، وليس من منع فضله ظالمًا ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليق به، وأيضًا فإن هذا الفضل هو توفيقه وإرادته تعالى أن يلطف بعبده ويعينه ويوفقه ولا يخلي بينه وبين نفسه. وهذا محض فعله وفضله وهو أعلم بمن يصلح لذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام: الآية ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ۝١١﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢١١٨) والترمذي (١١٠٥) والنسائي (٣/ ١٠٤) وابن ماجة (١٨٩٢) وغيرهم من حديث ابن مسعود مرفوعًا وليس في لفظ أبي داود: «وسيئات أعمالنا».

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٠٦، ٦٣٢٣) وغيره من حديث شداد بن أوس مرفوعًا.

جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [النحل: الآية ٣٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: الآية ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعۡدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَحۡكَمِ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾، بلى ونحن على ذلك من الشاهدين وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤۡتَىٰٓ أَحَدٞ مِّثۡلَ مَآ أُوتِيتُمۡ أَوۡ يُحَآجُّوكُمۡ عِندَ رَبِّكُمۡۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ۞ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾، «اللَّهم إنا نسألك من فضلك العظيم أن تهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام يا بديع السموات والأرض برحمتك نستغيث، اللَّهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين».

«يستوجب»يستحق «الحمد على اقتضاها»الضمير للحكمة، فله الحمد على مقتضى حكمته في جميع خلقه وأمره، فجميع ما يفعله ويأمر به هو موجب ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته وله الحمد على جميع أفعاله وله الحمد على خلقه وأمره وهو المحمود على طاعة العباد ومعاصيهم وإيمانهم وكفرهم، وهو المحمود على خلقه الأبرار والفجار، وعلى خلقه الملائكة والشياطين، وعلى خلقه الرسل وأعداءهم، وهو المحمود على عدله وحكمته في أعدائه، كما هو المحمود على فضله ورحمته على أوليائه، وكل ذرة من ذرات الكون شاهدة بحكمته وحمده كما قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن

شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ٤٤]، وقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ [التغابن: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾،
وعلمنا النبي ﷺ في ذكر الاعتدال من الركوع «رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلءُ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ وَمِلءُ مَا بينَهُمَا ومِلءُ مَا شِئْتَ مِن شَيءٍ بَعدُ»[1] وفي الذكر عقب الصلوات: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريك لَهُ، لَهُ المُلكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٍ»[2]، وفي التلبية: «لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيكَ، لَبَّيكَ لا شريك لَكَ لَبَّيكَ، إنَّ الحمدَ وَالنِّعمَةَ لَكَ والمُلكُ لَا شريك لَكَ»[3]، وفي الدعاء المأثور: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمدُ كُلُّهُ ولَكَ المُلْكُ كُلُّه وَبِيدِكَ الخيرُ كُلُّهُ وَإليكَ يرجِعُ الأمرُ كُلُّهُ، أسألُكَ الخيرَ كُلُّه وأعُوذُ بِكَ مِن الشَّرِّ كُلِّه»[4] وفي دعاء الافتتاح من صلاة الليل: «اللَّهُمَّ لَكَ الحمدُ أَنتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرضِ وَمَن فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنتَ قَيومُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَن فِيهِنَّ، وَلَكَ الحمدُ أنتَ نُورُ السَّمواتِ وَالأرضِ ومَنْ فِيهِنَّ، ولَكَ الحمدُ أنتَ الحقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ ولِقَاؤُكَ حَقٌّ والسَّاعَةُ حَقٌّ والجَنةُ حَقٌّ والنارُ حَقٌّ والنبيونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ...» الحديث[5]. والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، والمقصود أن الرب ﷻ لا يكون إلا محمودًا كما لا يكون إلا ربًّا إلهًا، فله الحمد كله وله الملك كله لا شريك له في حمده كما لا شريك له في ملكه، وإن كان بعض خلقه محمودًا كالرسل والعلماء فمرجع ذلك الحمد إليه، كما أن مصدره وموجبه منه تعالى وهو الذي جعلهم كذلك، وهذا كما أنه الملك لا شريك له في ملكه ويرزق بعض عباده إذا شاء ملكًا وهو مالكه وملكه وكما أنه العليم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيعلم بعض عباده

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٧١) وأبو داود (٧٦٠) والترمذي (٣٤٣٣، ٣٤٣٤) وغيرهم من حديث علي ابن أبي طالب مرفوعًا.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨٤٤) ومسلم (٥٩٣) وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة مرفوعًا به.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٥٤٩) ومسلم (١١٨٤) وغيرهما من حديث ابن عمر.
(٤) حسن من قول الربيع بن خثيم: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٧٧ح ٢٩٥٩٩) و (٧/ ١٤٧ح ٣٤٨٥٩) وورد مرفوعًا من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٤٠٠) ولا يصح إسناده، وأوله عند أحمد مرفوعًا (٥/ ٣٩٥) من حديث حذيفة وفي إسناده رجل مبهم.
وبعضه له طرق أخرى ولا تصح، والصحيح أنه من كلام الربيع بن خثيم كما ذكرت.
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١١٢٠) ومسلم (٧٦٩) من حديث ابن عباس.

من علمه ما شاء. وقال في ذكر عبده يعقوب عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ [يوسف: الآية ٦٨]، وكذلك ما من محمود في السموات ولا في الأرض إلا وذلك الحمد راجع إلى الله ﷻ في الحقيقة، فحمد كل محمود داخل في حمده، كما أن كل ملك داخل في ملكه، وكل شيء فمنه وله وإليه، فله الحمد رب السموات والأرض ورب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم.

«مسألة»: فإن قيل قد أخبرنا الله ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله وبما علمنا من صفاته أنه يحب المحسنين، ويحب المتقين، ويحب الصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين ولا يحب الظالمين ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد مع كون ذلك بمشيئته وإرادته وأنه لو شاء لم يكن ذلك فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد، فما الجواب؟ قلنا: إن الإرادة والقضاء والأمر كل منها ينقسم إلى كونى وشرعى ولفظ المشيئة لم يرد إلا في الكونى كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: الآية ٣٠]، ومثال الإرادة الكونية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: الآية ١١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: الآية ٤٠]. ومثال القضاء الكونى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: الآية ١١٧]، ومثال الأمر الكونى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٦]، فهذا القسم من الإرادة والقضاء والأمر هو مشيئته الشاملة وقدرته النافذة وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها. ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والإيمان والسيئات والطاعات. والمحبوب المرضى له والمكروه المبغض كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة. ومثال الإرادة الشرعية قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾ [النساء: الآية ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: الآية ٢٧]، ومثل القضاء الشرعي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]، ومثال الأمر الشرعي قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: الآية ٩٠]؛ وهذه الإرادة والقضاء والأمر الكونى القدرى هو المستلزم لمحبة

اللَّه تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه. ولا ملازمة بين هذا القسم وما قبله إلا في حق المؤمن المطيع، وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء والأمر الكونى القدرى، فاللَّه ﷻ يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته ويهدى لذلك من يشاء في الكون والقدر هدايته ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[يونس: الآية ٢٥] ، فعمم الدعوة إلى جنته التى هى دار السلام وأنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب، وخص الهداية بمن يشاء هدايته. كما قال تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[النور: الآية ٣٥] .

«مسألة» : فإن قيل أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلهم طائعين مؤمنين مهتدين؟ قلنا: بل وقد قدمنا لك جملة وافية من الآيات والأحاديث في ذلك، ولكن قدمنا لك أيضًا أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمته وأسمائه وصفاته وموجب ربوبيته وإلهيته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله، فحينئذ قول القائل لم كان من عباده الطائع والعاصى؟ كقول من قال لم كان من أسمائه الضار النافع والمعطى المانع والخافض الرافع والمنعم والمنتقم ونحو ذلك. إذًا أفعاله تعالى هى مقتضى أسمائه وآثار صفاته، فالاعتراض عليه في أفعاله اعتراض على أسمائه وصفاته بل وعلى إلهيته وربوبيته، فسبحان رب العرش عما يصفون، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

«مسألة» : واعلم أنه قد يوسوس الشيطان لبعض الناس فيقول: ما الحكمة في تقدير السيئات مع كراهة اللَّه تعالى إياها، وهل يأتى المكروه بمحبوب، فنقول: الحمد للَّه إيمانًا بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، واستسلامًا لأقداره وإرادته، وتسليمًا لعدله وحكمته، اعلم يا أخى وفقنا اللَّه وإياك أن الواجب على العبد أمر أهم من ذلك البحث وهو الإيمان باللَّه وأسمائه وصفاته والتسليم لأقداره واليقين بعدله وحكمته والفرح بفضله ورحمته، ونحن لا نعلم من حكمة اللَّه وسائر أسمائه وصفاته إلا ما علمناه ولا يحيط بكنه شيء منها ونهايته إلا الذي اتصف بها وهو اللَّه الذي لا إله إلا هو، ومما علمناه من ذلك بما علمنا اللَّه تبارك وتعالى أن السيئة لذاتها ليست محبوبة للَّه ولا مرضية كما قال تعالى بعد أن نهى عباده عن الكبائر المذكورة في سورة الإسراء: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾[الإسراء: الآية ٣٨] ، ولكن يترتب عليها من محابه ومرضاته ما هو أعلم به إما في حق فاعلها من التوبة والإنابة والإذعان والاعتراف بقدرة اللَّه عليه والخوف من عقابه ورجاء مغفرته ونفي العجب المحبط للحسنات عنه ودوام الذل والانكسار وتمحض الافتقار

وملازمة الاستغفار وغير ذلك من الفرائض والطاعات المحبوبة للرب ﷻ التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غاية الثناء. وفي «الصحيحين»: «**للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبةِ عَبدِهِ حينَ يَتُوبُ إِلَيهِ مِن أَحَدِكُم كَانَ عَلَى راحِلَتِهِ بأَرْضٍ فَلاةٍ فانْفَلَتَتْ مِنهُ وعَلَيهَا طَعَامُه وَشَرَابُه فَأيِسَ مِنهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَد أَيِسَ مِن رَاحِلَتِهِ، فَبَينَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِندَهُ فأخَذَ بِخِطَامِهَا فَقَالَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أنتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أخطأَ مِن شِدَّةِ الفَرَحِ**»[1] أخرجاه عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ. فالواجب على العبد كراهة ما يكرهه ربه وإلهه وسيده ومولاه من السيئات وعدم محبتها والنفرة منها، والاجتهاد في كف النفس عنها، وأطرها على محاب اللَّه وأن لا يصدر عنها شيء يكرهه اللَّه ﷻ، فإن غلبته نفسه بجهلها وشرارتها فصدر عنه شيء من ذلك المكروه فليبادر إلى دواء ذلك وليتداركه بمحاب اللَّه ﷻ ومرضاته من التوبة والإنابة والاستغفار والأذكار وعدم الإصرار، فإن اللَّه تعالى قد أرشد إلى ذلك وأثنى على من اتصف به، قال اللَّه ﷻ: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾، وغير ذلك من الآيات. وفي الحديث: «**لَو لَم تُذْنِبُوا لأَتَى اللَّهُ بِقَومٍ يذْنِبُونَ فَيستَغفِرُونَ فَيغْفِرُ لَهُم**»[2] أو كما قال فإن ترتب على فعل السيئة من فاعلها هذه الأمور المحبوبة للرب ﷻ فذلك غاية مصلحة العبد وسعادته وفلاحه، وإن لم يقع منه ذلك فلخبث نفسه وعدم صلاحيتها للملأ الأعلى ومجاورة المولى واللَّه أعلم بالمهتدين، وحينئذ يترتب عليها فرائض اللَّه ﷻ على أوليائه المؤمنين من الدعوة إلى اللَّه ﷻ التي هي من وظائف الرسل ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أعظم فرائض اللَّه تعالى والجهاد في سبيله الذي هو ذروة سنام الإسلام، وعليه يترتب لأوليائه الفتح أو الشهادة ويكفيك في فضل ذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٠٩) ومسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس مرفوعًا واللفظ لمسلم، وأخرجه بنحوه البخاري (٦٣٠٨) ومسلم (٢٧٤٤) من حديث ابن مسعود، وهو عند مسلم أيضًا من حديث أبي هريرة والنعمان بن بشير والبراء بن عازب. رضي الله عنهم جميعًا.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٤٩) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ ، ولو سردنا ما في هذا الباب من الآيات والأحاديث لطال الفصل ، ونحن نستغفر اللّه العظيم من الخوض في هذا الباب ولسنا من الراسخين في العلم ، وسيأتي إن شاء اللّه مزيد بحث في هذا في باب الإيمان بالقدر ، وهناك نذكر مراتبه ومذاهب من خالف فيه أهل السنة والجماعة إن شاء اللّه تعالى واللّه المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم .

إثبات البصر والسمع للّه ﷻ

وَهْوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَّرِّ	فِي الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ
وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالإِخْفَاتِ	بِسَمْعِهِ الْوَاسِعِ لِلأَصْوَاتِ

فى هذين البيتين إثبات البصر للّه تعالى المحيط بجميع المبصرات ، وإثبات السمع له المحيط بجميع المسموعات ، وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى وهما متضمن اسمه «السميع البصير» قال ﷻ : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء : الآية ٥٨] ، وقال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى : الآية ١١] ، وقال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾ [الحج : الآية ٦١] ، وقال تعالى : ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ﴾ [الكهف : الآية ٢٦] ، قال ابن جرير : وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه ، وتأويل الكلام ما أبصر اللّه لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء[1] ، ثم روى عن قتادة في قوله تعالى : ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ﴾ [الكهف : الآية ٢٦] : فلا أحد أبصر من اللّه ولا أسمع»[2] وقال ابن زيد ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ﴾ [الكهف : الآية ٢٦] : يرى أعمالهم ويسمع

---

(١) «تفسير ابن جرير» (١٥/ ٢٣٢) .

(٢) حسن إلى قتادة : أخرجه ابن جرير (١٥/ ٢٣٢) عن بشر عن يزيد وهو ابن زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به .

ذلك منهم إنه كان سميعًا بصيرًا [(١)] وقال البغوى رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أى ما أبصر اللَّه بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أى لا يغيب عن سمعه وبصره شيء [(٢)]. وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: الآية ٤٦]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنعه لست بغافل عنكما فلا تهتما**» [(٣)]. وقال تعالى لهما في موضع آخر: ﴿كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: الآية ١٥]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّا لَا نَسۡمَعُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيۡهِمۡ يَكۡتُبُونَ ٨٠﴾ [الزخرف: الآية ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ﴾ [التوبة: الآية ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: الآية ١٤] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران: الآية ١٨١]، وقال تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: الآية ١]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «الحمد للَّه الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل اللَّه عز وجل: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: الآية ١]» [(٤)] رواه البخاري في كتاب التوحيد تعليقًا وأخرجه النسائي وابن ماجه وابن جرير وابن أبي حاتم، وفي رواية له عنها رضي الله عنها أنها قالت: «تبارك الذي أوعى سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول اللَّه ﷺ وهي تقول: يا رسول اللَّه أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني. اللَّهم إني أشكو إليك. قالت: فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الآية: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾ [المجادلة: الآية ١] قالت: وزوجها أوس بن الصامت» [(٥)].

---

(١) صحيح إلى ابن زيد: أخرجه ابن جرير (١٥/ ٢٣٢) عن يونس عن ابن وهب عن ابن زيد.

(٢) «تفسير البغوي» (٥/ ١٦٥).

(٣) أورده البغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٧٦) ولم أقف على إسناده.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري في «صحيحه» تعليقًا (١٣/ ٤١٣ قبل حديث ٧٣٨٦) ووصله أحمد (٦/ ٤٦) والنسائي في «الكبرى» (٥٦٥٤، ١١٥٧٠) وفي «المجتبى» (٦/ ١٦٨) وابن جرير (٢٨/ ٥، ٦) والبيهقي في «السنن» (٧/ ٣٨٢) وفي «الاعتقاد» (ص٨٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٣٧) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٨٩) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢٥) من طرق عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة به.

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد: باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: الآية ١٣٤]، وذكر خبر عائشة هذا معلقًا[1]. وروى عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: «اربعُوا عَلَى أنفُسِكُم، فَإنَّكُم لا تَدْعُونَ أصَمَّ وَلَا غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا» ثم أتى علي وأنا أقول في نفسي: لا حول ولا قوة إلا باللَّه، فقال: «يا عَبْدَ اللَّهِ بنَ قَيسٍ. قُلْ لَا حَولَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ فَإنَّهَا كَنْزٌ مِن كُنُوزِ الجنَّةِ»[2] وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي ﷺ: «إنَّ جِبْرِيلَ عَلَيهِ السَّلامُ نَادَانِي قَالَ: إنَّ اللَّهَ قَد سَمِعَ قَولَ قَومِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيكَ»[3]. وروى في باب قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: الآية ٢٢]، عن عبد اللَّه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثيرة الشحم بطونهم قليلة الفهم قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن اللَّه يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل اللَّه تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: الآية ٢٢] الآية»[4]. وروى أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: الآية ٥٨] إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: الآية ١٣٤]، قال: رأيت رسول اللَّه ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: رأيت رسول اللَّه ﷺ يقرأها ويضع إصبعيه[5].

قال ابن يونس قال المقرئ يعنى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: الآية ٧٥]، يعنى أن للَّه

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٢٠٦٣) وأبو يعلى (٤٧٨٠) والحاكم (٢/ ٥٢٣ح ٣٧٩١) والبيهقي (٧/ ٣٨٢) وابن جرير (٢٨/ ٥) وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١٩) لابن أبي حاتم جميعًا من طريق محمد ابن أبي عبيدة المسعودي عن أبيه عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة به، وإسناده صحيح.

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٤١٣).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٩٢، ٧٣٨٦) ومسلم (٢٧٠٤) وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٨٩) ومسلم (١٧٩٥) وغيرهما من حديث عائشة.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٢١) ومسلم (٢٧٧٥) وغيرهما من حديث ابن مسعود.

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٢٨) والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ١٣٢ح ٩٣٣٤) من طريق أبي عبدالرحمن المقرئ عن حرملة بن عمران عن سليم بن جابر عن أبي هريرة. وإسناده صحيح، وأما كلام المقرئ فعند أبي داود، وليس عند الطبراني.

سمعًا وبصرًا، قال أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا رد على الجهمية. اهـ[1].

قلت: يعني أبو داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الجهمية لا يثبتون للَّه تعالى اسمًا ولا صفة مما سمى ووصف نفسه تعالى به وأثبته له رسول اللَّه ﷺ فلا يثبتون أن اللَّه هو السميع البصير، ولا أنه يسمع ويرى بسمع وببصر، فرارًا بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفات كماله التي وصف بها نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وشبهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، قال اللَّه ﷻ عن خليله إبراهيم، عليه السلام في دعوته أباه إلى اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: الآية ٤٢].

وقد أثبت الجهمية قبحهم اللَّه حجة لعباد الأصنام وجوابًا لإنكار خليل اللَّه وجميع رسله، عليهم السلام، فكان للكفار أن يقولوا: ومعبودكم أيضًا لا يسمع ولا يبصر، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا، وقالت المعتزلة: سميع بلا سمع بصير بلا بصر واطردوا جميع أسمائه هكذا فأثبتوا أسماء ونفوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارة عن إثبات الألفاظ دون المعاني، وقولهم في الحقيقة راجع إلى قول الجهمية مخالف كل منهما للكتاب والسنة والعقول الصحيحة والفطر السليمة.

وهدى اللَّه تعالى بفضله أهل السنة لفهم كتابه وآمنوا بما وصف به نفسه وأقروا به كما أخبر ونفوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قوله ﷻ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١].

الكلام على العلم الإلهي

وَعِلْمُهُ مِمَّا بَدَا وَمَا خَفِي   أَحَاطَ عِلْمًا بِالْجَلِيِّ وَالْخَفِي

أي: ومما أثبته اللَّه ﷻ لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ أنه عليم بعلم وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات وهو من صفاته الذاتية، وعلمه أزلي بأزليته، وكذلك جميع صفاته، فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق وعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار، وعلم عدد أنفاسهم ولحظاتهم وجميع حركاتهم وسكناتهم أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه وبمرأى منه ومسمع لا تخفى عليه منهم خافية سواء في

---

(١) «سنن أبي داود» (٤/ ٢٣٣).

علمه الغيب والشهادة والسر والجهر والجليل والحقير لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة قال اللّه تعالى : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٥] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ١٩٧] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢١٥] ، وقال تعالى : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٤] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: الآية ٥] ، وقال تعالى : ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٩] ، وقال تعالى : ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٨٧] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: الآية ٦١] ، وقال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾ [هود: الآية ٥] ، وقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٢] ، وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد: ٨] ، وقال عن نبيه شعيب : ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: الآية ٨٩] ، وقال تعالى عن خليله : ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٣٨] ، وقال تعالى : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ [النحل: الآية ٢٣] ، وقال تعالى : ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الإسراء: الآية ٥٥] ، وقال تعالى : ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه: الآية ٧] ، وقال تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: الآية ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٤] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١١٠] ، وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: الآية ٧٠] ، وقال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: الآية ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٤) وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ (٧٥)﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: الآية ١٦]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٦)﴾ [السَّجدَة: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا (٥٤)﴾ [الأحزاب: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سَبَإ: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فَاطِر: الآية ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٣٨)﴾ [فَاطِر: الآية ٣٨]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ (١٩)﴾ [غافر: الآية ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمَّد: الآية ٣٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (١٦)﴾ [الحُجرَات: الآية ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحُجرَات: الآية ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ (١٦)﴾ [ق: الآية ١٦]، وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ﴾ [ق: الآية ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النّجم: الآية ٣٠]، وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النّجم: الآية ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحَديد: الآية ٤]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٧)﴾ [المجَادلة: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المُمتَحنَة: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٤)﴾ [التّغَابُن: الآية ٤]، قال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ﴾ [سَبَإ: ٣]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٨)﴾ [التّغَابُن: ١٨]، وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطّلَاق: الآية ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٤)﴾، وقال

تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: الآية ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: الآية ٢٠]، الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ [الأعلى: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا﴾ [النور: الآية ٦٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: الآية ٣٤]، وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: الآية ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت: الآية ٤٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: الآية ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ١٨١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ٢٨]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: الآية ٣٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: الآية ١١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: الآية ٣٥]، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: الآية ٤٣] ولو ذهبنا نسوق جميع الآيات في إثبات علم الله ﷻ لطال الفصل وفيما ذكرنا كفاية.

وفي «الصحيحين» عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة في الأمور كلها كما يعلم السورة من القرآن يقول: «**إذَا هَمَّ أحدُكُم بالأمرِ فَلْيركَعْ رَكْعَتَينِ مِن غَيرِ الفَرِيضَةِ، ثمَّ ليقُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بِعِلْمكَ، وأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأسْألُكَ مِن فَضْلِكَ العَظِيم، فَإنَّكَ تَقْدِرُ ولا أقْدِرُ، وتَعْلَمُ ولا أعْلَمُ، وأنتَ عَلَّامُ الغُيوبِ. اللَّهُمَّ فَإنْ كُنتَ تَعْلَمُ هَذَا الأمْرَ (ثم يسميه بعينه) خَيرًا لِي فِي عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ- أو قال، فِي دِينِي ومَعَاشِي وَعَاقِبَةُ أمْرِي- فَاقْدِرهُ لِي ويسِّرهُ لِي ثُم بَارِكْ لِي فِيهِ. اللَّهُمَّ وإنْ كُنتَ تَعْلَمُ أنَّه شرٌّ لِي فِي دِينِي ومَعَاشِي وعَاقِبةُ أمْرِي أو قَالَ فِي عَاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ- فَاصْرفنِي عَنهُ واقْدُر لِي الخيرَ حَيثُ كَانَ ثمَّ أرْضِنِي بِهِ**»[1]، وفيهما من حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار «**فَيسْألُهم وَهُوَ أعْلَمُ بِهِمْ**»[2]، وفيهما من دعاء الكرب: «**لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ العَلِيمُ الحَلِيمُ**»[3]، وفيهما من حديث الذي أوصى أن يحرق ويذرى ثم

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١١٦٦) وغيره، وسبق.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٥٥) ومسلم (٦٣٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

قال: «لِمَ فَعَلتَ؟ قَالَ: مِن خَشْيتِكَ وأنتَ أعْلَمُ»[١]؛ وفيهما من حديث قصة موسى والخضر: «إنَّ مُوسَى قَام خَطِيبًا في بَنِي إسْرَائيلَ، فَسُئل أي النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ أنَا. فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيهِ إذَا لَم يرُدَّ العِلْمَ إلَى اللَّهِ »وفى رواية «إليهِ» وفيه قول الخضر عليه السلام: «يا مُوسَى إنكَ عَلَى عِلم مِن عِلم اللَّهِ عَلَّمَكَهُ اللَّهُ لا أَعْلَمُهُ، وَأَنَا عَلَى عِلم مِنْ عِلم اللَّهِ عَلَّمَنِيهِ اللَّهُ لَا تَعْلَمُهُ» إلَى أن قال: «فَرَكِبَا في السَّفِينَةِ قَالَ: وَوَقَعَ عُصْفُورٌ عَلَى حَرفِ السَّفِينَةِ فغَمَسَ مِنْقَارَهُ فِي البَحْرِ فقَالَ الخَضِرُ لمُوسَى: مَا عِلْمُكَ وعِلْمِي وَعِلمُ الخَلائِقِ فِي عِلْم اللَّهِ إلَّا مِقْدَارُ مَا غَمَسَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْقَارَه» وفي رواية «إلَّا مِثلَ مَا نَقَصَ هذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْرِ»[٢]. وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَفَاتِيحُ الغَيبِ خَمسٌ لَا يعْلَمُهَا إلَّا اللَّهُ: لا يعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إلا اللَّهُ، ولَا يعْلَمُ مَا تَغِيضُ الأرْحَامُ إلَّا اللَّهُ، ولَا يعْلَمُ مَتَى ياتِي المَطَرُ أحَدٌ إلَّا اللَّهُ، وَلا تَدْرِي نَفسٌ بِأي أرْضٍ تَمُوتُ، ولَا يعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إلا اللَّهُ»[٣] وفيهما من حديث أبي موسى الأشعري: «اللَّهُمَّ اغْفِر لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي وإسْرَافِي في أمْرِي وَمَا أنتَ أعْلَمُ بِهِ مِنِّي»[٤] إلى غير ذلك من الأحاديث. وكما أخبر اللَّه تعالى عن علمه بما كان وما سيكون كذلك أخبر عما لم يكن من الممكنات والمستحيلات لو كان كيف يكون فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾[فصلت: الآية ٤٤] الآية، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١١٠﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ۝١٩٨ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ۝١٩٩﴾، إلى غير ذلك. وقال تعالى في المستحيلات لو قدر إمكانها: ﴿لَوْ كَانَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٤٦) ومسلم (٢٧٣٠) من حديث ابن عباس.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٧٨، ٣٤٨١) ومسلم (٢٧٥٦، ٢٧٥٧) من حديث أبي هريرة وحديث أبي سعيد الخدري وعند البخاري أيضًا من حديث حذيفة.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٢) ومسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٣٩) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بنحوه.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٩٩) ومسلم (٢٧١٩) من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا به.

فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢] ، وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٩] ، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ﴿٤٢﴾ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٢٤] إلى غير ذلك. وأنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون للَّه علم أضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى الموصوف، فأنكروا أن يكون أنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيء علمًا، وحاربوا نصوص الكتاب والسنة وجميع سلف الأمة، فليس معبودهم هو العليم الخبير الذي هو بكل شيء عليم، وإنما يعبدون العدم المحض الذي لا حقيقة له ولا وجود، فليصفوه بما شاءوا فبعدًا للقوم الظالمين.

الافتقار إلى اللَّه ﷻ

وَهُوَ الغَنِي بِذَاتِه سُبحَانَهُ ... جَلَّ ثَنَاؤهُ تَعَالَى شَانُهُ

وَكُلُّ شَيءٍ رِزْقُهُ عَلَيهِ ... وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيهِ

«وهو الغني بذاته» فله الغنى المطلق فلا يحتاج إلى شيء «سبحانه» وبحمده تنزيهًا له وتحميدًا «جل ثناؤه تعالى شانه» تعظيمًا له وتمجيدًا «وكل شيء رزقه عليه» لا رازق له سواه ولا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعًا إلا ما شاء اللَّه «وكلنا» معشر المخلوقات «مفتقر إليه» لا غنى لنا عنه طرفة عين. فكما أن جميع المخلوقات مفتقرة إليه تعالى في وجودها فلا وجود لها إلا به فهي مفتقرة إليه في قيامها فلا قوام لها إلا به فلا حركة ولا سكون إلا بإذنه فهو الحي القيوم القائم بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيم لغيره فلا قوام لشيء إلا به، فللخالق مطلق الغنى وكماله، وللمخلوق مطلق الفقر إلى اللَّه وكماله، قال اللَّه ﷻ: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْۚ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾﴾ [التغابن: ٥] ، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾

[الأنعام: الآية ١٤] ، قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٦٥]، وقال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾﴾ [النساء: الآية ١٣١] ، وقال تعالى ردًّا على اليهود : ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل عمران: الآية ١٨١] ، وقال ردًّا عليهم أيضًا : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: الآية ٦٤] ، وقال تعالى ردًّا على المنافقين : ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾﴾ [المنافقون: الآية ٧] ، وقال تعالى : ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٠] ، والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا ، يخبر تعالى بكمال غناه عن خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعة من أطاع ولا ينقصه معصية من عصى ، وأنه لم يخلق الخلق لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم يخلقهم ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرهم ويخبر أنهم كلهم فقراء إليه لا غنى لهم عنه في نفس من الأنفاس ، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم ، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم ، ولا قدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغني الحميد الفعال لما يريد . وقال تعالى فيما رواه عنه رسوله محمد ﷺ : «يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمتُ الظُّلمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَينكُم مُحَرمًا فلا تَظَالَمُوا يا عِبَادِي كُلُّكُم ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أهْدِكُم ، يا عِبَادِي كُلكُم جَائِعٌ إلا مَن أَطْعَمتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمكُمْ ، يا عِبَادِي كُلكُم عَارٍ إلا مَن كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أكسُكُم ، يا عِبَادِي إنَّكُم تُخْطِئُونَ بالليلِ والنَّهَارِ وأنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أغْفِرُ لَكُم ، يا عِبَادِي إنكُم لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ولَن تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي ، يا عِبَادِي لو أنَّ أوَّلكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم كَانُوا عَلَى أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنكُم مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيئًا ، يا عِبَادِي لَو أنَّ أوَّلكُم وآخرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم كانُوا عَلَى أفْجَرِ قَلبِ رَجُلٍ واحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِن مُلْكِي شَيئًا ، يا عِبَادِي لَو أنَّ أوَّلكُم وآخِرَكُم وإنسَكُم وجِنَّكُم قَامُوا في صَعِيدٍ فسَألُونِي فَأعْطَيتُ كُلَّ إنسَانٍ مَسْألَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ ممَّا عِنْدِي إلا كَمَا يَنْقُصُ المخيطُ إذَا أُدْخِلَ البحرَ ، ولَو أنَّ أولَكُم وآخِرَكُم وَحَيكُم ومَيتَكُم وَرَطْبَكُم وَيابِسَكُم اجْتَمَعُوا عَلَى أتْقَى قَلْبِ عَبدٍ مِن عِبَادِي مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، يا عِبَادِي إنَّمَا هِي أعْمَالُكُم أُحْصِيهَا لَكُم ثُمَّ أوفِيكُم إياهَا فَمَن وَجَدَ خيرًا فَلْيحْمَدِ اللَّهَ وَمَن وَجَدَ غيرَ ذَلِكَ فَلا يلُومَنَّ إلَّا

نَفْسَه»[١] رواه مسلم عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه .

وفي رواية الترمذي : «يقولُ اللَّهُ ﷻ : يا عِبادِي كلكم ضالٌّ إلا مَن هَدَيتُ فسلوني الهُدَى أهدِكُم . وكلكم فَقِير إلا مَن أغنيتُ فَسَلُوني أرْزقكم . وكلكم مُذْنبٌ إلا مَن عافيتُ ، فَمَن علم منكُم أني ذُو قُدرة على المَغْفِرَة فاستغفرني غَفَرتُ له ولا أُبَالِي . ولو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا على أشقى قلب عبد من عبادي ما نقص ذلك من مُلكي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ . ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كل إنسان منكم ما بَلَغَتْ أمنيتُه فأعطيتُ كل سائلٍ منكم ما سَأَلَ ما نَقَصَ ذلك من مُلكِي إلا كما لو أن أحدَكُم مرَّ بالبحرِ فَغَمَسَ فيه إبرةً ثم رَفَعَهَا إليه ، ذلك بأني جَوَّادٌ واجد مَاجِد أفعلُ ما أريدُ ، عَطَائِي كَلامٌ وعَذَابِي كلام ، إنما أمرِي لشيء إذا أردتُه أن أقُولَ له كُن فَيَكُون»[٢] وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : «يدُ اللَّهِ مَلأى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَّاءُ الليلِ والنَّهَارِ ، أفَرَأيتُمْ مَا أنفَقَ رَبكُم مُنذُ خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ ، فَإنَّهُ لَم يغِضْ مَا فِي يمينِهِ»[٣] وروى أبو داود بإسناد جيد من حديث عائشة ﷺ في الاستسقاء وفيه قول رسول اللَّه ﷺ : «الحَمدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يوم الدِّينِ ، لا إلهَ إلا اللَّهُ يفْعَلُ مَا يريدُ ، اللَّهُمَّ أنْتَ اللَّهُ لَا إلَهَ إلّا أنْتَ ، أنتَ الغَنِي ونَحنُ الفُقَرَاءُ أنزِلْ عَلَينَا الغَيثَ واجْعَل مَا أنْزَلتَ عَلَينَا قُوةً وَبَلاغًا إلى حِينٍ»[٤] وفي بعض الإسرائيليات يقول اللَّه ﷻ : «أيؤَمَّلُ غيري للشدائدِ والشدائدُ بيدي وأنا الحي القيوم ، ويرجَى غيرى ويطرَقُ بابُه بالكربات وبيدي مفاتيح الخزائن وبابي مفتوح لمن دعاني؟ مَن ذا الذي أمَّلَني لنائبة فقطعت به؟ أو من ذا الذي رجاني لعظيم

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٧٧) وغيره من حديث أبي ذر مرفوعًا .

(٢) في إسناده ضعف : أخرجه الترمذي (٢٤٩٥) من طريق شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن أبي ذر مرفوعًا . وحسنه الترمذي ، لكن شهر فيه كلام وقد اختلف عليه في إسناده كما أشار لذلك الترمذي .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣) وغيرهما من حديث أبي هريرة ، ولفظ البخاري : يد الله ، ولفظ مسلم : يمين الله .

(٤) حسن : أخرجه أبو داود (١١٧٣) وابن حبان (٩٩١ ، ٢٨٦٠) والحاكم (١٢٢٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٣٢٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٤٩) جميعًا من طريق القاسم بن مبرور عن يونس بن يزيد الأيلي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، وصححه الحاكم ، وقال أبو داود : هذا حديث غريب إسناده جيد .

قلت : القاسم صدوق وباقي رجال الإسناد ثقات .

فقطعت به؟ أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له؟ أنا غاية الآمال فكيف تنقطع الآمال دوني. أبخيل أنا فيبخلني عبدي؟ أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي؟ فما يمنع المؤملين أن يؤملوني؟ لو جمعت أهل السموات والأرض ثم أعطيت كل واحد منهم ما أعطيت الجميع وبلغت كل واحد منهم أمله لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة. كيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا بؤسًا للقانطين من رحمتي ويا بؤسًا لمن عصاني وتوثب على محارمي»[1]. انتهى.

وجاء في بعض ألفاظ حديث النزول: **«مَن يقرِضُ غَيرَ عَدِيم وَلَا ظَلُوم»**[2].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا لو أردنا استقصاءها لطال الفصل وفيما ذكرنا كفاية، فسبحان من وسع خلقه بغناه، وافتقر كل شيء إليه وهو الغني عما سواه: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: الآية ١٢].

تكليم الله عبده موسى

كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمَا وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمَا

أي: ومما أثبته ربنا ﷻ لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ تكليمه عبده ورسوله موسى بن عمران بدون واسطة رسول بينه وبينه بل أسمعه كلامه الذي هو صفته اللائقة بذاته كما شاء وعلى ما أراد، قال الله ﷻ في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٣]، وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٦٤]، فأكده بالمصدر مبالغة في البيان والتوضيح، وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال تعالى في سورة مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ

(١) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٢٢٩) وذكر أنه من الإسرائيليات.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ [مريم: ١٥] ، وقال تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [طه: الآية ١٩] إلى قوله: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: الآية ٢١] [طه: ٩] ، إلى آخر الآيات. وقال في سورة الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ ، الآيات.

وقال تعالى في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ﴾ [النمل: ٧] ، الآيات. وقال تعالى في سورة القصص: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [القصص: ٢٩] الآيات. والقرآن ممتلئ بذلك.

وفي الصحيحين من حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما وفيه قول آدم لموسى: «**أنتَ مُوسَى الذِي اصْطِفَاكَ اللَّهُ تَعَالَى بِرِسَالاتِهِ وَبِكَلامِهِ**» الحديث[1]. وفيهما من حديث الشفاعة قول إبراهيم عليه السلام: «**وَلَكِنْ عَلَيكُم بِمُوسَى فَإِنَّه كَلِيمُ اللَّهِ**»[2] وفي

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٣٨) ومسلم (٢٦٥٢) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وله طرق أخرى عن غيره.

رواية: «وَلَكِن ائتُوا مُوسَى عَبدًا آتاهُ اللَّهُ التَّوراةَ وكَلَّمَهُ تَكْلِيمًا»[1] وفي رواية: «وَلَكِن ائتُوا مُوسَى عَبدًا آتاهُ اللَّهُ التَّوْرَاة وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نجيا»[2].

فقد أخبرنا اللَّه ﷻ أنه: اصطفى عبده موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطة وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليمًا، وأخبرنا تعالى بما كلمه به، وبالموضع الذي كلمه فيه، وبالميقات الذي كلمه فيه، وأخبر عنه رسوله محمد ﷺ بذلك في أصح الروايات، فأي كلام أفصح من كلام اللَّه تعالى وكلام رسوله ﷺ، وأي بيان أوضح من بيان اللَّه ورسوله. وبأي برهان يقنع من لم يقنع بذلك ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: الآية ٦]، وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا ﷻ وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يسمعه من يشاء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد، وقد ثبت بالكتاب والسنة نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ يقول: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: الآية ٢٢]، وأن الملائكة تسمع كلام اللَّه بالوحي كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية ٢٣]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن نبي اللَّه ﷺ قال: «إِذَا قَضَى اللَّهُ الأمرَ في السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الملائكةُ بأجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كأنهُ سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوَانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِي الكَبِيرُ» الحديث[3] وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَد أَحَبَّ فُلانًا فأحِبَّه، فَيحِبُّه جِبريلُ، ثُمَّ ينَادِي جبريلُ في السَّماءِ: إِنَّ اللَّهَ قَد أحَبَّ فُلانًا فأحِبُّوه، فَيحِبُّه أهلُ السماءِ، ويوضَعُ لَهُ القَبولُ في الأرْضِ»[4]، وثبت بالكتاب والسنة كلامه مع الرسل والملائكة وغيرهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [المائدة: الآية ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤١٠) من حديث أنس، وأخرجه مسلم (١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٤٠) وغيره من حديث أنس.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٨١) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا، ولم يخرجه مسلم.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٨٥) ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة.

يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [القصص: الآية ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: الآية ٦٥]، وأنه يقول لأهل الجنة سلام عليكم كما قال تعالى: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: الآية ٥٨]، وأنه يقول لأهل النار: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٨]، والقرآن ممتلئ بذلك. وفي الصحيح عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيسَ بَينَهُ وَبَينَهُ تُرْجُمَانٌ...**» الحديث[1]. وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يا آدمُ. فَيقُولُ: لَبَّيكَ وَسَعْدَيكَ فَينَادِي بِصَوتٍ: إن اللَّهَ يأمُرُكَ أن تُخرِجَ مِن ذُرِّيتِكَ بَعثًا إلَى النَّارِ**»[2] وفيه تعليقًا عن جابر عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشُرُ اللَّهُ العِبَادَ، فَينَادِيهِم بِصَوتٍ يسْمَعُهُ مَن بَعُدَ كما يسمَعُهُ مَن قَرُبَ: أنَا المَلِكُ أنَا الدَّيانُ**»[3] وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أعدَدتُ لِعِبَادِي الصَّالحينَ مَا لا عَينٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَت وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»[4] وفيه عنه رضي الله عنه قال: «**يقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي المُؤمِنُ عِندِي جَزَاء إذَا أنَا قَبَضتُ صَفِيه مِن أهلِ الدنيا ثمَّ احتَسَبَهُ إلا الجنةُ**»[5] وفيه من حديث الشفاعة: «**يقولُ اللَّه** عز وجل: **مَن كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثقَالُ حَبَّةٍ مِن إيمانٍ فَأَخرِجُوهُ**» الحديث[6]، وفيه من حديث آخر أهل الجنة دخولًا الجنة: «**فيقولُ اللَّهُ تَعَالَى: اذهبْ فادْخُلِ الجنةَ**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٨٣) ومسلم (٢٢٢).

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه البخاري تعليقًا بصيغة التمريض (فتح الباري ١٣/ ٥٠٠ قبل حديث ٧٤٨١) عن جابر عن عبدالله بن أنيس مرفوعًا، ووصله في «الأدب المفرد» (٩٧٠) وفي «خلق أفعال العباد» (ص٩٨) وأخرجه أيضًا أحمد (٣/ ٩٥) وابن أبي عاصم (٥١٤) والروياني (١٤٩١) والحاكم (٣٦٣٨، ٨٧١٥) والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٢٦٥ح ٨٥٩٣) جميعًا من طريق القاسم بن عبدالواحد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر عن عبدالله بن أنيس، وإسناده ضعيف ابن عقيل متكلم فيه، والقاسم ضعيف.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٨٠) ومسلم (٢٨٢٤).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٢٤) وغيره من حديث أبي هريرة.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٢٢) ومسلم (١٨٤) وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

فإنَّ لكَ مِثلَ الدنيا وعَشرةَ أمثالِهَا»[١] وفيه من كلامه تعالى مع أهل الموقف قوله تعالى: «لِتتبعْ كُلُّ أمةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ» وقوله ﷻ للمؤمنين: «أَنَا رَبكُم»[٢]، وفيه في باب كلام الرب ﷻ مع أهل الجنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يقُولُ لأهلِ الجنةِ: يا أهْلَ الجنةِ، فَيقُولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنا وَسَعْدَيكَ وَالخيرُ فِي يدَيكَ. فَيقُولُ هَل رَضِيتُم؟ فيقُولُونَ وَمَا لَنَا لا نَرْضَى يا رَبِّ وَقَد أعْطَيتَنَا مَا لَم تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلقِكَ، فَيقَولُ: ألا أعطِيكُم أفضَل مِن ذَلِكَ؟ فيقُولُون: يا رَبِّ وَأي شَيءٍ أفْضَلُ مِن ذَلِكَ؟ فَيقُولُ: أُحِلُّ عَلَيكُم رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيكُم بَعْدَهُ أَبَدًا»[٣] وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال اللَّه تعالى: «أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكتْ بِي شَفَتَاهُ»[٤] وفيهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يقول اللَّه ﷻ: «إذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يعْمَلَ سَيئةً فَلا تَكْتُبُوهَا عَلَيهِ حَتَّى يعْمَلَهَا» الحديث[٥]. وفيهما من حديثه أيضًا أن رسول اللَّه ﷺ قال: «خَلَقَ اللَّهُ الخَلقَ فَلَمَّا فَرَغَ منهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ مَه؟ قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذُ بِكَ مِنَ القَطِيعةِ، فَقَالَ ألا تَرْضَينَ انْ أَصَلَ مَن وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ» الحديث[٦]. وفيه من حديثه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ عزَّ وجَلَّ: إذَا أحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أحْبَبتُ لِقَاءَهُ، وإذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهتُ لِقَاءَهُ»[٧]. وفيه من حديثه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أنَا عِندَ ظَنِّ عَبدِي بِي»[٨] وفيه من حديثه أيضًا في قصة المذنب المستغفر

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧١) ومسلم (١٨٦) من حديث ابن مسعود.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٤٩) ومسلم (٢٨٢٩).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري تعليقًا بصيغة الجزم (فتح ١٣/ ٥٥١ قبل حديث ٧٥٢٤) عن أبي هريرة، ووصله أحمد (٢/ ٥٤٠) وابن حبان (٨١٥) وابن المبارك في «الزهد» (٩٥٦) والطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٦٣ح ٦٦٢١) وفي «الشاميين» (٥٦٢، ١٤١٧) والبيهقي في «الشعب» (٥٠٩، ٥١٠) جميعًا من طريق إسماعيل بن عبيدالله عن كريمة بنت الحساس عن أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه ابن ماجة (٣٧٩٢) وأحمد (٢/ ٥٤٠) والحاكم (١٨٢٤) من طريق إسماعيل ابن عبيدالله عن أم الدرداء عن أبي هريرة مرفوعًا، وكلاهما صحيح، وليس اختلافًا على إسماعيل، فإن أبا هريرة حدث بالحديث في بيت أم الدرداء وسمعته منه كريمة، وكريمة حدثت بالحديث في بيت أم الدرداء أيضًا وسمعه إسماعيل، فلا يبعد والحالة هذه أن تعيده أم الدرداء أيضًا.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٠١) ومسلم (١٢٨).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٣٠) ومسلم (٢٥٥٤) من حديث أبي هريرة.

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٠٤) ومسلم (٢٦٨٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به، واللفظ للبخاري.

الحديث وفيه: «فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يغفِرُ الذَّنبَ ويأخُذُ بِهِ. غَفَرتُ لِعَبْدِي» وذكر الحديث[١]، وفيه من حديث عبد الله بن زيد ﷺ قال: مطر النبي ﷺ فقال: «قَالَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ: أَصْبَحَ مِن عِبَادِي كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِي»[٢]. وفيه من حديث عبد الله ابن مسعود ﷺ في ذكر طي الله تعالى السموات والأرض، وفيه: «ثُمَّ يهُزُّهُنَّ ثمَّ يقُولُ أَنَا المَلِكُ. أنَا المَلِكُ» الحديث[٣]. وفيه من حديث عبد الله بن عمر ﷺ أن رجلًا سأله كيف سمعت النبي ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «يدْنُو أحَدُكُم مِن ربِّه حَتى يضَعَ عَليهِ كَنَفَهُ فَيقُولُ تَعَالَى أَعَمِلتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيقُولُ: نَعَم، وَيقُولُ أَعَمِلتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيقُولُ نَعَم، فَيقَرِّرُهُ ثم يقُولُ: إنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيكَ فِي الدُّنيا وأنَا أغْفِرُهَا لَكَ اليومَ»[٤] وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى لأهْوَنِ أهلِ النارِ عَذَابًا لَو كَانَتْ لَكَ الدنيا ومَا فِيهَا أكُنتَ مُفْتَدِيا بِهَا؟ فَيقُولُ. نَعَم، فَيقُولُ: قَد أَرَدْتُ مِنكَ أَهْوَنَ مِن هَذَا وَأَنتَ فِي صُلْبِ آدَمَ ألا تُشرِكَ- أحسبه قال: وَلا أُدْخِلُكَ النَّارَ- فَأَبَيتَ إلَّا الشِّرْكَ»[٥]. وعن أبي هريرة وأبي سعيد ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يؤْتَى بِالعَبْدِ يومَ القِيامَةِ فَيقُولُ لَهُ: ألَم أَجْعَلْ لَكَ سَمعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا وَسَخَّرتُ لَكَ الأنْعَامَ والحَرْثَ وَتَرَكتُكَ تَرْأَسُ وتَربَعُ. فَكُنتَ تَظُنُّ أنَّكَ مُلاقِي يومَكَ هَذَا؟ فَيقُولُ: لا، فَيقُولُ لَهُ: اليومَ أنسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي»[٦] رواه مسلم والترمذي وقال هذا حديث صحيح غريب، ومعنى قوله: «اليوم أنساك كما نسيتنى» اليوم أتركك في العذاب اهـ.

وفي الصحيحين عن عائشة ﷺ في قصة الإفك قالت: «ولكن والله ما كنت أظن أن الله ينزل في براءتي وحيا يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى، ولكنى كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ [النور: الآية ١١]، العشر الآيات»[٧]. ولو ذهبنا ننقل

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٠٧) ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٨٤٦) ومسلم (٧١) من حديث زيد بن خالد.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١٣) ومسلم (٢٧٨٦).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١٤) ومسلم (٢٧٦٨).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٥٧) ومسلم (٢٨٠٥) من حديث أنس مرفوعًا به.
(٧) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٦٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به وأخرجه الترمذي (٢٤٢٨) وغيره من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري مرفوعًا به.

الأحاديث في قال الله ويقول ويتكلم وينادى ونحو ذلك لطال الفصل، وفيما ذكرنا كفاية. وهذه الآيات والأحاديث مما ذكرنا ومما لم نذكر كلها شاهدة بأن الله تعالى لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقة يسمعه من يشاء من خلقه وأن كلامه قول حقيقة كما أخبر وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: الآية ٤]، وقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: الآية ٥٨]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾، والقرآن كلامه تعالى تكلم به حقيقة كما شاء وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك، وسيأتي إن شاء الله تعالى بحثه قريبًا، وكلامه تعالى صفة من صفاته من لوازم ذاته والصفة تابعة لموصوفها، فصفات الباري تبارك وتعالى قائمة به أزلية بأزليته باقية ببقائه لم يزل متصفًا بها ولا يزال كذلك لم تجدد له صفة لم يكن متصفًا بها، ولا تنفد صفة كان متصفًا بها، بل هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.

لا حصر لكلام الله ولا نفاد

كَـلامُـهُ جَـلَّ عَـنِ الإحْـصَـاءِ ... وَالـحَـصْـرِ وَالـنـفَـادِ وَالـفَـنَـاءِ
لو صَارَ أَقْلامًا جَمِيعُ الشَّجَرِ ... وَالبحْرُ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرِ
وَالـخَـلْـقُ تَـكْـتُـبُـهُ بِـكُـلِّ آنِ ... فَـنَـتْ وَلَـيـسَ الْـقَـوْلُ مِـنـهُ فَـانِ

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾ [الكهف: الآية ١٠٩]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ [لقمان: الآية ٢٧].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى[١]: يقول الله تعالى مخبرًا عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكلماته التامة التي لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»[٢] فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٦١) ومسلم (٢٧٧٠).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٥٢).

ٱلْبَحْرِ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: الآية ٢٧] أي ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلامًا وجعل البحر مدادًا وأمده سبع أبحر معه فكتبت بها كلمات الله تعالى الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء أمثالها مددًا. وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر. ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الإسرائيليات التي لا تُصدَّق ولا تُكذَّب بل كما قال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٩] فليس المراد بقوله: ﴿بِمِثْلِهِۦ﴾ [الكهف: الآية ١٠٩] آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ثم هلمّ جرّا لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته. قال الحسن البصري: لو جعل شجر الأرض أقلامًا وجعل البحر مدادًا، وقال الله تعالى: إن من أمري كذا ومن أمري كذا، لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام[1]، وقال قتادة: قال المشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: الآية ٢٧] أي لو كان شجر الأرض أقلامًا ومع البحر سبعة أبحر ما كانت لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه[2]، وقال الربيع بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: الآية ٢٧] الآية[3] يقول: لو كان البحر مدادًا لكلمات الله والأشجار كلها أقلامًا لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شيء لأن أحدًا لا يستطيع أن يقدره قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه، إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول. قال وقد روى أن هذه الآية نزلت جوابًا لليهود. قال ابن إسحاق رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثني محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير - أبو عكرمة - عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد أرأيت قولك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٥]، إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: «كلاكما» قالوا: ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٨٦) وأبو داود (٨٧٩) والترمذي (٣٤٩٣) والنسائي (٢/ ٢١٠) وابن ماجة (٣٨٤١) من حديث أبي هريرة عن عائشة مرفوعًا به.

(٢) **صحيح إلى الحسن البصري**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٨١) عن يعقوب وهو ابن إبراهيم الدورقي عن ابن علية عن أبي رجاء وهو محمد بن سيف الأزدي عن الحسن البصري.

(٣) **حسن إلى قتادة**: أخرجه ابن جرير (٢١/ ٨١) عن بشر وهو ابن هلال الصواف عن يزيد وهو ابن زريع عن سعيد وهو ابن أبي عروبة عن قتادة به.

(٤) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٠٩، ٤٥٢) ولم يعزه أو يورد له إسنادًا.

لكل شيء؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «إنها في علم اللَّه قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم» وأنزل اللَّه فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لقمان: الآية ٢٧] الآية [١]. وهكذا روى عن عكرمة وعطاء بن يسار، وهذا يقتضي أن هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور أنها مكية واللَّه أعلم. وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٠] أي عزيز قد عز كل شيء وقهره وغلبه، فلا مانع لما أراد ولا مخالف لأمره ولا معقب لحكمه، حكيم في خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شئونه انتهى [٢].

وعن جويرية رضي الله عنها أن النبي ﷺ خرج من عندها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: «مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ التِي فَارَقْتُكِ عَلَيهَا؟» قالت: نعم، قال النبي ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثلاثَ مَرَّاتٍ لَوْ وُزِنَت بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليوم لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» [٣] رواه مسلم والأربعة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيتَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التامَّاتِ التِي لا يجَاوِزُهُنَّ جَبَّارٌ وَلا مُتَكَبِّرٌ» [٤] والأحاديث في الباب كثيرة، والمقصود أن كلمات اللَّه باقية لا تنفد أبدًا تامة لا تنقص أبدًا، وذلك لأن كلامه صفته وليس من صفاته شيء ينفد ولذا أخبرنا تعالى أن جميع أشجار الأرض لو كانت أقلامًا والبحار وأضعافها مدادًا يكتب بها كلماته لنفدت كلها وكلماته باقية لا تنفد، وذلك لأن الأشجار والبحار مخلوقة، والمخلوقات من لازمها النفاد والفناء، وكلمات اللَّه صفته وليس من صفاته شيء يفنى، بل هو الباقي بأسمائه وصفاته أزلًا وأبدًا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: الآية ٨٨].

---

(١) ضعيف الإسناد: محمد بن أبي محمد مجهول، والأثر أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٨١) من طريق ابن إسحاق عن رجل من أهل مكة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وأخرجه عن ابن إسحاق عن بعض أصحابه مرسلًا، وأخرجه عن عكرمة مرسلًا.

(٢) هذا آخر كلام ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٥٢).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٦) وأبو داود (١٥٠٣) وابن حبان (٨٣٢) وغيرهم من حديث جويرية مرفوعًا به.

(٤) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما أخرج مسلم في صحيحه (٢٧٠٩) من حديث أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة.
قال: «أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم تضرك».

كلام الله ﷻ ليس بمخلوق

والقولُ في كِتَابِه المفصَّلْ بأنهُ كَلامهُ المُنزلْ
عَلَى الرَّسُولِ المُصْطَفَى خَيرِ الوَرَى لَيسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِمُفْتَرَى

«**والقول**» الذي نعتقده وندين الله به «**في**» شأن «**كتابه المفصل**» بسكون اللام للروى وهو القرآن وصفه الله تعالى بذلك فقال: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: الآية ١١٤]، وغير ذلك من الآيات «**بأنه كلامه**» حقيقة حروفه ومعانيه ليس كلامه الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: الآية ١٥]، وعن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّكُم لا تَرْجِعُونَ إلَى اللَّهِ بشيءٍ أفضَلَ مِمَّا خَرَجَ مِنهُ**» يعني القرآن[1]. رواه أبو داود والحاكم وصححه.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقُولُ الرَّبُّ تبَارَكَ وتَعَالَى: مَن شَغَلَهُ القرْآنُ عَن مَسْألَتِي أعْطَيتُهُ أفْضَل مَا أُعطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الكَلامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ**»[2] رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب. وروى ابن خزيمة عن نيار بن مكرم الأسلمي صاحب رسول الله ﷺ و ﷺ قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ إلى آخر الآيتين خرج رسول الله ﷺ فجعل يقول: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١]، فقال رؤساء مشركي

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وأحمد في «الزهد» (١٩٠ بتحقيقي) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٠٥، ١٢٣، ١٢٣١ بتحقيقي) من حديث جبير بن نفير مرسلاً.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٤٢ بتحقيقي) وابن نصر في «قيام الليل» (ص١٢٢) وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٧٧) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٩) من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد، وهذا ضعيف جدًا وعطية ضعيف جدًا خاصة في روايته عن أبي سعيد، فإنه كان يروي عن الكلبي الكذاب ويكنيه أبا سعيد، يوهم أنه الخدري.

مكة : يا ابن أبي قحافة ، هذا مما أتى به صاحبك؟ قال : لا والله ، لكنه كلام الله وقوله ، وذكر الحديث [(١)]. وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقبل المصحف ويقول : **«كلام ربى ، كلام ربى»** [(٢)]. وعن عمر رضي الله عنه قال : **«إن هذا القرآن كلام الله فضعوه على مواضعه»** [(٣)]. وقال خباب صاحب رسول الله ﷺ: **«تقرب إلى الله بما استطعت فإنك لن تقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه»** [(٤)]. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **«القرآن كلام الله ، فمن رد منه شيئًا فإنما يرد على الله»** [(٥)]. وعنه رضي الله عنه قال : **«إن أحسن الكلام كلام الله»** [(٦)]. ويروى ذلك عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ وهو صحيح في الصحيح [(٧)].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: **«ما أحب أن يأتى على يوم وليلة ولا أنظر في كلام الله»**.

---

(١) **في إسناده ضعف** : أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٣٧ طبعة دار الحديث) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٣٠ بتحقيقي) والإسماعيلي في «معجم شيوخه» (٣/ ٧١٦) والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٠٢) والجرجاني في «تاريخ جرجان» (١/ ٢٥٥) وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ١٧٢) من طريق عبدالرحمن بن أبي الزناد عن عروة بن الزبير عن نيار بن مكرم الأسلمي به وهو عند الترمذي من غير موضع الشاهد (٣١٩٤) وقال الترمذي : صحيح حسن غريب من حديث نيار بن مكرم ، لا نعرفه إلا من حديث عبدالرحمن بن أبي الزناد . اهـ.

قلت : وعبدالرحمن فيه كلام يضعفه ، وأصل قصة الرهان في «سنن الترمذي» والتفاسير .

(٢) **ضعيف الإسناد** : وليس هو عن ابن مسعود ، ولكن عن عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ، أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٢٤ بتحقيقي) والحاكم في «المستدرك» (٥٠٦٢) والدارمي (٢/ ٥٣٢) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٧١ح ١٠١٨) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٤١٠ح ٢٢٢٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٢٠) من طريق ابن أبي مليكة عن عكرمة ، وإسناده ضعيف للانقطاع .

(٣) **ضعيف الإسناد** : أخرجه أحمد في «الزهد» (ح١٩١ بتحقيقي) وفي «السنة» (١٠٨ بتحقيقي) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف ، وأيضًا فالأثر من طريق ابن شهاب عن عمر ، وهذا منقطع .

(٤) **صحيح إلى خباب** : أخرجه أحمد في «الزهد» (ح١٩٢ ، ١١٣١ بتحقيقي) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (ح١١٠ ، ١٢٥ بتحقيقي) والآجري في «الشريعة» (١٦٩) والبيهقي في «الشعب» (٢٠٢٠) وفي «الاعتقاد» (ص١٠٣) بإسناد صحيح إلى خباب .

(٥) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٣٣ بتحقيقي) والبيهقي في «الشعب» (٢٢٨٠) من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن ابن مسعود ، وإسناده ضعيف لضعف مجالد .

(٦) **صحيح إلى ابن مسعود** : أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٣٤) بإسناد صحيح إلى ابن مسعود ، وقد أخرج البخاري (٦٠٩٨ ، ٧٢٧٧) وغيره نحوه عن ابن مسعود بلفظ : «إن أحسن الحديث كتاب الله» .

(٧) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٣٥) بإسناد ضعيف ، والأصح فيه الوقف ، وصح مرفوعًا بلفظ «خير الحديث كتاب الله» .

يعنى القراءة في المصحف[١]. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: **«من كان يحب أن يعلم أنه يحب الله فليعرض نفسه على القرآن، فإن أحب القرآن فهو يحب الله. فإنما القرآن كلام الله»**[٢].

فهذه النصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على أن القرآن كلام الله تكلم به حقيقة وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ [البقرة: الآية ١] ﴿الٓمٓصٓ ۝١﴾ [الأعراف: الآية ١] ﴿الٓر﴾ [الحجر: الآية ١] ﴿الٓمٓر﴾ [الرعد: الآية ١] ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١﴾ [مريم: الآية ١] ﴿طه ۝١﴾ [طه: الآية ١] ﴿طسٓ﴾ [النمل: الآية ١] ﴿طسٓمٓ ۝١﴾، [الشعراء: الآية ١] ﴿حمٓ ۝١﴾ [الشورى: الآية ١] ﴿عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشورى: الآية ٢] وليس كلام الله المعانى دون الحروف ولا الحروف دون المعانى. بل حروفه ومعانيه عين كلام الله. «المنزل» من عند الله عز وجل «وعلى الرسول المصطفى خير الورى» محمد صلى الله عليه وسلم، قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: الآية ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: الآية ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: الآية ٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٣٦﴾ [النساء: الآية ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٩٧﴾ [البقرة: الآية ٩٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٣٦ بتحقيقي) من طريق سفيان عن عثمان بن عفان، وهذا معضل.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٩٣١) وفي إسناده إبراهيم بن إسماعيل بن يحيى ابن سلمة وهو ضعيف، وشطر الحديث الأول أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٧) والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (ح٤ بتحقيقي) من كلام الحسن البصري بإسناد ضعيف.

أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء: الآية ٤٧] الآية، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ١٩٩]، الآية. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: الآية ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (١٦٦)﴾ [النساء: الآية ١٦٦]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤)﴾ [النساء: الآية ١٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢٣١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٤٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: الآية ٥٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: الآية ٩٢]، وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (١١٤)﴾ [الأنعام: الآية ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ (١) كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)﴾، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: الآية ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ [التوبة: الآية ١٢٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: الآية ١٤]، وقال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (١)﴾ [إبراهيم: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ (١) إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢)﴾، وقال تعالى: ﴿الٓمٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ [الرعد: الآية ٣٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (٩)﴾ [الحجر: الآية ٩]، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ

لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾[النحل: الآية ٢]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[النحل: الآية ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾[النحل: الآية ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: الآية ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنبياء: الآية ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[الأنبياء: الآية ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾[الحج: الآية ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾[طه: الآية ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾[النور: الآية ٣٤]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾[النور: الآية ٤٦]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[الفرقان: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾[الفرقان: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[الشعراء: ٢٩١] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾[النمل: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ * نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾[لقمان: الآية ٢١]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾[السجدة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[الأحزاب: الآية ٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾[سبأ: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾﴾[يس: الآية ٥]، وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾[الزمر: الآية ١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾[النساء: الآية ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾[الزمر: الآية ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾[الزمر: الآية ٥٥]، وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩]، وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ﴾ [الدخان: ١]، وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد: الآية ٢٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الحديد: الآية ٩]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: الآية ٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة: ٨٣]، وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ٤٠] يعنى به محمدًا ﷺ، وفي سورة التكوير يعنى به جبريل، ومعنى الإضافة في كلتا الآيتين إنما هو التبليغ لأن من حق الرسول أن يبلغ عن المرسل. لا أن القرآن كلام الرسول الملكى ولا البشرى كما بين تعالى ذلك بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٨٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ [القدر: الآية ١]، وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يُوسُف: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: الآية ٥٢]، والآيات في هذا الباب كثيرة جدًّا بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يشهد بأنه كلام اللَّه وتنزيله وقصصه وتعليمه وألفاظه ومعانيه. وإيجازه وإعجازه يرشد إلى أنه كلام الخالق ﷻ وصفته، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بسورة من مثله، وقد أقر بذلك كل عاقل حتى المشركون كما قال أكفر قريش الوليد بن المغيرة لما قرأ عليه رسول اللَّه ﷺ القرآن، فرجع إلى قومه فقال أبو جهل: قل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له. قال: وماذا أقول فيه؟ فو اللَّه ما منكم رجل أعرف بالأشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيده منى ولا

بأشعار الجن. والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: قف حتى أفكر فيه، فلما فكر قال: إن هذا إلا سحر يؤثر، يأثره عن غيره. فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝﴾ [المدثر: ١١]، الآيات[1]، رواه البيهقي وغيره. ويروى عن عتبة حين قرأ عليه رسول الله ﷺ حم السجدة نحو ذلك. وكذا أبو جهل قبحهم الله. فتبين بهذا أن قولهم فيه: سحر، شعر، كهانة، وغير ذلك من مفترياتهم إنما قالوه عنادًا ومكابرة، وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخل تحت طوق أحد من البشر.

ونحن وجميع أهل السنة والجماعة نشهد الله الذي أنزله بعلمه وشهد به، ونشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك، ونشهد رسوله الذي أنزل عليه وبلغه إلى الأمة، ونشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدقون شاهدون بأنه كلام الله ﷻ وتنزيله، وأنه تكلم به قولًا وأنزله على رسوله وحيا. ولا نقول إنه حكاية عن كلام الله ﷻ أو عبارة بل هو عين كلام الله حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح الأمين، على محمد خاتم المرسلين، وكل منهما مبلغ عن الله ﷻ.

والكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مبلغًا مؤديا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]، وقال تعالى: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: الآية ٤٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾، والآيات في هذا

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٥٠ح ٣٨٧٢) والبيهقي في «الشعب» (١/ ١٥٧ح ١٣٤) من طريق معمر عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف رواية معمر عن أيوب. كما أن معمر مخالف، خالفه حماد بن زيد فرواه عن أيوب عن عكرمة مرسلًا، أشار لذلك البيهقي في «الشعب» (١/ ١٥٧) وأورده في «الاعتقاد» (ص٢٦٨) وأيضًا فعلى معمر خلاف أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ١٥٦) عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة مرسلًا، والخبر أخرجه أيضًا ابن جرير (٢٩/ ١٥٦) من طريق العوفيين عن ابن عباس، وإسناده ضعيف.

كثيرة جدًا .

يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلغ عنه مؤد لما أرسله به ، وهذا يعرفه كل أحد يعقل لفظة «رسول» ، فإن الرسول لا بد له من مرسل برسالاته . فالمرسِل الله ﷻ ، والرسالة هي القرآن ، والمرسَل محمد ﷺ المبلغ رسالة ربه .

وقال أنس : بعث النبي ﷺ خاله حرامًا إلى قومه وقال أتؤمنوني أبلغ رسالة رسول الله ﷺ؟ فجعل يحدثهم [1] ، وقال المغيرة ﷺ : أخبرنا نبينا عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة [2] . وعن عائشة ﷺ قالت : من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئًا من الوحي فلا تصدقه ، إن الله تعالى يقول : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: الآية ٦٧] [3] وفي خطبته في موقف الحج الأكبر قال ﷺ : «وأنتم تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أنتم قَائِلُونَ»؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت وفيها إشارته ﷺ بيده إلى السماء قائلًا : «اللَّهُمَّ هَل بلَّغتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَد» قالها مرارًا [4] . وعن أبي هريرة ﷺ قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال : «لا أُلْفِينَّ أَحَدَكُم يجيءُ يومَ القِيامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لهُ رُغَاءٌ يقُولُ : يا رَسُولَ اللَّهِ اغِثْنِي ، فَأَقُولُ لا أمْلِكُ لَكَ شَيئًا قَد أبلغتُكَ . لا أُلفِينَّ أحدَكُم يجيءُ يومَ القِيامةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ فَيقُولُ : يا رَسُولَ اللَّهِ أغِثنِي ، فَأقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيئًا قد أبْلَغْتُكَ . لا أُلفِينَّ أحدُكم يجيءُ يومَ القِيامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ يقُولُ : يا رسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي ، فَأقُولُ لا أمْلِكُ لَكَ شَيئًا قَد أبْلَغْتُك ، لا أُلفِينَّ أحدُكُم يجيءُ يومَ القِيامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِياحٌ فَيقُولُ : يا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثنِي ، فَأقُولُ لا أمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيئًا قَد أَبْلَغْتُكَ . لا أُلْفِينَّ أحَدُكُم يجيءُ يومَ القِيامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ فَيقُولُ : يا رَسُولَ اللَّهِ أغِثنِي ، فَأقُولُ لا أملِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيئًا قَد أبْلَغْتُكَ ، لا أُلفِينَّ أَحَدُكُم يجيءُ يومَ القِيامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ فَيقُولُ : يا رَسُولَ اللَّهِ اغِثنِي ، فَأقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ شَيئًا قَدْ أَبلغتُكَ» [5] متفق عليه .

وكان ﷺ يعرض نفسه على القبائل في المواسم ويقول : «إنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَآتيكُمْ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٠٩١) وأحمد (٣/ ٢١٠ ، ٢٨٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٥٩ ، ٧٥٣٠) وغيره .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥٣١) ومسلم (١٧٧) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (١٢١٨) وغيره من حديث جابر مرفوعًا .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به .

تَمْنَعُونِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي»[1] وغير ذلك من الأحاديث، يخبر ﷺ أنه مخبر عن الله ومبلغ رسالته وأن ما أمر به ونهى عنه وأخبر به هو تبليغ لأمر الله ونهيه وخبره، وأنه لم يقل شيئًا من عند نفسه فيقول هو من عند الله، ومن اعتقد ذلك فهو كافر من حزب أبي جهل والوليد بن المغيرة وملأهم، قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٤]

«ليس بمخلوق» كما يقول الزنادقة من الحلولية والاتحادية والجهمية والمعتزلة وغيرهم، تعالى الله ﷻ عن أن يكون شيء من صفاته مخلوقًا، قال الله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[الشورى: الآية ٥٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[الأعراف: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[يس: الآية ٨٢]، فأخبر تعالى أن الخلق غير الأمر وأن القرآن من أمره لا من خلقه وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾[النحل: الآية ٤٠]، فـ«كن» من كلامه الذي هو صفته ليس بمخلوق، والشيء المراد المقول له «كن» مخلوق، وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾[آل عمران: الآية ٥٩]، فعيسى وآدم مخلوقان بكن و«كن» قول الله صفة من صفاته، وليس الشيء المخلوق هو كن، ولكنه كان بقول الله له كن، وقد انعقد إجماع سلف الأمة الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون على تكفير من قال بخلق القرآن، وذلك لأنه لا يخلو قوله من إحدى ثلاث: إما أن يقول إنه خلقه في ذاته، أو في غيره، أو منفصلًا مستقلًا وكل الثلاث كفر صريح، لأنه إن قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاته محلًا للمخلوقات. وإن قال إنه خلقه في غيره فهو كلام ذلك الغير فيكون القرآن على هذا كلام كل تال له وهذا قول الوليد بن المغيرة فيما حكى الله عنه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾[المدثر: ٨١]، الآيات. وإن قال إنه خلقه منفصلًا مستقلًا فهذا جحود لوجوده مطلقًا إذ لا يعقل ولا يتصور كلام يقوم بذاته بدون متكلم، كما لا يعقل سمع بدون

---

(١) صحيح: أخرجه بنحوه أحمد (٣/ ٣٢٢، ٣٣٩) وابن حبان (٦٢٧٤، ٧٠١٢) والحاكم (٤٢٥١) والبيهقي (٨/ ١٤٦) و(٩/ ٩) وغيرهم من حديث جابر بن عبدالله.

سميع ولا بصر بدون بصير ولا علم بدون عالم ولا إرادة بدون مريد ولا حياة بدون حي إلى غير ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، فهذه الثلاث لا خروج لزنديق منها ولا جواب له عنها فبهت الذي كفر والله لا يهدى القوم الظالمين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين.

أصل القول بخلق القرآن

وأول ما اشتهر القوم بخلق القرآن في آخر عصر التابعين لما ظهر جهم بن صفوان(١) شقيق إبليس لعنهما الله وكان ملحدًا عنيدًا وزنديقًا زائغًا مبتغيا غير سبيل المؤمنين لم يثبت أن في السماء ربًّا ولا يصف الله تعالى بشيء مما وصف به نفسه وينتهى قوله إلى جحود الخالق ﷻ.

ترك الصلاة أربعين يومًا يزعم أنه يرتاد دينًا. ولما ناظره بعض السمنية(٢) في معبوده قال قبحه الله، هو هذا الهواء في كل مكان، وافتتح مرة سورة طه فلما أتى على هذه الآية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾[طه: الآية ٥]، قال: لو وجدت السبيل إلى حكها لحككتها، ثم قرأ حتى أتى على آية أخرى فقال ما كان أظرف محمدًا حين قالها، ثم افتتح سورة القصص فلما أتى على ذكر موسى جمع يديه ورجليه ثم رفع المصحف ثم قال: أى شيء هذا ذكره ههنا فلم يتم ذكره، وذكره ههنا فلم يتم ذكره(٣).

وقد روى عنه غير هذا من الكفريات، وهو أذل وأحقر من أن نشتغل بترجمته. وقد يسر الله تعالى ذبحه على يد سالم بن أحوز بأصبهان وقيل بمرو(٤). وهو يومئذ نائبها رحمه الله وجزاه عن المسلمين خيرًا. وقد تلقى هذا القول عن الجعد بن درهم(٥) ولكنه لم يشتهر في أيام الجعد كما اشتهر عن الجهم، فإن الجعد لما أظهر القول بخلق القرآن تطلبه بنو أمية

---

(١) انظر ترجمة جهم بن صفوان في «لسان الميزان» (٢/ ١٧٥) وانظر «الفرق بين الفرق» للبغدادي (ص٢١١).

(٢) السمنية فرقة تقول بالتناسخ وقدم العالم، ذكر البغدادي في «الفرق بين الفرق» (ص٢٧٠).

(٣) الخبر أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢١٣ بتحقيقي) ولا يصح عن جهم.

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢١٢) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٦٣١) عن يزيد بن هارون بإسناد صحيح، وسلم بن أحوز كان واليا على مرو، أرسل إليه هشام بن عبدالملك بقتل الجهم فقتله.

(٥) انظر ترجمة الجعد بن درهم بـ«اللسان» (٢/ ١٣٤).

فهرب منهم فسكن الكوفة فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه ولم يكن له كثير أتباع غيره.

ثم يسر اللَّه تعالى قتل الجعد على يد خالد بن عبد اللَّه القسرى الأمير، قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة، وذلك لأن خالدًا خطب الناس فقال في خطبته تلك: أيها الناس ضحوا تقبل اللَّه ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن اللَّه لم يتخذ إبراهيم خليلًا ولم يكلم موسى تكليمًا. تعالى اللَّه عما يقول الجعد علوًّا كبيرًا. ثم نزل فذبحه في أصل المنبر[1]، روى ذلك البخاري في كتابه خلق أفعال العباد، ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة له وغيرهما، وهو مشهور في كتب التواريخ، وذلك سنة أربع وعشرين ومائة.

وقد أخذ الجعد بدعته هذه عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم، وأخذها طالوت عن خاله لبيد بن الأعصم اليهودى الذي سحر النبي ﷺ وأنزل اللَّه تعالى في ذلك سورة المعوذتين[2].

ثم تقلد هذا المذهب المخذول عن الجهم بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي المتكلم[3]. شيخ المعتزلة وأحد من أضل المأمون وجدد القول بخلق القرآن ويقال إن أباه كان يهوديا صباغًا بالكوفة وروى عنه أقوال شنيعة في الدين من التجهم وغيره مات سنة ثماني عشرة ومائتين.

ثم تقلد عن بشر ذلك المذهب الملعون قاضي المحنة أحمد بن أبي داود[4] وأعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطان على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن وعلى أن اللَّه لا يرى في الآخرة، وكان بسببه ما كان على أهل الحديث والسنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك، وقد ابتلاه اللَّه تعالى بالفالج قبل موته بأربع سنين حتى أهلكه اللَّه تعالى سنة أربعين ومائتين ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفاصيله فليقرأ كتب التواريخ يرى العجب.

---

(١) ضعيف الإسناد: وسبق تخريجه.
(٢) خبر سحر لبيد بن الأعصم للنبي ﷺ صحيح وسيأتي تخريجه.
(٣) انظر ترجمة بشر بن غياث في «لسان الميزان» (٢/ ٣٧) و«تاريخ بغداد» (٧/ ٥٦).
(٤) ترجمة أحمد بن أبي داود القاضي في «اللسان» (١/ ٢٧٤) و «تاريخ بغداد» (٤/ ١٤١).

ذكر ما قاله أئمة السنة في مسألة القرآن وحكم الجهمية

قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله: من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله وفيه أسماء الله[1]، وقال: إذا قال الرجل العلم مخلوق فهو كافر لأنه يزعم أنه لم يكن لله علم حتى خلقه[2]، وقال رحمه الله: من قال: القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: الآية ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (١٢٠)﴾ [البقرة: الآية ١٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ ۚ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)﴾ [البقرة: الآية ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤]وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: الآية ١٧]، قال أحمد: قال سعيد بن جبير: والأحزاب الملل كلها ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ [هود: الآية ١٧]وقال تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ ۚ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾ [الرعد: الآية ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧)﴾ [الرعد: الآية ٣٧][3]، وقال رحمه الله: من قال ذاك القول لا يصلى خلفه الجمعة ولا غيرها فإن صلى خلفه أعاد الصلاة. يعنى من قال القرآن مخلوق[4]. وقال رحمه الله: إذا كان القاضي جهميا فلا تشهد عنده[5]. وقال إبراهيم بن طهمان: الجهمية كفار والقدرية كفار[6]. وقال سليمان التيمي رحمه الله: ليس قوم أشد بغضًا للإسلام من الجهمية والقدرية، فأما الجهمية فقد بارزوا الله، وأما القدرية فإنهم قالوا في الله[7]، وقال سلام بن

---

(١) صحيح إلى الإمام أحمد: نقله عبدالله بن أحمد في «السنة» (ح ١ بتحقيقي) عن أبيه من غير واسطة.

(٢) صحيح إلى الإمام أحمد: أخرجه عبدالله في «السنة» (رقم ٢) والتعريف في لفظ العلم للعهد الذهني، والمقصود: علم الله سبحانه.

(٣) «السنة» لعبدالله بن أحمد بتحقيقي (٣، ٤، ٥) وكلام سعيد بن جبير إسناده إلى سعيد ضعيف.

(٤) «السنة» لعبدالله (٦).

(٥) «السنة» لعبدالله (٨).

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله في «السنة» (٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٧٢) وفي إسناده حماد بن قيراط النيسابوري متكلم فيه.

أبي مطيع : الجهمية كفار لا يصلى خلفهم[١] ، وقال خارجة : الجهمية كفار بلغوا نساءهم أنهن طوالق وأنهن لا يحللن لأزواجهن . لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم . ثم تلا : ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ [طه : ١] ، إلى قوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه : الآية ٥][٢] ، وقال مالك رحمه الله : من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب[٣] . وقال سفيان الثورى رحمه الله : من زعم أن قول الله : ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩﴾ [النمل : الآية ٩] ، مخلوق فهو كافر زنديق حلال الدم[٤] ، وقال أيضًا : من قال إن : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ ، مخلوق فهو كافر[٥] . وقال أبو يوسف القاضى : صنفان ما على وجه الأرض شر منهما الجهمية والمقاتلية[٦] . قلت : وأظنه يعنى بالمقاتلية أتباع مقاتل بن سليمان البلخى فإنه رماه الإمام أبو حنيفة بالتشبيه فإنه قال أفرط جهم في نفى التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء ، وأفرط مقاتل في معنى الإثبات حتى جعله مثل خلقه ، وتابع أبا حنيفة على ذلك جماعة من أئمة الجرح والتعديل من أقرانه كأبي يوسف وغيره فمن بعدهم حتى قال ابن حبان : كان يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآن الذي وافق كتبهم ، وكان يشبه الرب بالمخلوق ، وكذبه وكيع وغيره والله أعلم بحاله ، قال وكيع : مات مقاتل بن سليمان سنة خمسين ومائة اهـ[٧] . وقال عبد الله بن المبارك الجهمية كفار[٨] ، وقال : ليس تعبد الجهمية شيئًا[٩] .

---

(١) **حسن إلى سليمان التيمي** : أخرجه عبدالله في «السنة» (١٠) بإسناد حسن .

(٢) **صحيح إلى سلام** : وهو ثقة ، والأثر أخرجه عبدالله في «السنة» (١١ ، ١٢١٦) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص٣٤) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥١٧) .

(٣) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبدالله في «السنة» (١٢) وفي إسناده سعيد بن صخر الدارمي وهو مجهول ، وخارجه نفسه متروك .

(٤) **حسن إلى مالك** : أخرجه عبدالله في «السنة» (١٣) ، وفي «العلل ومعرفة الرجال» (١٢٤٨ ، ٤٧٨٣) .

(٥) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبدالله في «السنة» (١٤) وفي إسناده مجهول .

(٦) **حسن إلى سفيان** : أخرجه عبدالله في «السنة» (١٥) وانظر تعليقي هناك على إسناده .

(٧) **حسن إلى أبي يوسف القاضي** : لكن هو نفسه متكلم فيه ، والأثر أخرجه عبدالله في «السنة» (١٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ١٦٤) والمقاتلية هم أتباع مقاتل بن سليمان البلخي .

(٨) المجروحين لابن حبان (٣/ ١٤) .

(٩) **صحيح إلى ابن المبارك** : أخرجه عبدالله في «السنة» (١٧) .

وقال: من قال القرآن مخلوق فهو زنديق [١]. وقال: إنا نستجيز أن نحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستجيز أن نحكى كلام الجهمية [٢]. وقال سفيان بن عيينة: القرآن كلام الله، ومن قال مخلوق فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر [٣]. وقال: من قال القرآن مخلوق يحتاج أن يصلب على ذباب، يعنى جبل [٤]. وقال عبد الله بن إدريس رحمه الله وقد سئل: ما تقول في الجهمية يصلى خلفهم؟ فقال: أمسلمون هؤلاء، أمسلمون هؤلاء؟ لا ولا كرامة، لا يصلى خلفهم [٥]. وقال له رجل: يا أبا محمد إن قبلنا ناسًا يقولون القرآن مخلوق. فقال من اليهود؟ قال: لا، قال فمن النصارى؟ قال: لا، قال فمن المجوس؟ قال: لا، قال فمن؟ قال من الموحدين. قال: كذبوا ليس هؤلاء بموحدين هؤلاء زنادقة هؤلاء زنادقة [٦]. وقرأ ابن إدريس: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة: الآية ١] فقال: الله مخلوق؟ والرحمن مخلوق؟ والرحيم مخلوق؟ هؤلاء زنادقة [٧]. وسئل عن قوم يقولون القرآن مخلوق، فاستشنع ذلك وقال: سبحان الله، شيء منه مخلوق؟ [٨] وقال وكيع: فإنى أستتيبه، فإن تاب وإلا قتلته [٩]، وقال من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث، ومن زعم أنه محدث فقد كفر [١٠]، وقيل له: إن فلانًا يقول إن القرآن محدث. فقال: سبحان الله، هذا الكفر. قال السويدى وسألت وكيعًا عن الصلاة خلف الجهمية، فقال: لا تصل خلفهم [١١]. وقال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أنه محدث يستتاب

(١) أخرجه عبدالله في «السنة» بتحقيقي رقم (١٩) وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.
(٢) **ضعيف الإسناد:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٢٣) وفي إسناده رجل مجهول.
(٣) **صحيح إلى ابن المبارك:** أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢٥).
(٤) **حسن إلى ابن عيينة:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٢٧).
(٥) **ضعيف الإسناد:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٢٨) وفي إسناده محمد بن جنيد وهو مجهول.
(٦) **صحيح إلى عبدالله بن إدريس:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٢٩).
(٧) **صحيح إلى ابن إدريس:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٣١ بتحقيقي) والآجري في «الشريعة» (١٧٣) واللالكائي (٤٣١، ٤٣٢).
(٨) **ضعيف الإسناد:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٣٢) وفيه رواة مبهمون.
(٩) **حسن إلى ابن إدريس:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٣٣).
(١٠) **حسن إلى وكيع:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٣٤).
(١١) **ضعيف الإسناد:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٣٥) وفيه مبهم.
(١٢) **صحيح إلى وكيع:** أخرجه عبدالله في «السنة» (٣٦).

فإن تاب وإلا ضربت عنقه[١] . وقال زهير بن حرب : اختصمت أنا ومثنى فقال مثنى : القرآن مخلوق ، وقلت أنا : كلام الله . فقال وكيع وأنا أسمع : هذا كفر ، وقال من قال القرآن مخلوق هذا كفر . فقال مثنى : يا أبا سفيان قال الله : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء: الآية ٢] ، فأيش هذا؟ فقال وكيع : من قال القرآن مخلوق هذا كفر[٢] ، وقال : من قال القرآن مخلوق فهو كافر[٣] ، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : القرآن كلام الله أنزله جبريل على محمد ﷺ ، كل صاحب هوى يعرف الله ويعرف من يعبد ، إلا الجهمية لا يدرون من يعبدون ، بشر المريسي وأصحابه[٤] . وقيل لوكيع في ذبائح الجهمية ، قال لا تؤكل هم مرتدون[٥] . وقال : من قال إن كلامه ليس منه فقد كفر . وقال : من قال إن منه شيئًا مخلوقًا فقد كفر[٦] . وقال فطر بن حماد سألت معتمر بن سليمان فقلت : يا أبا محمد إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال : ينبغي أن تضرب عنقه . قال فطر : وسألت حماد بن زيد فقلت : يا أبا إسماعيل إمام لنا يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ فقال : صل خلف مسلم أحب إلي . وسألت يزيد بن زريع فقلت : يا أبا معاوية إمام لقوم يقول القرآن مخلوق أصلي خلفه؟ قال : لا ولا كرامة[٧] . وقال عبد الرحمن بن مهدي : من زعم أن الله لم يكلم موسى يستتاب ، فإن تاب وإلا ضربت عنقه[٨] . وقال مرة : لا أرى أن أستتيب الجهمية[٩] . وقال رَحِمَهُ اللَّهُ : لو كان لي من الأمر شيء لقمت على الجسر فلا يمر بي أحد من الجهمية إلا سألته عن القرآن فإن قال مخلوق ضربت رأسه ورميت به في الماء[١٠] . وقال أبو بكر بن الأسود :

---

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه عبدالله في «السنة» (٣٧) وفي إسناده مجهول .

(٢) صحيح إلى وكيع : أخرجه عبدالله في «السنة» (٣٨) والمثنى هو ابن معاذ العنبري وهو ثقة . ووقع هنا بالأصل : وقال ابن زهير وهو خطأ ، والقائل هو زهير نفسه .

(٣) صحيح إلى وكيع : أخرجه عبدالله في «السنة» (٤٣) وصح عن وكيع من غير طريق ، وانظر ما سبق .

(٤) ضعيف الإسناد : أخرجه عبدالله في «السنة» (٤٠) وفي إسناده محمد بن داود الحداني وهو مجهول .

(٥) أخرجه عبدالله في «السنة» (٤١) وفي إسناده من لم أعرف .

(٦) أخرجه عبدالله في «السنة» (٤٢) وفي إسناده من لم أجد له ترجمة .

(٧) في إسناده ضعف : أخرجه عبدالله في «السنة» (٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧) وفي إسناده فطر بن حماد متكلم فيه .

(٨) صحيح إلى ابن مهدي : أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٠) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥٠٥) .

(٩) في إسناده ضعف : أخرجه عبدالله في السنة (٥١) وفي إسناده موسى بن عبدالرحمن بن مهدي لم يوثقه معتبر .

(١٠) صحيح إلى ابن مهدي : أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٢) والآجري في «الشريعة» (١٨٠) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥٠٤) .

لو أن رجلًا جهميا مات وأنا وارثه ما استحللت أن آخذ من ميراثه [١]. وقال أبو يوسف القاضي: جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، واللَّه لأملأن ظهره وبطنه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوق [٢]. وقال يزيد بن هارون وذكر الجهمية فقال: هم واللَّه زنادقة، عليهم لعنة اللَّه [٣]. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: واللَّه الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة من قال القرآن مخلوق فهو زنديق [٤] وسئل عن الصلاة خلفهم قال: لا [٥]. وقال معاذ بن معاذ: من قال القرآن مخلوق فهو كافر [٦]. وقال شبابة بن سوار: اجتمع رأيي ورأي أبي النضر هاشم بن القاسم وجماعة من الفقهاء على أن المريسي كافر جاحد نرى أن يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه [٧]. وكان أبو توبة الحلبي ونعيم بن حماد وإبراهيم بن مهدي يكفرون الجهمية [٨]. وقال بشر بن الحارث: لا تجالسوهم ولا تكلموهم، وإن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم. كيف يرجعون وأنتم تفعلون بهم هذا؟ قال يعني الجهمية [٩]. وقال ابن أبي مريم: من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر [١٠]. وقال أبو الأسود النضر بن عبد الجبار: القرآن كلام اللَّه من زعم أنه مخلوق فهو كافر. هذا كلام الزنادقة [١١]. وقال عباد بن العوام: كلمت بشرا المريسي وأصحابه فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء [١٢]. وقال عمرو بن الربيع بن طارق: القرآن كلام

---

(١) كذا بالأصول، وفيه سقط فقد أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٣) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٥١٣) عن أبي بكر بن الأسود قال: سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول ليحيى بن سعيد... وذكر الخبر، وإسناده صحيح إلى عبدالرحمن بن مهدي.

(٢) حسن إلى أبي يوسف القاضي: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٩).

(٣) صحيح إلى يزيد بن هارون: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٥).

(٤) في إسناده ضعف: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٦) وفي إسناده شاذ بن يحيى ولا يتأتى توثيقه.

(٥) حسن إلى يزيد بن هارون: أخرجه عبدالله في «السنة» (٦١).

(٦) حسن إلى معاذ بن معاذ: أخرجه عبدالله في «السنة» (٦٢).

(٧) صحيح إلى شبابة: وهو ثقة حافظ، والخبر أخرجه عبدالله في «السنة» (٦٣).

(٨) حسن إليهم: أخرجه عبدالله في «السنة» (٦٥، ٦٦، ٦٧).

(٩) صحيح إلى بشر بن الحارث: أخرجه عبدالله في «السنة» (٦٨).

(١٠) صحيح إلى ابن أبي مريم: وهو سعيد بن الحكم بن أبي مريم وهو ثقة، والأثر أخرجه عبدالله في «السنة» (٦٩).

(١١) صحيح إلى النضر بن عبدالجبار: أخرجه عبدالله في «السنة» (٧١).

(١٢) في إسناده ضعف: أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٢) وفي إسناده يحيى بن إسماعيل الواسطي وهو مجهول الحال.

اللَّه من زعم أنه مخلوق فهو كافر[١]. وقال هارون أمير المؤمنين: بلغنى أن بشرا المريسى يزعم أن القرآن مخلوق، للَّه على إن أظفرنى اللَّه به إلا قتلته قتلة ما قتلتها أحدًا قط[٢]. وقال هارون بن معروف: من قال القرآن مخلوق فهو يعبد صنمًا[٣]. وقال يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ: من قال القرآن مخلوق فهو كافر[٤]. وقال رجل لهشيم: إن فلانًا يقول القرآن مخلوق، فقال: اذهب إليه فاقرأ عليه أول الحديد وآخر الحشر، فإن زعم أنهما مخلوقان فاضرب عنقه. وقال أبو هاشم الغسانى مثله[٥]. وقال أبو عبيد: من قال القرآن مخلوق فقد افترى على اللَّه وقال عليه ما لم تقله اليهود والنصارى[٦]. وقال إسحاق بن البهلول لأنس بن عياض أبي ضمرة: أصلى خلف الجهمية؟ قال: لا ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: الآية ٨٥] [٧]، وسئل عيسى بن يونس رَحِمَهُ اللَّهُ عمن يقول: القرآن مخلوق، فقال: كافر، أو كفر. فقيل له: تكفرهم بهذه الكلمة؟ قال: إن هذا من أيسر أو أحسن ما يظهرون[٨]. وكان يحيى بن معين رَحِمَهُ اللَّهُ يعيد صلاة الجمعة مذ أظهر عبد اللَّه بن هارون المأمون ما أظهر. يعنى القول بخلق القرآن[٩]. وقال الحسين بن إبراهيم بن أشكاب وعاصم بن على ابن عاصم وهارون الفروى وعبد الوهاب الوراق وسفيان بن وكيع: القرآن كلام اللَّه وليس بمخلوق[١٠]. وسئل جعفر بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ عن القرآن فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام اللَّه[١١]. وروي عن أبيه علي بن الحسين أنه قال في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام اللَّه[١٢]. وقال الزهري: سألت علي ابن

---

(١) صحيح إلى عمرو بن الربيع: أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٠).
(٢) صحيح إلى هارون الرشيد: أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٣) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٦٤).
(٣) صحيح إلى هارون بن معروف: أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٤).
(٤) حسن إلى يحيى بن معين: أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٥).
(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٦) وفي إسناده رجل مبهم.
(٦) صحيح إلى أبي عبيد: وهو القاسم بن سلام، والأثر أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٨).
(٧) صحيح إلى أنس بن عياض: أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٩).
(٨) أخرجه عبدالله في «السنة» (٨٢) وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.
(٩) صحيح إلى ابن معين: أخرجه عبدالله في «السنة» (٨٥).
(١٠) صحيح إليهم: أخرج الأثر إليهم عبدالله في «السنة» بأرقام (٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥).
(١١) حسن إلى جعفر بن محمد: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٥٠) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤٠١).
(١٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٥١) وفي إسناده من لم يتبين لي تعيينه. وأخرجه (١٥٢) بإسناد ضعيف وهو ما يأتي.

الحسين عن القرآن فقال: كتاب اللَّه وكلامه [١]. وعن إبراهيم بن سعد وسعيد ابن عبد الرحمن الجمحي ووهب بن جرير وأبي النضر هاشم بن القاسم وسليمان بن حرب قالوا: القرآن كلام اللَّه ليس بمخلوق [٢]. وقال سفيان بن عيينة: لا نحسن غير هذا، القرآن كلام اللَّه ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٦] ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: الآية ١٥] [٣]، وقال الإمام مالك بن أنس وجماعة من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا: كلام اللَّه وهو منه، وليس من اللَّه شيء مخلوق [٤]. وقال حماد بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: القرآن كلام اللَّه أنزله جبريل من عند رب العالمين [٥]. وقال أبو بكر بن عياش: من زعم أن القرآن مخلوق فقد افترى على اللَّه [٦]. وقال وكيع: القرآن من اللَّه، منه خرج وإليه يعود [٧]. وقال يحيى بن سعيد: كيف يصنعون بقل هو اللَّه أحد، كيف يصنعون بهذه الآية: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: الآية ٣٠]، يكون مخلوقًا؟ [٨] وقال وهب بن جرير ومحمد بن يزيد الواسطي وابن أبي إدريس وأبو بكر بن أبي شيبة وأخوه عثمان بن أبي شيبة وأبو عمر الشيباني ويحيى بن أيوب وأبو الوليد وحجاج الأنماطي ويحيى بن معين وأبو خيثمة وإسحاق بن أبي إسرائيل وأبو معمر: القرآن كلام اللَّه ليس بمخلوق [٩]. وقال: أبو عمرو الشيباني لإسماعيل ابن حماد بن أبي حنيفة وقال القرآن مخلوق - فقال الشيباني: خلقه قبل أن يتكلم به أو بعدما تكلم به؟ قال: فسكت [١٠]. وقال حسن بن موسى الأشيب أعوذ باللَّه السميع العليم من الشيطان الرجيم

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٥٢) واللالكائي (٣٨٩) وفي إسناده هارون بن حاتم وهو ضعيف.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٥٤) عن أبيه قال: بلغني عن . . . وذكره عنهم.

(٣) صحيح إلى ابن عيينة: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٥٧).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله (١٦١) واللالكائي (٤١٠) وفي إسناده أحمد بن محمد العمري وهو مجهول.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله (١٦٢) وشيخه مبهم.

(٦) أخرجه عبدالله في «السنة» (١٦٤) وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.

(٧) أخرجه عبدالله في «السنة» (١٦٩) بهذا اللفظ بإسناد ضعيف، وأخرجه (١٦٨) بإسناد صحيح وليس فيه: وإليه يعود.

(٨) صحيح إلى يحيى بن سعيد: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٧٣).

(٩) صح عن أكثرهم وانظر الطرق إليهم في كتاب «السنة» لعبد الله بن أحمد بتحقيقي من رقم (١٧٤) إلى رقم (١٩٢).

(١٠) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٨١) وفيه شيوخ مبهمون.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾[الفاتحة: الآية ٥]، فقال حسن: مخلوق هذا؟[1] وقال محمد بن سليمان لوين: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق، ما رأيت أحدًا يقول القرآن مخلوق، أعوذ باللَّه اهـ[2]. من كتاب «السنة»[3].

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في وصيته: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق[4]. وقال عفان بن مسلم أعوذ باللَّه من الشيطان الرجيم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[الفتح: الآية ١٥]، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[البقرة: الآية ٢٥٥]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝﴾[الإخلاص: الآية ١]، أمخلوق هذا؟ أدركت شعبة وحماد بن سلمة وأصحاب الحسن يقولون: القرآن كلام اللَّه ليس مخلوقًا[5]. وقال يحيى بن يحيى: من زعم أن من القرآن من أوله إلى آخره آية مخلوقة فهو كافر[6]. وقال هشام بن عبيد اللَّه: القرآن كلام اللَّه غير مخلوق. فقال له رجل: أليس اللَّه تعالى يقول: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾[الأنبياء: الآية ٢] فقال: محدث إلينا، وليس عند اللَّه بمحدث[7]. وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام اللَّه ليس بمخلوق، فكيف يكون شيء خرج من الرب عَزَّ وَجَلَّ مخلوقًا[8]. وقال أبو جعفر النفيلي: من قال إن القرآن مخلوق فهو كافر، فقيل له: يا أبا جعفر الكفر كفران، كفر نعمة وكفر بالرب عَزَّ وَجَلَّ؟ قال: لا بل كفر بالرب عَزَّ وَجَلَّ، ما تقول فيمن يقول: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝﴾ مخلوق، أليس كافرًا هو؟[9] وقال عبد اللَّه بن

---

(١) صحيح إلى حسن بن موسى: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٨٣).

(٢) صحيح إلى محمد بن سليمان: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٨٤).

(٣) كتاب «السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد بتحقيقي، طبعة دار ابن رجب.

(٤) صحيح إلى الشافعي: أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٦) وفي «الاعتقاد» (ص١٠٨) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٤٢٢، ٤٢٥) عن الشافعي بإسناد صحيح، أما وصية الشافعي فقد ورد فيها هذا اللفظ أيضًا أخرجها ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» (ص١٢٢) وإسنادها ضعيف.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (٤٥٢) عن ابن أبي حاتم عن يحيى بن زكريا بن عيسى عن يحيى بن أبي بكر السمسار عن عفان به.

(٦) صحيح إلى يحيى بن يحيى: أورده الذهبي في «العلو» (٤٥٦) فقال: قال ابن أبي حاتم سمعت مسلم بن الحجاج سمعت يحيى بن يحيى. . . وذكره.

(٧) أورده الذهبي في «العلو» (٤٥٨) عن ابن أبي حاتم عن أبي هارون محمد بن خلف عن هشام به.

(٨) أورده الذهبي في «العلو» (٤٨٨) عن ابن أبي حاتم عن أحمد بن سلمة النيسابوري عن إسحاق وهو ابن راهويه.

(٩) أورده الذهبي في «العلو» (٤٩١) عن ابن أبي حاتم عن علي بن الحسين بن مهران عن أبي جعفر النفيلي.

محمد العيشى : يستحيل في صفة الحكيم أن يخلق كلامًا يدعي الربوبية ، يعني قوله تعالى : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾[طه: الآية ١٤] وقوله : ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾[طه: الآية ١٢](١) قلت : والمعتزلة يقولون إن كلام الله لموسى خلقه في الشجرة ، فعلى هذا تكون الشجرة هى القائلة ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾[طه: الآية ١٤] قبحهم الله في الدنيا والآخرة . وقال محمد بن يحيى الذهلي : الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص . والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع صفاته وحيث تصرف(٢) .

وأما كلام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومتانته في هذه المسألة فأشهر من أن يحتاج إلى تعريف ، وله في ذلك «كتاب خلق أفعال العباد» وقد بوب في «صحيحه» على جملة وافية تدل على غزارة علمه وجلالة شأنه . وقال أبو حاتم وأبو زرعة : أدركنا العلماء في جميع الأمصار فكان من مذاهبهم أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته ، والقدر خيره وشره من الله تعالى ، وأن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف ، وأحاط بكل شيء علمًا ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير(٣) . وقال محمد بن أسلم الطوسي : القرآن كلام الله غير مخلوق أينما تلى وحيثما كتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل . اهـ(٤) . من «العلو» للذهبى .

وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في كتاب التوحيد بعد تبويبه على تكليم الله موسى عليه السلام : وتكلم الله بالوحي وصفة نزول الوحي وتكليم الله عباده يوم القيامة وتقرير البحث في ذلك ، ثم قال(٥) : باب ذكر البيان من كتاب ربنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ ومن سنة نبينا محمد ﷺ على الفرق بين كلام الله ﷻ الذي به يكون خلقه وبين خلقه الذي يكون بكلامه وقوله ، والدليل على نبذ قول الجهمية الذين يزعمون أن كلام الله تعالى مخلوق ، جل ربنا وعز عن ذلك . قال الله ﷻ : ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: الآية ٥٤] ، ففرق الله تعالى بين الخلق والأمر الذي به يخلق الخلق بواو الاستئناف وأعلمنا الله جل وعلا في محكم تنزيله أنه يخلق الخلق بكلامه وقوله :

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (٤٩٢) عن ابن أبي حاتم عن العيشي .

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (٤٩٨) بإسناده عن الذهلي .

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (٥٠٢ ، ٥٠٣) بإسناده عن أبي حاتم وأبي زرعة . وإسناده صحيح ، وأخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٣٢١) .

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (٥١٠) .

(٥) كتاب «التوحيد» لابن خزيمة (ص١٣٩) طبعة دار الحديث . وهذا الكتاب قد قمت بتحقيقه بحمد الله تعالى .

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٠﴾ [النحل: الآية ٤٠]، فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كل مكون من خلقه بقوله كن فيكون وقوله: ﴿كُن﴾ [البقرة: الآية ١١٧] هو كلامه الذي به يكون الخلق، وكلامه ﷻ الذي به يكون الخلق غير الخلق الذي يكون مكونًا بكلامه فافهم ولا تغلط ولا تغالط، ومن عقل عن اللَّه خطابه علم أن اللَّه سبحانه لما أعلم عباده المؤمنين أنه يكون الشيء بقوله كن أن القول الذي هو كن غير المكون بكن المقول له كن، وعقل عن اللَّه أن قوله كن لو كان خلقًا على ما زعمت الجهمية المفترية على اللَّه أنه إنما يخلق الخلق ويكونه بخلق لو كان قوله كن خلقًا. فيقال لهم: يا جهلة، فالقول الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقًا بم يكونه؟ أليس قول مقالتكم التى تزعمون أن قوله كن إنما يخلقه بقول قبله وهو عندكم خلقه وذلك القول يخلقه بقول قبله وهو خلق حتى يصير إلى ما لا غاية له ولا عدد ولا أول، وفي هذا إبطال تكوين الخلق وإنشاء البرية وإحداث ما لم يكن قبل، يحدث اللَّه الشيء ونشئه، وهذا قول لا يتوهمه ذو لب لو تفكر فيه ووفق لإدراك الصواب والرشاد، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤]، فهل يتوهم مسلم أن اللَّه تعالى سخر الشمس والقمر والنجوم مسخرات بخلقه، أليس مفهومًا - عند من يعقل عن اللَّه خطابه - أن الأمر الذي سخر به غير المسخر بالأمر وأن القول غير المقول له: ؟ فتفهموا يا ذوى الحجا عن اللَّه خطابه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانه، لا تصدوا عن سواء السبيل فتضلوا كما ضلت الجهمية عليهم لعائن اللَّه، فاسمعوا الآن الدليل الواضح البين غير المشكل من سنة النبي ﷺ بنقل العدل عن العدل موصولًا إليه على الفرق بين خلق اللَّه وبين كلام اللَّه تعالى. ثم ساق الأحاديث في ذكر كلمات اللَّه تعالى إلى حديث: «**أعوذ بكلمات اللَّه التامات من شر ما خلق**» ثم قال: **أفليس العلم محيطًا يا ذوى** الحجا أنه غير جائز أن يأمر النبي ﷺ بالتعوذ بخلق اللَّه من شر خلقه، هل سمعت عالمًا يجيز أن يقول أعوذ بالكعبة من شر خلق اللَّه، أو يجيز أن يقول أعوذ بالصفا والمروة أو أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق اللَّه، هذا لا يقوله ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين اللَّه، محال أن يستعيذ مسلم بخلق اللَّه من شر خلقه(١). ثم ساق بحثًا طويلًا فليراجع منه.

وقال أبو معاوية بن خازم الضرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكلام فيه بدعة وضلالة. ما تكلم فيه النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ولا التابعون ولا الصالحون رحمهم اللَّه تعالى. يعنى قول القرآن

---

(١) كتاب «التوحيد» لابن خزيمة (ص١٤٣).

مخلوق [1]. وذكر عند أبي نعيم هو الفضل بن دكين من يقول القرآن مخلوق، فقال: واللَّه واللَّه ما سمعت بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيث جهم [2]. وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول ذكره ولو أردنا استيعابه لطال الفصل. وقد تكرر نقل الإجماع منهم على إثبات ما أثبت اللَّه ﷻ لنفسه وأثبته رسوله ﷺ والصحابة فمن بعدهم ونفى التكييف عنها، لا سيما في مسألة العلو وفي هذه المسألة مسألة القرآن وتكليم اللَّه تعالى موسى. لأنها أول ما جحده الزنادقة قبحهم اللَّه تعالى، وفي ذكر من سمينا كفاية، ومن لم نسم منهم أضعاف ذلك، ولم يختلف منهم اثنان في أن القرآن كلام اللَّه تعالى ليس بمخلوق. من اللَّه بدأ وإليه يعود. وتقلدوا كفر من قال بخلق القرآن ومنعوا الصلاة خلفه وأفتوا بضرب عنقه وبتحريم ميراثه على المسلمين وحرموا ذبيحته وجزموا بأنها ذبيحة مرتد لا تحل للمسلمين. فانظر أيها المنصف أقوالهم ثم اعرضها على نصوص الكتاب والسنة هل تجدهم حادوا عنها قيد شبر، أو قدموا عليها قول أحد من الناس كائنًا من كان؟ حاشا وكلا ومعاذ اللَّه، بل بها اقتدوا ومنها تضلعوا، وبنورها استضاءوا وإياهم اتبعوا، فهداهم اللَّه بذلك لما اختلفت فيه من الحق بإذنه، واللَّه يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

هذا مقال المؤمنين جميعهم ... وعصابة التوحيد أعلام الهدى
الكاشفين عوار كل مشبه ... والقامعين لكل من قد ألحدا
زن قولهم بالوحي وانظر هل ترى ... ميلًا لهم عما إليه أرشدا
حاشاهم عن أن يميلوا خطوة ... عما إليه اللَّه إياهم هدى
بل أثبتوا للَّه ما قد أثبتت ... آي الكتاب، وكل نص أسندا
ومن النفاة تبرأوا وكذاك من ... قول الممثل إذ تغالى واعتدى
جعلوا إمامهم الكتاب وسنة الـ ... ـمختار يا طوبى لمن بهما اهتدى
ولذاك أعلى اللَّه جل منارَهم ... والملحدون بناءهم قد هددا
وأتم نورهم الإله وغيرهم ... فى ظلمة إذ لم يكن بهم اقتدى
يا رب ألحقنا بهم واجعل لنا ... نورًا نَميزُ به الضلال من الهدى

---

(١) صحيح إلى أبي معاوية: وهو ثقة حافظ، والخبر أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٢٣٣ بتحقيقي) بإسناد صحيح.

(٢) صحيح إلى أبي نعيم: أخرجه عبدالله في «السنة» (٢٣٢).

وقضى السلف الصالح رحمهم اللّٰه تعالى على الطائفة الواقفة وهم القائلون لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق من كان منهم يحسن الكلام فهو جهمي ومن لم يحسن الكلام منهم بل علم أنه كان جاهلًا جهلًا بسيطًا فهو تقام عليه الحجة بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلام اللّٰه تعالى وإلا فهو شر من الجهمية، وسيأتي إن شاء اللّٰه الكلام على اللفظية قريبًا وسنذكر إن شاء اللّٰه تعالى في آخر الفصل سائر الفرق المخالفين للسنة في القرآن وغيره من الصفات، لأنا أحببنا تجريد مذهب أهل السنة على حدته لقصد التيسير وباللّٰه التوفيق.

«ولا بمفترى» أي: وليس القرآن بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم من أعداء اللّٰه تعالى حيث قالوا فيه ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: الآية ٢٤]، وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الفرقان: الآية ٤]، وقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: الآية ٥]، ويقولون: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: الآية ١٠٣]، وقالوا: شعر، وقالوا: كهانة، وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: الآية ٧]، وقالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: الآية ٣١]، وغير ذلك من مفترياتهم وإفكهم، وكل ذلك إنما قالوه عنادًا ومكابرة ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: الآية ١٤]، وقد كشف اللّٰه تعالى شبههم وأدحض حججهم وبهتهم وقطعهم وفضحهم على رءوس الأشهاد وبين عجزهم وكشف عوارهم في جميع ما انتحلوا فقال تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢]، قال اللّٰه تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر: ٦٢]، إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: الآية ٤]، فرد اللّٰه ذلك عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: الآية ٤]، ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: الآية ٥]، فرد اللّٰه ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [الفرقان: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ [النحل: الآية ١٠١]، فرد اللّٰه ذلك عليهم بقوله ﷻ: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾، قال المفسرون إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش قيل: اسمه بلعام، وقيل: يعيش وقيل

عائش، وقيل جبر وقيل: يسار وقيل: غير ذلك، وربما كان رسول اللهﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء، فرد الله ﷻ عليهم ذلك الافتراء بقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل: الآية ١٠٣]، أى فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التى هى أكمل من معانى كل كتاب نزل على بنى إسرائيل، كيف يتعلم من رجل أعجمى؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من عقل، وقال في رد قولهم شعر وكهانة ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ (٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ (٧٠)﴾[يس: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢٩) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ (٣١) أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣)﴾ الآيات[الطور: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٠) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ (٤٧) وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (٤٨)﴾ إلى آخر الآيات. وقال تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ * أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله ﷻ: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ (٩)﴾، إلى آخر الآيات. ورد عليهم تعالى في قولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ﴾[الأنفال: الآية ٣١]، بقولهﷻ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾[الإسراء: الآية ٨٨]، وقد تحداهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة مثله فعجزوا عن ذلك كله وبان كذبهم قال اللهﷻ ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ (٣٤)﴾[الطور: ٣٣]، وقال تعالى وتقدس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٣) فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٤)﴾[هود: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٢٣) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ (٢٤)﴾[البقرة: ٣٢]، فعجزوا عن ذلك كله ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم فحول اللغة وفرسان الفصاحة وأهل البلاغة وأعلم الناس بنثر الكلام ونظمه وهزجه ورجزه، مع شدة معاندتهم لرسول اللهﷺ وما جاء به وحرصهم على معارضته بكل ممكن ولكن جاءهم ما لا قبل لهم به وأتاهم ما لا يطيقون، كلام ذي

الملكوت والجبروت والعظمة والكبرياء والعزة والجلال والكمال رب الأرض والسماء ورب الآخرة والأولى من له الأسماء الحسنى والصفات العلى والمثل الأعلى، الذي لا سَمِي له ولا كفء له وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فلما رأوا وجوه إيجازه وإعجازه ومبانيه الكاملة ومعانيه الشاملة، وإخباره عن الأمم الماضية والغيوب المستقبلة. والأحكام الواقعة، ونبأ الوعد والوعيد والترغيب والترهيب والتهديد وغير ذلك على أكمل وجه وأوضح بيان وأعلى قصص وأعظم برهان، علموا أنه ليس بكلام المخلوقين ولا يشبه كلام المخلوقين وعلموا أنه الحق، وإنما رموه بالإفك والبهتان بقولهم كاهن شاعر مجنون وغير ذلك إنما هو مكابرة وعناد مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعتبة وأبي جهل قبحهم الله وغيرهم، ولو كان تقوله كما زعموا هم لاستطاعوا معارضته ولم ينقطعوا عن مقاومته لأنهم عرب فصحاء مثله عارفون بوجوه البلاغة كلها لا يجهلون منها شيئًا، ولما عدلوا إلى المكابرة والتبجح بالقول دون الفعل الذي هو أمقت شيء عند العقلاء. ولكنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب محمد خاتم المرسلين. وسيد ولد آدم أجمعين هدى وبشرى للمسلمين. وتبيانًا لكل شيء وتفصيل كل شيء وذكرى للمؤمنين ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[فصلت: الآية ٤٢]، فلا يأتى مبطل بشبهة إلا وفيه إزهاق باطله وكشف شبهته وإدحاض حجته كما هو معلوم عند من عرف مواقع النزول، ويكفيك في ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[الفرقان: الآية ٣٣].

يـحْـفَـظُ بِـالْـقَـلْـبِ وَبِـالـلِّـسَـانِ ... يـتْـلَـى كَـمَـا يـسْـمَـعُ بِـالآذَانِ
كَـذَا بِـالأَبْـصَـارِ إليـه يـنْـظَـرُ ... وَبِـالأَيَـادِي خَـطُّـهُ يـسَـطَّـرُ
وَكُـلُّ ذِي مَـخْـلُـوقَـةٌ حَـقِـيـقَـهْ ... دُونَ كَـلَامِ بَـارِئِ الْـخَـلِـيـقَـهْ
جَـلَّـتْ صِـفَـاتُ رَبِّـنَـا الـرَّحْـمَـنِ ... عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحِدْثَانِ
فَالصَّوْتُ وَالأَلْحَانُ صَوْتُ الْقَارِي ... لَكِـنَّـمَـا الْـمَـتْـلُـوُّ قَـوْلُ الْـبَـارِي
مَـا قَـالَـهُ لَا يـقْـبَـلُ الـتَّـبْـدِيـلَا ... كَـلَّا وَلَا أَصْـدَقُ مِـنْـهُ قِـيـلَا

«**يحفظ**» بالبناء للمفعول أى: القرآن«بالقلب» كما قال تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾[العنكبوت: الآية ٤٩]، وقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾[الأعلى: الآية ٦]، وعن ابن عباس ﵄ قال: قال

رسول اللَّه ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**»[١]. قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول اللَّه ﷺ بعثا وهم ذوو عدد، فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل منهم- يعنى: ما معه من القرآن- فأتى على رجل من أحدثهم سنًا فقال: «**مَا مَعَكَ يا فُلان**» فقال: معى كذا وكذا وسورة البقرة، فقال: «**أَمَعَكَ سُورةُ البَقَرَةِ**» قال: نعم، قال: «**اذهبْ فَأنتَ أَمِيرُهُم**» فقال رجل من أشرافهم: واللَّه ما منعنى أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**تعلَّموا القُرآنَ واقرءُوه، فإنَّ مَثَلَ القُرآنِ لمن تعَلَّمهُ فقرأهُ وقَامَ بِهِ كمثَلِ جِرابٍ مَحْشُوّ مِسْكًا يفُوحُ رِيحُه في كلِّ مَكَانٍ. وَمَثَلُ مَن تعلمهُ فَيرقُدُ وهُوَ في جَوفِهِ كمثلِ جِرابٍ أُوكي عَلَى مِسْكٍ**»[٢] قال الترمذي: هذا حديث حسن. وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه المتفق عليه في قصة الواهبة نفسها وفيه قال: «**مَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ**»؟ قال: معى سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال: «**تَقْرَؤُهُنَّ عَن ظَهْرِ قَلْبِكَ**» قال: نعم، قال: «**اذْهَب فَقَد مَلَّكْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ**»[٣] ولأبي داود قال: سورة البقرة والتى تليها، قال: «**قُم فَعَلِّمْهَا عِشْرِينَ آيةً**»[٤]. وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَثَلُ القُرآنِ إذَا عَاهَدَ عَلَيهِ صَاحِبُهُ فَقَرَأهُ بالليلِ والنَّهارِ كَمَثَلِ رَجُلٍ لَهُ إبلٌ فَإنْ عَقَلَهَا حَفِظَهَا وإنْ أَطْلَقَ عِقَالَهَا ذَهَبَتْ، فكَذَلِكَ صَاحِبُ القُرآنِ**»[٥]. ولهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسول اللَّه ﷺ رجلًا يقرأ في سورة بالليل فقال: «**يرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَد أذْكَرَنِي كَذَا وكَذَا آيةٍ كُنتُ أُنْسِيتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا**»[٦]

---

(١) في إسناده ضعف: أخرجه الترمذي (٢٩١٣) وأحمد (١/ ٢٢٣) والدارمي (٣٣٠٦) والحاكم (٢٠٣٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٣٢) والبيهقي في «الشعب» (١٩٤٣) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٩) من طريق جرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس مرفوعًا، وصححه الترمذي والحاكم، وفي إسناده قابوس قال عنه الحافظ في التقريب: فيه لين.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢٨٧٦) والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٤٩) وابن خزيمة (١٥٠٩) و(٢٥٤٠) وابن حبان (٢١٢٦، ٢٥٧٨) والحاكم (١٦٢٢) جميعًا من طريق سعيد المقبري عن عطاء مولى أبي أحمد عن أبي هريرة مرفوعًا وصححه الحاكم وحسنه الترمذي.

قلت: وإسناده ضعيف عطاء مجهول، والحديث اختلف فيه بالوصل والإرسال أشار إلى ذلك الترمذي، والإرسال أصح، ورجح النسائي الإرسال.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٨٧) ومسلم (١٤٢٥).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٢١١٢) والنسائي في «السنن الكبرى» (٥٥٠٦) والبيهقي (٧/ ٢٤٢) وفي إسناده عِسْل بن سفيان وهو ضعيف.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٣١) ومسلم (٧٨٩) بنحوه.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٣٨) ومسلم (٧٨٨).

والأحاديث كثيرة جدًّا. «**وباللسان يتلى**»قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف: الآية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء: الآية ٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ [فاطر: ٩٢]، إلى آخر الآية، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: الآية ٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ١١٠]، وغير ذلك من الآيات. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا حَسَدَ إلَّا فِي اثْنَتَينِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ فَهُوَ يتْلُوهُ آناءَ الليلِ والنَّهارِ فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ**» إلى آخر الحديث رواه البخاري [1]. وأخرج أبو عبيد القاسم بن سلام عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال: «**للَّه أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته**» [2] ورواه ابن ماجه. وله عن المهاجر بن حبيب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يا أهل القرآن لا توسدوا القرآن، واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتغنوه وتقنوه واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون**» [3] والأحاديث في هذا كثيرة جدًّا سيأتي ما تيسر منها في ذكر الصوت.

«**كما يسمع بالآذان**»قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٢٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه (٥٠٢٥) ومسلم (٨١٥) بنحوه من حديث ابن عمر مرفوعًا.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ١٩) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٧١) وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٧٧ ح٦) والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (ح ٨٨ بتحقيقي) من طريق إسماعيل ابن عبيدالله بن أبي المهاجر عن فضالة بن عبيد، وفي سماع إسماعيل من فضالة كلام، وأخرجه ابن ماجة (١٣٤٠) وأحمد (٦/ ٢٠) من طريق إسماعيل بن عبيدالله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة. لكن ميسرة مجهول.

(٣) ضعيف: أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٢٩ ح ٧) عن أبي بكر بن أبي مريم عن المهاجر ابن حبيب مرسلًا، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٥٠ح ٢٠٠٧) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٨٣) عن ابن أبي مريم عن المهاجر عن عبيد المليكي، وأورده ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٩٠) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٢) وعزاه الهيثمي للطبراني في «الكبير» وقال: وفيه أبو بكر ابن أبي مريم وهو ضعيف.

أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: الآية ٨٣] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٤] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآيات، وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: الآية ١٣] الآيات [الجن: ١] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: الآية ١٨] وغير ذلك من الآيات. وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ «**اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ**» قلت أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِن غَيرِي**» [1] الحديث متفق عليه. وعن أبي موسى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أَبَا مُوسَى، لَو رَأَيتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ البَارِحَةَ**» فقال: أما والله لو أعلم أنك تسمع قراءتي لحبَّرْتُهَا لك تَحْبِيرًا [2]. رواه مسلم. ولأبي عبيد عن عائشة ﷺ قالت: أبطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت. فقال: «**أينَ كُنتِ**»، قلت: كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد، قالت: فقام رسول الله ﷺ وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إلي فقال: «**هَذَا سَالِمٌ مَولَى أَبِي حُذَيفَةَ، الحَمدُ للَّهِ الذِي جَعَلَ في أُمَّتِي مِثلَ هَذَا**» [3] إسناده جيد، والأحاديث في هذا كثيرة.

«**كذا بالأبصار إليه**» متعلقًا بـ«**ينظر**» أي: إلى القرآن في المصحف وهو أفضل العبادات وأجلها. وروى أبو عبيد بإسناد فيه ضعف عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**فَضلُ قِراءة القُرآنِ نَظَرًا على مَن يقرأه ظَهْرًا كَفَضْلِ الفَرِيضَةِ عَلَى النَّافِلَةِ**» [4].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٨٢) ومسلم (٨٠٠) وغيرهما.

(٢) صحيح: لكن مسلم لم يخرج لفظ أبي موسى بل اقتصر منه على المرفوع برقم (٧٩٣) وأصل الحديث عن البخاري من غير موضع الشاهد هنا، وهذا أخرجه ابن حبان (٧١٩٧) والحاكم (٥٩٦٦) وأبو يعلى (٧٢٧٩) والبيهقي في «الشعب» (٢٦٠٤) عن أبي موسى الأشعري.

(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجة (١٣٣٨) والحاكم (٥٠٠١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٤٨) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٧١) من طريق الوليد بن مسلم ثنا حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبدالرحمن بن سابط يحدث عن عائشة مرفوعًا.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٤٦) عن بعض أصحاب النبي ﷺ، وفي إسناده معاوية بن يحيى وهو ضعيف.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أديموا النظر في المصحف[١]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا دخل نشر المصحف فقرأ فيه[٢]. وكان ابن مسعود رضي الله عنه إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحف فقرأوا وفسر لهم[٣]. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ[٤]. وذهب كثير من السلف أن قراءة القرآن في المصحف أفضل من على ظهر قلب، لأنه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وكرهوا أن يمضى على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه. «**وبالأيادي خطه يسطر**» كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾[البينة: ٢] وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝١٤﴾[عبس: ١١]، وقد كتبه الصحابة في عهد النبي ﷺ بأمره، وفي خلافة أبي بكر وعثمان، وإلى الآن يكتبه المسلمون، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما ترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين[٥]، وقال على بن أبي طالب نحو ذلك، وقال أبو بكر رضي الله عنه معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحد خلافه. ولو لم يكن الذي في المصحف، كلام الله لم يحرم مسه على أحد ولم يكن من شأنه أن: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[الواقعة: الآية ٧٩] بل ولا كان يحرم توسده، ولذا أجاز الزنادقة ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كتاب الله، وهذا من أسفل دركات الكفر قبحهم الله «**وكل ذى**» المذكورات من القلب وحافظته وذاكرته واللسان وحركته والآذان وأسماعها والأبصار ونظرها والأيادي وكتابتها وأدوات الكتابة من أوراق وأقلام ومداد. كلها «**مخلوقة حقيقه**» ليس في ذلك توقف. «**دون**» القرآن

---

(١) **حسن إلى ابن مسعود**: أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٤٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٤٣ح ٣٠١٧٧) والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٤١ح ٨٦٩٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٢٠) من طرق عن سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود موقوفًا.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو عبيد (ص٤٦) وابن جرير في «تفسيره» (٧/ ٢٥٧) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٧٨) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن عمر، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد، ويوسف لين الحديث.

(٣) **صحيح إلى ابن مسعود**: أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٤٧ طبعة العلمية) عن حجاج عن حماد ابن سلمة عن ثابت البناني عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٤٦) وفي إسناده حجاج بن أرطأة وثوير بن أبي فاختة وهما ضعيفان.

(٥) **صحيح إلى ابن عباس**: أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠١٩) عن ابن عباس، وعن محمد بن الحنفية موقوفًا عليهما.

الذي هو «كلام» اللَّه تعالى: «بارئ الخليقه».

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: يتوجه العبد للَّه تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غير مخلوق: حفظ بقلب، وتلاوة بلسان، وسمع بأذن، ونظرة ببصر، وخط بيد. فالقلب مخلوق والمحفوظ غير مخلوق والتلاوة مخلوقة والمتلو غير مخلوق، والسمع مخلوق والمسموع غير مخلوق، والنظر مخلوق والمنظور إليه غير مخلوق، والكتابة مخلوقة والمكتوب غير مخلوق. انتهى. فأعمال العباد مخلوقة والقرآن حيثما تصرف وأين كتب وحيث تلى كلام اللَّه تعالى غير مخلوق.

جلَّت صِفاتُ رَبِّنا الرحمنِ عَن وَصْفِهَا بالخَلْقِ والحَدَثَانِ

فليس من صفات اللَّه تعالى شيء مخلوق، تعالى اللَّه عن ذلك وتعالى عن أن تكون ذاته محلًّا للمخلوقات، بل هو الأول بأسمائه وصفاته قبل كل شيء، والآخر بأسمائه وصفاته بعد كل شيء، لم يسبق شيء من صفاته بالعدم، ولم يعقب بالفناء، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا «فالصوت» من جهوري وخفى «والألحان» من حسن وغيره «صوت القاري لكنما المتلو» المؤدى بذلك الصوت هو «قول الباري» جل وعلا. وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَم يأذَنِ اللَّهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِي يتَغَنَّى بِالقُرآنِ»[1] ولابن ماجه بإسناد جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «للَّهُ أشدُّ أُذنًا إلى الرجلِ الحسنِ الصوتِ بالقُرآنِ مِنْ صَاحِبِ القَينةِ إلَى قَينَتِهِ»[2].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «غَنُّوا بِالقُرآنِ لَيسَ مِنَّا مَن لَم يغَنِّ بالقُرآنِ وابْكُوا فَإنْ لَم تَقْدِرُوا عَلَى البُكَاءِ فَتَبَاكُوا»[3] رواه البغوي، ولأبي داود نحوه،

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٣٥) ومسلم (٧٩٢) وغيرهما.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن ماجة (١٣٤٠) وغيره، وسبق تخريجه.

(٣) ضعيف: أخرجه ابن ماجة (١٣٣٧) وأبو يعلى (٢/ ٤٩ح ٦٨٩) والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٩٣ بتحقيقي) والدورقي في «مسند سعد» (ح١٢٨) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣١) وفي «الشعب» (٢/ ٣٦٣ح ٢٠٥١)، (٢/ ٣٨٨ح ٢١٤٧) جميعًا من طريق الوليد بن مسلم عن أبي رافع إسماعيل بن رافع عن ابن أبي مليكة عن عبدالرحمن بن السائب عن سعد بن أبي وقاص، وإسناده ضعيف جدًّا أبو رافع ضعيف جدًّا، وأخرجه الدورقي في «مسند سعد» (١٢٩) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١١٩٨) عن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي مليكة عن ابن أبي مليكة عن سعد، وهذا ضعيف لضعف=

وله عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَيسَ مِنَّا مَن لَم يَتَغَنَّ بالقُرآنِ**»[1] وله وللنسائي وابن ماجه باسناد جيد عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**زَيِّنُوا القُرآنَ بِأَصْوَاتِكُم**»[2] وفي «الصحيحين» عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا - أو قراءة منه» الحديث[3]، ولابن ماجه عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مِن أحْسَنِ النَّاسِ صَوتًا بالقُرآنِ الذِي إذَا سَمَعْتُمُوهُ يقرأُ حَسِبْتُمُوهُ يخْشَى اللَّهَ**»[4] ولأبي عبيد عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرءُوا القُرآنَ بِلُحُونِ العَرَبِ وأصواتِهَا، وإياكُم ولحونَ أهلِ الفِسقِ وأهلِ الكِتَابَينِ. وسيجيءُ قَومٌ مِن بَعْدِي يرَجِّعُونَ بالقُرآنِ تَرجِيعَ الغِنَاءِ والرَّهبانيةِ والنَّوحِ، لا يجَاوِزُ حَنَاجِرَهُم، مفتونةٌ قُلُوبُهم وقُلُوبُ الذينَ يعجِبُهُم شَأنَهُم**»[5]. وفي «الصحيحين» عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أبا موسى،**

= عبدالرحمن. وأما رواية أبي داود فهي في سننه (١٤٦٩) من طريق ابن أبي ملكية واختلف في الواسطة بينه وبين سعد بن أبي وقاص هل هو عبيد الله بن أبي نهيك أو هو سعيد بن أبي سعيد، واقتصر في روايته على لفظ: «ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن» وانظر ما يأتي.

(١) صحيح من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري (٧٥٢٧) وغيره، أما أبو داود فأخرجه (١٤٧١) من حديث أبي لبابة لا من حديث أبي أمامة وإسناده حسن.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٦٨) والنسائي (٢/ ١٧٩) وابن ماجة (١٣٤٢) وأحمد (٤/ ٢٨٣) والدارمي (٢/ ٤٧٤) وأبو عبيد (ص٧٦) والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٨٩ بتحقيقي) من طرق عن طلحة بن مصرف عن عبدالرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب مرفوعًا به.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٦٥) ومسلم (٤٦٣) من حديث جبير بن مطعم، وليس في لفظهما: «فما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه»، وإنما ورد هذا اللفظ من حديث البراء بن عازب قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ «والتين والزيتون» في العشاء، وما سمعت أحدًا أحسن صوتًا منه أو قراءة. أخرجه البخاري (٧٦٩) ومسلم (٤٦٤).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن ماجه (١٣٣٩) والآجري في «أخلاق حملة القرآن» (٩١ بتحقيقي) وفي إسناده: إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وهو ضعيف، وللحديث طرق أخرى كلها ضعيفة انظرها في تعليقي على كتاب «أخلاق حملة القرآن» (ح٩٢).

(٥) ضعيف: أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٨٠) والطبراني في «الأوسط» (٧/ ١٨٣ح ٧٢٢٣) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٥٤٠ح ٢٦٤٩) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٨) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (ح١٦٠) من طريق حصين بن مالك الفزاري عن رجل يكنى أبا محمد عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا، وإسناده ضعيف أبو محمد مجهول وحصين قال عنه في «اللسان» (٢/ ٣١٩): ليس بمعتمد، والخبر منكر.

لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»[1] ففي جميع هذه الأحاديث التصريح بإضافة الصوت والألحان والتغني إلى العبد لأنه عمله، والقرآن المؤدى بذلك الصوت هو كلام اللَّه حقيقة، وكذلك المهارة بالقرآن والتتعتع فيه هو فعل العبد وسعيه لما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «الماهرُ بالقُرآنِ مَعَ السَّفرةِ الكِرامِ البَرَرَةِ، والذِي يقْرأُ القُرآنَ ويَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ»[2] وهذا الفرق واضح وللَّه الحمد وعليه أهل السنة والحديث كأحمد بن حنبل وأبي عبد اللَّه محمد بن إسماعيل البخاري وغيرهما رحمهم اللَّه تعالى، ولو كان الصوت هو نفس المتلو المؤدى به كما يقوله أهل الاتحاد لكان كل من سمع القرآن من أي تال وبأي صوت كليم الرحمن فلا مزية لموسى عليه السلام على غيره، اللَّهم لك الحمد ربنا، لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

اللفظية الجهمية

«مسألة»: اشتهر عن السلف الصالح كأحمد بن حنبل وهارون الفروي[3] وجماعة أئمة الحديث أن اللفظية جهمية، واللفظة هم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، قال أئمة السنة رحمهم اللَّه تعالى: ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع، يعنون غير بدعة الجهمية، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين: أحدهما: الملفوظ به وهو القرآن وهو كلام اللَّه ليس فعلًا للعبد ولا مقدورًا له، والثاني: التلفظ وهو فعل العبد وكسبه وسعيه، فإذا أطلق لفظ الخلق على المعنى الثاني شمل الأول وهو قول الجهمية، وإذا عكس الأمر بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق شمل المعنى الثاني وهي بدعة أخرى من بدع الاتحادية، وهذا ظاهر عند كل عاقل، فإنك إذا سمعت رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: الآية ١]، تقول هذا لفظ سورة الإخلاص، وتقول هذا لفظ فلان بسورة الإخلاص، إذ اللفظ معنى مشترك بين التلفظ الذي هو فعل العبد، وبين الملفوظ به الذي هو كلام اللَّه عز وجل. وهذا بخلاف ما ذكر السلف بقولهم: الصوت صوت القارئ والكلام كلام الباري، فإن الصوت معنى خاص بفعل العبد لا يتناول المتلو المؤدى بالصوت البته، ولا يصلح أن

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٤٨) ومسلم (٧٩٣).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٣٧) ومسلم (٧٩٨) واللفظ لمسلم.
(٣) صح ذلك عن أحمد بن حنبل، أخرجه عنه ابنه عبدالله في «السنة» (٢٠٢ بتحقيقي).

تقول هذا صوت ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾[الإخلاص: الآية ١] ولا يقول ذلك عاقل، وإنما تقول هذا صوت فلان يقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ①﴾[الإخلاص: الآية ١] ونحو ذلك. نعم، إذا سمع كلام اللَّه ﷻ منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى عليه الصلاة والسلام وسماع جبريل عليه السلام وسماع أهل الجنة كلامه منه ﷻ فحينئذ التلاوة والمتلو صفة البارى ﷻ ليس منها شيء مخلوق. تعالى اللَّه علوًّا كبيرًا.

«ما قاله لا يقبل التبديلا» قال اللَّه تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[ق: الآية ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[الكهف: الآية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ⑪⑤﴾[الأنعام: الآية ١١٥]، وقال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾[يونس: الآية ٦٤]، «كلا» أي: لا يكون ذلك «ولا أصدق منه» أي: من اللَّه تعالى «قيلا» أي: قولًا وهو تمييز محول عن اسم لا، والتقدير لا قيل أصدق من قيله، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ⑧⑦﴾[النساء: الآية ٨٧]، وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: الآية ١٢٢] أي: من أصدق من اللَّه تعالى في حديثه وخبره ووعده ووعيده؟ والجواب: لا أحد وفي خطبة رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ»[1] الحديث.

قَدْ رَوَى الثِّقَاتُ عَنْ خَيرِ المَلَا	بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا
فِي ثُلُثِ اللَّيلِ الأَخِيرِ يَنْزِلُ	يَقُولُ: هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَيُقْبَلُ
هَلْ مِنْ مُسِيءٍ طَالِبٍ لِلْمَغْفِرَةْ	يَجِدْ كَرِيمًا قَابِلًا لِلْمَعْذِرَةْ
يَمُنُّ بِالخَيرَاتِ وَالفَضَائِلْ	وَيَسْتُرُ العَيبَ وَيُعْطِي السَّائِلْ

أي: ومما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جاء صفة النزول للرب ﷻ كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة عن فضلاء الصحابة كأبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجبير بن مطعم، وجابر بن عبد اللَّه، وعبد اللَّه بن مسعود، وعمرو بن عبسة، ورفاعة الجهني، وعثمان بن أبي العاص الثقفي، وأبي الدرداء، وابن عباس، وعبادة بن الصامت، وأبي الخطاب، وعمر بن عامر السلمي، وغيرهم ﷺ.

---

(١) صحيح: وسبق تخريجه.

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي (ﷺ) قال: «**ينزِلُ اللَّهُ ليلةَ النصفِ من شعبان فيغفرُ لكلِّ نفس إلا إنسان في قلبه شحناء أو شرك**»[1] رواه جماعة عن ابن وهب. وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَخَّرتُ العِشَاءَ الأخيرةَ إلى ثُلُثِ الليلِ فإنَّهُ إذا مَضَى ثُلُثُ الليلِ هَبَطَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى سَمَاءِ الدُّنيا لم يزَلْ بها حَتَّى يطْلُعَ الفَجرُ فيقُولُ: أَلَا سَائِلٌ يعطَى، أَلَا دَاعٍ فَيجَابُ، أَلَا مُذْنِبٌ يسْتَغْفِرُ فيغْفَرُ لَهُ، أَلَا سَقِيمٌ يسْتَشْفِي فَيشْفَى**»[2] رواه الطبراني في السنة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ينزِلُ رَبُّنا كُلَّ لَيلةٍ إلى سَمَاءِ الدُّنيا حِينَ يبْقَى ثُلُثُ الليلِ فيقُولُ: مَن يدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ. مَن يسْأَلُنِي فَأُعْطِيهُ، مَن يسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَه**»[3] أخرجاه في «الصحيحين». وفي رواية عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللَّهَ يمْهِلُ، حَتَّى إذَا كَانَ ثُلُثُ الليلِ هَبَطَ إلَى السَّمَاءِ الدُّنيَا فَنَادَى: هَلْ مِن مُذْنِبٍ يتُوبُ. هَلْ مِن مُسْتَغْفِرٍ. هَلْ مِن سَائِلٍ**»[4] وفي «مسند أحمد» رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ينزِلُ اللَّهُ كُلَّ لَيلةٍ إذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيلِ الأوَّلِ فَيقُولُ: أَنَا المَلِكُ، مَنْ ذَا الذِي يسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ**»[5].

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائر الأمهات، وقد ساقه إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في (كتاب التوحيد) من أكثر من

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٣٠٦) بتحقيقي وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠٩) والدارمي في الرد على الجهمية (١٣٦) والدارقطني في «النزول» (٧٥، ٧٦) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٥٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٨٢٧) جميعًا من طريق عبدالملك ابن عبدالملك عن المصعب بن أبي ذئب عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده أبي بكر مرفوعًا به، وإسناده ضعيف عبدالملك ومصعب مجهولان.

قلت: ولحديث النزول في ليلة النصف من شعبان طرق كلها ضعيفة وأنا بصدد جمعها وتحريرها والله الموفق.

(٢) **حسن**: أخرجه الدارمي في «سننه» (١٤٩١، ١٤٩٣) وسعيد بن عثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣٣) والدارقطني في «النزول» (ح١) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٤٨، ٧٤٩) من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عمي موسى بن يسار عن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه عن علي بن أبي طالب مرفوعًا به، وإسناده حسن، وابن إسحاق صرح بالتحديث.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٧٥٨) وغيره.

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٢، ٤١٩) وغيره.

ثلاثين طريقًا عن أبي هريرة ﷺ إلى النبي ﷺ[١] وفي رواية عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ ينْزِلُ إِلَى السَّماءِ الدُّنْيا ولَهُ فِي كُلِّ سَمَاء كُرسِي، فَإِذَا نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا جَلَسَ عَلَى كُرسِيه ثُمَّ مَدَّ سَاعِدَيهِ فَيَقُولُ: مَن ذَا الذِي يقرِضُ غَيرَ عَدِيم ولا ظَلُوم، مَن ذا الذِي يستَغفِرُنِي فأغفرَ لَه، مَن ذا الذِي يتوبُ فأتُوبَ عَلَيه. فإذا كان عِندَ الصبح ارتَفَعَ فجلسَ عَلَى كُرسيهِ**»[٢] رواه ابن منده قال: وله أصل مرسل. وعن جبير بن مطعم ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ينزِلُ اللَّهُ إلى سَمَاءِ الدُّنيا كُلَّ لَيلةٍ فيَقُولُ جَلَّ جَلالُهُ: هَل مِن سَائِلٍ فَأُعطِيهُ، هَل مِن مُستَغفِرٍ فَأغفِرُ لَه**»[٣] حديث صحيح رواه النسائي وأبو الوليد الطيالسي. وعن جابر ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ اللَّهَ ينزِلُ كُلَّ لَيلةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيا لِثُلث الليل فيقول: ألا عبد من عبيدي يدعوني فأستجيب له، أو ظالم لنفسه يدعوني فأغفر له، ألا مقتر عليه رزقه ألا مظلوم يستنصرني فأنصره، ألا عان يدعوني فأفك عنه، فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجرُ، ثم يعلو ربنا عزَّ وجلَّ إلى السماءِ العُليا على كرسيه**»[٤] رواه الدارقطني.

وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه تعالى إذا كان ثلث الليل الآخر نزل إلى السماء الدنيا ثم بسط يده فقال: من يسألني فأعطيه، حتى يطلع الفجر**»[٥] حديث حسن

---

(١) هو في كتاب «التوحيد» لابن خزيمة بتحقيقي من رقم (٢٦٠ إلى رقم ٢٩٠).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» (ح٦٥) من طريق محفوظ بن أبي توبة عن عبدالرزاق بهذا الإسناد به.

وإسناده ضعيف لضعف محفوظ، ترجم له ابن حجر في «اللسان» (٥/ ٢٨) وذكر أنه يروي عن عبدالرزاق.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٨١) وعبدالله في «السنة» (١٢٩٠ بتحقيقي) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢٩٦ بتحقيقي) والدارقطني في «النزول» (٤، ٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٤٨) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن أبيه مرفوعًا به.

(٤) ضعيف: أخرجه الدارقطني في «النزول» (ص٣٦ ح٧) من طريق محمد بن إسماعيل الجعفري عن عبدالله بن مسلمة بن أسلم عن محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحمن بن كعب ابن مالك عن جابر مرفوعًا وإسناده ضعيف الجعفري متروك وشيخه وشيخ شيخه مجهولان.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٠٣) وأبو يعلى (٥٣١٩) من طريق عبدالعزيز بن مسلم عن أبي إسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن ابن مسعود مرفوعًا به، ويتقوى الحديث بطرقه وشواهده.

رواه أحمد في مسنده ورجاله أئمة، ورواه أبو معاوية بلفظ «إن اللَّه تعالى يفتح أبواب السماء ثم يهبط إلى السماء الدنيا، ثم يبسط يده فيقول: ألا عبد يسألني فأعطيه، حتى يطلع الفجر»[1] وعن رفاعة الجهني قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«إذا مضى نصف الليل أو ثلث الليل نزل اللَّه إلى سماء الدنيا فقال: لا أسأل عن عبادي غيري من ذا الذي يستغفرني فأغفر له، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له، من ذا الذي يسألني فأعطيه، حتى ينفجر الفجر»**[2] حديث صحيح رواه أحمد في مسنده. وعن عثمان ابن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«ينزل اللَّه إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول: هل من داع فأستجيب له، هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له. وأن داود خرج ذات ليلة فقال: لا يسأل اللَّه شيئًا إلا أعطاه، إلا أن يكون ساحرًا أو عشارًا»**[3] رواه الإمام أحمد بنحوه، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ينزل اللَّه تبارك وتعالى في آخر ثلاث ساعات بقين من الليل ينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره. فيمحو ما يشاء ويثبت. ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن، لا يكون معه فيها إلا الأنبياء والشهداء والصديقون، وفيها ما لم ير أحد ولم يخطر على قلب بشر. ثم يهبط في آخر ساعة من الليل يقول ألا مستغفر فأغفر له، ألا سائل فأعطيه، ألا داع فأستجيب له»**[4] رواه عثمان

---

(١) صحيح بشواهده: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٦) وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣٠) والآجري في «الشريعة» (٧٥٨، ٧٥٩) والدارقطني في «النزول» (٨، ٩، ١٠) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٥٧) من طرق عن إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص عن ابن مسعود مرفوعًا، وإبراهيم لين الحديث، ويتقوى حديثه بتعدد الطرق والشواهد.

وقول المصنف رحمه الله هنا: ورواه أبو معاوية. أظنه تصحيف، لأني لم أجد أبا معاوية في شيء من أسانيده، ولعله قصد: معاوية بن عمرو وهو في بعض طرقه. والله أعلم.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ١٦) والدارمي في «سننه» (١٤٨١، ١٤٨٢) والطيالسي (١٢٩٢) وابن المبارك في «الزهد» (٩١٩) وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٢٦، ١٢٧) وفي «الرد على المريسي» (١/ ٢١٢) والآجري في «الشريعة» (٧٥٣- ٧٥٧) والدارقطني في «النزول» (٦٨- ٧١) من طرق عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن رفاعة الجهني مرفوعًا به.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٤/ ٢٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (٣٠١، ٣٠٢ بتحقيقي) والدارقطني في «النزول» (٧٢) من طريق علي بن زيد عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان وتدليس الحسن البصري، وهنا زيادة ليست في غيره وهي قوله: «إلا ساحرًا أو عشارًا».

(٤) ضعيف الإسناد جدًّا: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (ح١٢٨) وابن خزيمة=

ابن سعيد الدارمي. وروى موسى بن عقبة عن إسحاق بن يحيى بن الوليد عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: ألا عبد يدعوني فأستجيب له، ألا ظالم لنفسه يدعوني فأقبله. فيكون كذلك إلى مطلع الصبح ويعلو على كرسيه»**[1]. وعن أبي الخطاب ﷺ أنه قال وقد سئل عن الوتر: **«أحب أوتر نصف الليل، فإن الله يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنب هل من مستغفر، هل من داع، حتى إذا طلع الفجر ارتفع»**[2] رواه محمد بن سعد في طبقاته. وعن عمرو بن عامر السلمي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ذهب ثلث الليل - أو قال نصف الليل - ينزل الله إلى سماء الدنيا فيقول: هل من عان فأفكه، هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأستجيب له، هل من مستغفر فأغفر له»**[3] رواه ابن منده. وعن عبيد بن السباق أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: **«ينزل ربنا من آخر الليل فينادي مناد في السماء العليا: ألا نزل الخالق العليم. فيخرج أهل السماء وينادي فيهم مناد بذلك. فلا يمر بأهل سماء إلا وهم سجود»**[4] رواه أبو داود. وروى أبو اليمان ويحيى

= في «التوحيد» (٣٠٣ بتحقيقي) وابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ١٧٠) و (١٥/ ١٣٩) والطبراني في «الأوسط» (٨/ ٢٧٩ح ٨٦٣٥) والدارقطني في «النزول» (٧٣) واللالكائي (٧٥٦) من طريق زياد بن محمد عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء مرفوعًا به، وزياد بن محمد متروك الحديث.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الآجري في «الشريعة» (٧٦٢) والطبراني في «الأوسط» (٦/ ١٥٩ح ٦٠٧٩) من طريق موسى بن عقبة به، وإسناده ضعيف إسحاق مجهول ولم يسمع من عبادة وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٤) للطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وأعله بإسحاق بن يحيى.

قلت: وقع في «مجمع الزوائد»: يحيى بن إسحاق. وهو خطأ.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١١٧٦ بتحقيقي) وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ٥٧) وعزاه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤٥) من طريق ثوير بن أبي فاختة عن أبي الخطاب، وإسناده ضعيف لضعف ثوير، والخبر عند ابن سعد موقوف على أبي الخطاب، وهو في «السنة» لعبدالله و«مجمع الزوائد» مرفوع.

(٣) ضعيف الإسناد: أورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (ص٤٤٢) وفي إسناده عبدالحميد بن مسلمة وأبوه مجهولان، وورد من حديث ابن مسعود مرفوعًا أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٦٦) وفي أسانيده ضعف، ومعنى الحديث صحيح من طرق أخرى.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو داود في «المراسيل» (ص١١١ ح٧٤) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٤٨) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٠٦) من طريق ابن أخي الزهري عن عمه عن عبيد بن السباق مرسلًا.

ابن أبي بكر وعبد الصمد بن النعمان ويزيد بن هارون. وهذا سياق حديثه - أخبرنا جرير بن عثمان حدثنا سليمان بن عامر عن عمرو بن عبسة قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله جعلني الله فداك، شيء تعلمه وأجهله ينفعني ولا يضرك، ما ساعة أقرب من ساعة وما ساعة تبقى فيها؟ يعني الصلاة. فقال: **«يا عمرو بن عبسة، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك. إن الرب تعالى يتدلى من جوف الليل فيغفر، إلا ما كان من الشرك والبغي. والصلاة مشهودة حتى تطلع الشمس فإنها تطلع على قرن الشيطان وهي صلاة الكفار، فأقصر عن الصلاة حتى ترتفع الشمس، فإذا استعلت الشمس فالصلاة مشهودة حتى يعتدل النهار، فإذا اعتدل النهار فأخر الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم، فإذا فاء الفيء فالصلاة مشهودة حتى تدلى للغروب فإنها تغيب بين قرني الشيطان فأقصر عن الصلاة حتى تجب الشمس»**[1] وهو في «مسلم» مطولاً.

قلت: وهذا في معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾، وفي كتاب «السنة» للخلال عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: **«ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا ثلث الليل الأوسط فيقول: من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ويترك أهل الحقد لحقدهم»**[2] وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«إن**

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٥) والدارقطني في «النزول» (٦٧) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٦١) وإسناده ضعيف سليم بن عامر لم يدرك عمرو بن عبسة، ووقع هنا بالأصل: جرير بن عثمان حدثنا سليمان بن عامر. وهو خطأ صوابه: حريز (بالحاء المهملة والزاي في آخره) بن عثمان حدثنا سليم بن عامر.

والحديث لم يخرجه مسلم لا مطولاً ولا مختصرًا. بل ورد بعضه عند الترمذي (٣٥٧٩) وابن ماجة (١٣٦٤) وأحمد (٤/ ٣٨٥) وليس فيه موضع الشاهد.

(٢) ضعيف الإسناد: أورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (ص٤٤١) وعزاه لكتاب «السنة» للخلال عن الوليد بن عبدالله بن أبي رياح بإسناده عن ابن عباس موقوفًا وإسناده ضعيف لضعف الوليد وترجمته «باللسان» (٦/ ٢٩٨) وفيه أيضًا تردد الراوي في الجزم بنسبة الكلام إلى ابن عباس.

وحديث ابن عباس في «النزول» أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٣٤) من طريق أبي عوانة عن طارق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا بإسناد حسن، وطارق هو ابن عبدالرحمن البجلي صدوق وفيه كلام يسير، وليس في لفظه جملة: «ويترك أهل الحقد لحقدهم».

لكن حديث ابن عباس هذا أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٣) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٦٦) من طريق زيد بن أبي أنيسة عن طارق بن عبدالرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا، =

الله ﷻ ينزل في ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر في الساعة الأولى لم يره أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء، ثم ينزل في الساعة الثانية إلى جنة عدن التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ولا يسكنها من بنى آدم غير ثلاثة: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبى لمن دخلك. ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فينتفض فيقول: قيومى بعزتى. ثم يطلع إلى عباده فيقول: هل من مستغفر أغفر له، هل من داع أجيبه، حتى تكون صلاة الفجر» وكذلك يقول: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٨] فيشهده الله وملائكة الليل والنهار[١]. رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد، وقد تقدم قريبًا بغير هذا اللفظ.

وله عن القاسم بن محمد عن أبيه - أو عمه - عن جده عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ينزل الله ﷻ ليلة النصف فيغفر للمؤمنين**»[٢] الحديث رواه ابن زنجويه. وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا كان ليلة النصف من شعبان هبط الله إلى سماء الدنيا فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن**»[٣] رواه محمد بن الفضل البخاري.

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، سمعت النبي ﷺ يقول: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في النصف من شعبان فيغفر لأهل الأرض إلا لكافر أو مشاحن**»[٤]. قلت: ولا منافاة بين أحاديث تخصيص النزول بليلة النصف من شعبان وبين الأحاديث القاضية أنه في كل ليلة فإن النزول في ليلة النصف من شعبان مطلق والنزول في كل ليلة مقيد بالنصف في لفظ

= وفيه أن هذا النزول في شهر رمضان، وليس فيه الجملة الأخيرة أيضًا.
ومدار الطريقين على طارق بن عبدالرحمن البجلي وهو ممن يهم وبعضهم ضعفه، أما الجملة الأخيرة فلم أجدها إلا من حديث أبي ثعلبة الخشني في نزول الرب سبحانه وتعالى في ليلة النصف من شعبان، أخرجه الدارقطني في «النزول» (٧٨) وفي «العلل» (١١٦٩) واللالكائي (٧٦٠) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٩٢٠) وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٦٥) للطبراني وإسناده ضعيف.

(١) ضعيف: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٣٠٣) بتحقيقي. وأخرجه غيره وسبق أنه ضعيف جدًا.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٣٠٦ بتحقيقي) وأخرجه غيره، وسبق.

(٣) ضعيف الإسناد جدًا: أورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (ص٤٤٢ طبعة دار الحديث) من طريق محمد بن الفضل البخاري عن مكي بن إبراهيم عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة، وإسناده تالف محمد بن الفضل كذبوه، وجعفر بن الزبير متروك.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن ماجة (١٣٩٠) وابن أبي عاصم (٥١٠) والدارقطني في «النزول» (٩٤) واللالكائي (٧٦٣) من طريق ابن لهيعة عن الزبير بن سليم عن الضحاك بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي موسى مرفوعًا، وإسناده ضعيف عبدالرحمن أبو الضحاك والزبير مجهولان، وابن لهيعة ضعيف.

وبالثلث في آخر، على أنه ليس في تخصيص النزول بنصف شعبان نفى له فيما عداها، والأحاديث التى فيها النزول كل ليلة أكثر وأشهر وأصح بلا شك ولا مرية. وقد ثبت النزول أيضًا في عشية عرفة كما روى ابن أبي حاتم من حديث أبي الزبير عن جابر بن عبد اللَّه ﵄ عن النبي ﷺ **«إذا كان يوم عرفة فإن اللَّه ينزل إلى سماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبادى، أتونى شعثًا غبرًا، أشهدكم أنى قد غفرت لهم»** [1]. ورواه الخلال في السنة من حديث أبي النضر عن أيوب عن أبي الزبير عنه يرفعه: **«أفضل أيام الدنيا أيام العشر»** قالوا يا رسول اللَّه: ولا مثلهن في سبيل اللَّه قال: **«إلا من عفر وجهه في التراب، إن عشية عرفة ينزل اللَّه إلى سماء الدنيا فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادى هؤلاء شعثًا غبرًا جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألونى رحمتي. فلا يرى يومًا أكثر عتيقًا ولا عتيقة»** [2] وروى خلاد بن يحيى حدثنا عبد الوهاب عن مجاهد عن ابن عمر ﵄ قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فجاء رجلان أحدهما أنصارى والآخر ثقفى فذكر الحديث وفيه: **«إن اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة هؤلاء عبادى جاءونى شعثًا غبرًا من كل فج عميق، اشهدوا أنى قد غفرت لهم ذنوبهم»** [3] رواه طلحة بن مصرف عن مجاهد به. وقد روى النزول في رمضان، وليس هو نافيا له في غيره. فروى على بن معبد عن عبيد اللَّه بن عمر عن

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٢٨٣٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٥١) والبيهقي في «الشعب» (٤٠٦٨) من طريق مرزوق الباهلي عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا به، وقال ابن خزيمة: أنا أبرأ من عهدة مرزوق.

قلت (يحيى): مرزوق وثقه أبو زرعة وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: وكان يخطئ، وفي الإسناد علة أخرى هي تدليس أبي الزبير.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو يعلى (٢٠٩٠) وابن حبان في صحيحه (٣٨٥٣) من طريق محمد بن عمرو ابن جبلة عن محمد بن مروان عن هشام الدستوائي عن أبي الزبير عن جابر مرفوعًا، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٥٣) وقال: وفيه محمد بن مروان العقيلي وثقه ابن معين وابن حبان وفيه بعض كلام وبقية رجاله رجال الصحيح.

قلت: وفيه أيضًا تدليس أبي الزبير، والحديث أورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (ص٤٣٣) وعزاه للخلال في «السنة» من حديث أبي النضر عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر، وهذا إسناد لا علة له إلا تدليس أبي الزبير، لكن ينظر فيمن رواه عن أبي النضر.

(٣) ضعيف الإسناد جدًا: أورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (ص٤٤٠) عن خلاد به، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٢٥ح ١٣٥٦٦) عن عبدالرزاق عن ابن مجاهد عن مجاهد عن ابن عمر، وابن مجاهد هو عبدالوهاب المذكور في طريق خلاد، وهو متروك واتهمه الثوري بالكذب.

زيد بن أبي أنيسة عن طارق عن سعيد بن جبير سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «**إن الله تبارك وتعالى ينزل في رمضان، إذا ذهب الثلث الأول من الليل هبط إلى السماء الدنيا ثم قال: هل من سائل يعطى، هل من مستغفر يغفر له، هل من تائب يتاب عليه**»[1]. وروى عبيد الله ابن موسى قال ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[إبراهيم: الآية ٢٧]، قال: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا في شهر رمضان يدبر أمر السنة فيمحو ما يشاء غير الشقاوة والسعادة والموت والحياة**»[2] وإسناده حسن. وهذا الموقوف له حكم المرفوع عند المحدثين لأنه لا يقال من قبل الرأي. وقد ثبت النزول لفصل القضاء وللتجلي لأهل الجنة كما ستأتي الأحاديث إن شاء الله تعالى في ذلك.

ونحن نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب جل وعلا من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه ﷺ بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول كما يشاء ربنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمته ﷻ غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول، فنسير بسير النصوص حيث سارت ونقف معها حيث وقفت لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصر عنها. وقد تكلفت جماعة من مثبتي المتكلمين فخاضوا في معنى ذلك وفي ذلك الانتقال وعدمه، وفي خلو العرش منه وعدمه نفيا وإثباتًا وذلك تكلف منهم، ودخول فيما لا يعنيهم، وهو ضرب من التكليف لم يأت في لفظ النصوص ولم يسأل الصحابة النبي ﷺ عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول، فنحن نؤمن بذلك ونصدق به كما آمنوا وصدقوا. فإن قال لنا متعنت أو متنطع: يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أي شيء من صفات الله، قلنا له أنت لا تلزمنا نحن فيما تدعيه وإنما تلزم قائل ذلك وهو رسول الله ﷺ، فإن كان ذلك لازمًا لما قاله حقيقة وجب الإيمان به إذ لازم الحق حق، وإن لم يك ذلك لازمًا له فأنت معترض على النبي ﷺ كاذب

---

(١) حسن الإسناد: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٣) واللالكائي (٧٦١) وسبق الكلام عنه قريبًا.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٢٢ح ٣٦٦٦) وابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ١٦٦) من طرق عن ابن أبي ليلى به واللفظ للبيهقي. وليس في ألفاظ ابن جرير ذكر النزول، والأثر ضعيف لضعف ابن أبي ليلى وهو محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى.

عليه متقدم بين يديه. وروى البيهقي عن الحاكم عن محمد بن صالح ابن هانئ سمع أحمد بن سلمة سمعت إسحاق بن راهويه يقول: جمعني وهذا المبتدع - يعني إبراهيم بن صالح - مجلس الأمير عبد اللَّه بن طاهر، فسألني الأمير عن أخبار النزول فسردتها، فقال ابن أبي صالح كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقلت آمنت برب يفعل ما يشاء [١] وقال إسحاق رحمه اللَّه تعالى: دخلت على ابن طاهر فقال ما هذه الأحاديث يروون أن اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم رواها الثقات الذين يروون الأحكام. فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش؟ قال: نعم. قلت: فلم تتكلم في هذا؟ [٢]وقال إسحاق أيضًا قال لي ابن طاهر: يا أبا يعقوب هذا الذي ترونه «ينزل ربنا كل ليلة» كيف ينزل؟ قلت: أعز اللَّه الأمير، لا كيف، إنما ينزل بلا كيف [٣] وقال أحمد بن سعيد الرباطي: حضرت مجلس ابن طاهر وحضر إسحاق، فسئل عن حديث النزول أصحيح هو؟ قال: نعم، فقال له بعض القواد: كيف ينزل؟ فقال: أثبته فوق حتى أصف لك النزول. فقال الرجل: أثبته فوق، فقال إسحاق: قال اللَّه تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: الآية ٢٢] فقال ابن طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة. فقال: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟ [٤]اهـ. من كتاب العلو.

وهذا الذي قاله إسحاق رحمه اللَّه تعالى هو الذي عليه عامة أهل السنة والجماعة كما قدمنا عنهم في جميع نصوص الصفات. وأن مذهبهم إمرارها كما جاءت، والإيمان بها بلا كيف.

---

(١) صحيح إلى إسحاق بن راهويه: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٥١) بإسناد صحيح، وأورده الذهبي في «العلو» (رقم ٤٨٣).

(٢) صحيح إلى إسحاق: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٥٢) عن الحاكم عن أبي زكريا العنبري عن أبي العباس عن إسحاق، وأورده الذهبي في «العلو» (٤٨٤) عن أبي بكر النجاد عن أحمد بن علي الأبار عن علي بن خشرم عن إسحاق، وهو صحيح.

(٣) صحيح إلى إسحاق: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٥٣) بإسناد صحيح، وأورده الذهبي في «العلو» (٤٨٥) بإسناد آخر.

(٤) صحيح إلى إسحاق: أخرجه أبو عثمان الصابوني في «عقيدته» (٤٤) بسند صحيح، وأورده الذهبي في «العلو» (٤٨٦).

مجيء الله للقضاء

وأنه يجيء يوم الفصل كما يشاء للقضاء العدل

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: الآية ٢١٠] ، وقال تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٨] ، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: الآية ٢٥] ، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ١٢] ، وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: الآية ٦٩] ، وفي حديث الصور المشهور الذي ساقه غير واحد من أصحاب المسانيد وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه: «**إن الناس إذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحدًا واحدًا من آدم فمن بعده، فكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، فإذا جاءوا إليه قال: أنا لها أنا لها ، فيذهب فيسجد لله تعالى تحت العرش ويشفع عند الله في أن يأتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة إلى السابعة، وينزل حملة العرش والكروبيون. قال: وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام ولهم زجل من تسبيحهم يقولون: سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان الحى الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت. سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبوح قدوس سبحان ربنا الأعلى، سبحان ذى السلطان والعظمة، سبحانه سبحانه أبدًا أبدًا**»[1] . وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء وينزل الله في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي**»[2] رواه ابن منده وقال الذهبي: إسناده حسن. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد**»[3] رواه مسلم. وعن أسماء

---

(١) ضعيف الإسناد: وهو جزء من حديث طويل، وسيأتي الكلام عنه في بابه.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» بتحقيقي برقم (١٢٩٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٥٧ح ٩٧٦٣) بإسناد ضعيف وسبق الكلام عنه وإيراد طرق أخرى له عند الكلام عن العلو.

(٣) صحيح بشواهده: أخرجه الترمذي (٢٣٨٢) وابن حبان (٤٠٨) وابن خزيمة (٢٤٨٢) وابن المبارك=

بنت يزيد رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يهبط الرب تعالى من السماء السابعة إلى المقام الذي هو قائمه، ثم يخرج عنق من النار فيظل الخلائق كلهم فيقول: أمرت بكل جبار عنيد، ومن زعم أنه عزيز كريم، ومن دعا مع الله إلهًا آخر»[1]، رواه أبو أحمد العسال في كتاب السنة. وفي الصحيحين من حديث الشفاعة عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يتبع الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها - أو منافقوها، شك إبراهيم، يعنى ابن سعد الراوى عن ابن شهاب - فيأتيهم الله تعالى فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التى يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه. ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم»[2] وذكر الحديث بطوله. ولهما نحوه من حديث أبي سعيد، وفيه: «حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون فارقناهم ونحن أحوج منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا مناديا ينادى ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربنا، قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا. فلا يكلمه إلا الأنبياء فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن. ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا»[3] وذكر الحديث، والأحاديث في هذا كثيرة، قال الذهبي رحمه الله تعالى: أحاديث نزول الباري

= في «الزهد» (٤٦٩) والحاكم (١٥٢٧) وابن جرير (١٢/ ١٣) من طريق حيوة عن الوليد أبي الوليد أبي عثمان عن عقبة بن مسلم عن شفي بن ماتع عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الترمذي: حسن غريب.
قلت: الوليد لين الحديث وباقي رجال الإسناد ثقات لكن للحديث شواهد كثيرة من القرآن والسنة.
والحديث لم يخرجه مسلم، وإنما أورده الذهبي في «العلو» (٢١٨) وقال: رواه مسلم فتابعه المصنف على هذا العزو.

(١) ضعيف الإسناد: أورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (ص ٤٤١) وعزاه لأبي أحمد العسال في كتاب «السنة» من حديث أبان بن أبي عياش عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد مرفوعًا، وإسناده تالف أبان متروك، وشهر فيه كلام على أن لآخر الحديث وهو خروج عنق النار وما بعده له طرق بعضها صحيح منها ما أخرجه الترمذي (٢٥٧٤) وأحمد (٢/ ٣٣٦) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٦، ٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

متواترة قد سقت طرقها وتكلمت عليها بما أسأل عنه يوم القيامة [١].

رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة

وَأَنَّـهُ يُـرَى بِـلَا إِنْـكَـارِ ... فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بِالأَبْصَارِ
كُـلٌّ يَـرَاهُ رُؤْيَـةَ الْـعِـيَـانِ ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
وَفِـي حَـدِيـثِ سَـيِّـدِ الأَنَـامِ ... مِنْ غَيْرِ مَا شَكٍّ وَلَا إِيهَامِ
رُؤْيَـةَ حَـقٍّ لَـيْـسَ يَـمْـتَـرُونَـهَـا ... كَالشَّمْسِ صَحْوًا لَا سَحَابَ دُونَهَا
وَخُـصَّ بِـالـرُّؤْيَـةِ أَوْلِـيَـاؤُهُ ... فَـضِـيـلَـةً وَحُـجِـبُـوا أَعْـدَاؤُهُ

قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦]، وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: الآية ٣٥]، وقال تعالى في شأن الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: الآية ١٥]، فإذا حجب أولياؤه فأي فضيلة لهم على أعدائه، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾، وهذه الآيات صريحة الدلالة على رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى لا تقبل تحريفًا ولا تأويلًا ولا يردها إلا مكابر قد ختم اللَّه على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد اللَّه.

وقد تواترت الأحاديث بمعنى ما تضمنته هذه الآيات رواها أئمة السنة والحديث في دواوين الإسلام عن فضلاء الصحابة وأجلائهم: كأبي بكر الصديق، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجرير بن عبد اللَّه، وصهيب، وابن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي موسى، وأنس، وبريدة بن الحصيب وأبي رزين، وجابر بن عبد اللَّه، وأبي أمامة، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر، وعائشة، وعبد اللَّه بن عمر، وعمار بن رويبة، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد اللَّه بن عباس، وعبد اللَّه بن عمرو بن العاص، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وأبي الدرداء، وفضالة بن عبيد، وعدي بن أرطاة، وأبي موسى الأشعري وغيرهم ﷺ. وهذا أوان سردها فألق سمعك وأحضر

(١) كتاب «العلو للعلي الغفار» للذهبي (ص٩١ رقم ٢١٨).

قلبك، وتأملها تأمل طالب للحق لا نافر منه، وكن من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وإياك وسوء الظن بكلام اللَّه وكلام رسوله فذلك الهلكة وما ضل من ضل وهلك من هلك إلا لسوء ظنه بالكتاب والسنة واللَّه المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا به. فعن أبي بكر الصديق ﷺ قال: أصبح رسول اللَّه ﷺ ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول اللَّه ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى، والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة ثم قام إلى أهله، فقال الناس لأبي بكر ﷺ: ألا تسأل رسول اللَّه ﷺ ما شأنه، صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط. قال فسأله فقال: **«نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم فقالوا: يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك اللَّه ﷻ، اشفع لنا إلى ربك ﷻ. قال: قد لقيت مثل الذي لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾** [آل عمران: الآية ٣٣]**، قال: فينطلقون إلى نوح ﷺ فيقولون: اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك اللَّه واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين ديارًا، فيقول: ليس ذلكم عندى، انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن اللَّه اتخذه خليلًا فينطلقون إلى إبراهيم ﷺ فيقول: ليس ذلكم عندى انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن اللَّه ﷻ كلمه تكليمًا، فيقول موسى ﷺ: ليس ذلكم عندى، انطلقوا إلى عيسى ابن مريم ﷺ فإنه كان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندى انطلقوا إلى سيد ولد آدم، انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم ﷻ. قال: فينطلق فيأتى جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول اللَّه ﷻ: ائذن له وبشره بالجنة، فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجدًا قدر جمعة ويقول اللَّه ﷻ: ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه ﷻ خر ساجدًا قدر جمعة أخرى فيقول اللَّه ﷻ: ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع. قال: فيذهب ليضع ساجدًا فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح اللَّه عليه من الدعاء شيئًا لم يفتحه على بشر قط فيقول أى رب خلقتنى سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه يرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة. ثم يقال ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال ادعوا الأنبياء قال: فيجيء النبي ومعه العصابة والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا قال: فإذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول اللَّه ﷻ: أنا أرحم**

الراحمين، أدخلوا جنتى من كان لا يشرك بى شيئًا. قال: فيدخلون الجنة. قال ثم يقول الله ﷻ: انظروا في أهل النار هل تلقون من عمل خيرًا قط؟ قال: فيجدون في النار رجلًا فيقولون له هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أنى كنت أسامح الناس في البيع. فيقول الله ﷻ: اسمحوا لعبدى بسماحته إلى عبيدى. ثم يخرجون من النار رجلًا فيقولون له: هل عملت خيرًا قط؟ فيقول: لا، غير أنى أمرت ولدى إذا مت فأحرقونى في النار ثم اطحنونى حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بى إلى البحر فاذرونى في الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين أبدًا. فقال الله ﷻ: لم فعل ذلك؟ قال من مخافتك. قال: فيقول الله ﷻ: انظر إلى مُلك أعظم مَلك فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول: أتسخر بى وأنت الملك؟ قال ﷺ وذلك الذي ضحكت منه الضحى» [1] رواه الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ أن ناسًا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب» قالوا: لا، يا رسول الله! قال: «فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ومن كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان

---

(١) صحيح بشواهده: أخرجه أحمد (١/ ٤ح ١٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (٦٨٩ بتحقيقي) وابن حبان (٦٤٧٦) وأبو يعلى (٥٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٢) والبزار (٧٦) وأبو عوانة (٤٤٣) والضياء في «المختارة» (٣٨، ٣٩) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٣٩) جميعًا من طريق أبي نعامة العدوي عن أبي هنيدة البراء بن نوفل عن والان العدوي عن حذيفة بن اليمان عن أبي بكر.
وقال ابن الجوزي في «العلل»: ورواه الحريري عن أبي هنيدة فأسنده عن حذيفة عن النبي ﷺ ولم يذكر أبا بكر، ووالان مجهول لا يعرف قال أبو حاتم الرازي: والان مجهول. وقال الدارقطني: غير مشهور إلا في هذا الحديث. اهـ.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٤) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار ورجاله ثقات.
قلت (يحيى): والان وثقه ابن معين كما في «الجرح والتعديل» (٩/ ٤٣) ولم يجرح.
وأبو هنيدة وثقه ابن معين أيضًا كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ٣٩٩) وأبو نعامة هو عمرو بن عيسى وهو علة هذا الإسناد وقد وثقه أحمد وابن معين والنسائي والعجلي وابن حبان، وقال أبو حاتم: لا بأس به. وضعفه ابن سعد، لكن قال أحمد: اختلط قبل موته. لكن للحديث شواهد عديدة يتقوى بها، والله أعلم.

يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم اللَّه تعالى في صورة غير صورته التى يعرفون فيقول: أنا ربكم. فيقولون نعوذ باللَّه منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ﷻ، فإذا جاء ربنا عرفناه. فيأتيهم اللَّه ﷻ في صورته التى يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهرانى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيز، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللَّهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول اللَّه، قال: فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا اللَّه ﷻ تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله ومنهم المجازى. فإذا فرغ اللَّه تعالى من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك باللَّه شيئًا ممن أراد اللَّه أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا اللَّه. فيعرفونهم بأثر السجود وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم اللَّه على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة. فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ اللَّه تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولًا الجنة فيقول: أى رب اصرف وجهى عن النار فإنه قد قشبنى ريحها وأحدقنى ذكاؤها، فيدعو اللَّه ما شاء أن يدعوه، ثم يقول اللَّه تبارك وتعالى: هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول لا أسألك غيره، فيعطى ربه من عهود ومواثيق ما شاء اللَّه فيصرف وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء اللَّه أن يسكت، ثم يقول أى رب قدمنى إلى باب الجنة فيقول اللَّه تعالى: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألنى غير الذي أعطيتك، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول أى رب فيدعو اللَّه حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألنى غيره؟ فيقول: لا وعزتك، فيعطى ربه ما شاء من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فيرى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء اللَّه أن يسكت ثم يقول: أى رب أدخلنى الجنة، فيقول اللَّه تبارك وتعالى: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألنى غير ما أعطيت، ويلك يا ابن آدم ما أغدرك. فيقول: أى رب لا أكون أشقى خلقك. فلا يزال يدعو اللَّه حتى يضحك اللَّه منه، فإذا ضحك اللَّه منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال اللَّه له: تمن. فيسأل ربه ويتمنى حتى إن اللَّه لبذكره فيقول له تمن كذا وكذا. حتى إذا انقطعت به الأمانى قال اللَّه ﷻ: ذلك لك ومثله معه»، قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه. قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد

مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئًا، حتى إذا حدث أبو هريرة قال: إن اللَّه ﷻ قال لذلك الرجل ومثله، قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: «ذلك لك ومثله معه»، قال أبو سعيد: أشهد أني حفظت من رسول اللَّه ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرة أمثاله»، قال أبو هريرة: وذلك آخر أهل الجنة دخولًا الجنة[1].

ولهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناسًا في زمن رسول اللَّه ﷺ قالوا: يا رسول اللَّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول اللَّه ﷺ: «**نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوًا ليس معها سحاب، وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوًا ليس فيها سحاب**»؟ قالوا: لا يا رسول اللَّه. قال: «**ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير اللَّه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر وغبرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد عزير ابن اللَّه. فيقال كذبتم ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون. قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون. فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار. ثم يقال للنصارى ما كنتم تعبدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيح ابن اللَّه. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم ماذا تبغون. فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا. فيشار إليهم ألا تردون. فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد اللَّه من بر وفاجر أتاهم رب العالمين ﷻ في أدنى صورة من التي رأوه فيها. قال: فما تنتظرون لتتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ باللَّه منك ولا نشك باللَّه شيئًا - مرتين أو ثلاثًا - حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد للَّه من تلقاء نفسه إلا أذن اللَّه له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل اللَّه ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٦) ومسلم (١٨٢).

ربكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة». قيل يا رسول اللَّه وما الجسر؟ قال: «دحض مزلة وخطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين للَّه تعالى يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقًا كثيرًا قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه، فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا. فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون. ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدًا ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقًا كثيرًا. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيرًا قط. وكان أبو سعيد رضي الله عنه يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء: الآية ٤٠]، «فيقول اللَّه ﷻ: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل أبيض؟» فقالوا: يا رسول اللَّه كأنك كنت ترعى بالبادية. قال: «فيخرجُونَ كَاللؤلؤِ فِي رِقَابِهِمْ الخَوَاتِيمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الجَنَّةِ. فَيَقُولُ أهْلُ الجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ. فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ تَعَالَى: رِضَائِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»(١). وفيهما عن جرير بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشر فقال: «إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته. فإن

---

(١) صحيح: أخرج البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣).

استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا»[١]. وفي صحيح مسلم عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئًا أزيدكم؟ يقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم**» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦][٢]، وللطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال[٣]: «**يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء، وينزل الله تبارك وتعالى في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي مناد: أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولي كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا. أليس ذلك عدلًا من ربكم؟ قالوا: بلى، قال: فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا، قال: فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون، قال: ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير، ويبقى محمد ﷺ وأمته فيأتيهم الرب تبارك وتعالى فيقول: ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال فيقولون: إن لنا إلهًا ما رأيناه بعد. فيقول: هل**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٣٤) ومسلم (٦٣٣).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨١) والترمذي (٣١٠٥) وأحمد (٤/ ٣٣٢) وغيرهم.

(٣) ضعيف الإسناد: وأصل الحديث في «الصحيحين» وغيرهما من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الخدري، لكن هذا المتن فيه زيادات منكرة، والحديث أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٢٩٤ بتحقيقي) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٥٧ح ٩٧٦٣) من طريق إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة عن محمد بن سلمة عن خالد بن أبي يزيد عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال ابن عمرو عن أبي عبيدة عن مسروق عن ابن مسعود مرفوعًا به.
وهذا إسناد ضعيف إسماعيل ضعيف في روايته عن محمد بن سلمة. والمنهال بن عمرو متكلم فيه.
والحديث أخرجه الطبراني بنفس الموضع والحاكم (٤/ ٥٨٩) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨) من طريق عبدالسلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن المنهال به. وصححه الحاكم واستنكره الذهبي.
قلت: وإسناده ضعيف أبو خالد يترجح ضعفه، وعبدالسلام له مناكير، وأبو خالد مخالف خالفه الأعمش عند ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٩) عن المنهال فأسقط منه مسروق ولم يرفعه، كما أخرجه (٢٨٠) من طريق يزيد بن سنان عن زيد بن أبي أنيسة به، ووقفه على ابن مسعود ولم يرفعه.

تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون : إن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه . قال فيقول : ما هي؟ فيقولون : يكشف عن ساق ، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجدًا ، ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون ، وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون ثم يقول : ارفعوا رءوسكم ، فيرفعون رءوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم ، فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك ، ومنهم من يعطى نورًا مثل النخلة بيمينه ، ومنهم من يعطى نورًا أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلًا يعطى نوره على إبهام قدمه ، يضيء مرة ويطفأ مرة ، فإذا أضاء قدم قدمه ومشى وإذا أطفئ قام ، والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال ويقول : مروا ، فيمرون على قدر نورهم ، منهم من يمر كطرف العين ، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالسحاب ، ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كشد الفرس ، ومنهم من يمر كشد الرجل ، حتى يمر الذي أعطى نوره على قدر إبهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه ، تجر يد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل ، وتصيب جوانبه النار ، فلا يزال كذلك حتى يخلص ، فإذا خلص وقف عليها ثم قال : الحمد للَّه لقد أعطاني اللَّه ما لم يعط أحد إذ نجاني منها بعد أن رأيتها ، قال : فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم فيرى ما في الجنة من خلال الباب فيقول : رب أدخلني الجنة ، فيقول اللَّه تبارك وتعالى له : أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول : يا رب اجعل بيني وبينها حجابًا لا أسمع حسيسها ، قال : فيدخل الجنة . قال : ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول : رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره ، فيقول لا وعزتك لا أسأل غيره ، وأى منزل يكون أحسن منه . قال : فيعطاه فينزله ، قال : ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله ، فيقول : أى رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول اللَّه ﷻ : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره . قال : لا وعزتك لا أسأل غيره ، وأى منزل يكون أحسن منه . قال : فيعطاه فينزله . قال : ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول : رب أعطني ذلك المنزل ، فيقول اللَّه جل جلاله : فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره . قال : لا وعزتك لا أسأل غيره ، وأى منزل يكون أحسن منه؟ قال : فيعطاه فينزله ثم يسكت . فيقول اللَّه ﷻ : ما لك لا تسأل؟ فيقول : رب قد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك ، فيقول اللَّه ﷻ : ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ

خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه. فيقول: أتستهزئ بى وأنت رب العزة؟ فيضحك الرب ﷻ من قوله». قال: فرأيت عبد الله بن مسعود ﷺ إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك. فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مرارًا كلما بلغت هذا المكان من هذا الحديث ضحكت. فقال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يحدث بهذا الحديث مرارًا كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه. قال: **«فيقول الرب ﷻ: لا ولكنى على ذلك قادر، سل. فيقول: ألحقنى بالناس. فيقول الحق بالناس. قال: فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجدًا، فيقال له: ارفع رأسك ما لك؟ فيقول: رأيت ربى، أو تراءى لى ربى. فيقال: إنما هو منزل من منازلك، قال: ثم يلقى فيها رجلًا فيتهيأ للسجود فيقال له: مه. فيقول: رأيت أنك ملك من الملائكة، فيقول له: إنما أنا خازن من خزانك، عبد من عبيدك، تحت يدى ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه. قال: فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر،** قال وهو في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها، تستقبله **جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضى إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها، إذا أعرض عنها إعراضة ازدادت في عينه سبعين ضعفًا عما كانت قبل ذلك. فيقول لها: والله لقد ازددت في عينى سبعين ضعفًا، فتقول له: والله وأنت لقد ازددت في عينى سبعين ضعفًا. فيقال له: أشرف، قال: فيشرف، فيقال له: ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره»** قال فقال عمر ﷺ: **ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم** عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلًا، فكيف أعلاهم؟ قال كعب: يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، إن الله ﷻ جعل دارًا فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة. ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة. ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: الآية ١٧]، قال: **«وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه. ثم قال من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التى لم يرها أحد، حتى إن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون: واها لهذه الريح، هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه».** فقال: ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها. فقال كعب: والذي نفسى بيده إن لجهنم يوم القيامة

لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه، حتى إن إبراهيم خليل اللَّه يقول: «رب نفسي نفسي» حتى لو كان لك عمل سبعين نبيًّا إلى عملك لظننت أنك لا تنجو.

قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى: هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد اللَّه بن أحمد والطبراني والدارقطني رحمهم اللَّه تعالى[1]. وروى يعقوب بن سفيان عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة**» وذكر ما يعطون قال: «**ثم يقول اللَّه تبارك وتعالى: اكشفوا حجابًا، فيكشف حجاب ثم حجاب، ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك، وهو قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾**[ق: الآية ٣٥]»[2] وفي الصحيحين عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»[3].

ولأحمد عنه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يجمع اللَّه عز وجل الأمم في صعيد واحد يوم القيامة، فإذا بدا اللَّه عز وجل أن يصدع بين خلقه مثل لكل قوم ما كانوا يعبدون فيتبعونهم حتى يقحموهم النار، ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربنا عز وجل، فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول: نعم إنه لا عدل له، فيتجلى لنا ضاحكًا فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهوديا أو نصرانيا مكانه**»[4] وفي رواية: «**يتجلى لنا ربنا عز وجل ضاحكًا يوم القيامة**»[5]. وللدارقطني عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يبعث اللَّه يوم القيامة مناديا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم: إن اللَّه عز وجل وعدكم الحسنى**

---

(١) كتاب «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٢١٥).

(٢) ضعيف الإسناد جدًا: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٨٥٢) وأورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (٢١٥) وعزاه ليعقوب بن سفيان من طريق سويد بن عبدالعزيز عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب مرفوعًا وسويد ضعيف وشيخه متهم.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٧٨، ٧٤٤٤) ومسلم (١٨٠) وغيرهما.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٧) وعبد بن حميد (٥٤٠) وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٨٠) والآجري في «الشريعة» (٦٤٩، ٦٥٠) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وأورد بعضه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٠٢ بتحقيقي) بإسناد حسن، ولم يورد متنه كاملًا.

(٥) ضعيف الإسناد ويصح بشواهده: وتخريجه ما سبق، وأخرجه أيضًا عبدالله في «السنة» (٥٠٣) من طريق علي بن زيد بن جدعان. ولمعناه شواهد صحيحة منها ما أخرجه مسلم (١٩١) من حديث جابر وسيأتي.

وزيادة، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه ﷻ»[1] رواه الإمام أحمد وابن وهب.
وفي صحيح البخاري عن عدى بن حاتم ﷺ قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة. ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل. فقال: «**يا عدى هل رأيت الحيرة؟**» قلت: لم أرها وقد أنبئت عنها. قال: «**فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا اللّه ﷻ**» قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعار طيئ الذين سعروا البلاد- «**ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى**». قلت: كسرى ابن هرمز؟ قال: «**كسرى بن هرمز. ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه. وليلقين اللّه أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعث إليك رسولًا فيبلغك؟ فيقول: بلى يا رب. فيقول: ألم أعطك مالًا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم**». قال عدى بن حاتم سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة**». قال عدى: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا اللّه، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز. ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي ﷺ[2] وفي الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يجمع اللّه الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك**- وفى لفظ: «**فيلهمون لذلك**»- **فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا ﷻ حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم فيقولون: أنت آدم أبو الخلق خلقك اللّه بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها. ولكن ائتوا نوحًا أول رسول بعثه اللّه ﷻ. قال: فيأتون نوحًا فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها، ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه اللّه خليلًا. فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيى ربه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلمه**

---

(١) ضعيف الإسناد جدًا: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ١٠٥) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٨٢) وأورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٩١) وعزاه للدارقطني، جميعًا من طريق أبان بن أبي عياش عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا، ولكن أبان متروك واتهم.
وأبان متابع تابعه أبو بكر الهذلي وهو متروك أيضًا أخرج حديثه ابن المبارك في «الزهد» (٤١٩) وهناد في «الزهد» (١٦٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٨٥، ٧٨٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٩٥) وغيره.

اللَّه تكليمًا وأعطاه التوراة. فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التى أصاب فيستحيي ربه منها، ولكن ائتوا عيسى روح اللَّه وكلمته، فيقول: لست هناكم ولكن ائتوا محمدًا ﷺ عبدًا غفر اللَّه له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«فيأتون فأستأذن على ربي فيأذن لي، فإذا أنا رأيته فأقع له ساجدًا فيدعنى ما شاء اللَّه أن يدعني، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعط واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لى حدًّا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة. ثم أعود فأقع ساجدًا فيدعنى ما شاء اللَّه أن يدعنى ثم يقال: ارفع رأسك يا محمد، قل تسمع وسل تعط، واشفع تشفع، فأرفع رأسى فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لى حدًّا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة»**. قال: فلا أدري في الثالثة أو الرابعة قال: **«فأقول: يا رب ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن»**[(١)] أى: وجب عليه الخلود، وفي رواية لابن خزيمة: **«يلقى الناس يوم القيامة ما شاء اللَّه أن يلقوه من الحبس، فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا»**- فذكر الحديث إلى أن قال: - **فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأنطلق حتى أستفتح باب الجنة فيفتح لي فأدخل وربي على عرشه فأخر ساجدًا»**[(٢)]، وذكر الحديث، وفي رواية: **«فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجدًا»**[(٣)] وفي رواية: **«فآتى ربي وهو على سريره- أو كرسيه- فأخر له ساجدًا»**[(٤)] وساقه ابن خزيمة بسياق طويل وقال فيه: **«فأستفتح، فإذا نظرت إلى الرحمن وقعت له ساجدًا»**[(٥)] وفي حديث أبي هريرة: **«آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبار جل جلاله فأخر**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٦٧٧ بتحقيقي) وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٦) وابن منده في «الإيمان» (٨٧٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٥٥٣ بتحقيقي) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٦٥) من طريقين عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨١، ٢٩٥) واللالكائي (٨٤٣) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي نضرة عن ابن عباس مرفوعًا وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد.

وقوله: «سريره أو كرسيه» شك من حماد.

(٥) **في إسناده ضعف**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٦٧٨) من طريق ابن عجلان عن جوثة بن عبيد عن أنس مرفوعًا، وجوثة مجهول الحال ترجمته «بالجرح والتعديل» (٢/ ٥٤٩) و«التاريخ الكبير» (٢/ ٢٥٣) وثقات ابن حبان (٤/ ١٢٠).

له ساجدًا»(١). وللدارقطنى عنه ﷺ عن النبي ﷺ في قول الله ﷻ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] قال: «النظر إلى وجه الله ﷻ»(٢). وله عنه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتانى جبريل ﷺ وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها فيها كالنكتة السوداء. فقلت: ما هذه التى في يدك يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة. قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير كثير، قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيدًا لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعًا لكم. قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئًا هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ذخر له في آخرته ما هو أعظم منه. قلت: ما هذه النكتة التى فيها؟ قال: هى الساعة. ونحن ندعوه يوم المزيد. قلت: وما ذاك يا جبريل؟ قال: إن ربك اتخذ في الجنة واديا فيه كثبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسى بكراسى من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسى ويحف الكراسى بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان ثم يتجلى لهم ﷻ فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتى، وهذا محل كرامتى، فسلونى، فيسألونه حتى تنتهى رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة. ثم يرتفع على كرسيه ﷻ ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهى لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها،

---

(١) ضعيف الإسناد: أورده المصنف هنا، وابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٩٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

قلت: وهذا اللفظ أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٦٩) من طريق سهيل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف زياد النميري. وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٦٧٤) من حديث أنس مرفوعًا بلفظ: «فأدخل فأجد الجبار تبارك وتعالى مستقبلي، فأسجد له» الحديث. وإسناده حسن.

(٢) ضعيف جدًا: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٩٤) من طريق الدارقطني بإسناده عن أنس مرفوعًا، وفي إسناده عبدالله بن محمد بن جعفر القاضي وهو متروك ترجمته «باللسان» (٣/ ٤٠٢) وأخرجه أيضًا اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٧٩) وفي إسناده سلم بن سالم البلخي ونوح بن أبي مريم وهما تالفان.

فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة»[١]
هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجمل به الشافعي مسنده[٢].
ورواه محمد بن إسحاق وعمرو بن أبي قيس، وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكراسي بمنابر من نور، فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها، ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب. قال: ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي. وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي، سلوني. فيسألونه الرضا. قال: رضاي أنزلكم داري وأنالكم كرامتي. سلوني. فيسألونه الرضا قال: فيشهدهم بالرضا. ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم»[٣] وذكر الحديث. ورواه علي بن حرب والحسن بن عرفة وفي روايته «ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم»[٤] ورواه الدارقطني أيضًا من طريق آخر عن أنس ﷺ قال: بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال: «أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء، قلت: يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيدًا ولأمتك من بعدك. قال قلت: يا جبريل ما هذه النكتة السوداء؟ قال: هي الساعة، وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد. قال: قلت: يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن الله اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا ﷻ على كرسيه أعلى ذلك الوادي وقد حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور، ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب، عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيه جلوسًا بعث الله ﷻ عليهم ريحًا يقال لها المثيرة فأثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم، وهم يومئذ جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله ﷻ،

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٤٩٩ بتحقيقي) وأورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (٢٩٤) وعزاه للدارقطني من طريق عثمان بن عمير عن أنس، وعثمان ضعيف، وأخرجه الشافعي في «مسنده» (١/ ٧٠) وفي إسناده موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

(٢) كتاب «حادي الأرواح» لابن القيم (ص ٢٩٥ طبعة دار إحياء الكتب العربية).

(٣) ضعيف الإسناد: وتخريجه ما سبق.

(٤) ضعيف الإسناد: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (٢٩٥) من طريق علي بن حرب والحسن بن عرفة وفي إسنادهما عثمان بن عمير وهو ضعيف.

فينادى رب العزة تبارك وتعالى رضوانًا- وهو خازن الجنة- فيقول: يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري. فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود، فيناديهم تبارك وتعالى بصوته: ارفعوا رءوسكم فإنما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء. سلوني ما شئتم، فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي، فهذا محل كرامتي، فسلوني ما شئتم، فيقولون: ربنا وأي خير لم تفعله بنا، ألست أعنتنا على سكرات الموت، وآنست منا الوحشة في ظلمات القبور، وآمنت وحشتنا عند النفخة في الصور؟ ألست أقلت عثراتنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا، وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألست الذي أدنيتنا من جوارك، وأسمعتنا لذاذة منطقك، وتجليت لنا بنورك؟ فأي خير لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله ﷻ. فيناديهم بصوته: أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي. فسلوني. فيقولون: نسألك رضاك، فيقول تعالى: برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم وسترت عليكم القبيح من أموركم وأدنيت مني جواركم وأسمعتكم لذاذة منطقي وتجليت لكم بنوري، فهذا محل كرامتي، فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم. ثم يقول ﷻ: سلوني، فيقولون: رضينا ربنا وسلمنا، فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة». قال أنس ﷺ فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله، وما مقدار تفرقهم؟ قال: «كمقدار الجمعة إلى الجمعة». قال: «ثم يحمل عرش ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون، ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته». قال أنس ﷺ: سمعته من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحد[1]. ورواه أيضًا من طريق آخر. ورواه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو بكر بن خزيمة وابن بطة في «الإبانة» وغيرهم وقد جمع ابن أبي داود طرقه. وللإمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن بريدة بن الحصيب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد

(١) ضعيف الإسناد: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٩٦) وعزاه للدارقطني من طريق قتادة عن أنس مرفوعًا به، ولم يورد إسناده، ورأيت بعض المعلقين علق عليه بالضعف والانقطاع.

قلت: لكن أخرج أوله الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٣١٤ح ٢٠٨٤) والضياء في «المختارة» (٦/ ٢٧٣ح ٢٢٩١) من طريق خالد بن مخلد القطواني عن عبدالسلام بن حفص عن أبي عمران الجوني عن أنس مرفوعًا، وهذا إسناد لا بأس به.

إلا سيخلو اللَّه به يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان» [1]. وللإمام أحمد وأبي داود عن أبي رزين ﷺقال: قلنا يا رسول اللَّه أكلنا يرى ربه ﷻيوم القيامة؟ قال: «**نعم**» قلت: وما آية ذلك في خلقه، قال: «**أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟**» قلنا: نعم، قال: «**اللَّه أكبر وأعظم**» [2]. وللإمام أحمد عن جابر ﷺوقد سئل عن الورود فقال: نحن يوم القيامة على كذا وكذا. أي: فوق الناس - فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا ﷻ، فيقول: أنا ربكم فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم تبارك وتعالى ويضحك. قال: فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء اللَّه، ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كَأَضْوَإ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا اللَّه وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتوا نبات الشيء في السيل ويذهب حراقه، ثم يسأل حتى يجعل اللَّه له الدنيا وعشرة أمثالها معها» [3] ورواه مسلم في صحيحه.

وفي رواية: «**نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق**» [4] ذكرها عبد الحق في «الجمع بين الصحيحين». ولعبد الرزاق عنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجدًا فيقول: ارفعوا رءوسكم فليس هذا بيوم عبادة**» [5]. وللدارقطني عنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يتجلى لنا ربنا ﷻ يوم**

(١) صحيح بشواهده: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٣٤٦ بتحقيقي) من حديث بريدة مرفوعًا، وأخرجه البخاري (٦٥٣٩) ومسلم (١٠١٦) وغيرهما من حديث عدي بن حاتم مرفوعًا.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣١٠٩) وابن ماجة (١٨٢) وأحمد (٤/ ١١، ١٢) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (٤٨٩) وغيرهم بإسناد ضعيف، وسبق.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٩١) وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٨٣) وعبدالله في «السنة» (٤٩٦) وهو في «المسند» عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ. وفي «السنة» وصحيح مسلم موقوف، وله حكم الرفع.

(٤) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٩٩) وعزاه لعبد الحق في الجمع بين «الصحيحين».

(٥) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (٢٩٩) فقال: وقال عبدالرزاق: أنبأنا رباح بن زيد قال: حدثني ابن جريج قال: أخبرني زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبر عن جابر بن عبدالله... وذكره.
قلت: وهذا إسناد صحيح لا علة له إلا تدليس أبي الزبير.

القيامة ضاحكًا»[١]. ولأبي قرة عنه ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة جمعت الأمم» فذكر الحديث وفيه «فيقول أتعرفون اللَّه ﷻ إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقول وكيف تعرفونه ولم تروه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عدل له. قال: فيتجلى تبارك وتعالى فيخرون له سجدًا»[٢]. وفي سنن ابن ماجه عنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رءوسهم فإذا الرب جل جلاله قد أشرف عليهم من فوقهم فقال تعالى: السلام عليكم يا أهل الجنة، وهو قوله ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: الآية ٥٨] فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره»[٣]. وللبيهقي عنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة، فرفعوا رءوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف، فقال تعالى: يا أهل الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرضا عنا. قال تعالى: رضائى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى، هذا أوانها فسلونى. قالوا: نسألك الزيادة. قال: فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاءوا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر اللَّه بأشجار عليها الثمار. فتجيء جوارى الحور العين وهن يقلن: نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر اللَّه ﷻ بكثبان من مسك أبيض أذفر فتثير عليهم ريحًا يقال لها المثيرة حتى تنتهى بهم إلى جنة عدن وهى قصبة الجنة، فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم،

---

(١) **ضعيف الإسناد ويصح بشواهده**: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٩٩) من طريق الدارقطني بإسناده عن جابر مرفوعًا، وفي إسناده محمد بن شرحبيل الصنعاني، ضعفه الدارقطني، وذكره ابن حبان في «الثقات» وقال: مستقيم الحديث. وترجمته «باللسان» (٥/ ٢٠٣) لكن صح معناه كما سبق قريبًا من حديث جابر عند مسلم وغيره.

(٢) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٢٩٩) فقال: ورواه أبو قرة عن مالك بن أنس عن زياد ابن سعد حدثنا أبو الزبير عن جابر... وهذا إسناد رجاله ثقات لا علة له إلا تدليس أبي الزبير والنظر فيمن رواه عن أبي قرة، وقد ورد هذا اللفظ من حديث أبي موسى أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٧) وعبد بن حميد (٥٤٠) وابن أبي عاصم (٦٣٠) واللالكائي (٨٣٢) وابن نصر في «الصلاة» (٢٨٥) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

(٣) **ضعيف الإسناد جدًا**: أخرجه ابن ماجة (١٨٤) واللالكائي (٨٣٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٩) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٢٧٤) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٢٠) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٢٠٣٩، ٢٠٤٠ بتحقيقي) من حديث جابر مرفوعًا وفي إسناده الفضل بن عيسى الرقاشي وأبو عاصم العباداني وهما تالفان.

فيقول: مرحبًا بالصادقين ومرحبًا بالطائعين. قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضًا. ثم يقول: أرجعوهم إلى القصور بالتحف، فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضًا» فقال رسول الله ﷺ: «فذلك قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٢]»(١) رواه في «كتاب البعث والنشور» وفي «كتاب الرؤية». وللدارقطني عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة»(٢). ولابن وهب والدارقطني عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ يومًا فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه ويحدثنا عنه، حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «إن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذره أمته، وإني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محال. فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يمينًا وعاث شمالا: يا عباد الله اثبتوا. وإنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي. ثم يثني فيقول: أنا ربكم، ولن تروا ربكم حتى تموتوا، وإنه مكتوب بين عينيه «كافر» يقرأه كل مؤمن، من لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة الكهف. وإنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها، وإنه لا يعدو ذلك، ولا يسلط على نفس غيرها. وإن من فتنته أن معه جنة ونارًا، فناره جنة وجنته نار، فمن ابتلي بناره فليغمض عينه وليستغث بالله تكن بردًا وسلامًا كما كانت بردًا وسلامًا على إبراهيم، وإن أيامه أربعون يومًا: يومًا كسنة ويومًا كشهر ويومًا كجمعة ويومًا كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر»، قالوا: فكيف نصلي يا رسول الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدرون في الأيام الطوال»(٣).

---

(١) ضعيف جدًا: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٠) وعزاه للبيهقي، وآفته ما سبق.

(٢) موضوع: أخرجه الدارقطني وإليه عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٠) ومن طريقه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٩) وفي إسناده علي بن عبدة المكتب وهو كذاب ومن طريقه أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢١٦). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٢) ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٦٣٥ بتحقيقي) وفي إسناده محمد بن خالد وهو كذاب.

(٣) ضعيف الإسناد، وله شواهد تقويه: وهذا أخرجه ابن ماجة (٤٠٧٧) والحاكم (٨٦٢٠) والروياني (١٢٣٩) والطبراني في «الشاميين» (٨٦١) وفي «الكبير» (٨/ ١٤٦ح ٧٦٤٤) والآجري في «الشريعة» مختصرًا (٩٣٧) وفي إسناده عمرو بن عبدالله الحضرمي وثقه العجلي وذكره ابن حبان في «الثقات»، و اختُلف في تعيينه.

قلت: ولفقرات هذا الحديث شواهد صحيحة تقويه.

وللإمام أحمد وأبي داود عن زيد بن ثابت ﷺ أن رسول الله ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال: «**قل حين تصبح: لبيك اللَّهم لبيك وسعديك، والخير في يديك، ومنك وإليك، اللَّهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من حلف فمشيئتك بين يديه، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير. اللَّهم وما صليت من صلاة فعلى من صليت وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت، أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين، أسألك اللَّهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. أعوذ بك اللَّهم أن أَظلم أو أُظلم أو أعتدي أو يعتدى علي أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنبًا لا تغفره. اللَّهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ذا الجلال والإكرام. فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيدًا، أني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير. وأشهد أن محمدًا عبدك ورسولك، وأشهد أن وعدك حق. وأن لقاءك حق، والجنة حق، والساعة آتية لا ريب فيها. وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك إن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة، وإني لا أثق إلا برحمتك، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. وتب علي إنك أنت التواب الرحيم**»[(١)]. وللإمام أحمد وابن حبان والحاكم في «صحيحيهما» عن أبي مجلز قال: صلى بنا عمار ﷺ صلاة فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى. قال: أما إني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به: «**اللَّهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق، أحيني ما علمت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرًا لي. وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة. وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاءك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. اللَّهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين**»[(٢)]. وأخرجه ابن خزيمة في كتاب «التوحيد» وفي «صحيح الحاكم»

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٥/ ١٩١) وابن أبي عاصم (٤١٦) والطبراني في «الكبير» (٥/ ١١٩ح ٤٨٠٣) وفي «الشاميين» (١٤٨١) واللالكائي (٨٤٦) جميعًا من طريق أبي بكر بن أبي مريم بإسناده عن زيد بن ثابت، وإسناده ضعيف لضعف أبي بكر بن أبي مريم.

(٢) صحيح: أخرجه النسائي في «الصغرى» (٣/ ٥٤) وفي «الكبرى» (١٢٢٨) وابن حبان (١٩٧١) وعبدالله في «السنة» (٥٠٥) من طريق حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عمار مرفوعًا به، =

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ لجابر: «**يا جابر. ألا أبشرك؟**» قال: بلى بشرك الله بخير. قال: «**شعرت أن الله أحيا أباك، قال: فأقعده بين يديه فقال: تمن على عبدى ما شئت أعطكه قال: يا رب ما عبدتك حق عبادتك. أتمنى عليك أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى، قال تعالى: إنه قد سلف منى أنك إليها لا ترجع**»[1] وهو في المسند من حديث جابر وللترمذي عنه رضي الله عنه قال: لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد قال رسول الله ﷺ: «**يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟**» قال: بلى. قال: «**ما كلم الله عز وجل أحدًا إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدى تمن على أعطك، قال: يا رب تحيينى فأقتل فيك ثانية، قال: إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون. قال: يا رب فأبلغ من ورائى. فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩] الآية**»[2]. قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب. قلت وإسناده صحيح. وللترمذي والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه، وإن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين**»[3]. وفي

= وأخرجه أحمد (٤/ ٢٦٤) والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٥٥) وفي «الكبرى» (١٢٢٩) وعبدالله بن أحمد (٥٠٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٣٤٦) من طريق أبي مجلز عن قيس بن عباد عن عمار بن ياسر مرفوعًا. وكلا الإسنادين حسن، ويصح الحديث بمجموعهما.

(١) صحيح بشواهده: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٩١١) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٤) من حديث عائشة مرفوعًا وصححه الحاكم وفي إسناده فيض بن وثيق، و به أعله الذهبي في «تلخيص المستدرك» وقال عنه: كذاب.

قلت: قال عنه ابن معين: كذاب خبيث. لكن الذهبي نفسه قال عنه في «الميزان»: روى عنه أبو زرعة وأبو حاتم وهو مقارب الحال إن شاء الله. وترجمته «باللسان» (٤/ ٥٤٢) وعلى كل فليس التعويل على روايته، وانظر التعليق التالي.

(٢) صحيح بشواهده: أخرجه الترمذي (٣٠١٠) وابن ماجة (١٩٠) وابن أبي عاصم (٦٠٢) والحاكم (٤٩١٤) وقال الترمذي: حسن غريب، وصححه الحاكم جميعًا من طريق موسى بن إبراهيم بن كثير عن طلحة بن خراش عن جابر، وإسناده ليس بالقوي للكلام في موسى بن إبراهيم، لكنه صالح للشواهد، وقد أخرجه أحمد (٣/ ٣٦١) والحميدي (١٢٦٥) وأبو يعلى (٢٠٠٢) وعبد ابن حميد (١٠٣٩) وهناد في «الزهد» (١٥٧) من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر مرفوعًا، وابن عقيل فيه كلام يسير وبمجموع الطريقين يصح الحديث. والله أعلم.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢٥٥٣، ٣٣٣٠) وأحمد (٢/ ١٣) وعبدالله (٥٠٠، ٥٠١)=

رواية ابن عرفة: ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾[1]، وفي رواية سعيد بن هشيم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله تبارك وتعالى**»[2] ورواه الدارقطني. وله عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، فذكر الحديث إلى أن قال: «**حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول: يا أهل الجنة، هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بتهليل الرحمن، فيقول تبارك وتعالى لداود: يا داود قم فمجدني، فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل**»[3]. وروى عثمان بن سعيد الدارمي في رده على المريسي عن ابن عمر رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ: «**إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن عز وجل فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن عز وجل**»[4]. وقال الترمذي رحمه الله: حدثنا محمد بن إسماعيل أخبرنا هشام بن عمار أخبرنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين أخبرنا الأوزاعي حدثنا حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة رضي الله عنه فقال أبو هريرة: أتسأل الله تعالى أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة. فقال سعيد: أفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ: «**أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، ثم يؤذن في مقدار يوم الجمعة من أيام**

= والآجري في «الشريعة» (٦٦٢، ٦٦٣) وأبو يعلى (٥٧٢٩) والحاكم (٣٨٨٠) واللالكائي (٨٤٠) وأبو الشيخ في «العظمة» (٦٠٤) وأبو نعيم «الحلية» (٥/ ٨٧)، وابن جرير (٢٩/ ١٩٣) من طريق ثوير عن ابن عمر مرفوعًا وثوير ضعيف، وأيضًا فقد اختلف في الحديث بالرفع والوقف كما أشار لذلك الترمذي عقب حديث (٢٥٥٣).

(١) ضعيف الإسناد: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٤) وعنه أورده المصنف، وإسناده ضعيف للعلة السابقة، وزيادة الآية وردت عند الترمذي والآجري وابن جرير وعبدالله بن أحمد.

(٢) ضعيف جدًا: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٤) وعزاه للدارقطني من طريق كوثر ابن حكيم عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا. ومن طريق كوثر أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٥١) وأورده ابن حجر في ترجمة كوثر من «لسان الميزان» (٤/ ٥٩٠).

(٣) ضعيف جدًا: أخرجه عبد بن حميد (٨٥١) وأورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٤) وعزاه للدارقطني من طريق حماد بن جعفر عن ابن عمر مرفوعًا، وإسناده ضعيف، حماد منكر الحديث ولم يدرك ابن عمر بينهما رجال.

(٤) ضعيف جدًا: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على بشر المريسي» (٢/ ٧١٦) وفي «الرد على=

الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم - وما فيهم من دنيء - على كثبان المسك والكافور. وما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسًا». قال أبوهريرة: قلت يا رسول الله، وهل نرى ربنا؟. قال: «نعم، هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟» قلنا: لا. قال: «كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله تعالى محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان ابن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول: يا رب أفلم تغفر لي؟ فيقول: بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه. فبينما هم على ذلك غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبًا لم يجدوا مثل ريحه شيئًا قط، ويقول ربنا ﷻ: قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقًا قد حفت به الملائكة فيه ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى. وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضًا. قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه، وما فيهم دنيء، فيروعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل إليه ما هو أحسن منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها. ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن: مرحبًا وأهلًا، لقد جئت وإن لك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه. فنقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا»[1] هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. قلت: ابن أبي العشرين كاتب الأوزاعي. قال أحمد وأبو حاتم ثقة، وقال النسائى ليس بذاك القوى، وقال البخاري ربما يخالف في حديثه، وفي التقريب

= الجهمية» (١٨٩) ومن طريقه أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣٠٤) من طريق حماد بن جعفر عن ابن عمر مرفوعًا، وآفته ما سبق.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢٥٤٩) وابن ماجة (٤٣٣٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٨٥) والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤١) من طريق هشام بن عمار عن عبدالحميد بن أبي العشرين عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

قلت (يحيى): وهذا إسناد يحسن مثله، وهشام بن عمار وعبدالحميد فيهما كلام لا ينزلهما عن درجة الصدوق، لكن للحديث علتين، فقد أورده العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤١) من طريقين في أحدهما قال حسان: حدثت عن سعيد، وفي الثاني قال الأوزاعي: حدثت عن حسان.

صدوق ربما أخطأ، وأما بقية رجاله فلا يسأل عنهم ورواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا وابن أبي عاصم. ولابن بطة عن عمار بن رويبة ﷺ قال: نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر. لا تضارون في رؤيته، فان استطعتم على أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا**»[1]. وفي رواية له عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته. فان استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبهما فافعلوا**»[2]. ولأبي معاوية عن سلمان الفارسي ﷺ قال: «**يأتون النبي ﷺ فيقولون: يا نبي الله إن الله فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك فيقول: «نعم أنا صاحبكم. فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع، فيقال من هذا؟ فيقول محمد ﷺ»**، قال: فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي الله ﷻ فيستأذن في السجود فيؤذن له» الحديث[3]. ولابن بطة والبزار عن حذيفة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء قال: قلت يا جبريل ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنها. قال: قلت وما هذه اللمعة في وسطها؟ قال: هذه الجمعة. قال: قلت وما الجمعة؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة. أما شرفه وفضله في الدنيا فإن الله تعالى جمع فيه أمر الخلق. وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان الله فيها خيرًا إلا أعطاهما إياه. وأما شرفه وفضله**

(١) صحيح بشواهده: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٥) وعزاه لابن بطة في «الإبانة»، وفي إسناده أبو بكر بن عمارة بن رويبة قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول.
قلت: الحديث أخرجه البخاري (٧٤٣٤) ومسلم (٦٣٣) وغيرهما من حديث جرير بن عبدالله مرفوعًا به.

(٢) صحيح بشواهده: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٥) وعزاه لابن بطة، وعلته ما سبق، وفيه أيضًا المسعودي وهو مختلط، وفي هذا الحديث لفظ: ركعتين، ولا شاهد له، إنما الصحيح بلفظ: صلاة.

(٣) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ٣٠٨ ح ٣١٦٧٥) وابن أبي عاصم (٨١٣) والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٤٧ ح ٦١١٧) والمحاملي في «أماليه» (٧٥) عن أبي معاوية عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي موقوفًا وإسناده صحيح، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٧٢) وعزاه للطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح.

واسمه في الآخرة فإن اللَّه تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم اللَّه مقدار ذلك وساعاته فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد: يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا اللَّه تعالى في كثبان من المسك. قال: فيخرج غلمان الأنبياء منابر من نور. ويخرج غلمان المؤمنين بكراسى من ياقوت. قال فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث اللَّه تبارك وتعالى ريحًا تدعى المثيرة تثير عليهم آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم، فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن اللَّه تعالى. قال: ثم يوحى اللَّه ﷻ إلى حملة العرش فيوضع بين ظهرانى الجنة وبينه وبينهم الحجب، فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادى الذين أطاعونى في الغيب ولم يرونى وصدقوا رسلى واتبعوا أمرى؟ فسلونى فهذا يوم المزيد. قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: ربنا رضينا عنك فارض عنا. قال: فيرجع اللَّه تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتى، فهذا يوم المزيد فسلونى، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: رب وجهك، رب وجهك، أرنا ننظر إليه. قال: فيكشف اللَّه تبارك وتعالى الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره. قال: ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره، فإذا صاروا إلى منازلهم يزاد النور وأمكن. ويزاد وأمكن. حتى يرجعوا إلى صورهم التى كانوا عليها قال: فيقول لهم أزواجهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها، قال فيقولون: ذلك بأن اللَّه تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكن. قال فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه، قال: وذلك قوله ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧][1]، ولابن مهدى عنه رضي الله عنه في قوله ﷻ:

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن بطة والبزار، عزاه إليهما ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٥) وأورد إسنادهما، وأخرجه أيضًا ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧٨٦) من طريق القاسم بن المطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة مرفوعًا، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٢) وقال: رواه البزار وفيه القاسم بن مطيب وهو متروك.

قلت: وورد معناه من حديث أنس بإسناد ضعيف، وسبق.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦]، قال: النظر إلى وجه الله عز وجل[١]. قال الحاكم رحمه الله تعالى وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع[٢]. ولابن خزيمة عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس رضي الله عنه فقال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فأقرع الباب فيقال: من أنت؟ فأقول أنا محمد، فآتي ربي وهو على كرسيه -أو على سريره- فيتجلى لي ربي فأخر له ساجدًا»**[٣]. ولأبي بكر بن أبي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل جمعة في رمال الكافور، وأقربهم منه مجلسًا أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدوًا»**[٤]. وللصنعاني عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: **«خلق الله الملائكة لعبادته أصنافًا فإن منهم لملائكة قيامًا صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة ركوعًا خشوعًا من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجدوا منذ خلقهم إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»**[٥]. وللدارمي عن

---

(١) حسن إلى حذيفة: أخرجه اللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧٨٣) من طريق ابن مهدي عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن نذير عن حذيفة موقوفًا به، وهذا إسناد حسن.
ومسلم قال عنه أبو حاتم: لا بأس به، وأخرجه عبدالله في «السنة» (٥١٣ بتحقيقي) وابن جرير (١١/ ١٠٥) واللالكائي (٧٨٤) من طريق إسرائيل به.

(٢) قال الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٢٦ عقب حديث ١٩٨٨): تفسير الصحابي حديث مسند. وقال (٢/ ٢٨٣ عقب حديث ٣٠٢١): ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند.

(٣) ضعيف الإسناد، وله شاهد صحيح: أما حديث ابن عباس فأخرجه أحمد (١/ ٢٨١، ٢٩٥) واللالكائي (٨٤٣) من طريق علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، لكن هذا المتن صح من حديث أنس أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٥٥٣ بتحقيقي) وأخرجه غيره وسبق.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه الآجري في «الشريعة» (٦٥٣) عن أبي بكر بن أبي داود بإسناده عن ابن عباس مرفوعًا، ومن طريق أبي بكر أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (٣٠٧) وفي إسناده الحسن البصري وهو مدلس ولم يسمع من ابن عباس، وأيضًا فيه محمد بن الأشعث السجستاني وهو مجهول ترجمته «بالثقات» (٩/ ١٤٩) وقد ورد معنى الحديث من حديث ابن مسعود ومن حديث أبي موسى ولا يصح.

(٥) ضعيف الإسناد: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٨) وفي إسناده أمية بن عبدالله بن عمرو ابن عثمان وهو مجهول. لم أقف له على ترجمة إلا ترجمة الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٢٥٣ ت ٥٥٥) وذكر أنه من أتباع التابعين.

أبي الدرداء ﵁ أن فضالة - يعني ابن عبيد ﵁ - كان يقول: اللَّهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة (١). وللإمام أحمد عن عبادة بن الصامت ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: **«قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحج جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»** (٢). وقال الصاغاني: حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال: سمعت عدي بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن، فجعل يعظ حتى بكى وأبكى ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بني أوصيك أن لا تصلى صلاة إلا ظننت أنك لا تصلى بعدها غيرها حتى تموت، وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة، ولقد سمعت فلانًا - نسي عباد اسمه - ما بيني وبين رسول اللَّه ﷺ غيره فقال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إن للَّه ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته، ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكًا يسبح للَّه تعالى. قال: وملائكة سجود منذ خلق السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة. وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة. فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبدك»** (٣).

فثبت بهذه الأحاديث المتواترة الصحيحة الصريحة أن اللَّه ﷻ يرى في الآخرة كما يشاء،

---

(١) صحيح: عزاه المصنف هنا للدارمي عن أبي الدرداء عن فضالة.
قلت: وهو من طريق عثمان بن سعيد الدارمي، وأورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٩) وعنه أورده المصنف ووقع فيهما عن أبي الدرداء، وهو خطأ، صوابه: عن أم الدرداء، والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٢٧) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣١٩ح ٨٢٥) وفي «الأوسط» (٦/ ١٦٥ح ١٩٠٦) واللالكائي (٨٤٧) من طريق محمد بن مهاجر عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أم الدرداء عن فضالة بن عبيد به. وفي بعض طرقه أنه سمع ذلك من رسول الله ﷺ، وقد صح مثل ذلك من حديث عمار ابن ياسر.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٢٤) وأبو داود (٤٣٢٠) والنسائي في «الكبرى» (٧٧٦٤) وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٠٩٢) وابن أبي عاصم (٤٢٨) وغيرهم.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٦٠) وأبو الشيخ في «العظمة» (٥١٥) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٣٠٦) من طريق عباد بن منصور عن عدي بن أرطأة عن رجل مرفوعًا، وإسناده ضعيف عدي قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول. يعني عند المتابعة، وعباد متكلم فيه.

وأن الشهداء بعد موتهم يرونه، وأن الملائكة يرونه، وأن النبي ﷺ يراه عند استئذانه في الشفاعة، وأن أمة محمد ﷺ برهم وفاجرهم يرونه في عرصات القيامة، وهي للفاجر والمنافق ابتلاء وامتحان ونوع من العقوبة، وأما رؤية الفرح والسرور والتلذذ بالنظر إلى وجه الله ﷻ فهي خاصة لأوليائه المؤمنين الذين يؤذن لهم في السجود ويعطون النور التام على الصراط فيتبعونه ثم يتجلى لهم في الجنة فيرونه كما يشاء. وهي الزيادة في يوم المزيد كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها، وقد جاءت أحاديث صحيحة في تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله ﷻ، منها حديث أبي موسى وحديث أنس وحديث حذيفة وحديث صهيب، وقد تقدم ذكرها قريبًا. وللدارقطني عن أُبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] قال: النظر إلى وجه الله عز وجل[١]. ولابن جرير عنه رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن «الزيادة» في كتاب الله ﷻ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] قال ﷺ: «**الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله ﷻ**»[٢]. ولابن جرير عن كعب بن عجرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] قال: «**الزيادة النظر إلى وجه الرحمن ﷻ جلاله**»[٣] ورواه ابن حميد عنه بلفظ: «**الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى**»[٤]. وللحسن بن عرفة عن أنس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] «**قال: للذين أحسنوا العمل في الدنيا والحسنى وهي الجنة، والزيادة وهي النظر إلى وجه الله ﷻ**»[٥] وقد روى تفسير «الزيادة» بالنظر إلى وجه الله ﷻ عن أبي بكر رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (١١/ ١٠٧) واللالكائي (٧٨٠) وفي إسناده رجل مبهم، وأخرجه اللالكائي (٨٤٩) وأورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٠٨) من طريق الدارقطني، و في إسنادهما مجاهيل.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (١١/ ١٠٧) وعلته ما سبق.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٥٢٥) وابن جرير (١١/ ١٠٧) واللالكائي (٧٨١) وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وإبراهيم بن «المختار» وهما ضعيفان.

(٤) ضعيف الإسناد: وهو عند عبدالله واللالكائي بلفظ: إلى وجه ربهم عز وجل، وعند ابن جرير: إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى.

(٥) ضعيف الإسناد جدًا: أخرجه اللالكائي (٧٧٩) من طريق الحسن بن عرفة بإسناده عن أنس، وفي إسناده سلم بن سالم ونوح بن أبي مريم وهما تالفان ونوح كذاب.

وأبي موسى، وعن عبادة بن الصامت وغيرهم من الصحابة ﷺ، وعن التابعين عن سعيد ابن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعبد الرحمن بن السابط ومجاهد وعكرمة وعامر ابن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق ومقاتل وغيرهم رحمهم الله من السلف والخلف ولولا خشية الإطالة لنقلنا أقوالهم بأسانيدها وفيما ذكرنا من المرفوع كفاية وبالله التوفيق[1].

ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب

قال أبو بكر ﷺ وقرأ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] فقالوا: ما الزيادة يا خليفة رسول الله ﷺ؟ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى[2]: وقال علي ﷺ: من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته[3]. وقال حذيفة ﷺ: الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى[4].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: والله ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، قال فيقول: ما غرك بي يا بن آدم- ثلاث مرات- ماذا أجبت المرسلين- ثلاث مرات- ماذا عملت فيما علمت؟[5]، وقال ﷺ: الزيادة النظر إلى وجه الله ﷻ[6]. وقيل لابن عباس ﷺ: كل من دخل الجنة يرى ربه ﷻ؟ قال:

---

(١) سيورد المصنف رحمه الله فيما يأتي الآثار إلى هؤلاء.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٠٩، ٥١١) والآجري في «الشريعة» (٦٣٠، ٦٣١) واللالكائي (٧٨٤) من طريق أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي بكر وإسناده ضعيف عامر مجهول الحال ولم يسمع من أبي بكر.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه اللالكائي (٨٥٩) وعزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣١٠) لابن أبي حاتم وفي إسناده عمارة بن عبد وصالح بن أبي خالد وهما مجهولان.

(٤) حسن إلى حذيفة: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥١٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨٠٦) وابن جرير (١١/ ١٠٥) والآجري (٦٣٢) واللالكائي (٧٨٣) من طريق أبي إسحاق عن مسلم ابن نذير عن حذيفة ومسلم لا بأس به.

(٥) صحيح إلى ابن مسعود: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥١٤، ٥١٥) وابن المبارك في «الزهد» (٣٨) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٤٨) والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٨٢ح ٨٨٩٩) واللالكائي (٨٦٠) وأبو نعيم (١/ ١٣١) من طريق هلال بن حميد عن عبدالله بن عكيم عن ابن مسعود.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه اللالكائي (٧٨٧) من طريق أسباط بن نصر وهو ضعيف، ومن طريق أسباط أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣١٠).

نعم[١] . وقال معاذ بن جبل ﷺ : يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد، فينادى : أين المتقون؟ فيقومون في كنف واحد من الرحمن تعالى لا يحتجب الله منهم ولا يستتر . قال أبو عفيف وهو الراوى عنه : من المتقون؟ قال : قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة، فيمرون إلى الجنة[٢] .

وكان أبو هريرة ﷺ يقول : لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت[٣] . وقال ابن عمر ﷺ : إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفى عام يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله جل جلاله في كل يوم مرتين[٤] .

وكان فضالة بن عبيد ﷺ يقول : اللَّهم إنى أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك[٥] ، وقد تقدم هذا الدعاء عنه، وتقدم مرفوعًا من حديث زيد بن ثابت وعبادة بن الصامت ﷺ .

وقال أبو موسى ﷺ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: الآية ٢٦] قال : الجنة، و «الزيادة» هى النظر إلى وجه الله ﷻ[٦] . وكان ﷺ يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم، فقال : ما صرف أبصاركم عنى؟ قالوا : الهلال . قال : فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله تعالى جهرة؟[٧] وقال أنس بن مالك ﷺ في قوله ﷻ : ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[ق: الآية ٣٥] ، يظهر لهم

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الآجري (٦٢٩) وفي إسناده إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني وهو ضعيف.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه اللالكائي (٨٦٤) وعزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٣١١) وابن كثير في «التفسير» (١/ ٤١، ٤٤) لابن أبي حاتم وفي إسناده ميمون أبو حمزة وهو ضعيف. وأبو عفيف وهو مجهول.

(٣) ضعيف الإسناد: وله شاهد مرفوع حسن، وهذا أخرجه اللالكائي (٨٦٥) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف، وورد هذا اللفظ من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا بإسناد حسن، وسبق قريبًا.

(٤) ضعيف الإسناد: وورد مرفوعًا وموقوفًا بإسناد ضعيف وسبق الكلام عنه.

(٥) صحيح إلى فضالة: أخرجه ابن أبي عاصم (٤٢٧) وغيره، وسبق.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٥) وابن جرير (١١/ ١٠٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٣١ بتحقيقي) واللالكائي (٧٨٦) وفي إسناده أبو بكر الهذلي وهو متروك.

(٧) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٠٤) وابن خزيمة في «التوحيد» (٤١٥) وعثمان الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٦) واللالكائي (٨٦٢) من طريق أبي مراية عن أبي موسى به، وأبو مراية مجهول الحال، وأخرجه الآجري في الشريعة (٦٥١) مرفوعًا، ووقع عنده: عن أبي بردة عن أبي موسى، وهو خطأ، صوابه: عن أبي مرية- أو مراية- عن أبي موسى. وأخرجه مرفوعًا أيضًا ابن خزيمة (٤١٤) ولا يصح.

الرب تبارك وتعالى يوم القيامة(١). وعن جابر رضي الله عنه قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة، فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار جل وعلا فإذا تجلى خروا له سجدًا فيقول: يا أهل الجنة ارفعوا رءوسكم، فقد رضيت عنكم رضاء لا سخط بعده(٢).

ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالى في ذلك

قال سعيد بن المسيب والحسن وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط وعكرمة ومجاهد وقتادة والسدي وكعب رحمهم الله تعالى: الزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل(٣).

وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى بعض عماله: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته، والتمسك بأمره، والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله عز وجل ولزوم طاعته نجا أولياؤه من سخطه، وبها وافقوا أنبياءه، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة(٤). وقال الحسن رحمه الله تعالى: لو علم العابدون في الدين أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا(٥). وقال الأعمش وسعيد بن جبير رحمهما الله: إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية(٦). وقال كعب رحمه الله

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (١٩٨) واللالكائي (٨١٣) وفي إسناده أبو اليقظان عثمان بن عمير وهو ضعيف مدلس واختلط.

(٢) ضعيف الإسناد جدًا: أخرجه الحسين المروزي في زوائده على كتاب «الزهد» لابن المبارك (١٥٢٣) والآجري في «الشريعة» (٦٥٩) من طريق الحكم بن أبي خالد عن الحسن عن جابر، والحكم متروك، والحسن لم يسمع من جابر.

(٣) صحت الأسانيد بذلك إلى بعض هؤلاء، وانظر «السنة» لعبدالله بن أحمد بتحقيقي (٥١٢، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢) و«الشريعة» للآجري (٦٢٣- ٦٣٢) و«اعتقاد أهل السنة» للالكائي (٧٨٩- ٧٩٨).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه عثمان بن سعيد الدارمي في «الرد على الجهمية» (٢٠٢) من طريق إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة وهو ضعيف عن عمر بن عبدالعزيز.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٢٧) والآجري في «الشريعة» (٦١٢) واللالكائي (٨٦٩) من طريق عبدالواحد بن زيد القاص وهو ضعيف عن الحسن.

(٦) حسن إلى الأعمش، ضعيف عن سعيد بن جبير: أخرجه هناد في «الزهد» (١٧٢) عن إسحاق وهو ابن=

تعالى : ما نظر اللّه ﷻ إلى الجنة قط إلا قال طيبي لأهلك . فزادت ضعفًا على ما كانت ، حتى يأتيها أهلها . وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة . فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك . ولا يسألون الرب تبارك وتعالى شيئًا إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفًا ، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك[١] . وقال هشام بن حسان : إن اللّه ﷻ يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم أهل الجنة[٢] . وقال طاوس : أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة[٣] . وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي : الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى[٤] . وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه تلا هذه الآية : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة أعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا ، فيقول اللّه ﷻ لهم : إنه قد بقى من حقكم شيء ولم تعطوه ، فيتجلى لهم تبارك وتعالى فلا يكون ما أعطوه عند ذلك الشيء ، فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم تبارك وتعالى : ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] ، بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى[٥] . وقال علي بن المديني : سألت عبد اللّه بن المبارك عن قوله تعالى : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا﴾ ، قال عبد اللّه : من أراد النظر إلى وجه اللّه خالقه فليعمل عملًا صالحًا ولا يخبر به أحدًا[٦] وقال نعيم بن حماد : سمعت ابن المبارك يقول :

= إسماعيل الرازي عن أبي سنان وهو سعيد بن سنان عن الأعمش به وإسناده حسن . وأخرجه عبدالله في «السنة» (٥٢٨) عن سعيد بن جبير وفي إسناده يحيى به يمان وهو ضعيف على الراجح .

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه الآجري في «الشريعة» (٦١٤) وأخرجه مختصرًا عبدالله في «السنة» (٥٦٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٧٩) وفي إسناده يزيد بن أبي زياد القرشي وهو ضعيف .

(٢) ضعيف الإسناد جدًا : أخرجه الآجري في «الشريعة» (٦١٣) من طريق هشام بن حسان عن الحسن البصري . وفي إسناده عمر بن مدرك وهو كذاب .

(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه اللالكائي (٨٦٨) وفي إسناده مصعب بن سعيد وهو ضعيف ترجمته «باللسان» (٦/ ٥٥) .

(٤) حسن إلى أبي إسحاق : أخرجه ابن جرير (١١/ ١٠٥) من طريق يحيى بن طلحة اليربوعي عن شريك عن أبي إسحاق ، وأخرجه اللالكائي (٧٩٤) من طريق آخر عن شريك ، وللأثر طريق أخرى عن أبي إسحاق صحيحة ، لكن أبو إسحاق ليس هو نهايتها بل أحد رواتها . أما الخبر إلى أبي إسحاق نفسه فحسن .

(٥) صحيح إلى عبدالرحمن بن أبي ليلى : أخرجه ابن جرير في تفسيره (١١/ ١٠٦) من طريقين عن حماد بن زيد عن ثابت عن ابن أبي ليلى .

(٦) أخرجه اللالكائي (٨٩٥) وفي إسناده غير واحد مجهول .

ما حجب الله ﷻ أحدًا عنه إلا عذبه. ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝﴾، قال: بالرؤية [١]. وقال عباد بن العوام: قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت: يا أبا عبد الله: إن عندنا قومًا من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث: «إن الله ينزل إلى سماء الدنيا» و «إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا، وقال: أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول الله ﷺ، فهم عمن أخذوا؟ [٢] وقال عقبة بن قبيصة: أتينا أبا نعيم يومًا فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال: حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية، وحدثنا حسن ابن صالح بن حي، وحدثنا شريك بن عبد الله النخعي، هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالى يرى في الآخرة، حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن الله تعالى لا يرى، يعني بشرًا المريسي قبحه الله [٣].

ذكر أقوال الأئمة الأربعة وطبقاتهم ومشايخهم رحمهم الله تعالى

قال مالك بن أنس الإمام رحمه الله تعالى: الناس ينظرون إلى ربهم ﷻ يوم القيامة بأعينهم [٤]. وسئل رحمه الله عن قوله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾، أتنظر إلى الله ﷻ؟ قال: نعم، قال أشهب: فقلت إن أقوامًا يقولون تنظر ما عنده. قال: بل تنظر إليه نظرًا، وقد قال موسى ﴿أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ [المطففين: الآية ١٥] [٥]. وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك: إنهم يزعمون أن الله لا يرى، فقال مالك: السيف السيف [٦]. وقال أبو صالح كاتب الليث: أملى على عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، وسألته عما جحدت الجهمية فقال: لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝

---

(١) حسن إلى ابن المبارك: أخرجه اللالكائي (٨٩٤) بإسناد حسن، على بعض كلام في نعيم بن حماد.

(٢) حسن إلى شريك: أخرجه عبدالله في «السنة» (٥٥٣) والدارقطني في «الصفات» (٦٥) بإسناد حسن.

(٣) حسن إلى مالك: أخرجه اللالكائي (٨٨٧) بإسناد حسن.

(٤) صحيح إلى مالك: أخرجه الآجري (٦١٥) واللالكائي (٨٧٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦) من طريق أحمد بن صالح المصري عن ابن وهب عن مالك.

(٥) حسن إلى مالك: أخرجه اللالكائي (٨٧١) بإسناد حسن.

(٦) أخرجه اللالكائي (٨٧٢).

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ فقالوا: لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا والله أفضل كرامة الله التى أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: الآية ٥٥]، ورب السماء والأرض ليجعلن رؤيته يوم القيامة للمخلصين له ثوابًا لينضر بها وجوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: الآية ١٥] لا يرونه، كما يزعمون أنه لا يرى، ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم[١]. وقال الأوزاعي رحمه الله تعالى: إنى لأرجو أن يحجب الله ﷻ جهمًا وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده الله تعالى أولياءه[٢]. وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان الثورى ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التى فيها الرؤية فقالوا تمر بلا كيف[٣]. وقال سفيان بن عيينة: من لم يقل إن القرآن كلام الله، وأن الله يرى في الجنة فهو جهمى[٤]. ذكره الطبرى. وذكر عنه ابن أبي حاتم أنه قال: لا يصلى خلف الجهمى، والجهمى الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة[٥].
وذكر ابن أبي حاتم عن جرير بن عبد الحميد أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجه الله ﷻ، فأنكره رجل، فصاح به وأخرجه من مجلسه[٦]. وذكر أيضًا عن ابن المبارك أن رجلًا من الجهمية قال له: يا أبا عبد الرحمن: «خدارا بآن جهان جون بيند» ومعناه: كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين[٧]. وقال وكيع بن الجراح رحمه الله: يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون[٨]. وقال قتيبة بن سعيد رحمه الله تعالى: قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة: الإيمان بالرؤية، والتصديق بالأحاديث التى جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية[٩]. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام،

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه اللالكائي (٨٧٣) وفي إسناده عبدالله بن صالح كاتب الليث متكلم فيه.
(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه اللالكائي (٨٧٤) ورواته عن الأوزاعي شيوخ مبهمون.
(٣) حسن إليهم: أخرجه اللالكائي (٨٧٥) من طريق عبدالرحمن بن أبي حاتم عن إسماعيل بن أبي الحارث عن الهيثم بن خارجة عن الوليد بن مسلم به. وإسماعيل صدوق.
(٤) أخرجه اللالكائي (٨٧٦) والطبري المذكور هو أبو القاسم اللالكائي.
(٥) أخرجه اللالكائي (٨٧٨).
(٦) أخرجه اللالكائي (٨٨٠).
(٧) أخرجه اللالكائي (٨٨١).
(٨) أخرجه اللالكائي (٨٨٢).
(٩) أخرجه اللالكائي (٨٨٦).

وقد ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية : هي عندنا حق ، رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا . إلا أنا إذا قيل لنا فسروها لنا قلنا لا نفسر منها شيئًا ولكن نمضيها كما جاءت [١] . وقال عبدالوهاب الوراق : سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال : أحلف عليها أنها حق [٢] . وقال محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها : ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: الآية ١٥] فقال الشافعي رحمه الله تعالى : لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا ، قال الربيع فقلت : يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال : نعم ، وبه أدين الله ﷻ، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله لما عبد الله ﷻ. رواه الحاكم عن الربيع عنه [٣] . وروى الطبراني وغيره عن المزني قال : سمعت الشافعي رحمه الله تعالى يقول في قوله عز وجل : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: الآية ١٥] فيها دليل على أن أولياء الله يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة [٤] . وقال محمد بن عبد الله بن الحكم : سئل الشافعي رحمه الله تعالى عن الرؤية ، فقال : يقول الله تعالى : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: الآية ١٥] ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله ﷻ. رواه أبو زرعة الرازي [٥] . ولابن بطة عنه رحمه الله تعالى قال : ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: الآية ١٥] دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم [٦] . وقال إسحاق بن منصور قلت لأحمد : أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة ، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد صحيح [٧] . وقال الفضل بن زياد سمعت أبا عبد الله- وقيل له تقول بالرؤية- فقال : من لم يقل بالرؤية فهو جهمي [٨] . وقال : سمعت أبا

---

(١) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣١٦) وعزاه لابن بطة.
قلت : وأخرج بعضه الآجري في «الشريعة» (٦٢٢) بإسناد صحيح إلى أبي عبيد.

(٢) صحيح إلى أسود بن سالم : أخرجه الآجري في «الشريعة» (٦١٦).

(٣) أخرجه اللالكائي (٨٨٣).

(٤) أخرجه اللالكائي (٨٠٩). (٥) أخرجه اللالكائي (٨١٠).

(٦) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣١٧) وعزاه لابن بطة عن أبي القاسم الأنماطي صاحب المزني عن الشافعي.

(٧) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣١٧) وأخرجه ابن عبدالبر في «التمهيد» (٧/ ١٤٧) بإسناده به.

(٨) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣١٧).

عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال: إن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضبًا شديدًا ثم قال: من قال إن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه من كان من الناس، أليس يقول عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ [المطففين: الآية ١٥][1].

وقال أبو داود: سمعت أحمد رحمه الله تعالى وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال: من قال إن الله لا يرى فهو كافر[2]. وقال أيضًا: سمعت أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطوف أن الله لا يرى في الآخرة فقال: لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال: أخزى الله هذا[3]. وقال أبو بكر المروزي: قيل لأبي عبد الله تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر: إن استقر الجبل فسوف تراني وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة. فغضب أبو عبد الله غضبًا شديدًا حتى تبين في وجهه. وكان قاعدًا والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال: أخزى الله هذا، هذا لا ينبغي أن يكتب. ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال: هذا جهمي كافر خالف ما قال الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝﴾ [المطففين: الآية ١٥] أخزى الله هذا الخبيث[4]. قال أبو عبد الله: ومن زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر. وقال أبو طالب قال أبو عبد الله: قول الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾ [البقرة: الآية ٢١٠]، ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝﴾ [الفجر: الآية ٢٢]، فمن قال إن الله لا يرى فقد كفر. وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ سمعت أبا عبد الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر. وقال يوسف بن موسى ابن محمد القطان قيل لأبي عبد الله: أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال: نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاءوا إذا شاءوا. وقال حنبل بن إسحاق سمعت أبا عبد الله يقول: القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم، ينكرون الرؤية والآثار كلها، وما ظننتهم على هذا حتى سمعت مقالاتهم. قال حنبل: وسمعت أبا عبد الله

---

(١) صحيح إلى الإمام أحمد: أخرجه الآجري في «الشريعة» (٦١٨).

(٢) صحيح إلى الإمام أحمد: أخرجه الآجري (٦٢١).

(٣) صحيح إلى الإمام أحمد: أخرجه الآجري (٦٧١).

(٤) هذا القول وما بعده من أقوال الإمام أحمد أوردها ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣١٧- ٣١٩).

يقول: من زعم أن اللّه لا يرى في الآخرة فهو جهمي، فقد كفر ورد على اللّه وعلى الرسول. ومن زعم أن اللّه لم يتخذ إبراهيم خليلًا فقد كفر ورد على اللّه قوله. قال أبو عبد اللّه: فنحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونمرها كما جاءت. وقال الأثرم سمعت أبا عبد اللّه رحمه اللّه يقول: فأما من يقول: إن اللّه لا يرى في الآخرة فهو جهمي. قال أبو عبد اللّه: إنما تكلم من تكلم في رؤية الدنيا. وقال إبراهيم بن زياد الصائغ سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية من كذب بها فهو زنديق، وقال حنبل سمعت أبا عبد اللّه يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئًا، أحاديث الرؤية، وكانوا يحدثون بها على الجملة، يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين. وقال أبو عبد اللّه رحمه اللّه تعالى: قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[الشورى: الآية ٥١]، وكلم اللّه موسى من وراء حجاب، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ﴾[الأعراف: الآية ١٤٣]، أخبر اللّه ﷻ أن موسى يراه في الآخرة، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾[المطففين: الآية ١٥]، ولا يكون حجاب إلا لرؤية، أخبر اللّه ﷻ أن من شاء اللّه ومن أراد يراه، والكفار لا يرونه. قال حنبل وسمعت أبا عبد اللّه يقول: قال اللّه تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ والأحاديث التي تروى في النظر إلى اللّه تعالى حديث جابر بن عبد اللّه وغيره «تنظرون إلى ربكم» أحاديث صحاح. وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ﴾[يونس: الآية ٢٦] النظر إلى وجه اللّه ﷻ. قال أبو عبد اللّه نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية، ونؤمن بأن اللّه يرى. نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب. قال وسمعت أبا عبد اللّه يقول: من زعم أن اللّه لا يرى في الآخرة فقد كفر باللّه وكذب بالقرآن، ورد على اللّه أمره، يستتاب فإن تاب وإلا قتل، قال حنبل: قلت لأبي عبد اللّه في أحاديث الرؤية، قال: هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكل ما روى عن النبي ﷺ أقررنا به. قال أبو عبد اللّه: إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على اللّه أمره، قال اللّه ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾[الحشر: الآية ٧] [1]، وقال عبد اللّه بن طاهر أمير خراسان لإسحاق بن راهويه: يا أبا يعقوب، هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال: رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام- وذكر أشياء- فإن يكونوا في هذه عدولًا وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع. فقال: شفاك اللّه كما

(١) انظر المرجع السابق.

شفيتني. أو كما قال، ذكره الحاكم[١]. وقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه: إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين[٢]. وقال نعيم بن حماد للمزني: ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول إنه كلام الله. فقال: غير مخلوق؟ فقال: غير مخلوق. قال: وتقول إن الله يرى يوم القيامة؟ قال: نعم. فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال: يا أبا عبد الله شهرتني على رءوس الناس. فقال: إن الناس قد أكثروا فيك، فأردت أن أبرئك[٣]. وقال أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣، ٤٤]، أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظرًا بالأبصار[٤].

قلت: واللقاء ثابت بنص القرآن هذه الآية وغيرها. وبالتواتر عن النبي ﷺ، وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة بئر معونة: «إنَّا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِيَ عَنَّا وَأَرْضَانَا»[٥]، وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ لِقَاءَهُ»[٦] وحديث أنس: «إنكُم سَتَلْقَونَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوا اللَّهَ تَعَالَى وَرَسُولَهُ ﷺ»[٧] وحديث أبي ذر ﷺ: «لَو لَقِيتَنِي بِقُرابِ الأرضِ خَطَايا ثمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[٨] وحديث أبي موسى: «مَن لَقِيَ اللَّهَ لَا يشرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجنةَ»[٩] وغير

---

(١) صحيح إلى إسحاق بن راهويه: أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣١٩) وعزاه للحاكم وغيره. قلت: وأورد نحوه الذهبي في «العلو» (٤٨٤) بإسناد صحيح بمعناه.

(٢) كتاب «التوحيد» لابن خزيمة بتحقيقي، قبيل حديث رقم (٥٣٣).

(٣) أخرجه اللالكائي (٨٩١).

(٤) أورده ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٢٠) وعزاه لابن بطة وصحح إسناده. وكلام المصنف الآتي بعد قوله قلت: هو كلام ابن القيم في الموضع المذكور بتصرف.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٠١) ومسلم (٦٧٧).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٠٧) ومسلم (٢٦٨٣) من حديث عبادة، وأخرجه البخاري (٦٥٠٧) ومسلم (٢٦٨٤) من حديث عائشة، وأخرجه البخاري (٧٥٠٤) ومسلم (٢٦٨٢، ٢٦٨٤) من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٦٥٠٨) ومسلم (٢٦٨٦) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٩٢) ومسلم (١٨٤٥) من حديث أنس بن مالك عن أسيد بن حضير مرفوعًا ولفظه: حتى تلقوني على الحوض.

(٨) صحيح: أخرجه بنحوه مسلم (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر مرفوعًا.

(٩) صحيح: بهذا اللفظ من حديث أنس مرفوعًا أخرجه البخاري (١٢٩) ومن حديث جابر مرفوعًا أخرجه مسلم (٩٣) ومن حديث أبي موسى أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٩) وقال: رجاله ثقات. قلت: وورد أيضًا من حديث أبي هريرة، وعبدالله بن عمرو بن العاص. وغيرهما.

ذلك من أحاديث اللقاء التي اطردت كلها بلفظ واحد، فهذا كتاب اللّه ﷻ وسنة رسول اللّه ﷺ الصحيحة الصريحة، وهذه أقوال الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمة الهدى، كلها مجتمعة على أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى في الجنة، ويتلذذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وذلك غاية النعيم وأعلى الكرامات وأفضل فضيلة، ولذا يذهلون بالنظر إليه عن كل ما هم فيه من النعيم، فنحن نؤمن بذلك كله ونشهد اللّه تعالى وملائكته وأنبياءه ورسله والمؤمنين على ذلك، ونضرع إلى اللّه تعالى وندعوه بأسمائه الحسنى أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه تعالى في جنة عدن، وأن لا يحجبنا عنه فنكون من الذين أخبر عنهم أنهم عنه يومئذ لمحجوبون نعوذ باللّه من ذلك، ومن جحد الرؤية فهو كاذب على اللّه تعالى مكذب بالصدق إذ جاءه راد لكتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ مخالف لجماعة المؤمنين كافر بلقاء اللّه ﷻ متبع غير سبيل المؤمنين، وسيوليه اللّه ما تولى ويصليه جهنم إن مات مصرًّا على جحوده، أليس في جهنم مثوى للكافرين؟ وقد وعد اللّه ﷻ أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة فقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝﴾، وتقدم تفسير ابن المبارك قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾[الانفطار: الآية ٩] بالرؤية. وقد ورد حديث في وعيد منكري اللقاء وهو متناول منكر الرؤية بلا شك ولا مرية، روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل لرسول اللّه ﷺ: «**هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيسَتْ فِيهَا سَحَابَةٌ؟ قَالُوا: لا، قَالَ: هَل تُضَارُّونَ فِي رُؤيَةِ القَمَرِ لَيلَةَ البَدْرِ لَيسَ فِيهِ سَحَابَةٌ؟ قالُوا: لا. قَالَ: فَوالذِي نَفسُ مُحَمَّدٍ بِيدِهِ لا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُم إلا كَمَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا. فَيلقَى العبدَ فَيَقُولُ: أي فُل ألَم أُكْرِمْكَ وأُسَوِّدْكَ وأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيلَ والإبِلَ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيقُولُ: بَلَى. فَيقُولُ أَفَظَنَنتَ أَنَّكَ مُلاقِي؟ فَيقُولُ: لَا، فَيقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يلقَى الثَّانِي فَيقُولُ: أي فُلْ أَلَم أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيلَ وَالإِبِلَ وأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيقُولُ: بَلَى أَي رَبِّ. فيقُولُ: أَفَظَنَنتَ أَنَّكَ مُلاقِي؟ فَيقُولُ: لَا. فيقُولُ إنّي أنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثمَّ يلقَى الثَّالِثَ فَيقُولُ لَهُ مِثلَ ذَلِكَ فَيقُولُ: يا رَبِّ آمَنتُ بِكَ وبِكِتَابِكَ وَرُسُلِكَ وصَلَّيتُ وَصُمتُ وَتَصَدَّقتُ ويثْنِي بِخَيرٍ مَا اسْتَطَاعَ. فَيقُولُ هَا هُنَا إذًا. ثم يقَالُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدًا عَلَيكَ. فَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَن الذِي يشْهَدُ عَلَي، فَيخْتِمُ عَلَى فِيهِ ويقَالُ لِفَخِذِهِ انْطِقِي فَينطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيعذَرَ مِن نَفْسِهِ، وَذَلِكَ**

المُنَافِقُ، وَذَلِكَ الذِي يسْخَطُ اللَّهُ عَلَيهِ»[1] ومن تراجم أئمة السنة على هذا الحديث: باب وعيد منكري الرؤية[2]، والدلالة منه واضحة منطوقًا ومفهومًا ولله الحمد. ولا خلاف في ثبوت رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في دار الآخرة. وكذا لا خلاف بينهم في أنه لا يراه أحد قبل الموت، وإنما وقع الخلاف بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج كما سيأتي إن شاء الله بحث ذلك في موضعه وبالله التوفيق.

وجوب الإيمان بالصفات الواردة في القرآن وصحيح السنة وإمرارها كما أتت

وَكُلُّ مَا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ أَثْبَتَهَا فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ
أَوْ صَحَّ فِيمَا قَالَهُ الرَّسُولُ فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالقَبُولُ

«وكل ما» ثبت «له» أي: لله ﷻ «من الصفات» الثابتة التي «أثبتها» هو ﷻ لنفسه وأخبرنا باتصافه بها «في محكم الآيات» من كتابه العزيز مما ذكرناه فيما تقدم ومما نذكر كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١١٥] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية ٨٨]، وقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ۝٣٩﴾ [الروم: الآية ٣٩]، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ۝١٩ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: الآية ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: الآية ٢٨]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ۝٤١﴾ [طه: الآية ٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: الآية ٢٨]، وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: الآية ١١٦]، وكقوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: الآية ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: الآية ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾، وقوله

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٦٨) وابن حبان (٤٦٤٢، ٧٤٤٥) والحميدي (١١٧٨) وعبدالله في «السنة» (٤٦١) وغيرهم.

(٢) هذا تبويب ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» (ص٣٢٠).

تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: الآية ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٥]، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: الآية ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: الآية ٤]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥]، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عِمران: الآية ١٤٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصَّف: الآية ٤]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عِمران: الآية ٥٧]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٥]، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: الآية ٢٣]، وكقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: الآية ١٨]، ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: الآية ١١٩]، وقوله: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: الآية ٩٦]، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٧]، وكقوله تعالى: ﴿سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: الآية ٨٠]، وكقوله: ﴿كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٤٦]، وقوله في اليهود: ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: الآية ٦]، وفي قاتل النفس المحرمة: ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النِّساء: الآية ٩٣]، وقوله: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: الآية ٨١]، وكقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٦]، وكقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: الآية ٧]، وكقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يُونس: الآية ١٠٧]، وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِمران: الآية ١٥٩]، وكقوله: ﴿هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [هُود: الآية ٦٦]، وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: الآية ٨٢]، وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠]، وكقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النُّور: الآية ٣٥] الآية. وكقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السَّجدَة: الآية ٢٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزُّخرُف: الآية ٥٥] وقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحَشر: الآية ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾﴾ [النَّاس: الآية ٢]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: الآية ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر: ٩٤]، وقوله: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾﴾ [غافر: الآية ٣]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: الآية ١١٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد: الآية ١٣]، وغير ذلك من آيات الأسماء والصفات، صفات ذاته تعالى وأفعاله عز وجل.

«أو صح فيما قاله الرسول» من الأحاديث النبوية الصحيحة كقوله ﷺ عن ربه عز وجل: **«يقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أنَا مَعَ عَبْدِي حِينَ يذْكُرُنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرنِي فِي مَلأ ذَكَرتُهُ فِي مَلأٍ خَيرٌ مِنْهُم»**[1] متفق عليه من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ: **«سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَاءَ نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ»**[2] رواه مسلم والأربعة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقوله ﷺ: **«لمَّا قَضَى اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ عَلَى العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي»**[3] متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٦٥]، قال النبي ﷺ: **«أعُوذُ بِوَجْهِكَ»** قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ٦٥] فقال النبي ﷺ: **«أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»** قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: الآية ٦٥]، فقال النبي ﷺ: **«هَذَا أيسَرُ»**[4]. رواه البخاري وغيره. وقوله ﷺ: **«أعوذُ بنورِ وَجهِكَ الذِي أشرَقَت له الظلُمَاتُ، وصَلُحَ عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحلَّ بي غضبُك أو ينزلَ بي**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٦) وغيره من حديث ابن عباس عن جويرية مرفوعًا به.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٢٢) ومسلم (٢٧٥١).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٢٨، ٧٣١٣، ٧٤٠٦) وغيره.

سَخَطُك، لَكَ العُتبَى حتى تَرضَى، ولا حولَ ولا قُوّةَ إلا بِكَ»[1] رواه محمد بن إسحاق في «سيرته». وقوله ﷺ: «وأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النظرِ إلَى وَجْهِكَ»[2]، الحديث تقدم في الرؤية. وقوله: «مثلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ مَثَلُ القَائِمِ المُصَلِّي حتَّى يرْجِعَ المُجَاهِدُ»[3] متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، وقوله ﷺ: «مَنِ استَعَاذَ باللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَن سَأَلَكُم باللَّهِ فَأَعْطُوهُ»[4] رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة من حديث ابن عباس ﷺ. وقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «إنَّكَ لَن تُخَلَّفَ بَعْدِي فَتَعمَلَ عَمَلًا تُرِيدُ وَجهَ اللَّهِ تَعَالَى إلا ازْدَدتَ بِهِ رِفْعَةً وَدَرَجَةً»[5] رواه البخاري وغيره من حديثه. وقوله ﷺ: «وَإِذَا قُمْتُم إِلَى الصَّلاةِ فَلا تَلْتَفِتُوا، فإنَّ اللَّهَ يقْبِلُ بِوَجْهِهِ إِلَى وَجْهِ عَبْدِهِ»[6] رواه ابن خزيمة والبيهقي من حديث الحارث الأشعري، وقوله ﷺ في صفة الدجال: «أَلَا إنَّهُ أَعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُم لَيسَ بِأَعْوَرَ»[7] الحديث متفق عليه من حديث أنس وابن عمر وغيرهما. وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «يقُولُ النَّاسُ لآدمَ: أنْتَ آدمُ أبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيدِهِ»[8] الحديث متفق عليه عن أنس ﷺ. وقوله ﷺ: «يدُ اللَّهِ مَلأى لا تُغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ الليلِ والنَّهَارِ». وقال: «أرأيتُم مَا أنفقَ مُنذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرضَ فإنَّهُ لَم يغِضْ مَا فِي يمِينِهِ. قَالَ: وَعَرْشُهُ على

(١) ضعيف الإسناد: وسبق تخريجه والكلام عنه في أوائل الكتاب.

(٢) صحيح: من حديث عمار بن ياسر، وسبق تخريجه.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٨٧) ومسلم (١٨٧٨) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا وليس في لفظهما: (ابتغاء وجه الله).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٥١٠٨) وعبدالله في «السنة» (١٢٣٠ بتحقيقي) من طريق قتادة عن أبي نهيك عن ابن عباس مرفوعًا. وإسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٢/ ٩٩) وغيره من حديث ابن عمر مرفوعًا، وأخرجه الحاكم (١٥٠٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٩٥، ٣٩٣٦) ومسلم (١٦٢٨).

(٦) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٢) والترمذي (٢٨٦٣، ٢٨٦٤) وابن خزيمة في «صحيحه» (٤٨٣، ٩٣٠، ١٨٩٥) وفي «التوحيد» (٢٤) وابن حبان (٦٢٣٣) والحاكم (٨٦٣، ١٥٣٤) وأبو يعلى (١٥٧١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢٨٢) وفي «الأسماء والصفات» (٦٥٤) وغيرهم من طريق زيد بن سلام عن أبي سلام ممطور عن الحارث الأشعري مرفوعًا به.

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣) من حديث أنس، وأخرجه البخاري (٣٠٥٧) ومسلم (١٦٩) من حديث ابن عمر.

(٨) صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٧٦) ومسلم (١٩٣) وغيرهما من حديث أنس مرفوعًا، واللفظ للبخاري.

الماءِ وَبِيدِهِ الأُخْرَى الميزَانُ يخْفِضُ وَيرْفَعُ»[١] متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ. وقوله ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يقْبِضُ يومَ القِيامَةِ الأرْضَ وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيمِينِهِ ثُمَّ يقُولُ: أنَا المَلِكُ**»[٢] متفق عليه من حديث ابن عمر ﷺ واللفظ للبخاري. وتصديقه ﷺ اليهودي الذي قال له: يا محمد إن اللَّه تعالى يمسك السموات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول: أنا الملك. فضحك رسول اللَّه ﷺ تعجبًا وتصديقًا له. متفق عليه من حديث ابن مسعود ﷺ[٣]. وقوله ﷺ: «**لمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخلقَ كتَبَ بِيدِهِ عَلَى نَفْسِهِ إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»[٤]. متفق عليه من حديث أبي هريرة وقوله ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يفْتَحُ أبوَابَ السَّمَاءِ فِي ثُلُثِ الليلِ البَاقِي فَيَبْسُطُ يدَيهِ فيَقُولُ: ألَا عَبدٌ يسْألُنِي فَأُعْطِيهُ**»[٥] الحديث تقدمت ألفاظه في إثبات النزول. وقوله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمرةٍ مِن كَسْبٍ طَيبٍ - وَلا يصْعَدُ إلَى اللَّهِ إلا الطَّيبُ - فَإنَّ اللَّهَ يتَقَبَّلُهَا بِيمِينِهِ ثمَّ يرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يرَبِّي أحدُكُم فُلُوَّهُ حتَّى تَكُونَ مِثل الجَبَلِ**»[٦] متفق عليه من حديث أبي هريرة. وقوله ﷺ في حديث احتجاج آدم وموسى: «**فقَالَ آدَمُ: يا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلامِهِ وخَطَّ لَكَ التَّورَاةَ بِيدِهِ**»[٧] الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة. وقوله ﷺ: «**إنَّ يدَ اللَّهِ هِي العُليا، وَيدُ المُعْطِي التِي تَلِيهَا، وَيدُ السَّائِلِ أسْفَلُ مِن ذَلِكَ**»[٨] رواه ابن خزيمة من حديث حكيم بن حزام وأصله في «الصحيح». وقوله ﷺ في قصة خلق آدم: «**فَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَيدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ: اختَرْ أيهُمَا شِئتَ. قَالَ: اختَرتُ يمِينَ رَبِّي. وَكِلتَا يدَي رَبِّي يمِينٌ مُبَارَكَةٌ ثمَّ بَسَطَهَا فَإذَا فِيهَا آدَمُ وَذُرِّيتُهُ**»[٩] الحديث أخرجه ابن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٨٤) ومسلم (٩٩٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١٢) ومسلم (٢٧٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه البخاري (٧٤١٢) ومسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر مرفوعًا.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤١٤) ومسلم (٢٧٨٦).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٢٢) ومسلم (٢٧٥١).

(٥) صحيح: وسبقت ألفاظه وتخريجها.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤).

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢).

(٨) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٢٧) واللفظ له.

وأصله عند البخاري (١٤٧٢) ومسلم (١٠٣٥) وغيرهما. من حديث حكيم بن حزام مرفوعًا.

(٩) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٣٦٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (١٣١) وابن حبان (٦١٦٧) والحاكم=

خزيمة والبيهقي من حديث أبي هريرة. وقوله ﷺ في قصة سؤال موسى عليه السلام ربه ﷻ عن منازل أهل الجنة: «**قَالَ يَا رَبِّ فَأَخْبِرْنِي بِأَعْلاهُم مَنْزِلَةً، قَالَ: هَذَا أَرَدْتُ فَسَوفَ أُخْبِرُكَ، قَالَ غَرَسْتُ كَرَامَتُهُم بِيدِي وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا**»[1] الحديث رواه البيهقي وابن خزيمة من حديث المغيرة ابن شعبة. وقوله ﷺ: «**تَكُونُ الأَرْضُ يومَ القِيامَةِ خَبْزَةً وَاحِدَةً يكْفَأُهَا الجَبَّارُ بِيدِهِ**»[2] الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه. وقوله ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ عَزَّ وجلَّ يبْسُطُ يدَهُ بالليلِ لِيتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ويبْسُطُ يدَهُ بالنَّهَارِ لِيتُوبَ مُسِيءُ الليلِ حَتَّى تَطْلُعُ الشَّمسَ مِن مَغْرِبِهَا**»[3] رواه مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه. وقوله ﷺ: «**وَلَا يزَالُ عَبْدِي يتَقَرَّبُ إلى بِالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنتُ سَمْعَهُ الذِي يسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذِي يبْصِرُ بِهِ**»[4] الحديث أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقوله ﷺ: «**إذَا أحبَّ اللَّهُ العَبدَ نَادَى جبريلَ: إنَّ اللَّهَ يحِبُّ فُلانًا فَأَحِبَّه فَيحِبُّه جِبْرِيلُ. فَينَادِي جبريلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللَّهَ يحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ**»[5] الحديث في البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقوله ﷺ: «**وَمَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذَى يسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ، يدْعُونَ لَهُ الولَدَ ثُمَّ يعَافِيهِم وَيرْزُقُهُمْ**»[6] رواه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه. وقوله ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِن قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُربِ خَيرِهِ**»[7] الحديث وقوله ﷺ: «**عَجِبَ رَبُّنَا مِن قَومٍ يقَادُونَ إلَى الجنةِ بِالسَّلاسِلِ**»[8] رواه أحمد والبخاري من حديث

= (٦١٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٤٧) وفي «الأسماء والصفات» (٧٠٨) من طريق صفوان ابن عيسى عن الحارث بن عبدالرحمن بن أبي ذباب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا وصححه الحاكم وقال الترمذي: حسن غريب.

قلت: إسناده حسن والحارث صدوق. وهو متابع من إسماعيل بن رافع عند أبي يعلى (٦٥٨٠).

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٩) وابن حبان (٦٢١٦) وابن خزيمة في «التوحيد» (١٣٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٩٠) وغيرهم من حديث المغيرة مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٢٠) ومسلم (٢٧٩٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٥٩) وغيره من حديث أبي موسى.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٠٢) وابن حبان (٣٤٧) وغيرهما.

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٨٥) ومسلم (٢٦٣٧).

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٣٧٨) ومسلم (٢٨٠٤).

(٧) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٤/ ١١، ١٢) وابن ماجة (١٨١) وعبدالله في «السنة» (٤٩١) والطيالسي (١٠٩٢) وابن أبي عاصم (٥٥٤) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٧ح ٤٦٩) واللالكائي (٧٢٢) وفي إسناده وكيع بن عدس، وهو مجهول، ولفظه عند جميعهم: ضحك ربنا. وليس عند أحدهم: عجب.

(٨) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠١٠) وأبو داود (٢٦٧٧) وأحمد (٢/ ٣٠٢، ٤٠٦، ٤٤٨) وابن حبان=

ابن مسعود. وقوله ﷺ: «يضحك اللهُ إلى رَجُلَين يقتُلُ أحدُهُما الآخرَ كِلاهُمَا يدخُلُ الجنةَ»(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة. وقوله ﷺ في حديث الشفاعة: «إنَّ رَبِّي قد غَضِبَ اليومَ غَضَبًا لَم يغضب قَبْلَهُ مِثلَهُ، ولا يَغضَبُ بَعْدَهُ مِثلَهُ»(٢). وقوله ﷺ: «مَن أعَانَ عَلَى خُصُومَةٍ في بَاطِلٍ فَقَد بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ»(٣) رواه أبو داود بسند صحيح عن ابن عمر ﵄، وفي رواية: «مَن خَاصَمَ فِي بَاطِلٍ لَم يزَل في سَخَطِ حتَّى ينزعَ»(٤). وقوله ﷺ: «والذِي نَفْسِي بِيدِهِ مَا مِن رَجُلٍ يدعُو امْرَأتَهُ إلَى فِرَاشِهِ فتَأبى عليهِ إلا كَانَ الذِي فِي السَّماءِ سَاخِطًا عَلَيهَا حَتَّى يرضَى عَنهَا زَوْجُهَا»(٥). وقوله ﷺ «وَإذَا أبْغَضَ عَبدًا دَعَا جِبريلَ فَيقُولُ إنِّي أُبغِضُ فُلانًا فَأبغِضهُ، قَالَ فَيبغِضُهُ جِبريلُ، ثمَّ ينَادِي جِبريلُ فِي أهْلِ السَّماءِ إنَّ اللَّهَ يبْغِضُ فُلانًا فَأبْغِضُوهُ، قَالَ فَيبْغِضُونَه، ثمَّ يوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأرضِ»(٦) رواه مسلم. وقوله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لَيرْضَى عَنِ العَبدِ يأكُلُ الأكلَةَ فيحْمَدُه عَلَيهَا وَيشْرَبُ الشَّربَةَ فَيحْمَدُهُ عَلَيهَا»(٧) رواه مسلم عن أنس ﵁. وقوله ﷺ في قصة أصحاب بئر معونة «بَلِّغُوا قَومَنَا عَنَّا أنَّا قَد لَقِينَا رَبَّنَا فَرَضِي عنَّا وَأرْضَانَا»(٨) وهو في الصحيح من حديث أنس ﵁، وهو من التنزيل المنسوخ تلاوة. وقوله ﷺ في قصة سبي هوازن: «اللَّهُ أرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِن هَذِهِ بِوَلَدِهَا»(٩)

= (١٣٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ١٩٤ح ١١٤٧٣) من حديث ابن عباس مرفوعًا، ومعنى: «في السلاسل»، أنهم كانوا في الدنيا سبايا أخذوا في السلاسل والأغلال فأسلموا فدخلوا الجنة. وانظر «فتح الباري» وغيره.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٣٥٩٨) وابن ماجة (٢٣٢٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٨٢) وفي «شعب الإيمان» (٦٧٣٦) من طريق مطر الوراق عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا وإسناده ضعيف لضعف مطر الوراق.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٥٩٧) وأحمد (٢/ ٧٠) والحاكم (٢٢٢٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٨٢، ٣٣٢) وفي «شعب الإيمان» (٦٧٣٥، ٧٦٧٣) من طريق عمارة بن غزية عن يحيى بن راشد عن عبدالله بن عمر مرفوعًا به.

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٤٣٦) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٣٧) وأحمد (٢/ ٤١٣) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٧) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٣٤) والترمذي (١٨١٦) وغيرهما من حديث أنس مرفوعًا.

(٨) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٠١) ومسلم (٦٧٧) من حديث أنس مرفوعًا.

(٩) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٩٩) ومسلم (٢٧٥٤) من حديث عمر بن الخطاب مرفوعًا.

أخرجاه من حديث عمر ﷺ. وقوله ﷺ: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحمَةَ مِائَةَ جُزءٍ، فَأَمسَكَ عِندَهُ تِسعةً وَتِسعِينَ جُزءًا وَنزَلَ فِي الأرضِ جُزءًا واحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزءِ تَتَرَاحَمُ الخَلائِقُ حتَّى تَرْفَعُ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا خَشيةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[١] أخرجاه من حديث أبي هريرة ﷺ ولمسلم معناه من حديث سلمان ﷺ، وفيه: «كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقَ مَا بَينَ السَّماءِ والأرضِ، فَإِذَا كَانَ يومُ القِيامَةِ كَمَّلَهَا بِهَذِهِ الرَّحْمَةِ»[٢] وقوله ﷺ: «أعُوذُ بعزَّتِكَ الَّذِي لا إله إلَّا أنْتَ الذِي لا يمُوتُ والجِنُّ والإنسُ يمُوتُونَ»[٣] أخرجه البخاري من حديث ابن عباس ﷺ. وقوله ﷺ عن أيوب عليه السلام: «وَعِزَّتِكَ لا غِنَى بِي عَن بَرَكَتِكَ»[٤] أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ. وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أنتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأرضِ وَمَنْ فِيهِنَّ»[٥] أخرجاه من حديث ابن عباس ﷺ. وقوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنكَ»[٦] لمسلم والأربعة عن عائشة، وقوله ﷺ: «إنَّ اللَّهَ لَيملِي لِلظَّالِم حتَّى إذَا أخَذَهُ لَم يفْلِتهُ»، قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: الآية ١٠٢]، أخرجاه من حديث أبي موسى ﷺ[٧]، وقوله ﷺ: «فَإنَّ اللَّهَ لَمْ يكُ لِينْسَى شَيئًا، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسيا»[٨] رواه البزار وابن أبي حاتم والطبراني من حديث أبي الدرداء ﷺ. وقوله ﷺ في حلفه: «لَا وَمُقَلِّبُ القُلُوبِ»[٩] أخرجاه من حديث عبد الله بن عمر ﷺ. وقوله ﷺ: «مَا مِن قَلْبٍ إلا وَهُوَ بَيْنَ إصْبَعَينِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحمَنِ، فَإذَا شَاءَ أنْ يقِيمَهُ أقَامَهُ، وَإذَا شَاءَ أنْ يزِيغَهُ أزَاغَهُ» رواه أحمد والشيخان وغيرهما من حديث عائشة ﷺ، وفي صدره: «يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثبِّتْ قَلبِي عَلَى

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٠٠٠) ومسلم (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٥٣) وابن حبان (٦١٤٦) من حديث سلمان مرفوعًا.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٨٣) ومسلم (٢٧١٧) من حديث ابن عباس.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٩٣) وغيره من حديث أبي هريرة.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٩٩) ومسلم (٧٦٩).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٦) وأبو داود (٨٧٩) والترمذي (٣٤٩٣) والنسائي (٢/ ٢٢٢) وابن ماجة (٣٨٤١) وغيرهم من حديث عائشة مرفوعًا.

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣).

(٨) حسن: أخرجه الحاكم (٣٤١٩) والدارقطني في «سننه» (٢/ ١٣٧ح ١٢) والبيهقي (١٠/ ١٢) وعزاه ابن كثير في «التفسير» (٣/ ١٣٢) لابن أبي حاتم من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين وإسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء وهو صدوق عن أبيه عن أبي الدرداء مرفوعًا به. وإسناده حسن.

(٩) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٢٨) وغيره من حديث ابن عمر.

دِينِكَ»(١) . وقوله ﷺ في صفة الجنة والنار : «لا يزَالُ يلْقَى فِيهَا - يعنى النار - وَتَقُولُ هَل مَنْ مَزِيدٍ حَتَّى يضَعَ فِيهَا رَبُّ العَالمينَ قَدَمَهُ فَينزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعضٍ وتَقُولُ : قَدْ قَدْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ» وفي رواية : «قَطْ قَطْ»(٢) بالطاء أخرجاه من حديث أنس . وقوله ﷺ : «لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ»(٣) علقها البخاري بلفظ الترجمة ووصلها الدارمي في مسنده . وقوله ﷺ : «أتَعْجَبُونَ مِن غَيرةِ سَعدٍ ، وَاللَّهِ لأنَا أَغْيرُ مِنهُ ، واللَّهُ أَغْيرُ مِنِّي وَمِن أجلِ غَيرةِ اللَّهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنهَا وَمَا بَطَنَ . ولا أَحَدَ أحَبُّ إليهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ ، وَمِن أجلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرينَ والمُنْذِرِينَ . ولَا أحد أحَبُّ إِلَيهِ المدحُ مِنَ اللَّهِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ الجَنَّةَ»(٤) رواه البخاري من حديث المغيرة بن شعبة في الترجمة السابقة . والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًا ، يحتاج استقصاؤها إلى بسط طويل وفيما ذكرنا كفاية ، وما أشبهه فسبيله سبيله .

«فحقه التسليم» له «والقبول» الفاء واقعة في جواب كل ما ، فنقول في ذلك : ما ذكره اللَّه تعالى عن الراسخين في العلم حيث قال : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ * رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران: ٧]، ولا نضرب كتاب اللَّه بعضه ببعض فنتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما يفعله الذين في قلوبهم زيغ ، أعاذنا اللَّه وعصمنا من ذلك بمنه وكرمه وفضله ، إنه سميع مجيب .

نُمِرُّهَا صَرِيحَةً كَمَا أَتَتْ ... مَعَ اعْتِقَادِنَا لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ
مِنْ غَيرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلِ ... وَغَيرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلِ
بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أَئِمَّةِ الْهُدَى ... طُوبَى لِمَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدِ اهْتَدَى

---

(١) صحيح :لكنه ليس في «الصحيحين» أو أحدهما من حديث عائشة ، إنما أخرج بعضه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، وحديث عائشة أخرجه أحمد (٦/ ٩١، ٢٥٠) والنسائي في «الكبرى» (٧٧٣٧) وورد من حديث النواس بن سمعان وأم سلمة وأنس وجابر . وسبق الحديث في الكلام عن المشيئة .

(٢) صحيح :أخرجه البخاري (٦٦٦١) ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس .

(٣) صحيح :أخرجه البخاري تعليقًا قبل حديث رقم (٧٤١٦) ووصله هو برقم (٥٢٢٠) ومسلم (٢٧٦٠) من حديث ابن مسعود مرفوعًا بلفظ : ما من أحد أغير من الله . وأخرجه مسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ : لا شخص أغير من الله .

(٤) صحيح :أخرجه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩) .

أي : جميع آيات الأسماء والصفات وأحاديثها «**نمرها صريحة**» أي : على ظواهرها «**كما أتت**» عن اللَّه تعالى ، وعن رسوله ﷺ بنقل العدل عن العدل متصلًا إلينا كالشمس في وقت الظهيرة صحوًا ليس دونها سحاب ، «**مع اعتقادنا**» إيمانًا وتسليمًا «**لما له اقتضت**» من أسماء ربنا تبارك وتعالى وصفات كماله ونعوت جلاله كما يليق بعظمته وعلى الوجه الذي ذكره وأورده «**من غير تحريف**» لألفاظها كمن قال في قوله تعالى : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: الآية ١٦٤]، إن التكليم من موسى ، وأن لفظ الجلالة منصوب على المفعولية فرارًا من إثبات الكلام كما فعله بعض الجهمية والمعتزلة ، وقد عرض ذلك على أبي بكر بن عياش فقال أبو بكر : ما قرأ هذا إلا كافر ، قرأت على الأعمش وقرأ الأعمش على يحيى بن وثاب وقرأ يحيى بن وثاب على أبي عبد الرحمن السلمى وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى على علي بن أبي طالب وقرأ على بن أبي طالب على رسول اللَّه ﷺ : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: الآية ١٦٤] يعنى برفع لفظ الجلالة على الفاعلية وهو مجمع عليه بين القراء ، روى ذلك ابن مردويه عن عبد الجبار بن عبد اللَّه عن ابن عياش رحمه اللَّه تعالى[(١)] .

وروى ابن كثير أن بعض المعتزلة قرأ على بعض المشايخ : «**وكلَّمَ اللَّهَ موسى تكليمًا**» فقال له : يا ابن اللخناء كيف تصنع بقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] ، يعني أن هذا لا يقبل التحريف ولا التأويل[(٢)] . وكما قال جهم بن صفوان لعنه اللَّه في قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه: الآية ٥] ، حيث قال : لو وجدت سبيلًا إلى حكها لحككتها[(٣)] ولأبدلتها استولى . وله في ذلك سلف اليهود في تحريف الكلم عن مواضعه حيث قال اللَّه تعالى لهم : ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ [البقرة: الآية ٥٨] ، دخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا : «حنطة»[(٤)] فخالفوا ما أمرهم اللَّه به من الدخول سجدًا وبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم فكان جزاؤهم ما ذكره اللَّه تعالى حيث يقول : ﴿فَبَدَّلَ

---

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٨٨) وعزاه لابن مردويه من طريق عبدالجبار بن عبدالله عن أبي بكر بن عياش به ، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢) وعزاه للطبراني في «الأوسط» ، وقال : وعبدالجبار بن عبدالله لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٥٨٩) ومعنى اللخن : النتن .

(٣) الخبر لا يصح عن جهم ، وانظره في «السنة» لعبد الله (٢١٣ بتحقيقي) .

(٤) أخرج البخاري (٤٤٧٩) ومسلم (٣٠١٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا أنهم قالوا : «حبة في شعرة» .

ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٥٩]، وجعلهم اللَّه عبرة لمن بعدهم، فمن فعل كما فعلوا فسبيله سبيلهم كما مضت سنة اللَّه بذلك: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾﴾ [القَمَر: الآية ٤٣]، و «من غير تحريف» لمعانيها كما فعله الزنادقة أيضًا كتأويلهم «نفسه» تعالى بالغير وأن إضافتها إليه كإضافة بيت اللَّه وناقة اللَّه، فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢٨]، أي: غيره، وقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعَام: الآية ٥٤]، أي: على غيره، ويكون قوله تعالى عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المَائدة: الآية ١١٦]، أي: ولا أعلم ما في غيرك، ويكون قوله تعالى لموسى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: الآية ٤١]، أراد واصطنعتك لغيرى، وهذا لا يقوله عاقل، بل ولا يتوهمه ولا يقوله إلا كافر، وكتأويلهم: «وجهه» تعالى بالنفس مع جحودهم لها كما تقدم، فانظر لتناقضهم البين، وهذا يكفى حكايته عن رده. أما من أثبت النفس وأول الوجه بذلك فيقال له: إن اللَّه تعالى قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٢٧]، فذكر الوجه مرفوعًا على الفاعلية ولفظ رب مجرورًا بالإضافة وذكر ذو مرفوعًا بالتبعية نعتًا لوجه، فلو كان الوجه هو الذات لكانت القراءة «ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام» بالياء لا بالواو كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٧٨]، فخفضه لما كان صفة للرب فلما كانت القراءة في الآية الأولى بالرفع إجماعًا تبين أن الوجه صفة للذات ليس هو الذات، ولما رأى آخرون منهم فساد تأويلهم بالذات أو الغير لجأوا إلى طاغوت المجاز فعدلوا إلى أن تأويله به أولى وأنه كما يقول: «**وجه الكلام**» و «وجه الدار» و «وجه الثوب» ونحو ذلك، فتكلفوا الكذب على اللَّه تعالى وعلى رسوله ﷺ كل التكلف ثم نكسوا على رءوسهم فوقعوا فيما فروا منه، فيقال لهم: أليس الثوب والدار والكلام مخلوقات كلها وقد شبهتم وجه اللَّه تعالى بذلك؟ فأين الفكاك والخلاص ولات حين مناص ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فُصِّلَت: الآية ٢٣]، كما أولوا اليد بالنعمة واستشهدوا بقول العرب «لك يد عندى» أى: نعمة فعلى هذا التأويل يكون قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائدة: الآية ٦٤]، يعنى نعمتاه فلم يثبتوا للَّه إلا نعمتين واللَّه تعالى يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمَان: الآية ٢٠]، ويكون قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: الآية ٧٥]، أراد بنعمتى، فأى فضيلة لآدم على غيره على هذا التأويل وهل من أحد لم يخلقه اللَّه بنعمته؟ ويكون قوله

تعالى : ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٧]، أراد مطويات بنعمته . فهل يقول هذا عاقل؟ وقال آخرون منهم «بقوته» استشهادًا بقوله تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: الآية ٤٧]، أى : بقوة فيقال لهم : أليس كل مخلوق خلقه اللّه بقوة؟ فعلى هذا ما معنى قوله ﷻ : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: الآية ٧٥] . وأى فضل لآدم على إبليس إذ كل منهما خلقه اللّه بقوته؟ وما معنى قوله تعالى للملائكة : لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان . أفلم يخلق الملائكة بقوته ، وأى فضل لآدم عليهم إن لم يكن خلقه اللّه بيده التى هى صفته ، نبئونى بعلم إن كنتم صادقين . وكما تأولوا الاستواء بالاستيلاء واستشهدوا ببيت مجهول مروى على خلاف وجهه وهو ما ينسب إلى الأخطل النصرانى :

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

فعدلوا عن أكثر من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العلوج ليس على دين الإسلام ولا على لغة العرب ، فطفق أهل الأهواء يفسرون به كلام اللّه ﷻ ويحملونه عليه ، مع إنكار عامة أهل اللغة لذلك وأن الاستواء لا يكون بمعنى الاستيلاء بوجه من الوجوه البتة . وقد سئل ابن الأعرابى وهو إمام أهل اللغة في زمانه فقال : العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ، فأيهما غلب قيل استولى ، واللّه ﷻ لا مغالب له اهـ[1] .

وقد فسر السلف الاستواء بعدة معان بحسب أداته المقترنة به ، وبحسب تجريده عن الأداة ، ولم يذكر أحد منهم أنه يأتى بمعنى الاستيلاء حتى انتحل ذلك أهل الأهواء والبدع لا باشتقاق صغير ولا كبير ، بل باستنباط مختلق وافق الهوى المتبع . وقد بسط القول في رد ذلك ابن قيم الجوزية رحمه اللّه في كتابه «الصواعق» وبين بطلانه من نيف وأربعين وجهًا فليراجع[2] . وكما أولوا أحاديث النزول إلى سماء الدنيا بأنه ينزل أمره ، فيقال لهم : أليس أمر اللّه تعالى نازلًا في كل وقت وحين؟ فماذا يخص السَّحَر بذلك؟ وقال آخرون : ينزل ملك بأمره ، فنسب النزول إليه تعالى مجازًا . فيقال لهم : فهل يجوز على اللّه تعالى أن

(١) صحيح إلى ابن الأعرابي : أخرجه اللالكائي (٦٦٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٧٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٣) بإسناد صحيح ، وسبق .

(٢) مختصر «الصواعق المرسلة» (ص٣٥١- ٣٧٠) طبعة دار الحديث .

يرسل من يدعى ربوبيته، وهل يمكن للملك أن يقول: «**لا أسأل عن عبادى غيرى، من ذا الذي يسألنى فأعطيه، من ذا الذي يستغفرنى فأغفر له**» وهل قصرت عبارة النبي ﷺ عن أن يقول ينزل ملك بأمر اللَّه فيقول إن اللَّه تعالى يقول لكم كذا، أو أمرنى أن أقول لكم كذا حتى جاء بلفظ مجمل يوهم بزعمكم ربوبية الملك، لقد ظننتم باللَّه تعالى ورسوله ﷺ ظن السوء وكنتم قومًا بورًا. وكما أولوا المجيء لفصل القضاء بالمجاز فقالوا يجيء أمره واستدلوا بقوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ أَمۡرُ رَبِّكَۚ﴾ [النحل: الآية ٣٣]، فقالوا في قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٢١٠]، فقالوا هو من مجاز الحذف، والتقدير يأتى أمر اللَّه. فيقال لهم: أليس قد اتضح ذلك غاية الاتضاح أن مجيء ربنا ﷻ غير مجيء أمره وملائكته، وأنه يجيء حقيقة، ومجيء أمره حقيقة، ومجيء ملائكته حقيقة، وقد فصل تعالى ذلك وقسمه ونوعه تنويعًا يمتنع معه الحمل على المجاز فذكر تعالى في آية البقرة مجيئه ومجيء الملائكة وكذا في آية الفجر، وذكر في النحل مجيء ملائكته ومجيء أمره، وذكر في آية الأنعام إتيانه وإتيان ملائكته وإتيان بعض آياته التى هى من أمره. ثم يقال: ما الذي يخص إتيان أمره بيوم القيامة؟ أليس أمره آتيا في كل وقت، متنزلًا بين السماء والأرض بتدبير أمور خلقه في كل نفس ولحظة: ﴿يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩﴾ [الرحمن: الآية ٢٩]، وتأولوا النظر إلى اللَّه ﷻ في الدار الآخرة بالانتظار قالوا: إنه كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: الآية ١٣]، فيقال لهم: أليس إذا كان بمعنى الانتظار تعدى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله: ﴿ٱنظُرُونَا﴾ [الحديد: الآية ١٣] ألم يضف اللَّه تعالى النظر إلى الوجوه التي فيها الإبصار، وبعده بإلى التي تفيد المعاينة بالبصر عند جميع أهل اللغة: ﴿قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: الآية ١٤٠]، أو لم يفسره النبي ﷺ بالرؤية الجلية عيانًا بالأبصار في أكثر من خمسين حديثًا صحيحًا: حتى شبه تلك الرؤية برؤيتنا الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، تشبيهًا للرؤية بالرؤية، لا للمرئى بالمرئى، ولم يزل الصحابة مؤمنين بذلك، ويحدثون به من بعدهم من التابعين، وينقله التابعون إلى من بعدهم وهلم جرًّا. فنحن أخذنا ديننا عن حملة الشريعة، عن الصحابة، عن النبي ﷺ. فأنتم عمن أخذتم؟ ومن شبهاتهم في نفي الرؤية استدلالهم بقوله ﷻ: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]، وهذه الآية فيها عن الصحابة تفسيران: أولهما لا يرى في الدنيا، وهو مروي عن عائشة ﵂، وبذلك نفت أن يكون رسول اللَّه ﷺ رأى ربه ليلة

المعراج[١].

ثانيهما: تفسير ابن عباس ﷺ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]أي: لا تحيط به[٢]، فالنفي للإحاطة لا للرؤية، وهذا عام في الدنيا والآخرة. ولم ينقل عن أحد من الصحابة من طريق صحيح ولا ضعيف أنه أراد بذلك نفي الرؤية في الآخرة، فهذا تفسير الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويل الكتاب هل بينهم من أحد فسر الآية بما افتريتموه؟ ومن إفكهم ادعاؤهم معنى التأبيد في نفي ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣]، حتى كذبوا على رسول الله ﷺ حديثًا مختلقًا لفظه: «لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة»، وهو موضوع مكذوب على النبي ﷺ باتفاق أئمة الحديث والسنة، ولم يقل أحد من أئمة اللغة العربية أن نفي «لن» للتأبيد مطلقًا إلا الزمخشري من المتأخرين قال ذلك ترويجًا لمذهبه في الاعتزال وجحود صفات الخالق جل وعلا، وقد رده عليه أئمة التفسير كابن كثير وغيره[٣]، ورده ابن مالك في الكافية حيث قال:

وَمَنْ يَرَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّدَا ... فَقَوْلَهُ ارْدُدْ وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا

والقائل لموسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣]هو المتجلي للجبل حتى اندك، وهو الذي وعد المؤمنين ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦]، وهو الذي قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾، فاتضح بذلك أن قوله لموسى ﷺ: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣]إنما أراد عدم استطاعته رؤية الله تعالى في هذه الدار لضعف القوى البشرية فيها عن ذلك كما قرر تعالى ذلك بقوله جل جلاله: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] الآية، فإذا لم يثبت الجبل لتجلي الله تعالى فكيف يثبت موسى لذلك وهو بشر خلق من ضعف؟ وأما في الآخرة فيخلق الله تعالى في أوليائه قوة مستعدة للنظر إلى وجهه ﷻ، وبهذا تجتمع نصوص الكتاب والسنة وتأتلف كما هو مذهب أهل السنة والجماعة، وأما من اتبع هواه بغير هدى

---

(١) أخرج البخاري (٤٨٥٥) من حديث عائشة أنها قالت: من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣] وقرأت: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: الآية ٥١]. وأخرجه مسلم (١٧٧) بنحوه.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ٢٩٩) من طريق العوفيين عن ابن عباس، لكن صح هذا التفسير من قول قتادة وغيره.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٤٥).

من اللَّه، ونصب الخصام أو الجدال والمعارضة بين نصوص الكتاب والسنة، واتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا اللَّه، وضرب كتاب اللَّه بعضه ببعض وآمن ببعض وكفر ببعض وشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين، وأضله اللَّه على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد اللَّه؟ أعاذنا اللَّه وجميع المؤمنين من ذلك، ولا يتأتى لأحد من أهل التأويل مراده ولا يستقيم له تأويله إلا بدفع النصوص بعضها ببعض لا محال ولا بد، فإن كتاب اللَّه تعالى يصدق بعضه بعضًا لا يكذبه كما هو مصدق لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه. وكذلك سنة النبي ﷺ تبين الكتاب وتوضحه وتفسره وتدل عليه وترشد إليه، ولا يشك في ذلك ولا يرتاب فيه إلا من اتخذ إلهه هواه، وأدلى بشبهاته لغرض شهواته: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾، وهذا دأبهم في جميع نصوص الأسماء والصفات. وإنما ذكرنا هذه الجملة مثالًا وتنبيهًا على ما وراء ذلك، فمن عوفي فليحمد اللَّه، فالحمد للَّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللَّه.

«ولا تعطيل» أي للنصوص بنفي ما اقتضته من صفات كمال اللَّه تعالى ونعوت جلاله فإن نفي ذلك من لازمه نفي الذات ووصفه بالعدم المحض، إذ ما لا يوصف بصفة هو العدم، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا. ولهذا قال السلف الصالح رحمهم اللَّه تعالى في الجهمية: إنهم يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد وذلك لجحودهم صفات كماله ونعوت جلاله التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ، وذلك يتضمن التكذيب بالكتاب والسنة، والافتراء على اللَّه كذبًا ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

«وغير تكييف» تفسير لكنه شيء من صفات ربنا تعالى كأن يقال استوى على هيئة كذا، أو ينزل إلى السماء بصفة كذا، أو تكلم بالقرآن على كيفية كذا! ونحو ذلك من الغلو في الدين والافتراء على اللَّه ﷻ واعتقاد ما لم يأذن به اللَّه ولا يليق بجلاله وعظمته ولم ينطق به كتاب ولا سنة، ولو كان ذلك مطلوبًا من العباد في الشريعة لبينه اللَّه تعالى ورسوله ﷺ، ولم يدع ما بالمسلمين إليه حاجة إلا بينه ووضحه، والعباد لا يعلمون عن اللَّه تعالى إلا ما علّمهم كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥]، وقال تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: الآية ١١٠]، فليؤمن العبد بما علمه الله تعالى وليقف معه كهذه الصفات الثابتة في الكتاب والسنة، وليمسك عما جهله وليكل معناه إلى عالمه ككيفيتها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: الآية ٧].

«ولا تمثيل» أي: ومن غير تشبيه لشيء من صفات الله بصفات خلقه، فكما أنا نثبت له ذاتًا لا تشبه الذوات فكذلك نثبت له ما أثبت لنفسه من الأسماء والصفات ونعتقد تنزهه وتقدسه عن مماثلة المخلوقات: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١]، وإذا كان القول على الله بلا علم في أحكام الشريعة هو أقبح المحرمات كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: الآية ٣٣]، فكيف بالقول على الله بلا علم في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته من تشبيه خلقه به أو تشبيهه بخلقه في اتخاذ الأنداد معه وصرف العبادة لهم، وإن اعتقاد تصرفهم في شيء من ملكوته تشبيه للمخلوق بالخالق، كما أن تمثيل صفاته تعالى بصفات خلقه تشبيه للخالق بالمخلوق، وكلا التشبيهين كفر بالله ﷻ أقبح الكفر، وقد نزه الله تعالى نفسه عن ذلك كله في كتابه كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: الآية ٦٥]. وقال تعالى: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: الآية ١١]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [النحل: الآية ٦٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: الآية ٧٤]، وغير ذلك من الآيات، بل جميع القرآن من أوله إلى خاتمته في هذا المعنى، بل لم يرسل الله تعالى رسله ولم ينزل كتبه إلا بذلك: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: الآية ٤].

«بل قولنا» الذي نقوله ونعتقده وندين الله به هو «قول أئمة الهدى» من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمة كأبي حنيفة ومالك والأوزاعي والثوري وابن عيينة والليث ابن سعد وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وأصحاب الأمهات الست وغيرهم من أئمة المسلمين قديمًا وحديثًا الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر

إلى أذهان المشبهين منفى عن اللَّه ﷻ فإن اللَّه تعالى لا يشبهه شيء من خلقه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمة: تفسيرها قراءتها، وقال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمهما اللَّه تعالى: من شبه اللَّه بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف اللَّه به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف اللَّه به نفسه ولا رسوله تشبيه(1)، فمن أثبت للَّه تعالى ما أثبته لنفسه مما وردت به الآيات الصريحة ووصفه به رسوله ﷺ مما ورد في الأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال اللَّه وعظمته ونفى عن اللَّه النقائص فقد سلك سبيل الهدى، وقال الإمام الشافعي رحمه اللَّه تعالى: آمنا باللَّه وبما جاء عن اللَّه على مراد اللَّه، وآمنا برسول اللَّه وبما جاء عن رسول اللَّه وعلى مراد رسول اللَّه ﷺ. وقال أيضًا رحمه اللَّه: للَّه تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته لا يسع أحدًا من خلق اللَّه قامت عليه الحجة ردها، لأن القرآن نزل بها وصح عن رسول اللَّه ﷺ القول بها فيما روى عنه العدول فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر أما قبل ثبوت الحجة عليه فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية والفكر ولا يكفر بالجهل بها أحد إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها وتثبت هذه الصفات وينفى عنها التشبيه كما نفى التشبيه عن نفسه تعالى فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية 11](2)، وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه: ليس كمثله شيء في ذاته كما وصف نفسه، قد أجمل اللَّه الصفة فحد لنفسه صفة: ليس يشبهه شيء. وصفاته غير محدودة ولا معلومة إلا بما وصف به نفسه. قال فهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، ولا يبلغ الواصفون صفته، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسه ولا نتعدى ذلك ولا يبلغ صفته الواصفون، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه ولا نزيل عنه صفة من صفاته بشناعة شنعت. وما وصف به نفسه من كلام ونزول وخلوة بعبده يوم القيامة ووضعه كنفه عليه، فهذا كله يدل على أن اللَّه ﷻ يرى في الآخرة، والتحديد في هذا كله بدعة، والتسليم فيه بغير صفة ولا حد إلا ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل متكلمًا،

(1) صحيح إلى نعيم بن حماد: أخرجه الذهبي في «العلو» (٤٦٤) وفي «السير» (١٠/ ٦١٠) بإسناد صحيح، وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص١٣٧) وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٢١) والفقرة التالية هي من كلام ابن كثير.

(2) أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٩٤) والذهبي في «السير» (١٠/ ٧٩) من طريق ابن أبي حاتم عن يونس بن عبدالأعلى عن الشافعي، وهذا صحيح، لكن ذكر الذهبي أنه من رواية الهكاري.

عالمًا، غفورًا، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب. فهذه صفات وصف بها نفسه لا تدفع ولا ترد، وهو على العرش بلا حد كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤]، كيف شاء المشيئة إليه والاستطاعة إليه ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء وهو سميع بصير بلا حد ولا تقدير، لا نتعدى القرآن والحديث، تعالى اللَّه عما يقول الجهمية والمشبهة. قلت له: والمشبه ما يقول؟ قال: من قال بصر كبصري، ويد كيدي وقدم كقدمي فقد شبه اللَّه تعالى بخلقه. انتهى[1].

وكلام أئمة السنة في هذا الباب يطول، وقد تقدم كثير منه في الاستواء والكلام والنزول والرؤية وغير ذلك.

«**طوبى لمن بهديهم قد اهتدى**» إذ هم خير القرون وأعلم الأمة بشريعة الإسلام وأولاهم باتباع الكتاب والسنة واقتفاء آثار رسول اللَّه ﷺ، وبهم حفظ اللَّه الدين على من بعدهم، فرحمهم اللَّه ورضي عنهم وأرضاهم وألحقنا بهم سالمين غير مفتونين إنه سميع الدعاء.

توحيد الإثبات

وَسَمِّ ذَا النَّوْعِ مِنَ التَّوْحِيدِ ... تَوْحِيدَ إِثْبَاتٍ بِلَا تَرْدِيدِ
قَدْ أَفْصَحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ عَنْهُ ... فَالْتَمِسِ الْهُدَى الْمُنِيرَ مِنْهُ

«**وسم ذا النوع**» والإشارة بذا إلى ما تقدم من قوله: «**إثبات ذات الرب**» إلى هنا وما يدخل في ذلك من معاني الربوبية والأسماء والصفات «**من**» نوعي «**التوحيد**» المشار إليهما بقوله: وهو نوعان «**توحيد إثبات**» لاشتماله على إثبات ما أثبته اللَّه تعالى لنفسه في كتابه وأثبته له رسوله ﷺ وسن قبله من الأنبياء والمرسلين من معاني ربوبيته ومقتضى أسمائه وصفاته ونفي ما يناقض ذلك كما نفاه عن نفسه تبارك وتعالى، فنؤمن باللَّه تعالى وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنة رسله من صفات كماله ونعوت جلاله بلا تكييف ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمته فإنه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلًا وأبين دليلًا من غيره، وقد عكس الزنادقة الأمر فنفوا عنه ما أثبته تعالى لنفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى، وأثبتوا له ما نزه نفسه عنه من أضداد ما تقتضي أسماؤه

---

(١) أورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص١٣٢).

وصفاته، وكذبوا بالكتاب وبما أرسل اللَّه به رسله، وبدلوا قولًا غير الذي قيل لهم فبعدًا لقوم لا يؤمنون.

فائدة: قال الحافظ الذهبي رحمه اللَّه تعالى: المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحدًا سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤول مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد. فتفرع من هذا أن الظاهر يعنى به أمران:

أحدهما: أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب كما قال السلف الصالح: الاستواء معلوم[1]، وكما قال سفيان وغيره: قراءتها تفسيرها[2]، يعنى أنها بينة واضحة في اللغة لا يبتغى بها مضايق التأويل والتحريف، وهذا هو مذهب السلف مع اتفاقهم أيضًا أنها لا تشبه صفات البشر بوجه، إذ البارى لا مثل له لا في ذاته ولا في صفاته.

والثانى: أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن اللَّه تعالى فرد صمد ليس له نظير، وإن تعددت صفاته فإنها حق، لكن ما لها مثل ولا نظير، فمن ذا الذي عاينه ونعته لنا، ومن ذا الذي يستطيع أن ينعت لنا كيف سمع موسى كلامه؟ واللَّه إنا لعاجزون كالون حائرون باهتون في حد الروح التى فينا وكيف تعرج كل ليلة إلى بارئها، وكيف يرسلها، وكيف تستقل بعد الموت، وكيف حياة الشهيد المرزوق عند ربه بعد قتله، وكيف حياة النبيين الآن، وكيف شاهد النبي ﷺ أخاه موسى يصلى قائمًا، ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار إليه بمراجعة رب العالمين وطلب التخفيف منه على أمته[3]، وكيف ناظر موسى أباه آدم وحجه آدم بالقدر السابق وبأن اللوم بعد التوبة وقبولها لا فائدة فيه[4]، وكذلك تعجز عن وصف هيئتنا في الجنة ووصف الحور العين، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتهم وكيفيتها وأن بعضهم يمكنه أن يلتقم الدنيا في لقمة مع رونقهم وحسنهم وصفاء جوهرهم النورانى، فاللَّه أعلى وأعظم، وله المثل الأعلى والكمال المطلق ولا مثل له أصلًا ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٥٢]، انتهى كلامه بحروفه. قلت قوله: من ذا الذي

---

(١) صح هذا من قول الإمام مالك وربيعة وسبق.

(٢) صحيح إلى ابن عيينة: أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٩) بإسناد صحيح.

(٣) وهذا في حديث الإسراء والمعراج وسبق.

(٤) صحيح: وسبق تخريجه، وسيأتي أيضًا في القدر.

عاينه فنعته، هذا لا معنى له، فإن المؤمنين يرونه تعالى في الجنة عيانًا بأبصارهم ولا يستطيع أحد منهم نعته تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٠]، وكان حقه أن يقول: من ذا الذي أحاط به علمًا فنعته، وقوله الثاني أن ظاهرها الذي يتشكل في الخيال إلخ قد قدمنا أن هذا التصور الفاسد هو الذي يعمل جهلة النفاة على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلا ما يقوم بالمخلوق ولم يتدبروا من هو الموصوف فأساءوا الظن بالوحي ثم قاسوا وشبهوا بعد أن فكروا وقدروا ثم نفوا وعطلوا، فسحقًا لأصحاب السعير.

«قد أفصح الوحي المبين» من الكتاب والسنة وكذلك الصحف الأولى «عنه» غاية الإفصاح وشرحه اللَّه تبارك وتعالى أكثر من شرح بقية الأحكام لعظم شأن متعلقه، «فالتمس» اطلب «الهدى المنير» أي: من الوحي المبين لأنه لا سبيل إلى معرفة ذلك إلا منه، ومن خرج عن الوحي مثقال ذرة ضل وغوى ولا بد، فإنا لا نعلم من علم اللَّه سبحانه إلا ما علمنا هو، فنصدق بما أخبر به عن نفسه وأخبرت به رسله عنه كما ننقاد ونسلم ونمتثل لما أمر، ونجتنب ما نهى عنه وزجر، بل إن تأويل الأمر والنهى أخف جرمًا من تأويل معانى الربوبية والأسماء والصفات والتكذيب بالبعث والنشور والوعد والوعيد دون التكذيب بما أخبر اللَّه به عن نفسه من الأسماء الحسنى والصفات العلى وأخبرت عنه به رسله من ذلك مع أن جرم كل منهما عظيم. أعاذنا اللَّه وجميع المسلمين من الزيغ والضلال، آمنا باللَّه واشهد بأنا مسلمون.

لَا تَتَّبِعْ أَقْوَالَ كُلِّ مَارِدٍ غَاوٍ مُضِلٍّ مَارِقٍ مُعَانِدِ
فَلَيسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التِّبْيَانِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ

«لا تتبع» أيها العبد «أقوال كل مارد» على بدعته وزندقته واتباع هواه، «غاو» زائغ في دينه مفتون في عقيدته «مضل» لغيره «مارق» من الإسلام «معاند» لنصوص الكتاب والسنة وما دلت عليه. مكذب بالكتاب وبما أرسل إليه به رسله»، «فليس» يبقى «بعد رد ذا التبيان» الذي جاء في الكتاب والسنة من الآيات المحكمة الصريحة والأحاديث الثابتة الصحيحة «مثقال ذرة من الإيمان» في قلب من رد ذلك لأن اللَّه تعالى هو الحق وقوله الحق: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [يونس: الآية ٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: الآية ٥٦]، وقال تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾ [غافر:

الآية ٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت: الآية ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾، وهذه الآيات يدخل فيها كل مكذب بأى شيء من الكتاب، فكيف إذا كذب بصفات منزل الكتاب، بل جحد أن يكون اللَّه تعالى تكلم بالكتاب، ألا لعنة اللَّه على الظالمين.

فصل: طوائف الملاحدة في التوحيد

والملاحدة في توحيد المعرفة والإثبات فرق كثيرة وأشياع متفرقة، ولكن رءوسهم خمس طوائف:

الأولى: سلبية محضًا يثبتون إثباتًا هو عين النفى ويصفون البارى تعالى بصفات العدم المحض الذي ليس هو بشيء البتة، وليس له عندهم حقيقة غير أنهم يقولون هو موجود لا داخل العالم ولا خارجًا عنه ولا مباينًا له ولا محايثًا وليس على العرش ولا غيره ولا يثبتون له ذاتًا ولا اسمًا ولا صفة ولا فعلًا بل ذلك عندهم هو عين الشرك، وهذا هو الذي صرح به غلاة الجهمية، وقد كان قدماؤهم يتحاشون عنه ويتسترون منه، وكان السلف من أئمة الحديث يتفرسون فيهم ذلك وأنهم يبطنونه ولا يبوحون به، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قولهم في الجهمية: إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إله يعبد، ويقول بعضهم: إنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء، ولكنه لم يصرح بذلك ويظهره إلا ابن سينا صاحب الإشارات تلميذ الفارابى، وهو منسوب إلى أرسطو اليونانى، وهو يرجع إلى مذهب الدهرية الطبائعية في المعنى، وهو الذي نصره الملحد الكبير نصير الشرك الطوسي وأشباهه، قبحهم اللَّه تعالى.

الطائفة الثانية: الحلولية الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته وينزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه. ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها، وهؤلاء هم قدماء الجهمية الذين تصدى للرد عليهم أئمة الحديث كأحمد بن حنبل وغيره، ولهذا قال جهم بن صفوان لما ناظره السمنية في ربه وحار في ذلك ففكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر فقال: هو هذا الهواء الذي هو في كل مكان، وكذلك كان يقول كثير من أتباعه، ولم يكن ولا هم يريدون ذلك وإنما كانوا يتوسلون به إلى السلب المحض والتعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام رحمهم اللَّه كلما أفصحوا به من نفى أسماء البارى

وصفاته وكلامه ورؤيته في الدنيا والآخرة وأفعاله وحكمته وغير ذلك كما تقدم حكايته عنهم قريبًا ورد شبهاتهم الداحضة.

الطائفة الثالثة: الاتحادية وهم القائلون: إن الوجود بأسره هو الحق، وأن الكثرة وهم، بل جميع الأضداد المتقابلة والأشياء المتعارضة الكل شيء واحد هو معبودهم في زعمهم، وهم طائفة ابن عربى الطائى صاحب «الفتوحات المكية» و«فصوص الحكم» وغيرهما مما حرف فيه الكلم عن مواضعه وتلاعب فيه بمعانى الآيات وأتى بكفر لا يشبه كفر اليهود الذين قالوا عزير ابن اللَّه، ولا النصارى الذين قالوا المسيح ابن اللَّه وقالوا هو اللَّه وقالوا ثالث ثلاثة، فإن النصارى وأشباههم خصوا الحلول والاتحاد بشخص معين وهؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه وتقابل أضداده مما لا يسوغ التلفظ بحكايته هو المعبود. فلم يكفر هذا الكفر أحد من الناس، وكان هذا المذهب الذي انتحله ابن عربى ونظمه ابن الفارض في تائيته «نظم السلوك»، وأصل هذا المذهب الملعون انتحله ابن سبعين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسى الرقوطى نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية، ولد سنة أربع عشرة وستمائة واشتغل بعلم الأوائل والفلسفة فتولد له الإلحاد من ذلك وصنف فيه، وكان يعرف السيمياء ويلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء، ويزعم أنه حال من أحوال القوم. وله من المصنفات «كتاب البدو»، و«كتاب الهو». وقد أقام بمكة واستحوذ على عقل صاحبها أبي نمى، وجاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجى فيه الوحي أن ينزل عليه كما أتى النبي ﷺ بناء على ما يعتقده من العقيدة الفاسدة من أن النبوة مكتسبة وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا فما حصل له إلا الخزى في الدنيا والآخرة إن كان مات على ذلك، وكان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم كأنهم الحمير حول المدار وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت، فاللَّه يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نقلت عنه عظائم من الأقوال والأفعال. توفى يوم ثمانية وعشرين من شوال سنة تسع وستين وستمائة.

الطائفة الرابعة: نفاة القدر وهم فرقتان: فرقة نفت تقدير الخير والشر بالكلية وجعلت العباد هم الخالقين لأفعالهم خيرها وشرها، ولازم هذا القول أنهم هم الخالقون لأنفسهم لأن في قولهم نفى تصرف اللَّه في عباده وإخراج أفعالهم عن خلقه وتقديره، فيكون تكونهم من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة إلى آخر أطوار التخليق هم بأنفسهم تطوروا، وبطبيعتهم تخلقوا، وهذا راجع إلى مذهب الطبائعية الدهرية الذين لم يثبتوا

خالقًا أصلًا كما قدمنا مناظرة أبي حنيفة لبعضهم فأسلموا على يديه . وفرقة نفت تقدير الشر دون الخير فجعلوا الخير من اللَّه وجعلوا الشر من العبد، ثم منهم من ينفى تقدير الشر من أعمال العباد دون تقديره في المصائب، ومنهم من غلا فنفى تقدير الشر من المصائب والمعايب. وعلى كل حال فقد أثبتوا مع اللَّه تعالى خالقًا بل جعلوا العباد معه خالقين كلهم، ونفوا أن يكون اللَّه هو المنفرد بالتصرف في ملكوته، وهذا راجع إلى مذهب المجوس الثنوية الذين أثبتوا خالقين خالقًا للخير وخالقًا للشر قبحهم اللَّه تعالى.

الطائفة الخامسة: الجبرية الذين يعتقدون أن العبد مجبور على أفعاله قسرًا ولا فعل له أصلًا بل إثبات الفعل للعبد هو عين الشرك عندهم بل هو كالهاوى من أعلى إلى أسفل وكالسعفة تحركها الريح لم يعمل باختياره طاعة ولا معصية ولم يكلفه اللَّه وسعه بل حمله ما لا طاقة له به، ولم يخلق فيه اختيارًا لأفعاله ولا قدرة له عليها بل الطاعة والعصيان من الأقوال والأعمال هى عندهم عين فعل اللَّه ﷻ، فرفعوا اللوم عن كل كافر وفاسق وعاص وأنه يعذبهم على نفس فعله لا على أعمالهم القبيحة، ثم اعتقدوا أن المعاصى التى نهى اللَّه عنها في كتبه وعلى ألسنة رسله إذا عملوها صارت طاعات لأنهم يقولون أطعنا مشيئة اللَّه الكونية فينا، بل لم يثبتوا الإرادة الشرعية البتة ومن يثبتها منهم يقول في الطاعات أطعنا الإرادة الشرعية وفي المعاصى التى سماها اللَّه معاصى أطعنا الإرادة الكونية وأما هم فلم يثبتوا معصية أصلًا بل أفعالهم جميعها حسنها وقبيحها كلها عندهم طاعات على أصلهم هذا الفاسد، وفي ذلك رد منهم على اللَّه تعالى أمره ونهيه ووعده ووعيده وفرضه على عباده جهاد الكفار وإقامة الحدود بل في إرساله الرسل وإنزاله الكتب، فيجب عندهم تعطيل الشرائع بالكلية والاحتجاج على نفيها بالقدر الكونى ومحاربتها به وإثبات الحجة على اللَّه لكل كافر وفاسق وعاص وهذا كفر لم يسبقهم إليه غير إمامهم إبليس اللعين إذ يحتج على اللَّه تعالى بحجتهم هذه فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾[الأعراف: الآية ١٦]، والعجب أن هذا المذهب المخذول موروث عن جهم بن صفوان مع تناقضه في إثبات أفعال اللَّه ﷻ فإنه لا يثبت للَّه تعالى فعلًا يقوم بذاته أصلًا بل أفعاله خارجة عنه قائمة بغيره من المخلوقات، ثم ينقض ذلك بجعله أفعال العباد أفعال اللَّه، وهذا تناقض بين لكل عاقل فإن الفعل إنما يضاف إلى من قام به والقول إلى من قاله وكذا السمع والبصر والقدرة وغيرها محال أن تضاف إلى غير من قامت به ومحال أن يسمى فاعلًا بدون فعل يقوم به، ولو ذهبنا نعد تشعب الفرق من هذه الطوائف ولوازم كل قول مما انتحلوه لاحتاج إلى كتاب مفرد، وقد أفرد ذلك بالتصنيف

غير واحد من الأئمة، وقد قدمنا البعض من ذلك وذكرنا أمثلة من تحريفهم النصوص، وسيأتي الكلام على الدهرية في الإيمان بالبعث، وعلى نفاة القدر والغلاة فيه في باب القدر، والكلام على الخوارج والمرجئة والمعتزلة وأشباههم في باب الإيمان والدين. والكلام على الروافض والنواصب في باب ذكر الصحابة. وهذه الطوائف التي خالفت في توحيد المعرفة والإثبات مرجعها إلى ثلاث: فالحلولية والاتحادية والسلبية ومن في معناهم مرجعهم إلى الطبائعية الدهرية، والقدرية النفاة بجميع فرقهم مرجعهم إلى المجوس الثنوية، والجبرية الغلاة مرجعهم إلى النزعة الجهمية الإبليسية وقد قدمنا قول المؤمنين أتباع الرسل مبسوطًا بما فيه كفاية.

فصل: الطوائف السبعة المخالفة لأهل السنة في القرآن

والمخالفون لأهل السنة في القرآن سبع طوائف ذكرهم شيخ الإسلام ابن تيمية في «المنهاج» وابن القيم في «الصواعق» وهذا نصه، قال رحمه الله تعالى(١):

«فصل» اختلف أهل الأرض في كلام الله تعالى، فذهب «الاتحادية» القائلون بوحدة الوجود أن كل كلام في الوجود كلام الله نظمه ونثره وحقه وباطله سحره وكفره، والسب والشتم والهجر والفحش وأضداده كله عين كلام الله تعالى القائم به كما قال عارفهم:

وكل كلام في الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وهذا المذهب مبنى على أصلهم الذي أصلوه: وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله وكلامه هو كلام الله وأصل هذا المذهب إنكار مسألة المباينة والعلو، فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما إلا المكابرة:

أحدهما: أنه معدوم لا وجود له، إذ لو كان موجودًا لكان إما داخل العالم وإما خارجًا عنه، وهذا معلوم بالضرورة، فإنه إذا كان قائمًا بنفسه فإما أن يكون مباينًا للعالم أو محايثًا له إما داخلًا فيه وإما خارجًا عنه.

الأمر الثاني: أن يكون هو عين هذا العالم، فإنه يصح أن يقال فيه حينئذ إنه لا داخل

(١) مختصر «الصواعق المرسلة» لابن القيم (ص٤٧٢- ٤٧٥).

العالم ولا خارجه ولا مباينًا له ولا حالًا فيه، إذ هو عينه، والشيء لا يباين نفسه ولا يحايثها، فرأوا أن هذا خير من إنكار وجوده والحكم عليه بأنه معدوم، ورأوا أن الفرار من هذا إلى إثبات موجود قائم بنفسه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولا مباين له ولا محايث ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامه فرارًا إلى ما لا يسيغه عقل ولا تقبله فطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يقر برب هذا شأنه إلا على أحد وجهين لا ثالث لهما:

أحدهما: أن يكون ساريا فيه حالًا فيه فهو في كل مكان بذاته، وهو قول جميع الجهمية الأقدمين.

الوجه الثاني: أن يكون وجوده في الذهن لا في الخارج فيكون وجوده سبحانه وجودًا عقليا إذ لو كان موجودًا في الأعيان لكان إما عين هذا العالم أو غيره، ولو كان غيره لكان إما بائنًا عنه أو حالًا فيه وكلاهما باطل، فثبت أنه عين هذا العالم فله حينئذ كل اسم حسن وقبيح وكل صفة كمال ونقص وكل كلام حق وباطل، نعوذ بالله من ذلك.

المذهب الثاني: مذهب «الفلاسفة» المتأخرين أتباع أرسطو، وهم الذين يحكي ابن سينا والفارابي والطوسي قولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه. ولهذه النفوس عندهم ثلاث قوى: قوة التصور، وقوة التخيل، وقوة التعبير. فتدرك بقوة تصورها من المعاني ما يعجز عنه غيرها، وتدرك بقوة تخيلها شكل المعقول في صورة المحسوس، فتتصور المعقول صورًا نورانية تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذان، وهو عندهم كلام الله، ولا حقيقة له في الخارج وإنما ذلك كله من القوة الخيالية الوهمية قالوا ربما قويت هذه القوة على إسماع ذلك الخطاب لغيرها، وتشكيل تلك الصور العقلية لعين الرائي، فيرى الملائكة ويسمع خطابهم، وكل ذلك من الوهم والخيال لا في الخارج، فهذا أصل هؤلاء في إثبات كلام الرب وملائكته ورسله وأنبيائه، والأصل الذي قادهم إلى هذا عدم الإقرار بالرب الذي عرفت به الرسل ودعت إليه وهو القائم بنفسه المباين لخلقه العالي فوق سمواته فوق عرشه الفعال لما يريد بقدرته ومشيئته العالِم بجميع المعلومات القادر على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كله.

المذهب الثالث: مذهب «الجهمية» النفاة لصفات الرب تعالى القائلين: إن كلامه مخلوق ومن بعض مخلوقاته فلم يقم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصل واختلفوا في

فروعه. قال الأشعري في كتاب «المقالات»: اختلفت المعتزلة في كلام اللَّه تعالى هل هو جسم أو ليس بجسم؟ وفي خلقه على ستة أقاويل: فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن كلام اللَّه جسم وأنه مخلوق وأنه لا شيء إلا جسم. والفرقة الثانية زعموا أن كلام الخلق عرض وهو حركة لأنه لا عرض عندهم إلا الحركة، وأن كلام الخالق جسم وأن ذلك الجسم صوت منقطع مؤلف مسموع وهو فعل اللَّه وخلقه، وهذا قول أبي الهذيل وأصحابه. وأحال النظام أن يكون كلام اللَّه في أماكن كثيرة أو مكانين في وقت واحد وزعم أنه في المكان الذي خلق فيه. والفرقة الثالثة من المعتزلة تزعم أن القرآن مخلوق للَّه وأنه عرض وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد إذا تلاه تال فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وجد مع كتابته، وإذا حفظه وجد مع حفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظ والكتابة ولا يجوز عليه الانتقال والزوال. والفرقة الرابعة يزعمون أن كلام اللَّه ﷻ عرض وأنه مخلوق، وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقت واحد وزعموا أن المكان الذي خلقه اللَّه تعالى فيه محال انتقاله وزواله منه ووجوده في غيره، وهذا قول جعفر بن حرب وأكثر البغداديين. الفرقة الخامسة أصحاب معمر يزعمون أن القرآن عرض، والأعراض عندهم قسمان: قسم منهما يفعله الأحياء، وقسم منهما يفعله الأموات ومحال أن يكون ما يفعله الأموات فعلًا للأحياء. القرآن مفعول وهو عرض ومحال أن يكون اللَّه فعله في الحقيقة، لأنهم يحيلون أن تكون الأعراض فعلًا للَّه وزعموا أن القرآن فعل للمحل الذي يسمع منه إذا سمع من الشجرة فهو فعل لها، وحيث سمع فهو فعل المحل الذي حل فيه. الفرقة السادسة يزعمون أن كلام اللَّه عرض مخلوق وأنه يوجد في أماكن كثيرة في وقت واحد، وهذا قول الإسكافى. واختلفت المعتزلة في كلام اللَّه هل يبقى؟ فقالت فرقة منهم: يبقى بعد خلقه، وقالت فرقة أخرى: لا يبقى، وإنما يوجد في الوقت الذي خلقه اللَّه ثم يعدم بعد ذلك. وهذا المذهب هو من فروع ذلك الأصل الباطل المخالف لجميع كتب اللَّه ورسله ولصريح المعقول والفطر من جحد صفات الرب وتعطيل حقائق أسمائه وصفاته ونفى قيام الأفعال به، فلما أصلوا أنه لا يقوم به وصف ولا فعل كان من فروع هذا الأصل أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآن مخلوق، وطرد ذلك إنكار ربوبيته وإلهيته فإن ربوبيته سبحانه إنما تتحقق بكونه فعالًا مدبرًا متصرفًا في خلقه يعلم ويقرر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت عنه صفة الكلام انتفى الأمر والنهى ولوازمهما وذلك ينفى حقيقة الإلهية، فطرد ما أصلوه أن اللَّه سبحانه ليس برب العالمين ولا إله فضلًا عن أن يكون

لا رب غيره ولا إله سواه.

المذهب الرابع: مذهب «الكلابية» أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب أن القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة و المشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهى مخلوقة وهو أربعة معانٍ في نفسه: الأمر، والنهى، والخبر، والاستفهام. فهى أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هى تلاوة العباد وهى مخلوقة. وهذا المذهب أول من يعرف أنه قال به ابن كلاب وبناه على أن الكلام لا بد أن يقوم بالمتكلم، والحروف والأصوات حادثة فلا يمكن أن تقوم بذات الرب تعالى لأنه ليس محلًّا للحوادث، فهى مخلوقة منفصلة عن الرب، والقرآن اسم لذلك المعنى وهو غير مخلوق.

المذهب الخامس: مذهب «الأشعري» ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب تعالى، لأنه ليس بحرف ولا صوت ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء وهو عين الأمر وعين النهى وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل واحد، وهو عين التوراة وعين الإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرًا ونهيا وخبرًا واستخبارًا صفات لذلك المعنى الواحد لا أنواع له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جزء وكونه قرآنًا وتوراة وإنجيلًا تقسيم للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآنًا، وإذا عبر عنه بالعبرانية كان توراة، وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلًا والمعنى واحد وهذه الألفاظ عبارة عنه ولا يسميها حكاية، وهى خلق من المخلوقات، وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلام العربى ولا سمع من الله، وعنده ذلك المعنى سمع من الله حقيقة ويجوز أن يرى ويشم ويذاق ويلمس ويدرك بالحواس الخمس، إذ المصحح عنده لإدراك الحواس هو الوجود، فكل وجود يصح تعلق الإدراكات كلها به كما قرره في مسألة رؤية من ليس في جهة الرائى وأنه يرى حقيقة وليس مقابلًا للرائى. هذا قولهم في الرؤية وذلك قولهم في الكلام. والبلية العظمى نسبة ذلك إلى الرسول ﷺ وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة وأنهم أهل الحق ومن عداهم أهل الباطل. وجمهور العقلاء يقولون: إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم ببطلانه، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات. وهذا المذهب مبنى على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ويسمونها مسألة حلول الحوادث وحقيقتها

إنكار أفعاله وربوبيته وإرادته ومشيئته [١].

التنبيه إلى أن الأشعرية غير الأشعري

وأقول والحق يقال : لا نشك أن ابن القيم هذا وشيخه ابن تيمية رحمهما اللّه تعالى من أعلم من صنف في المقالات والملل والنحل وأدراهم بمواردها ومصادرها وأبصرهم برد الباطل منها وإدحاضه وأوفاهم تقريرًا لمذهب السلف أهل السنة والجماعة وأشدهم تمسكًا به ونصرة له ، وأكملهم تحريرًا لبراهينه عقلًا ونقلًا ، وأكثرهم اشتغالًا بهذا الباب وتنقيبًا عن عامل البدع فيه واجتثاثًا لأصولها ، ولكن هذا الذي ذكره رحمه اللّه تعالى عن الأشعري في مسألة القرآن هو الذي وجدناه عمن ينتسب إلى الأشعري ويسمون أنفسهم أهل الحق ويقرون ذلك ويكررونه في كتبهم ويناظرون عليه . وأما أبو الحسن الأشعري نفسه رحمه اللّه تعالى فالذي قرره في كتابه «الإبانة» الذي هو من آخر ما صنف هو قول أهل الحديث ساقه بحروفه وجاء به برمته واحتج فيه ببراهينهم العقلية والنقلية ثم نقل أقوال الأئمة في ذلك كأحمد بن حنبل ومالك بن أنس والشافعي وأصحابه والحمادين والسفيانين وعبد العزيز بن الماجشون والليث بن سعد وهشام وعيسى بن يونس وحفص بن غياث وسعد بن عامر وعبد الرحمن بن مهدي وأبي بكر بن عياش ووكيع وأبي عاصم النبيل ويعلى بن عبيد ومحمد ابن يوسف وبشر بن المفضل وعبد اللّه بن داود وسلام بن أبي مطيع وابن المبارك وعلي بن عاصم وأحمد بن يونس وأبي نعيم وقبيصة بن عقبة وسليمان بن داود وأبي عبيد القاسم بن سلام وغيرهم ، ولولا خوف الإطالة لسقنا فصول كلامه بحروفه ، فإنه وإن أخطأ في تأويل بعض الآيات وأجمل في بعض المواضع فكلامه يدل على أنه مخالف للمنتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآن كما هو مخالف لهم في إثباته الاستواء والنزول والرؤية والوجه واليدين والغضب والرضا وغير ذلك ، وقد صرح في مقالاته بأنه قائل بما قال الإمام أحمد ابن حنبل وأئمة الحديث معتقد ما هم عليه مثبت لما أثبتوه محرم ما أحدث المتكلمون من تحريف الكلم عن مواضعه وصرف اللفظ عن ظاهره وإخراجه عن حقيقته ، وبالجملة فبينه وبين المنتسبين إليه بون بعيد بل هو بريء منهم وهم منه برآء والموعد اللّه وكفى باللّه حسيبًا ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا

(١) آخر كلام ابن القيم ، وسيكمله المصنف بعد ذلك .

بالله[١] .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى[٢] : المذهب السادس مذهب «الكرامية» وهو أنه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلمًا كما يقول سائر فرق المتكلمين أنه فعل بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن فاعلًا، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام فهو لازم لهم في مسألة الفعل، والكرامية أقرب إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلامًا وفعلًا حقيقة قائمين بذات المتكلم الفاعل، وجعلوا لها أولًا فرارًا من القول بحوادث لا أول لها، ومنازعوهم أبطلوا حقيقة الكلام والفعل وقالوا لم يقم به فعل ولا كلام البتة، وأما من أثبت منهم معنى قائمًا بنفسه سبحانه فلو كان ما أثبته مفعولًا لكان من جنس الإرادة والعلم لم يكن شيئًا خارجًا عنهما، فهم لم يثبتوا الله كلامًا ولا فعلًا، وأما الكرامية فإنهم جعلوه متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا كما جعله خصومهم فاعلًا بعد أن لم يكن فاعلًا .

المذهب السابع : مذهب «السالمية» ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة وأهل الحديث أنه صفة قديمة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئته ومع ذلك هو حروف وأصوات وسور وآيات سمعه جبريل منه وسمعه موسى بلا واسطة ويسمعه سبحانه من يشاء. وإسماعه نوعان: بواسطة وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفه وكلماته لا يسبق بعضها بعضًا بل هي مقترنة الباء مع السين مع الميم في آن واحد ثم لم تكن معدومة في وقت من الأوقات ولا تعدم بل لم تزل قائمة بذاته سبحانه قيام صفة الحياة والسمع والبصر، وجمهور العقلاء قالوا : إن تصور هذا المذهب كافٍ في الجزم ببطلانه، والبراهين العقلية والأدلة القطعية شاهدة ببطلان هذه المذاهب كلها وأنها مخالفة لصريح العقل والنقل . والعجب أنها هي الدائرة بين فضلاء العالم لا يكادون يعرفون غيرها[٣] . ثم

---

(١) كتاب «الإبانة عن أصول الدين» لأبي الحسن الأشعري رحمه الله طبع عدة طبعات، ونقل عنه الذهبي في «العلو» فقرة (٥٤١) وقال: وكتاب «الإبانة» من أشهر تصانيف أبي الحسن، شهره الحافظ ابن عساكر واعتمد عليه، ونسخه بخطه الإمام محيي الدين النواوي، ونقل الإمام ابن فورك المقالة المذكورة عن أصحاب الحديث عن أبي الحسن الأشعري في كتاب «المقالات والخلاف بين الأشعري وبين أبي محمد عبدالله بن سعيد بن كلاب البصري» تأليف ابن فورك . . .

(٢) «مختصر الصواعق» (ص٤٧٥).

(٣) آخر كلام ابن القيم .

ذكر رحمه اللَّه تعالى قول أتباع الرسل وأطال على ذلك. ثم مسألة تكلم العباد بالقرآن وساق فيه كثيرًا من كلام البخاري رحمه اللَّه تعالى في صحيحه وفي كتاب خلق أفعال العباد لأنه من أحسن الأئمة توضيحًا وتفصيلًا في هذه المسألة لما جرى عليه من المحنة في شأنها. ثم ذكر الكلام على حروف المعجم وساق فيه أقوال الأئمة. ثم ذكر اللفظية في أثناء ذلك والواقفة. ثم ذكر فصلًا في الكتابة له في الرق وغيره، ثم فصلًا في السماع، ثم فصلًا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في أول من أظهر إنكار أن اللَّه سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة ابن كلاب وأنكر عليه ذلك أئمة الحديث كأحمد والبخاري وغيرهما. وفي غضون هذه الفصول أبحاث نفيسة لا يستغنى عنها فلتراجع منه.

ثم قال رحمه اللَّه تعالى:

فصل: منشأ النزاع بين الطوائف أن الرب تعالى هل يتكلم بمشيئته أم كلامه بغير مشيئته؟ على قولين؟ فقالت طائفة: كلامه بغير مشيئته واختياره. ثم انقسم هؤلاء أربع فرق. قالت فرقة: هو فيض فاض منه بواسطة العقل الفعال على نفس شريفة فتكلمت به كما يقول ابن سينا وأتباعه وينسبونه إلى أرسطو. وفرقة قالت: بل هو معنى قائم بذات الرب تعالى هو به متكلم وهو قول الكلابية ومن تبعهم. وانقسم هؤلاء فرقتين: فرقة قالت هو معان متعددة في أنفسها أمر ونهي وخبر واستخبار، ومعنى جامع لهذه الأربعة. وفرقة قالت بل هو معنى واحد بالعين لا ينقسم ولا يتبعض. وفرقة قالت: كلامه هو هذه الحروف والأصوات خلقها خارجة عن ذاته فصار بها متكلمًا، وهذا قول المعتزلة، وهو في الأصل قول الجهمية تلقاه عنهم أهل الاعتزال فنسب إليهم. وفرقة قالت يتكلم بقدرته ومشيئته كلامًا قائمًا بذاته سبحانه كما يقوم به سائر أفعاله لكنه حادث النوع، وعندهم أنه صار متكلمًا بعد أن لم يكن متكلمًا كما قاله من لم نصفهم من المتكلمين أنه صار فاعلًا بعد أن لم يكن فاعلًا. فقول هؤلاء في الفعل المتصل كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قول الكرامية. وفرقة قالت يتكلم بمشيئته، وكلامه سبحانه هو الذي يتكلم به الناس كله حقه وباطله وصدقه وكذبه كما يقوله طوائف الاتحادية. وقال أهل الحديث والسنة إنه لم يزل سبحانه متكلمًا إذا شاء ويتكلم بمشيئته ولم تتحدد له هذه الصفة بل كونه متكلمًا بمشيئته هو من لوازم ذاته المقدسة وهو بائن عن خلقه بذاته وصفاته وكلامه ليس متحدًا بهم ولا حالًّا فيهم. واختلفت الفرق هل يسمع كلام اللَّه على الحقيقة؟ فقالت فرقة: لا يسمع كلامه على الحقيقة إنما تسمع حكايته والعبارة عنه، وهذا قول الكلابية ومن تبعهم. وقالت بقية

الطوائف: بل يسمع كلامه حقيقة. ثم اختلفوا فقالت فرقة: يسمعه كل أحد من اللَّه تعالى. وهذا قول الاتحادية. وقالت فرقة بل لا يسمع إلا من غيره، وعندهم أن موسى لم يسمع كلام اللَّه منه، فهذا قول الجهمية والمعتزلة. وقال أهل السنة والحديث: يسمع كلامه سبحانه منه تارة بلا واسطة كما سمعه موسى وجبريل وغيرهما وكما يكلم عباده يوم القيامة ويكلم أهل الجنة ويكلم الأنبياء في الموقف، ويسمع من المبلغ عنه كما سمع الأنبياء الوحي من جبريل تبليغًا عنه وكما سمع الصحابة القرآن من الرسولﷺ عن اللَّه فسمعوا كلام اللَّه بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي فإذا قيل المسموع مخلوق أو غير مخلوق؟ قيل إن أردت المسموع عن اللَّه تعالى فهو كلامه غير مخلوق، وإن أردت المسموع من المبلغ ففيه تفصيل إن سألت عن الصوت الذي روى به كلام اللَّه فهو مخلوق وإن سألت عن الكلام المؤدى بذلك الصوت فهو غير مخلوق. والذين قالوا إن اللَّه يتكلم بصوت أربع فرق: فرقة قالت: يتكلم بصوت مخلوق منفصل عنه وهم المعتزلة. وفرقة قالت: يتكلم بصوت قديم لم يزل ولا يزال وهم السالمية والاقترانية. وفرقة قالت: يتكلم بصوت حادث في ذاته بعد أن لم يكن، وهم الكرامية. وقال أهل السنة والحديث: لم يزل اللَّه تعالى متكلمًا بصوت إذا شاء. والذين قالوا لا يتكلم بصوت فرقتان. أصحاب الفيض، والقائلون إن الكلام معنى قائم بالنفس[1]. انتهى ما أردنا إيراده من كلامه رحمه اللَّه تعالى وقد أودع هذه الأقوال وغيرها في مسألة القرآن وغيرها في نونيته الشافية الكافية. وأما مذهب أتباع الرسل فقد قدمنا فيه الشفاء الكافي من نصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة بما لا يحتاج معه إلى غيره. وباللَّه التوفيق.

فصل: في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد وهو توحيد الطلب والقصد وأنه معنى لا إله إلا اللَّه

هَـذَا وَثَـانِـي نَـوْعَـي الـتَّـوْحِـيـدِ ... إِفْـرَادُ رَبِّ الْـعَـرْشِ عَـنْ نَـدِيـدِ
أَنْ تَـعْـبُـدَ الـلَّـهَ إِلَـهًـا وَاحِـدًا ... مُـعْـتَـرِفًـا بِـحَـقِّـهِ لَا جَـاحِـدًا

«هذا» أي: الأمر والإشارة إلى ما تقدم من تحقيق النوع الأول من نوعي التوحيد[2]

---

(١) «مختصر الصواعق» (ص٥٠٣- ٥٠٥).

(٢) النوع الأول من التوحيد هو توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي، =

«وثاني نوعي التوحيد» وهو «إفراد رب العرش عن نديد» شريك مساو، وتفسير ذلك هو «أن تعبد الله» ﷻ «إلهًا» حال من لفظ الجلالة «واحدًا» لا شريك له في إلهيته كما لا شريك له في ربوبيته وأسمائه وصفاته، فإن توحيد الإثبات هو أعظم حجة على توحيد الطلب والقصد الذي هو توحيد الإلهية وبه احتج الله تعالى في كتابه في غير موضع على وجوب إفراده تعالى بالإلهية لتلازم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهًا مستحقًا للعبادة إلا من كان خالقًا رازقًا مالكًا متصرفًا مدبرًا لجميع الأمور حيا قيومًا سميعًا بصيرًا عليمًا حكيمًا. موصوفًا بكل كمال منزهًا عن كل نقص، غنيًا عما سواه، مفتقرًا إليه كل ما عداه، فاعلًا مختارًا لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه ولا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض ولا يعزُب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفات الله ﷻ لا تنبغي إلا له ولا يشركه فيها غيره. فكذلك لا يستحق العبادة إلا هو ولا تجوز لغيره فحيث كان متفردًا بالخلق والإنشاء والبدء والإعادة لا يشركه في ذلك أحد وجب إفراده بالعبادة دون من سواه لا يشرك معه في عبادته أحد كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ

=ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا هو النوع الثاني وهو توحيد القصد والطلب أو توحيد الألوهية.

الآيات لقوم يعلمون (٥)﴾، وقال تعالى: ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين (٥٤)﴾ [الأعراف: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (١) هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون (٢) وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (٣)﴾، وقال تعالى: ﴿۞ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين (٥٩) وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون (٦٠) وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون (٦١) ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين (٦٢) قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين (٦٣) قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون (٦٤)﴾ [الأنعام: ٩٥]، وقال تعالى: ﴿قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (١٦٤) وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ إلى آخرها، وقال تعالى: ﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (٢) وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (٣) وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٤)﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون (١) ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون (٢) خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون (٣) خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين (٤)﴾ - إلى قوله - ﴿أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون (١٧)﴾ [النحل: الآية ١٧] إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿قال فمن ربكما يا موسى (٤٩) قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى (٥٠) قال فما بال القرون الأولى (٥١) قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (٥٢) الذي جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات

شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾[طه: ٩٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾[الأنعام: ٠٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾[يونس: الآية ١٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَـٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يونس: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَـٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَـٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾[المؤمنون: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾[النور: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾[الشعراء: ٧]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَـٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾[النمل: الآية ٥٩] إلى قوله: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ

وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ (٦٤)﴾ [النمل: الآية ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٦٠) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦١) ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٦٢) وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٣)﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٥)﴾ [العنكبوت: الآية ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٢٥) لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٦)﴾ - إلى قوله - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢)﴾ [لقمان: ٥٢] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣) لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ (٦٦)﴾ [الحج: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَـٰفِلِينَ (١٧) وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّـٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَـٰدِرُونَ (١٨) فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّـٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ (٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)﴾ [المؤمنون: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا

تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾ [السجدة: الآية ٤] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر: ١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الروم: ٨٤] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ﴾ [فاطر: ٩] إلى آخر الآيات، بل إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٤٠]، وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا

وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ إلى آخر الآيات . وقال تعالى : ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾[فصلت: ٩] ، وقال : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾[الزخرف: ٩] الآيات ، وقال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾[الزخرف: الآية ٨٧] ، وغير ذلك من الآيات التى يقرر اللّٰه تعالى فيها ربوبيته ويمتن بنعمه وتفرده بأنواع التصرفات ، وعباد الأوثان يقرون بها للّٰه ﷻ ، ويقرون بأن أوثانهم التى يدعون من دونه مخلوقة لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا ، ولا تسمع ولا تبصر ولا تغني عنهم شيئًا ، ويقرون أن اللّٰه هو المتفرد بالخلق والرزق والضر والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات ، ليس إليهم ولا إلى أوثانهم من ذلك شيء ، بل هو الخالق وما عداه مخلوق ، وهو الرب وما عداه مربوب ، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاء سووهم به في إستحقاق العبادة وأنكروا أن يكون تفرد بها وقالوا لمن قال لهم : قولوا لا إله إلا اللّٰه ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾[ص: الآية ٥] ، فألزمهم اللّٰه تعالى بما أقروا به من التفرد بالربوبية أن يعملوا بمقتضى ذلك ويلتزموا لازمه من توحيد الإلهية وأن يكفروا بما اتخذوا من دونه كما أقروا بعجزهم وعدم اتصافهم بشيء يستحقون به العبادة بل هم أقل وأذل وأحقر وأعجز عن أن يخلقوا ذبابًا أو أن يستنقذوا منه شيئًا سلبه .

ومن تدبر هذه الآيات التى ذكرنا وما في معناها حق التدبر علم يقينًا أن عباد الأوثان مُقرون بتوحيد الربوبية وشاهدون بتفرد اللّٰه بذلك وأنهم إنما أشركوا باللّٰه في الإلهية حيث عبدوا

معه غيره، هذا في الظاهر وإلا فأنواع التوحيد متلازمة، من أشرك غير اللَّه معه في شيء منها فقد أشرك فيما عداه كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى بيانه في بيان الشرك. ومما يقدر ذلك غاية التقدير حديث عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ قال لأبيه حصين قبل إسلامه: «**كم تعبد اليوم من إله؟**» قال: سبعة آلهة، ستة في الأرض وواحدًا في السماء. قال ﷺ: «**فمن تعد لرغبتك ورهبتك**» قال الذي في السماء[1]، وتقدم أيضًا في هذه الآية أنهم إنما كان شركهم باللَّه في إلهيته في حالة الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون الدين للَّه لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه غيره، وأن آلهتهم لا تضر ولا تنفع ولا تستطيع شيئًا كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا ومما لم نذكر. والمقصود أن الربوبية والإلهية متلازمان لا ينفك نوع منهما عن الآخر، وأن توحيد الربوبية لم ينكره أحد إلا مكابرة كفرعون ونمرود، والثنوية الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا.

«**معترفًا**» حال من فاعل تعبد «**بحقه**» تعالى عليك وعلى جميع عباده «**لا جاحدًا**» وحقه عليك أن تعبده لا تشرك به شيئًا كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: الآية ٣٦]، وقال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [المؤمنون: الآية ٣٢]، وغيرها من الآيات سنذكر ما تيسر منها قريبًا إن شاء اللَّه تعالى. وفي «الصحيحين» عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي: «**يا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ**»؟ قلت: اللَّهُ ورَسُولُهُ أعلم. قال: «**حَقُّ اللَّهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يعْبُدُوهُ وَلا يشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يعَذِّبَ مَن لا يشْرِكُ بِهِ شَيئًا**»[2] الحديث.

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧٤ح ٣٩٦) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١) واللالكائي (١١٨٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٩٤) وفي إسناده شبيب بن شيبة وهو متروك، وانقطاع بين الحسن وعمران بن حصين، وله شاهد أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٤٩) وفي إسناده ضعيف ومتروك.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٣٧٣) ومسلم (٣٠) وغيرهما.

وَهْـوَ الَّـذِي بِـهِ الإِلَـهُ أَرْسَـلَا ... رُسْـلَـهُ يَـدْعُـونَ إِلَـيْـهِ أَوَّلَا
وَأَنْـزَلَ الْـكِـتَـابَ وَالـتِّـبْـيَـانَـا ... مِـنْ أَجْـلِـهِ وَفَـرَقَ الْـفُـرْقَـانَـا

«وهو» أي توحيد الإلهية «الذي به الإله» ﷻ «أرسلا، رسله» من أولهم إلى آخرهم «يدعون إليه أولًا» قبل كل أمر فلم يدعوا إلى شيء قبله، فهم وإن اختلفت شرائعهم في تحديد بعض العبادات والحلال والحرام لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفراد الله سبحانه بتلك العبادات افترقت أو اتفقت، لا يشرك معه فيها غيره، كما قال ﷺ: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الأنبياءِ أولادُ عَلَّاتٍ، دِينُنَا وَاحِدٌ»[(١)] وقد أخبر الله ﷻ عن اتفاق دعوة رسله إجمالًا وتفصيلًا فقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: الآية ١٣] وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ونبينا محمد ﷺ وكذلك بقية الرسل، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: الآية ٤٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: الآية ٣٦] وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾، وفي الصحيح عن المغيرة ﵁ قال: قال سعد بن عبادة ﵁: لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة»[(٢)] وأما في مقامات التفصيل فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ

---

(١) صحيح أخرجه البخاري (٣٤٤٢) ومسلم (٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.
قلت: والأخوة ثلاثة: أولاد الأعيان وهم الأخوة لأبوين، وأولاد العلّات أبوهم واحد والأمهات شتى، وأولاد الأخياف أمهم واحدة والآباء شتى.
(٢) صحيح أخرجه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩).

غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ٥٩] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأعراف: الآية ٦٥] إلى آخر الآيات. ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٧٣] إلى آخر الآيات وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨٥] إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٧]. وهذا في مقام مناظرته عليه الصلاة والسلام لعباد الكواكب على سبيل الاستدراج أو التوبيخ ليبين لهم سخافتهم وجهلهم وضعف عقولهم في عبادتهم هذه الكواكب المخلوقة لحكمة اللّٰه ﷻ المسخرة بقدرته، وغفلتهم عن خالقها ومسخرها والمتصرف فيها وتركهم عبادته أو إشراكهم معه فيها غيره ﷻ فلما أقام عليهم الحجة ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٧]، أي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: الآية ١٤] يعني: صدقوا ووحدوا ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢] أي: شرك إذ هو الظلم الذي لا يغفره اللّٰه ﷻ، وفي «الصحيح» عن عبد اللّٰه بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٨٢] قال أصحاب رسول اللّٰه ﷺ: أينا لم يظلم نفسه؟ فأنزل اللّٰه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣][1]، فالذين آمنوا الإيمان التام الذي لم تشبه شوائب الشرك الأكبر المنافي لجميعه، ولا الشرك الأصغر المنافي لكماله، ولا معاصي اللّٰه المحبطة لثمراته من الطاعات، فأولئك لهم الأمن التام

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢) ومسلم (١٢٤).

من خزي الدنيا وعذاب الآخرة، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة. وبحسب ما ينقص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداء، فباجتناب الشرك الأكبر والأصغر يحصل مطلق الأمن والاهتداء، وباجتناب المعاصي يحصل تمامهما. ثم قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)﴾ [الأنعام: الآية ٨٣].

وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٨) قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧)﴾ [الأنبياء: ١٥] إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢)﴾ [الشعراء: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٤) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)﴾ إلى آخر الآيات. وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ

لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم: ١٤]، فبين لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ولا تقدر على جلب خير ولا دفع شر ولا تغني عنه شيئًا. فتبين بذلك أن عبادة مثل هذا جهل وضلال. ثم بين له أن عنده دواء ذلك الداء، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالى: ﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: الآية ٤٣] وبين أن فعله ذلك عبادة للشيطان، موجب لعذاب الرحمن وولاية الشيطان، عياذًا بالله من ذلك. وقال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ٦١] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٦٢]، وقال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ * وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ الآيات وغيرها. وكذلك قص الله تعالى علينا عن جميع الرسل من نوح إلى محمد ﷺ فقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ۛ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۛ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ الآيات. ولو ذهبنا نذكر قصص الرسل ومحاورتهم مع قومهم وعواقب ذلك لطال الفصل. وأما نبينا محمد ﷺ وسيرته في قومه وصبره على أذاهم وما جرى له معهم فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك.

«**وأنزل**» اللَّه ﷻ «**الكتاب**» اسم جنس لكل كتاب أنزله اللَّه ﷻ على رسله وأشهرها الأربعة وهي التوراة على موسى موعظة وتفصيلًا لكل شيء. والإنجيل على عيسى فيه هدى ونور ومصدقًا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين. والزبور على داود الذي كان إذا قرأه أوبت معه الجبال والطير، والقرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ بالحق مصدقًا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه.

«**والتبيانا**» من عطف التفسير الذي هو أعم من المفسر لأن التبيان منه المتعبد بتلاوته والعمل به وهو الكتاب. ومنه المتعبد بالعمل به فقط وهو السنة وما في معناها. «**من أجله**» أي من أجل التوحيد «**وفرق الفرقانا**» إذ يقول تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦] الآيات. وسنذكر إن شاء اللَّه تعالى أصل عبادة الأصنام وغيرها في فصل بيان ضد التوحيد الذي هو الشرك وباللَّه التوفيق.

وكَلفَ اللَّهُ الرسولَ المُجْتَبَى	قِتَالَ مَن عنهُ تَوَلَّى وَأَبَى
حتى يكونَ الدينُ خَالِصًا لَهُ	سِرًّا وجهرًا دِقُّهُ وجِلُّهُ
وهكذا أمتهُ قد كُلِّفوا	بِذَا وفي نصِّ الكتابِ وُصِفُوا

«**وكلف اللَّه**» تعالى أي أمر افتراض، «**الرسول المجتبى**» نبينا محمدًا ﷺ، «**قتال**» مفعول كلف الثاني، «**من عنه**» عن التوحيد، «**تولى وأبى**» أي أعرض وامتنع، «**حتى**» غاية للقتال، «**يكون الدين خالصًا له**» أي للَّه ﷻ، «**سرًّا وجهرًا**» لا معارض له ولا مشاق، «**دقه وجله**» أي قليل العبادة وكثيرها وصغيرها وكبيرها. قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: الآية ٧٣] الآية، وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ [النساء: الآية ٨٤]. وقال تعالى ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: الآية ١٩٣]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة: الآية ٥] وغير ذلك من الآيات في البقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة والقتال والحديد والصف وغيرها،

وقال ﷺ: «أُمِرتُ أنْ أُقَاتِلَ الناسَ حتى يشْهَدُوا أنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَيقِيمُوا الصَّلاةَ وَيؤتُوا الزَّكَاةَ فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُم إلا بِحَقِّ الإِسْلامِ وَحِسَابُهُم عَلَى اللَّهِ ﷻ»[1] الحديث في الصحيح، ولو ذهبنا نذكر آيات الجهاد وأحاديثه لطال الفصل وليس هذا موضع بسطها.

«وهكذا» كما كلف ﷺ بجهاد الكفار «أمته» المستجيبون له «قد كلفوا بذا» أي الذي كلف به «وفي نص الكتاب» القرآن «وصفوا» أي بذلك كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: الآية ٢٩] الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] والآيات قبلها وبعدها، ولو لم يكن في ذلك إلا قول ربي ﷻ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: الآية ١١١]، لكانت هذه الآية كافية في نعش القلوب وتهييج النفوس وتشويقها وحملها على تلك البيعة الرابحة التي لا خطر لها ولا يحاط بعظم فضلها، والله المستعان.

ما حوته لفظة الشهادة

وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَه	فَهْيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَه
مَنْ قَالَهَا مُعْتَقِدًا مَعْنَاهَا	وَكَانَ عَامِلًا بِمُقْتَضَاهَا
فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَمَاتَ مُؤْمِنَا	يُبْعَثُ يَوْمَ الْحَشْرِ نَاجٍ آمِنَا

«وقد حوته» أي جمعته واشتملت عليه «لفظة الشهادة» أي شهادة أن لا إله إلا الله «فهي» أي هذه الكلمة «سبيل الفوز» بدخول الجنة والنجاة من النار، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٥]، «و» هي سبيل «السعادة» في الدارين أي طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله وأنزل بها كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار. وفي شأنها تكون الشقاوة

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢١) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

والسعادة، وبها تؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء في النار.

وبها أخذ اللّه الميثاق، وعليها الجزاء والمحاسبة، وعنها السؤال يوم التلاق. إذ يقول تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [الأعراف: الآية ٦]، فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ۝﴾ [القصص: الآية ٦٥] والآيات قبلها وبعدها وغير ذلك. وأما سؤاله المرسلين فمنه قوله تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ۝﴾ [المائدة: الآية ١٠٩] وغير ذلك من الآيات، وهي أعظم نعمة أنعم اللّه ﷻ بها على عباده أن هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحل التي هي سورة النعم، فقدمها أولًا قبل كل نعمة فقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۝﴾ [النحل: الآية ٢]، وهي كلمة الشهادة ومفتاح دار السعادة، وهي أصل الدين وأساسه ورأس أمره وساق شجرته وعمود فسطاطه، وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعة عنها، متشعبة منها. مكملات لها، مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها، فهي العروة الوثقى التي قال اللّه ﷻ: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٥٦]، قاله سعيد بن جبير والضحاك[1]، وهي العهد الذي ذكر اللّه عزوجل إذ يقول: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝﴾ [مريم: الآية ٨٧]، قال ذلك عبداللّه بن عباس ﷺ قال: هو شهادة أن لا إله إلا اللّه، والبراءة من الحول والقوة إلا باللّه، وأن لا يرجو إلا اللّه ﷻ[2]. وهي الحسنى التي قال اللّه ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝﴾ [الليل: ٥] الآيات، قاله أبو عبد الرحمن السلمي والضحاك ورواه عطية

(١) ضعيف الإسناد: أما أثر سعيد بن جبير فأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٠) من طريق جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير أن العروة الوثقى هي لا إله إلا الله، لكن ذكر ابن منده أن جعفر ليس بالقوي في روايته عن سعيد بن جبير، وهذا منه، وانظر «التهذيب» (٢/ ١٠٨) وأما أثر الضحاك فأخرجه ابن جرير (٣/ ٢٠) وفي إسناده جويبر وهو متروك.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ١٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا منقطع.

عن ابن عباس[١]. وهى كلمة الحق التى ذكر الله ﷻ إذ يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٨٦]، قال ذلك البغوى[٢]. وهى كلمة التقوى التى ذكر الله ﷻ إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: الآية ٢٦]، روى ذلك ابن جرير وعبد الله بن أحمد والترمذى بأسانيدهم إلى أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ[٣]. وهى القول الثابت الذي ذكر الله ﷻ إذ يقول تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧]، أخرجاه في الصحيحين عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ[٤]. وهى الكلمة الطيبة المضروبة مثلًا قبل ذلك إذ يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٤]، قاله على ابن طلحة عن ابن عباس، أصلها ثابت في قلب المؤمن، وفرعها العمل الصالح في السماء صاعد إلى الله ﷻ[٥]. وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وغير

---

(١) **صحيح إلى أبي عبدالرحمن السلمي**: ضعيف عن الضحاك وابن عباس، أخرج الآثار الثلاثة ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٢٢٠) أما أثر أبي عبدالرحمن السلمي فصحيح إليه، وأما الضحاك ففي الإسناد إليه مبهم، وأما ابن عباس فهو من طريق العوفيين.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (٧/ ٢٢٤).

(٣) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه الترمذي (٣٢٦٥) وعبدالله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٨) والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٩٩ح ٥٣٦) عن الحسن بن قزعة عن سفيان بن حبيب عن شعبة عن ثوير عن أبيه عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه مرفوعًا.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من حديث الحسن بن قزعة.
قال: وسألت أبا زرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه.
قلت (يحيى): إسناده ضعيف لضعف ثوير وهو ابن أبي فاختة.
لكن له شاهد أخرجه أحمد (١/ ٦٣) من طريق سعيد عن قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران ابن أبان عن عثمان بن عفان، وهذا إسناد رجاله ثقات لكن ذكر القطان أن قتادة لم يسمع من مسلم بن يسار وانظر «التهذيب» (١٠/ ١٤٠) وله شاهد ثان أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٦٧ح ١٢٧٢) من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة، لكن فيه إشكال: هل تفسير كلمة التقوى في حديث أبي هريرة بأنها لا إله إلا الله من المرفوع للنبي ﷺ أم من الموقوف؟ الأظهر والله أعلم أنها من الموقوف على أبي هريرة.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٦٩- ٤٦٩٩) ومسلم (٢٨٧١) من حديث البراء وفسر في رواية البخاري بأن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وفي رواية مسلم بأن يقول: ربي الله ونبي محمد ﷺ.

(٥) **ضعيف الإسناد**: للانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس، والأثر أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٣١) من طريق علي عن ابن عباس به، ولم يعزه.

واحد[1]. وهي الحسنة التي ذكر اللَّه ﷻ إذ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٦٠]، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [النمل: الآية ٨٩]، قال ذلك زين العابدين وإبراهيم النخعي[2]، وعن أبي ذر مرفوعًا «هي أحسن الحسنات، وهي تمحو الذنوب والخطايا»[3]. وهي المثل الأعلى الذي ذكر اللَّه ﷻ إذ يقول: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: الآية ٢٧]، قال ذلك قتادة ومحمد بن جرير، ورواه مالك عن محمد بن المنكدر[4] وهي سبب النجاة كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ سمع مؤذنًا يقول: أشهد أن لا إله إلا اللَّه» فقال ﷺ: «خَرَجْتَ مِنَ النَّارِ»[5] وفيه عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَنْ شَهِدَ أنْ لَا إلَهَ إلا اللَّهُ وأنَّ مُحَمدًا رَسُولُ اللَّهِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيهِ النَّارَ»[6] وفي حديث الشفاعة الآتي إن شاء اللَّه تعالى: «أخْرِجُوا مِنَ النارِ مَنْ قَالَ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ. وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن إيمَانٍ»[7]. وهي سبب دخول الجنة كما في «الصحيحين» عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن قَالَ أَشْهَدُ أنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شريك لَهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ ورَسُولُهُ وأنَّ عِيسَى عَبدُ اللَّهِ وابنُ أمَتِهِ وكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنهُ وأنَّ الجنَّةَ حَقٌّ وأنَّ النَّارَ حَقٌّ أدخَلَهُ اللَّهُ الجنةَ مِن أي أبوابِ الجنةِ الثَّمَانيةِ شَاءَ». وفي رواية: «أدْخَلَهُ اللَّهُ الجنةَ عَلَى مَا كَانَ مِن عَمَلٍ»[8]. وهي أفضل ما ذكر اللَّه ﷻ به، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة كما في «المسند» عن عبد اللَّه بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ: «أنَّ نُوحًا ﷺ قَالَ لابنِهِ عِندَ مَوتِهِ: آمُرُكَ بِلَا إلَهَ إلا اللَّهُ

(١) أورده عنهم ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٣١).
(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٨/ ١٠٩) من كلام إبراهيم النخعي وفي إسناده أبو معشر وهو ضعيف، لكن صح تفسير الحسنة بأنها لا إله إلا الله من كلام ابن مسعود وغيره، أخرجه ابن جرير أيضًا.
(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٨/ ١١٠) وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤١١) من طريق شيخ من بني التيم عن أبي ذر مرفوعًا وإسناده ضعيف والشيخ مبهم.
(٤) صحيح إلى قتادة وابن جرير: أخرج ابن جرير أثر قتادة في «تفسيره» (٢١/ ٣٨) بإسناد حسن، واختاره ابن جرير، وأما أثر محمد بن المنكدر فأورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٣٢).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٢) وغيره من حديث أنس.
(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩) والترمذي (٢٦٣٨) وغيرهما.
(٧) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وسبق.
(٨) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٣٥) ومسلم (٢٨) بالروايتين المذكورتين.

فإنَّ السمَوَاتِ السبعَ والأرْضِينَ السبعَ لَو وُضِعنَ في كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لا إلهَ إلا اللَّهُ في كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ لا إلهَ إلا اللَّهُ، وَلَو أنَّ السَّمواتِ السبعَ والأرْضِينَ السبعَ كُلٌّ حَلَقَةٍ مُبهمَةٌ لَقَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ»(١). وفيه عنه أيضًا عن النبي ﷺ: «أن موسى عليه الصلاة والسلام قال: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلا اللَّه. قال موسى: يا رب كل عبادك يقولون هذا. قال: يا موسى قل لا إله إلا اللَّه، قال: لا إله إلا اللَّه، إنما أريد شيئًا تخصني به. قال: يا موسى لو أن السموات السبع والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة ولا إله إلا اللَّه في كفة مالت بهن لا إله إلا اللَّه»(٢). وفي الترمذي والنسائي في «المسند» عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «إنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِن أمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلائِقِ يومَ القِيامَةِ فَينشرُ عَلَيهِ تِسعةً وَتِسعينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مثلُ مدِّ البَصَرِ ثم يقُولُ: أتُنكِرُ مِن هذَا شَيئًا، أظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فيقُولُ: لا يا رَبِّ. فَيقُولُ: أفَلَكَ عُذرٌ؟ فَيقُولُ: لا يا رَبِّ. فيقُولُ: بَلَى أنَّ لَكَ عِندَنَا حَسَنَة، وأنَّه لا ظُلمَ عَلَيكَ اليومَ، فَيخرجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أنْ لَا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَأشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيقُولُ: احضُر وَزْنَكَ فيقُولُ: يا رَبِّ مَا هذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجلاتِ؟ فقَالَ: فَإنَّكَ لا تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ والبِطَاقَةُ فِي كفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاتُ وثَقُلَتِ البِطَاقَةُ ولا يثْقُلُ مَعَ

(١) صحيح لشواهده: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٩) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٨) عن حماد بن زيد عن الصقعب بن زهير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا.
وهذا إسناد صحيح لا علة له إلا تردد حماد بن زياد في الجزم بشيخ زيد بن أسلم، حيث قال: أظنه عن عطاء، وهذا التردد مما يوهن الإسناد، لكن له شاهد أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦٨) من طريق صالح بن سعيد عن سليمان بن يسار عن رجل من الأنصار مرفوعًا بنحوه، وصالح قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول.
قلت: فحديثه صالح في الشواهد، وبه يتقوى حديث حماد بن زيد، والله أعلم.

(٢) ضعيف الإسناد: وليس هو في «المسند» كما ذكر المصنف ولا من حديث عبدالله بن عمرو، إنما أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٧٠)، (١٠٩٨٠) وابن حبان (٦٢١٨) والحاكم (١٩٣٦) وأبو يعلى (١٣٩٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٢٨) من طريق دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، وهذا إسناد ضعيف.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٢) وعزاه لأبي يعلى من حديث أبي سعيد.
قلت: وهذا المتن الأصح فيه الوقف، وهو من كلام كعب الأحبار، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٤٦٣) بإسناد صحيح عن كعب.

اسم اللَّهِ تَعَالَى شَيْءٌ»[١] قال الترمذي هذا حديث حسن غريب. وهى التى لا يحجبها شيء دون اللَّه ﷻ كما في «الترمذى» عن عبد اللَّه بن عمرو ؓ قال: لا إله إلا اللَّه ليس لها دون اللَّه حجاب حتى تصل إليه[٢] وفيه أيضًا عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من عبد قال لا إله إلا اللَّه مخلصًا إلا فتحت لها أبواب السماء حتى تفضى إلى العرش**»[٣]، وهى الأمان من وحشة القبور وهول الحشر كما في المسند وغيره عن النبي ﷺ قال: «**ليس على أهل لا إله إلا اللَّه وحشة في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إله إلا اللَّه وقد قاموا ينفضون التراب عن رءوسهم يقولون: الحمد للَّه الذي أذهب عنا الحزن**»[٤].

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وابن ماجة (٤٣٠٠) وأحمد (٢/ ٢١٣) وابن المبارك في الزهد (٣٧١) وابن حبان (٢٢٥) والحاكم (٩، ١٩٣٧) والبيهقي في «الشعب» (٢٨٣) من طرق عن الليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبدالرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا وإسناده صحيح، وصححه الحاكم، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٥١٨) وقال: حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي.
قلت: في إسناده عبدالرحمن بن زياد بن أنعم وهو ضعيف.

(٣) في إسناده ضعف: أخرجه الترمذي (٣٥٩٠) والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٦٩) من طريق الوليد ابن القاسم الهمداني عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعًا به، بزيادة: «ما اجتنب الكبائر». وقال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه.
قلت: يزيد بن كيسان فيه كلام يسير، أما الوليد ففى تفرداته كلام والأقرب ضعفها. والله أعلم.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩/ ١٨١ح ٩٤٧٨) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٧١) والبيهقي في «الشعب» (١٠٠) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ٢٦٦) من طريق يحيى الحماني عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعًا، وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٦٥) من طريق عبدالرحمن بن واقد أبي مسلم عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم به، وإسناده ضعيف لضعف عبدالرحمن بن زيد ويحيى الحماني وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٩/ ١٧١ح ٩٤٤٥) من طريق آخر فيه مجاشع بن عمرو، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٢) وعزاه للطبراني في «الأوسط» من طريقين أعل الأول بيحيى الحماني والآخر بمجاشع بن عمرو، قال: وكلاهما ضعيف. وأورده (١٠/ ٣٣٣) وقال: رواه الطبراني وفيه جماعة لم أعرفهم.
قلت: وله إسناد ثالث عن ابن عمر أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٠٢) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٥) من طريق بهلول بن عبيد عن سلمة بن كهيل عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وبهلول متهم بسرقة الحديث، وله إسناد رابع أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٦٨) وخيثمة بن سليمان في كتابه (ص١٩٧) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٠٥) من طريق محمد بن سعيد الطائفي عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مرفوعًا، والطائفي تالف وترجمته «بالتهذيب» (٩/ ١٩١). وجزم أبو نعيم بأن حديثه موضوع.

واعلم أن النصوص الواردة في فضل هذه الشهادة كثيرة لا يحاط بها، وفيما ذكرنا كفاية، وسنذكر إن شاء اللَّه تعالى عند ذكر شروطها ما تيسر من نصوص الكتاب والسنة، ويكفيك في فضل لا إله إلا اللَّه أخبار النبي ﷺ أنها أعلى جميع شعب الإيمان، كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ- أو بضعٌ وَسِتونَ- شُعْبَة فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وأدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»[1] الحديث. وهذا لفظ مسلم.

«**من قالها**» أي قال هذه الكلمة حال كونه «**معتقدًا**» أي عالمًا ومتيقنًا «**معناها**» الذي دلت عليه نفيا وإثباتًا «**وكان**» مع ذلك «**عاملًا بمقتضاها**» على وفق ما علمه منها وتيقنه فإن ثمرة العلم العمل به «**في القول**» أي قول القلب واللسان «**والفعل**» أي عمل القلب واللسان والجوارح قال اللَّه ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾، «**ومات مؤمنًا**» أي على ذلك، وهذا شرط لا بد منه فإنما الأعمال بالخواتيم قال ﷺ: «**مَا مِن عَبدٍ قَالَ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الجنةَ**»[2] الحديث في الصحيحين عن أبي ذر بطوله «**يبعث يوم الحشر**» أي يوم الجمع «**ناج**» من النار «**آمنًا**» من فزع يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ۝١٠٢ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝١٠٣﴾، وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ۝٨٩﴾ [النمل: الآية ٨٩].

معنى لا إله إلا الله

فإنَّ معناها الذي عليه	دلَّت يقينًا وهدَتْ إليه
أنْ ليسَ بالحقّ إلهٌ يعْبَدُ	إلا الإلهُ الوَاحدُ المنفَرِدُ
بالخَلقِ والرزقِ وبالتدْبِيرِ	جل عنِ الشريك والنَّظِيرِ

«**فإن معناها**» أي معنى هذه الكلمة «**الذي عليه**» متعلق بقوله «**دلت**» بصريح لفظها «**وهدت**» أي أرشدت «**إليه**» هو «**أن ليس بالحق**» متعلق يعبد «**إله**» هو اسم ليس ومنفيها

(١) صحيح: ولم يخرجه البخاري بهذا اللفظ، وإنما أخرجه مسلم (٣٥) وأما البخاري فأخرجه بلفظ: «الإيمان بضع وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان». وكذا أخرجه مسلم (٣٥) أيضًا.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٨٢٧) ومسلم (٩٤).

والنكرة في سياق النفى تعم والحكم المنفى «يعبد» الذي هو متعلق بالحق والاستحقاق فيخرج ما عبد بباطل، ولذا سماه المشركون إلهًا فتسميته بذلك باطلة فلا يستحق أن يعبد. فمعنى لا إله إلا اللَّه: لا معبود بحق إلا اللَّه، لا إله نافيا جميع ما يعبد من دون اللَّه فلا يستحق أن يعبد، إلا اللَّه مثبتًا العبادة للَّه فهو الإله الحق المستحق للعبادة، فتقدير خبر لا المحذوف بحق هو الذي جاءت به نصوص الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء اللَّه، وأما تقديره بموجود فيفهم منه الاتحاد، فإن الإله هو المعبود، فإذا قيل لا معبود موجود إلا اللَّه، لزم منه أن كل معبود عبد بحق أو باطل هو اللَّه فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمر والنجوم والأشجار والأحجار والملائكة والأنبياء والأولياء وغير ذلك هى اللَّه فيكون ذلك كله توحيدًا، فما عبد على هذا التقدير إلا اللَّه إذ هى هو، وهذا والعياذ باللَّه أعظم الكفر وأقبحه على الإطلاق، وفيه إبطال لرسالات جميع الرسل وكفر بجميع الكتب وجحود لجميع الشرائع وتكذيب بكل ذلك وتزكية لكل كافر من أن يكون كافرًا إذ كل ما عبده من المخلوقات هو اللَّه فلم يكن عندهم مشركًا بل موحدًا، تعالى اللَّه عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، فإذا فهمنا هذا فلا يجوز تقدير الخبر موجود. إلا أن ينعت اسم لا بحق فلا بأس ويكون التقدير لا إله حقًّا موجود إلا اللَّه، فبقيد الاستحقاق ينتفى المحذور الذي ذكرنا.

«**إلا الإله الواحد المنفرد. بالخلق والرزق وبالتدبير**». إلخ وهو اللَّه ﷻ، أى هو الإله الحق، فكما تفرد تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة والإيجاد والإعدام والنفع والضر والإعزاز والإذلال والهداية والإضلال وغير ذلك من معانى ربوبيته ولم يشركه أحد في خلق المخلوقات ولا في التصرف في شيء منها، وتفرد بالأسماء الحسنى والصفات العلى ولم يتصف بها غيره ولم يشبهه شيء فيها فكذلك تفرد سبحانه بالإلهية حقًّا فلا شريك له فيها ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾ [لقمان: الآية ٣٠]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾، ﴿لَّقَدْ

كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [المائدة: الآية ٧٣]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: الآية ٣٨]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [فاطر: الآية ٤٠]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٤]، ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّاۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: الآية ١٦]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

[شروط يتوقف عليها الانتفاع بالشهادة]

وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِدَتْ	وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ
فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا	بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا

«وبشروط سبعة» متعلق بقيدت «قد قيدت» أي: قيد بها انتفاع قائلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوز بالجنة والنجاة من النار. «وفي نصوص الوحي» من الكتاب والسنة «حقًّا وردت» صريحة صحيحة «فإنه» أي: الشأن وذلك علة تقييدها بهذه الشروط السبعة «لم ينتفع قائلها» أي: قائل لا إله إلا اللّه «بالنطق» أي: بنطقه بها مجردًا «إلا حيث يستكملها» أي: هذه الشروط السبعة، ومعنى استكمالها اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ولو قيل له اعددها لم يحسن ذلك. وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها، والتوفيق بيد اللّه، واللّه المستعان.

العـلـمُ والـيـقـيـنُ والـقَـبـولُ والانـقـيـادُ فـادرِ مَـا أقُـولُ
والصدقُ والإخلاصُ والمَحَبَّة وَفَّـقَـكَ الـلَّـهُ لِـمَـا أحَـبَّـه

هذا تفصيل الشروط السبعة السابق ذكرها التي قيدت بها هذه الشهادة، فاصغ سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعقلها، ثم اعمل على وفق ذلك، تفز بسعادة الدنيا والآخرة إن شاء اللّه ﷻ كما وعد اللّه تعالى ذلك إنه لا يخلف الميعاد:

[العلم بمعناها]

الأول «العلم» بمعناها المراد منها نفيا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك، قال اللّه ﷻ: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: الآية ١٩]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزخرف: الآية ٨٦]، أي: بلا إله إلا اللّه ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٥]، بقلوبهم معنى ما نطقوا به بألسنتهم. وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ [آل عمران: الآية ١٨]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: الآية ٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: الآية ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت: الآية ٤٣]، وفي الصحيح عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يعلَمُ أنَّه لَا إله إلَّا اللَّهُ دَخَلَ الجَنَّةَ»[1].

[اليقين المنافي للشك]

«واليقين» أي: والثاني اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، فإن الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظن، فكيف إذا دخله الشك، قال اللّه ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: الآية ١٥]، فاشترط في صدق إيمانهم باللّه ورسوله كونهم لم يرتابوا، أي لم يشكوا، فأما المرتاب فهو من المنافقين- والعياذ باللّه- الذين قال اللّه تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ٤٥﴾ [التوبة: الآية ٤٥]، وفي الصحيح من حديث

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦) وأحمد (١/ ٦٥، ٦٩) وابن حبان (٢٠١).

أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَشْهَدُ أن لَا إلهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لا يلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عَبدٌ غَيرُ شَاكٍّ فِيهِمَا إلا دَخَلَ الجنةَ»(١)، وفي رواية: «لا يلْقَى اللَّهُ بِهِمَا عبدٌ غَيرُ شَاكٍّ فِيهِمَا فَيحْجَبُ عَنِ الجنةِ»(٢). وفيه عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبي ﷺ بعثه بنعليه فقال: «مَن لَقِيتَ مِن وَرَاءِ هَذَا الحَائطِ يشْهَدُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ مُسْتَيقِنًا بِهَا قَلبهُ فَبَشِّرهُ بِالجنةِ»(٣) الحديث. فاشترط في دخول قائلها الجنة أن يكون مستيقنًا بها قلبه غير شاك فيها، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

[القبول لما تضمنته]

«و» الثالث «القبول» لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قص الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها وانتقامه ممن ردها وأباها كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ (٢٣) ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٢٤) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٢٥)﴾، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٣)﴾ [يونس: الآية ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٧)﴾ [الروم: الآية ٤٧]، وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعده لمن ردها من العذاب، كما قال تعالى: ﴿۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ (٢٤)﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ (٣٦)﴾، فجعل الله تعالى علة تعذيبهم وسببه هو استكبارهم عن قول لا إله إلا الله، وتكذيبهم من جاء بها، فلم ينفوا ما نفته ولم يثبتوا ما أثبتته، بل قالوا إنكارًا واستكبارًا ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ (٥) وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ (٧)﴾، وقالوا ههنا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ﴾ [الصافات: الآية ٣٦]، فكذبهم الله عز وجل ورد ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٣٧)﴾ [الصافات: ٣٧]

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧) وابن حبان (٦٥٣٠) وأبو يعلى (١١٩٩).

(٢) صحيح: وهي رواية ابن حبان وأبي يعلى، ورواية لمسلم.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣١) وابن حبان (٤٥٤٣) من حديث أبي هريرة.

إلى آخر الآيات، ثم قال في شأن مَنْ قَبلَها: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾، إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾﴾[النمل: الآية ٨٩]، وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ مَا بعثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الهُدَى والعِلم كَمَثَلِ الغَيثِ الكَثِيرِ أصَابَ أرْضًا فكَانَ مِنهَا نَقِيةٌ قَبِلَتِ الماءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَت مِنهَا أَجَادِبُ أمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللَّهُ بِهَا الناسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوا وَزَرَعُوا، وأَصَابَ مِنهَا طَائِفَةً أُخْرَى إنما هِي قِيعَانٌ لا تُمْسِكُ مَاءً ولا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَن فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَن لَم يرْفَعْ بِذَلِكَ رَأسًا وَلَم يقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].

[الانقياد لما دلت عليه]

«و» الرابع «الانقياد» لما دلت عليه، المنافي لترك ذلك، قال الله ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[النساء: الآية ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[لقمان: الآية ٢٢] أي: بلا إله إلا الله ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[لقمان: الآية ٢٢]، ومعنى يسلم وجهه أي: ينقاد، وهو محسن موحد. ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسنًا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعني بقوله ﷻ بعد ذلك: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾، وفي حديث صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يؤمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يكُونَ هَوَاهُ تبَعًا لمَا جِئتُ بِهِ»[2] وهذا هو تمام الانقياد وغايته.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٩) ومسلم (٢٢٨٢) من حديث أبي موسى.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥) والبيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص١٨٨ ح ٢٠٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٨) من طريق نعيم بن حماد عن عبدالوهاب الثقفي عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عقبة بن أوس عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا، وأورده النووي رحمه الله في كتابه «الأربعين النووية» الحديث (٤١) وقال: صحيح رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح، وأورده ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٣٢٢ شرح حديث ٧٣٠٨) وقال: أخرجه الحسن بن سفيان وغيره ورجاله ثقات وقد صححه النووي في آخر الأربعين. اهـ.

وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٣٨٧ شرح حديث ٤١): قال الحافظ أبو موسى المديني: هذا الحديث مختلف فيه على نعيم، وقيل فيه: حدثنا بعض مشيختنا مثل هشام وغيره. =

[الصدق المنافي للكذب]

«و» الخامس «الصدق» فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقًا من قلبه يواطىء قلبه لسانه، قال الله ﷻ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝٣﴾، إلى آخر الآيات. وقال تعالى في شأن المنافقين الذين قالوها كذبًا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾، وكم ذكر الله تعالى من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارهم وهتكها وأبدى فضائحهم في غير ما موضع من كتابه كالبقرة وآل عمران والنساء والأنفال والتوبة وسورة كاملة في شأنهم وغير ذلك. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**مَا مِن أَحَدٍ يشهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِن قَلْبِهِ إلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**»[1] فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجرد التلفظ بدون مواطأة القلب. وفيها أيضًا من حديث أنس بن مالك وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما من قصة الأعرابي وهو ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر لما سأل رسول الله ﷺ عن شرائع الإسلام فأخبره، قال: هل علي غيرها؟ قال: «**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**»، قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص منها، فقال رسول الله ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»[2]، وفي بعض الروايات «**إِنْ صَدَقَ**

= قلت (ابن رجب): تصحيح هذا الحديث بعيد جدًا من وجوه.

قلت (يحيى): ثم ذكر ابن رجب رحمه الله ثلاثة أوجه يضعف بها الحديث وهي:

انفراد نعيم بن حماد به، ونعيم متكلم فيه.

والثاني: أنه اختلف في إسناده فتارة عن الثقفي عن هشام، وتارة عن الثقفي عن مشيختنا هشام أو غيره، وتارة عن الثقفي حدثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام.

والوجه الثالث: أن في إسناده عقبة بن أوس وثقه العجلي وابن سعد وابن حبان، وقال ابن عبدالبر مجهول.

قلت (يحيى): والتعويل في تضعيف الحديث عندي على الوجه الثاني وهو الاختلاف في إسناده.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦) ومسلم (١١) من حديث طلحة بن عبيدالله مرفوعًا، وأخرجه مسلم (١٢) من حديث أنس مرفوعًا.

لَيَدْخُلَنَّ الجنةَ»[١] فاشترط في فلاحه ودخول الجنة أن يكون صادقًا .

[الإخلاص]

«و» السادس «**الإخلاص**» وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[الزُّمَر: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البيِّنة: الآية ٥] الآية، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[الزُّمَر: الآية ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾﴾[الزُّمَر: الآية ١١]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾[الزُّمَر: الآية ١٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وغير ذلك من الآيات. وفي «الصحيح» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**أَسْعَدُ الناسِ بِشَفَاعَتِي مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِن قَلْبِهِ أو نَفْسِهِ**»[٢] وفي الصحيح عن عتبان بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ حرَّمَ عَلَى النارِ مَن قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يبْتَغِي بِذَلِكَ وَجهَ اللَّهِ عَزَّ وجلَّ**»[٣]. وفي «جامع الترمذي» عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا قَالَ عَبدٌ قَطُّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ تُفْضِي إِلَى العَرْشِ مَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**»[٤] قال الترمذي هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وللنسائي في اليوم والليلة من حديث رجلين من الصحابة عن النبي ﷺ: «**من قال لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مخلصًا بها قلبه يصدق بها لسانه إلا فتق اللَّه لها السماء فتقًا حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض، وحق لعبد نظر اللَّه إليه أن يعطيه سؤله**»[٥].

---

(١) **صحيح**: وهي من رواية مسلم لحديث أنس بن مالك (١٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٩٩، ٦٥٧٠) وأحمد (٢/ ٣٧٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٢٥) ومسلم (٣٣).

(٤) **في إسناده ضعف**: أخرجه الترمذي (٣٥٩٠) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦٩) وسبق الكلام عنه.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (ص١٥٠ح ٢٨) وفي «السنن الكبرى» (٩٨٥٦) من طريق محمد بن عبدالله بن ميمون عن يعقوب بن عاصم عن رجلين من الصحابة مرفوعًا به، وإسناده ضعيف محمد بن عبدالله مجهول ويعقوب مجهول الحال.

[المحبة لكلمة التوحيد ولما اقتضته]

«و» السابع «**المحبة**» لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها وبغض ما ناقض ذلك، قال اللّه ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾ [المائدة: الآية ٥٤]، فأخبرنا اللّه ﷻ أن عباده المؤمنين أشد حبًّا له وذلك لأنهم لم يشركوا معه في محبته أحدًا كما فعل مُدَّعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابّه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى اللّه ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه. وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم شرط منها قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ [الفرقان: الآية ٤٣] الآيات، وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الجاثية: الآية ٢٣] فكل من عبد مع اللّه غيره فهو في الحقيقة عبد لهواه، بل كل ما عصى اللّه به من الذنوب فسببه تقديم العبد هواه على أوامر اللّه ﷻ ونواهيه. وقال تعالى في شأن الموالاة والمعاداة فيه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: الآية ٤]، الآيات، وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢] الآية وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [المائدة: الآية ٥١]، الآيات وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝٢٣﴾ [التوبة: الآية ٢٣]، الآيتين. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: الآية ١]، إلى آخر السورة وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالى في اشتراط اتباع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾، وقال

رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أنْ يكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ ممَّا سِوَاهُمَا، وأنْ يحبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا للَّهِ، وأنْ يكرَهَ أنْ يعُودَ في الكُفرِ بَعدَ إذْ أنْقَذَهُ اللَّهُ مِنهُ كَمَا يكرَهُ أنْ يقذَفَ في النَّارِ**»[1] أخرجاه من حديث أنس ﷺ. وفيهما عنه وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمِنُ أحَدُكُم حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إليهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ والنَّاسِ أجْمَعِينَ**»[2]. وفي كتاب الحجة بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤْمِنُ أحدُكُم حتَّى يكُونَ هَواهُ تَبَعًا لما جِئتُ بِهِ**»[3] وذلك الذي جاء به الرسول ﷺ هو الخبر عن الله والأمر بما يحبه الله ويرضاه والنهى عما يكره ويأباه، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به واجتنب ما نهى الله عنه وإن كان ذلك مخالفًا لهواه كان مؤمنًا حقًا، فكيف إذا كان لا يهوى سوى ذلك. وفي الحديث: «**أوْثَقُ عُرَى الإيمانِ الحُبُّ في اللَّهِ والبُغْضُ فِيهِ**»[4]، وقال ابن عباس ﷺ: «**من أحب في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تنال ولاية الله بذلك**»[5]. وقد أصبح غالب مواخاة الناس اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يجدى على أهله شيئًا.

وقال الحسن البصري وغيره من السلف: ادعى قوم محبة الله ﷻ فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٦، ٢١) ومسلم (٤٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) من حديث أنس مرفوعًا، وأخرجه البخاري (١٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) **ضعيف الإسناد**: وسبق قريبًا.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٣٧٢ح ٦٢٤) وفي «الكبير» (١٠/ ٢٢٠ح ١٠٥٣١) والشاشي في «مسنده» (٧٧٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٠٩، ٩٥١٠) وفي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٣) من حديث ابن مسعود مرفوعًا وفي إسناده عقيل بن الجعدي وهو منكر الحديث، وبه أعله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٠) وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٢٠، ٣٤٣٣٨) والطيالسي (٧٤٧) والروياني (٣٩٩) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٩٣) والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٦ح ١٣) من حديث البراء بن عازب مرفوعًا وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف اختلط جدًا، وله طرق أخرى لا تصح متصلة ومرسلة، وقد صح هذا المتن من كلام مجاهد بن جبر أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٢١) وابن نصر (٣٩٩).

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٧٧٠) والبيهقي في «الشعب» (٩٥١٤) من طريق ليث عن مجاهد عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم.

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1] وقال البخاري رحمه اللّه: حدثنا محمد بن سنان قال: حدثنا فليح قال: حدثنا هلال بن علي عن عطاء ابن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يدْخُلُونَ الجنَّةَ إلَّا مَن أَبَى**» قالوا: يا رسول اللّه ومن يأبى؟ قال: «**مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الجنَّةَ، ومَنْ عَصَانِي فَقَد أَبَى**»[2]. قال: حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم- وأثنى عليه- حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا- أو سمعت جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه يقول: «**جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلًا فاضربوا له مثلًا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا إن مثله كمثل رجل بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أولوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدًا ﷺ فقد أطاع اللّه، ومن عصى محمدًا ﷺ فقد عصى اللّه، ومحمد ﷺ فرق بين الناس**»[3]. ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا اللّه بشهادة أن محمدًا رسول اللّه ﷺ، فإذا علم أنه لا تتم محبة اللّه ﷻ إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه، وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول اللّه ﷺ واجتناب ما نهى عنه، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول اللّه وتصديقه ومتابعته، ولهذا قرن محبته بمحبة رسول اللّه ﷺ في مواضع كثيرة من القرآن كقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[التوبة: الآية ٢٤]، وغير ذلك من الآيات.

ثم اعلم أن الأحاديث الدالة على أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار لا تناقض بينها وبين أحاديث الوعيد التي فيها: من فعل ذنب كذا فالجنة عليه حرام، أو لا

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣/ ٢٣٢) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٤١) من طرق عن الحسن كلها ضعيفة.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٨٠) وأحمد (٢/ ٣٦١) وغيرهما.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٨١) من حديث جابر.

يدخل الجنة من فعل كذا، لإمكان الجمع بين النصوص بأنها جنان كثيرة كما أخبر النبي ﷺ وبأن أهل الجنة أيضًا متفاوتون في دخول الجنة في السبق وارتفاع المنازل، فيكون فاعل هذا الذنب لا يدخل الجنة التى أعدت لمن لم يرتكبه، أو لا يدخلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنب، وهذا واضح مفهوم للعارف بلغة العرب. وكذلك لا تناقض بين الأحاديث التى فيها تحريم أهل هاتين الشهادتين على النار وبين الأحاديث التى فيها إخراجهم منها بعد أن صاروا حممًا لإمكان الجمع بأن تحريم من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد بأن تحريمه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة اللَّه ثم بشفاعة الشافعين، ثم يغتسلون في نهر الحياة ويدخلون الجنة، فحينئذ قد حرموا عليها فلا تمسهم بعد ذلك. أو يكون المراد أنهم يحرمون مطلقًا على النار التى أعدت للكافرين التى لا يخرج منها من دخلها، وهى ما عدا الطبقة العليا من النار التى يدخلها بعض عصاة أهل التوحيد ممن شاء اللَّه تعالى عقابه وتطهيره بها على قدر ذنبه، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد. وهذه إشارة كافية في هذا الموضع، وسنذكر إن شاء اللَّه تعالى بسط ذلك في موضعه عند ذكر الشفاعات، ونذكر الأحاديث التى فيها هذا وهذا، والأحاديث التى يكون بها الجمع بين ذلك. وقد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه اللَّه تعالى في هذا الباب كلامًا حسنًا بعد سياقه حديث معاذ وحديث عتبان وحديث أبي ذر وحديث عبادة وقد تقدمت مع غيرها من الأحاديث. قال: وأحاديث هذا الباب نوعان: أحدهما ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب عنها، وهذا ظاهر، فإن النار لا يخلد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص، بل يدخل الجنة ولا يحجب عنها إذا طهر من ذنوبه بالنار، وقد يعفو اللَّه عنه فيدخله الجنة بلا عقاب قبل. وحديث أبي ذر معناه أن الزنا والسرقة لا يمنعان دخول الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مرية فيه، وليس فيه أن لا يعذب عليها مع التوحيد، وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ نَفَعَتْهُ يوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يصِيبُهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا أَصَابَهُ**»[1]. الثاني فيه أن يحرم على النار، وقد حمله بعضهم على الخلود فيها أو

---

(١) صحيح: أخرجه محمد بن فضيل بن غزوان في كتاب «الدعاء» له (ص٣٥٧ح ١٥٤) عن حصين بن عبدالرحمن عن هلال بن يساف عن الأغر عن أبي هريرة وهذا إسناد حسن، وحصين متابع من منصور عند البيهقي في «الشعب» (٩٧) وابن فضيل متابع من حديج بن معاوية عند الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٢٧٤ح ٦٣٩٦) وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه الطبراني في «الصغير» (٣٩٣) وفي «الأوسط» (٤/ ١٢ح ٣٤٨٦) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧) وقال: رواه البزار والطبراني في «الأوسط والصغير» ورجاله رجال الصحيح.

على ما يخلد فيها أهلها . وهي ما عدا الدرك الأعلى من النار ، فإن الدرك الأعلى يدخله كثير من عصاة الموحدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين . وفي «الصحيحين» : «**إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يقُولُ : وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأخْرُجَنَّ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» [١] قالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا اللَّه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتض لذلك ، ولكن المقتضي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع ، وهذا قول الحسن ووهب بن منبه وهو أظهر . وقال الحسن للفرزدق وهو يدفن امرأته : «**ما أعددت لهذا اليوم؟**» قال : شهادة أن لا إله إلا اللَّه منذ سبعين سنة قال الحسن : نعم العدة ، لكنَّ للا إله إلا اللَّه شروطًا ، فإياك وقذف المحصنات [٢].

وقيل للحسن : إن ناسًا يقولون من قال لا إله إلا اللَّه دخل الجنة ، فقال : من قال لا إله إلا اللَّه فأدى حقها وفرضها دخل الجنة [٣].

وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا اللَّه؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك . وإلا لم يفتح لك [٤].

وهذا الحديث : «**إنَّ مِفْتَاحَ الجنَّةِ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ**» أخرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع عن معاذ رضي الله عنه قال : قال لي رسول اللَّه ﷺ : «**إذَا سَألكَ أهلُ اليمَنِ عن مِفتاحِ الجنةِ فقُل : لا إلَه**

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس مرفوعًا .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧٣٢) ومحمد بن أسلم الواسطي في «تاريخ واسط» (ص١٤٥) الخبر من أوله إلى قول الفرزدق : «منذ سبعين سنة» ، وأورده ابن حجر في «اللسان» (٦/ ٢٦١) ومحمد ابن عبدالغني في «تكملة الإكمال» (١/ ٣٣٤) من طرق عن الحسن ، وفي بعض ألفاظه : ستين سنة ، وفي بعضها : ثمانين سنة ، وفيه زيادة أن الحسن قال له : اثبت عليها .
وأما بقية الأثر فأورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٢٠٩) من غير عزو .

(٣) أورده النووي «شرح مسلم» (١/ ٢١٩) وابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٢١٠) وابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢٩٤ شرح حديث رقم ٦٤٤٤) من غير عزو .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٤ قبل حديث ١٢٣٧) تعليقًا بصيغة التمريض عن وهب ابن منبه ، ووصله البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٩٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٦) من طريق محمد بن عبدالملك الذماري عن محمد بن سعيد بن رمانة عن أبيه عن وهب ، وهذا إسناد تالف والذماري ضعيف ، ومحمد بن سعيد هو الطائفي كما ذكر ذلك ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٣٩) وهو متروك ، وترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٢٦٤) وابن حبان في «الثقات» (٩/ ٣٥) وسعيد بن رمانة مجهول ، ترجم له ابن حجر في «التهذيب» (٤/ ٢٨) ولم يذكر شيئًا .

إلا اللَّه»[١] ويدل على هذا كون النبي ﷺ رتب دخول الجنة على الأعمال الصالحة في كثير من النصوص، كما في «الصحيحين» عن أبي أيوب أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه، أخبرني بعمل يدخلني الجنة. قال: «**تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتقيمُ الصَّلاةَ وَتُؤتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ**»[٢] وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول اللَّه، دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «**تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِه شَيْئًا. وتُقِيمُ الصَّلاةَ المكتُوبَةَ وتُؤَدِّي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ وَتصُومُ رَمَضَانَ**» فقال الرجل: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئًا ولا أنقص منه، فقال النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّه أنْ ينظُرَ إلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجنةِ فَلْيَنْظُر إِلَى هَذَا**»[٣]. وفي المسند عن بشير بن الخصاصية قال: أتيت النبي ﷺ لأبايعه، فاشترط على شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه وأن أقيم الصلاة، وأن أوتي الزكاة، وأحج حجة الإسلام، وأن أصوم رمضان، وأن أجاهد في سبيل اللَّه، فقلت: يا رسول اللَّه، أما اثنتين فواللَّه ما أطيقهما الجهاد والصدقة. فقبض رسول اللَّه ﷺ يده ثم حركها وقال: «**فَلَا جِهَادَ، وَلَا صَدَقَةَ! فَبِمَ تَدخُل الجنةَ إذًا؟**» قلت: أبايعك، فبايعته عليهن كلهن[٤].

ففي الحديث أن الجهاد والصدقة شرط في دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج. ونظير هذا أن النبي ﷺ قال: «**أُمِرتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناسَ حتَّى يشْهَدُوا أنْ لَا**

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٣٥) من طريق أحمد بن عبيد بن ناصح وهو لين الحديث عن شبابة عن ركن بن عبدالله بن سعد وهو متروك عن مكحول الشامي عن معاذ، مرفوعًا، وأخرجه بنحوه أحمد (٥/ ٢٤٢) والبزار (٢٦٦٠) من طريق شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل مرفوعًا، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٢) وقال: رواه أحمد ورجاله وثقوا إلا أن شهرًا لم يسمع من معاذ.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٨٣) ومسلم (١٣).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٧) ومسلم (١٤).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٤) والحاكم (٢/ ٨٩ح ٢٤٢١) والطبراني في «الكبير» (٢/ ٤٤ح ١٢٣٣) وفي «الأوسط» (٢/ ٢٨ح ١١٢٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠) وفي «الشعب» (٣٢٩٦) وفي «الاعتقاد» (٢٤٨) والخطيب في «تاريخ بغداد (١/ ١٩٥) جميعًا من طريق زيد بن أبي أنيسة عن جبلة بن سحيم عن أبي المثنى العبدي عن بشير بن الخصاصية وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٩٥) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٢) وقال: رواه أحمد والطبراني في «الكبير والأوسط» ورجال أحمد موثقون. قلت (يحيى): أبو المثنى العبدي مجهول ترجمته في «التهذيب» و«تعجيل المنفعة» (ص٥١٧) وثقات ابن حبان (٥/ ٤٦٣).

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»[١] ففهم عمر وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع عن عقوبة الدنيا بمجرد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاة. وفهم الصديق ﷺ أنه لا يمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ: «**فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ مَنَعُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُم إلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ**». وقال: «**الزكاة حق المال**». وهذا الذي فهمه الصديق ﷺ قد رواه عن النبي ﷺ صريحًا غير واحد من الصحابة، منهم ابن عمر وأنس وغيرهما ﷺ، وأنه قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيقِيمُوا الصَّلاةَ ويؤتُوا الزَّكَاةَ**» ودل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: الآية ٥] الآية ولا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد، ولما قرر أبو بكر ﷺ هذا للصحابة رجعوا إلى قوله ورأوه صوابًا، فإذا علم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقًا، بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبة الآخرة.

وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولًا وما في معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود، منهم الزهري والثوري وغيرهما، وهذا بعيد جدًا، فإن كثيرًا منها كانت بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي ﷺ، وهؤلاء منهم من يقول: هذه الأحاديث منسوخة، ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط، ويلتفت هذا إلى أن زيادة النص هل هي نسخ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور، وقد صرح الثوري بأنها منسوخة، وأنه نسختها الفرائض والحدود. وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيرًا ويكون مرادهم أن آيات الفرائض والحدود تبين توقف دخول أهل الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم فصارت النصوص منسوخة أي: مبينة مفسرة، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أي: مفسرة لمعنى تلك النصوص موضحة لها.

وقالت طائفة: تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيدة في أحاديث أخر، ففي بعضها: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الجنةَ**»[٢]. وفي بعضها: «**مُسْتَيقِنًا**»[٣]. وفي

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢١) وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٨) ومسلم (٣٢) وأحمد (٥/ ٢٣٦) من حديث معاذ مرفوعًا واللفظ لأحمد.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣١).

بعضها: «**مُصَدِّقًا بِهَا قَلْبُهُ ولِسَانُهُ**»(١). وفي بعضها: «**يقُولُهَا مِنْ قَلْبِهِ**»(٢). وفي بعضها: «**قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه**»(٣). وهذا كله إشارة إلى عمل القلب وتحققه بمعنى الشهادتين، فتحققه بمعنى شهادة أن لا إله إلا اللَّه أن لا يأله قلبه غير اللَّه حبًّا ورجاء وخوفًا وطمعًا وتوكلًا واستعانة وخضوعًا وإنابة وطلبًا. وتحققه بشهادة أن محمدًا رسول اللَّه ﷺ أن لا يعبد بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ، وهذا المعنى جاء مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال: «**من قال لا إله إلا اللَّه مخلصًا دخل الجنة**» قيل: ما إخلاصها يا رسول اللَّه؟ قال: «**أن تحجزك عما حرم اللَّه عليك**»(٤) وهذا يروى من حديث أنس بن مالك وزيد بن أرقم، ولكن إسنادهما لا يصح. وجاء أيضًا من مراسيل الحسن نحوه، وتحقيق هذا المعنى وإيضاحه أن قول العبد: «**لا إله إلا اللَّه**» يقتضى أن لا إله غير اللَّه، والإله الذي يطاع ولا يعصى هيبة وإجلالًا ومحبة وخوفًا ورجاء وتوكلًا عليه وسؤالًا منه ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله لغير اللَّه ﷻ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التى هى من خصائص الإلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قوله لا إله إلا اللَّه ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٧، ٥١٨) والحاكم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بإسناد لا بأس به، وله شاهد من حديث رجلين من الأنصار أخرجه النسائي في «الكبرى» (٩٨٥٦) بإسناد ضعيف.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٦٣) وابن حبان (٢٠٤) والحاكم (٢٤٢، ١٢٩٨) من حديث عثمان بن عفان مرفوعًا.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٩٥ح ١٣٦٤) و(٩/ ١١٠ح ٩٢٧٣) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا به، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢١) وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضعيفه.

(٤) **ضعيف الإسناد جدًّا**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ١٩٧ح ٥٠٧٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٤) من حديث زيد بن أرقم مرفوعًا وفي إسنادهما: الهيثم بن جماز وهو متروك، وأخرجه الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٤٢٩) من طريق محمد بن أبي نوح وهو محمد بن عبدالرحمن بن غزوان، وهو كذاب يضع، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨) وعزاه للطبراني في «الكبير والأوسط» من حديث زيد بن أرقم، وقال: وفي إسناده محمد بن عبدالرحمن بن غزوان وهو وضاع.

قلت (يحيى): أما حديث أنس فأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٦٣) من طريق محمد بن عبدالرحمن بن غزوان أيضًا وأورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص ٢١٠) من مرسل الحسن البصري.



الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غير الله ﷻ أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل، كما ورد إطلاق الكفر والشرك على الربا وعلى الحلف بغير الله ﷻ وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثل أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: ما لي إلا الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة وإتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون. وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التي منشأها من هوى النفس أنها كفر وشرك كقتال المسلم ومن أتى حائضًا أو امرأة في دبرها ومن شرب الخمر في المرة الرابعة وإن كان ذلك لا يخرجه من الملة بالكلية. ولهذا قال السلف: كفر دون كفر، وشرك دون شرك، وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتبع قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: الآية ٤٣] قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو الذي لا يهوى شيئًا إلا ركبه[١].

وقال قتادة: هو الذي كلما هوى شيئًا ركبه وكلما اشتهى شيئًا أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع[٢]. وروى من حديث أبي أمامة مرفوعًا بإسناد ضعيف: «**ما تحت ظل السماء إله يعبد أعظم عند الله من هوى متبع**»[٣]. وفي حديث آخر: «**لا تزال لا إله إلا الله تدفع عن أصحابها حتى يؤثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك ردت عليهم ويقال لهم كذبتم**»[٤]. ويشهد لهذا، الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**تَعِسَ عَبدُ الدِّينَارِ تَعِسَ عَبدُ**

---

(١) **حسن إلى الحسن البصري**: أخرجه الفريابي في «صفة المنافق» (٤٥) عن شيبان بن فروخ حدثنا المبارك بن فضالة حدثنا الحسن... وذكره.

(٢) **صحيح إلى قتادة**: أخرج الشطر الأول منه الفريابي في صفة المنافق (٤٦) عن هدبة عن همام بن خالد عن قتادة.

وأما الأثر بطوله فأورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٢١٠) من غير عزو.

(٣) موضوع: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٠٣ح ٧٥٠٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٨) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٠١) وابن الجوزي في «الموضوعات» (١٨٠٨ بتحقيقي) من حديث أبي أمامة وهو موضوع والمتهم به الخصيب بن جحدر أو الحسن بن دينار.

(٤) ضعيف: أخرجه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٢٩٦) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ١٥٦) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٤٣ح ٢٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وفي إسناده عبدالله بن محمد بن عجلان وهو ضعيف، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٧) وعزاه للبزار وأعله بعبدالله بن محمد بن عجلان. =

الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبْدُ القَطِيفَةِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ، تَعِسَ وانتكس وإذَا شِيكَ فَلا انتَقَشَ»[١]، فدل هذا على أن من أحب شيئًا وأطاعه، وكان من غاية قصده ومطلوبه، ووالى لأجله وعادى لأجله، فهو عبده، وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه. ويدل عليه أيضًا أن اللَّه تعالى سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس: الآية ٦٠]، وقال تعالى حاكيا عن خليله إبراهيم عليه السلام لأبيه ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: الآية ٤٤] فمن لم يتحقق بعبودية الرحمن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته، ولم يخلص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: الآية ٤٢]، فهم الذين حققوا قول لا إله إلا اللَّه وأخلصوا في قولها وصدقوا قولهم بفعلهم فلم يلتفتوا إلى غير اللَّه محبة ورجاء وخشية وطاعة وتوكلًا، وهم الذين صدقوا في قول لا إله إلا اللَّه، وهم عباد اللَّه حقًّا. فأما من قال لا إله إلا اللَّه بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصية اللَّه ومخالفته فقد كذب قوله فعله، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية اللَّه في طاعة الشيطان والهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: الآية ٥٠]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: الآية ٢٦]، ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيا هذا كن عبدًا للَّه لا عبدًا للهوى، فإن الهوى يهوى بصاحبه في النار ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: الآية ٣٩]، «تَعِسَ عَبدُ الدِّرْهَم، تَعِسَ عَبد الدِّينَار»[٢]. واللَّه لا ينجو غدًا من عذاب اللَّه إلا من حقق عبودية اللَّه وحده ولم يلتفت إلى شيء من الأغيار، ممن علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفرده بالعبودية ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا. انتهى كلامه رحمه اللَّه تعالى.

= قلت: ثم أورده الهيثمي من حديث أنس بن مالك مرفوعًا وقال: رواه البزار وإسناده حسن.

لكن أورده ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ٤٨٩ ت ٧٢٠٩) وعزاه لابن منده وقال: وفي سنده حجاج بن نصير وهو ضعيف. اهـ.

قلت: وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٩٦) عن الحسن البصري قوله، ورجحه ابن الجوزي في «العلل المتناهية».

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨٨٦، ٢٨٨٧، ٦٤٣٥) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: وتخريجه ما سبق.

فصل: في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها وأن من صرف منها شيئًا لغير اللَّه فقد أشرك

قد عرفت مما قدمنا في معنى لا إله إلا اللَّه أن الإله هو المألوه الذي تألهه القلوب أي: تعبده محبة وتذللًا وخوفًا ورجاء ورغبًا ورهبًا وتوكلًا عليه وإطراحًا بين يديه واستعانة به، والتجاء إليه، وافتقارًا إليه. وذلك لا ينبغي إلا للَّه عز وجل خالق كل شيء ومصوره ومصرفه ومدبره، مبدئ الخلق ومعيده، ومحييه ومبيده، الفعال لما يريد، الذي هو على كل شيء شهيد، الذي لا ملجأ ولا منجا منه إلا إليه، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾[يونس: الآية ١٠٧]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾[فاطر: الآية ٢]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾. والعبد إن أريد به المعبد أي: المذلل المسخر دخل فيه جميع المخلوقات من جميع العالم العلوي والسفلي من عاقل وغيره ومن رطب ويابس ومتحرك وساكن وظاهر وكامن ومؤمن وكافر وبر وفاجر وغير ذلك، الكل مخلوق للَّه عز وجل مسخر بتسخيره مدبر بتدبيره، ولكل منها رسم يقف عليه وحد ينتهي إليه: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾[يس: الآية ٤٠]، كل يجري لأجل مسمى لا يتجاوزه مثقال ذرة، ذلك تقدير العليم، وتدبير العدل الحكيم. وإن أريد به العابد خص ذلك بالمؤمنين، وإن كان أكثر المشركين يعبدون اللَّه عز وجل ويتقربون إليه بكثير من العبادات. لكن لما عبدوا مع اللَّه غيره وأشركوه معه في إلهيته كانت أعمالهم هباء منثورًا ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[ابراهيم: الآية ١٨]، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾[البقرة: الآية ٢٦٤]، ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[النور: الآية ٣٩] ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾[النور: الآية ٤٠]، ذلك بأنهم ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الأعراف: الآية ٣٠]، ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾[محمد: الآية ٢٨]، وتولوا الطاغوت فأخرجوهم من النور إلى الظلمات، وعبدوا الشيطان وقد عهد اللَّه إليهم أن لا يعبدوه وبين لهم عداوته وقال: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[فاطر: الآية ٦]،

وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، فخالفوا أمر اللَّه وتولوا أعداءه وكذبوا رسله وأنبياءه وحاربوا حزبه وأولياءه. وأرادوا تشييد الكفر وإعلائه ورد الحق وإباءه. فأبى اللَّه ﷻ إلا أن يتم نوره ويظهر دينه ويعلي كلمته وينصر أولياءه ويحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ويجعل حزبه هم الغالبين، ويجعل العاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين. لكن المؤمنون هم عباده حقًّا الذين أفردوه بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ولم يشبهوه بشيء من خلقه، ولم يسووا شيئًا من خلقه به. أولئك الذين تضاعف لهم الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، كما قال تعالى في الأولى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٦٠]، وقال في الثانية: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٦١]، وقال في الثالثة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٤٥]، تولوا اللَّه فأخرجهم من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلال إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الغي إلى نور الرشاد. ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: الآية ٥٦]، ملأ اللَّه قلوبهم بنور معرفته ومحبته والشوق إلى لقائه، فلم تتسع لغيره. دنا الشيطان من قلوبهم فاحترق بنور إيمانهم فنكص على عقبه خاسئًا حسيرًا، وأيس منهم أن يطيعوه فانقلب مذمومًا مدحورًا. فعند ذلك عزَّى نفسه اللعين وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٠]، وقال ﷻ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: الآية ٤٢]، حفظوا اللَّه فحفظهم وصدقوا ما عاهدوا اللَّه عليه فلم ينكثوا أيمانهم، تعرفوا إلى اللَّه في الرخاء بالعبادة فعرفهم في الشدة بالفرج، صدقوا رسله وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره. وانكفوا عما نهى عنه، ثم تجردوا لنصرة دينه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيله ودخل الناس بذلك في دين اللَّه أفواجًا طوعًا وكرهًا، وقادوهم إلى الجنة بالسلاسل. نصروا اللَّه فنصرهم، وشكروه فشكرهم، وذكروه فذكرهم. عرفوا ما خلقوا له فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما لا يعنيهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، وتعلقت أرواحهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصة اللَّه من خلقه والمصطفون من عباده، أولئك هم أولياؤه المتقون وحزبه الغالبون، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور.

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هِيَ اسْمٌ جَامِعٌ   لِكُلِّ مَا يَرْضَى الإِلَهُ السَّامِعُ

«**ثم العبادة**» التي خلق اللَّه لها الخلق، وأخذ بها عليهم الميثاق، وأرسل بها رسله وأنزل كتبه، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار «هي اسم جامع لكل ما» يحب و«**يرضى**» مبني للمعروف فاعله «**الإله السامع**» وهو اللَّه ﷻ من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، فالظاهرة كالتلفظ بالشهادتين، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل اللَّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإغاثة الملهوف ونصر المظلوم وتعليم الناس الخير والدعوة إلى اللَّه ﷻ وغير ذلك، والباطنة كالإيمان باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وخشية اللَّه وخوفه ورجائه، والتوكل عليه والرغبة والرهبة إليه، والاستعانة به، والحب والبغض في اللَّه والموالاة والمعاداة فيه، وغير ذلك. ثم اعلم أنها لا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب. ومناط العبادة هي غاية الحب مع غاية الذل ولا تنفع عبادة بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: من عبد اللَّه بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد. اهـ. قلت: وبيان كلامهم هذا أن دعوى الحب للَّه بلا تذلل ولا خوف ولا رجاء ولا خشية ولا رهبة ولا خضوع دعوى كاذبة. ولذا ترى من يدعي ذلك كثيرًا ما يقع في معاصي اللَّه ﷻ ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونية وأنه مطيع لها، وهذا شأن المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٤٨]، وقالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ [الزخرف: الآية ٢٠]، وغير ذلك. وإمامهم في ذلك الاحتجاج هو إبليس إذ قال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: الآية ٣٩]، وإنما المحبة نفس وفاق العبد ربه: فيحب ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه ويأباه. وإنما تتلقى معرفة محاب اللَّه ومعاصيه من طريق الشرع، وإنما تحصل بمتابعة الشارع. ولذا قال الحسن رحمه اللَّه تعالى: «ادعى قوم محبة اللَّه فابتلاهم اللَّه بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٣١]، فمن ادعى محبة اللَّه ولم يك متبعًا رسوله فهو كاذب». وقال الشافعي رحمه اللَّه تعالى: «**إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدقوه حتى تعلموا متابعته لرسول اللَّه ﷺ**»[1] وكذلك الرجاء وحده إذا

(١) **صحيح إلى الشافعي**: أورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٢٣) عن ابن أبي حاتم عن يونس عن الشافعي، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٧٩) عن يونس عن الشافعي، وإسناده صحيح، ويونس=

استرسل فيه العبد تجرأ على معاصي اللّه وأمن مكر اللّه، وقد قال اللّه تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٩٩] وكذلك الخوف وحده إذا استرسل فيه العبد ساء ظنه بربه وقنط من رحمته ويئس من روحه وقد قال تعالى: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: الآية ٨٧] وقال: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: الآية ٥٦] فالأمن من مكر اللّه خسران، واليأس من روحه كفران، والقنوط من رحمة اللّه ضلال وطغيان، وعبادة اللّه ﷻ بالحب والخوف والرجاء توحيد وإيمان. فالعبد المؤمن بين الخوف والرجاء كما قال تعالى: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: الآية ٥٧] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: الآية ٩] وبين الرغبة والرهبة كما قال تعالى في آل زكرياء عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٠] فتارة يمده الرجاء والرغبة فيكاد أن يطير شوقًا إلى اللّه. وطورًا يقبضه الخوف والرهبة فيكاد أن يذوب من خشية اللّه تعالى، فهو دائب في طلب مرضاة ربه مقبل عليه، خائف من عقوباته ملتجئ منه إليه، عائذ به منه راغب فيما لديه. وكذلك هو في صفات اللّه ﷻ لا ناف ولا مشبه. وفي أفعال العباد لا جبرى ولا قدرى، وفي أصحاب رسول اللّه ﷺ أهل بيته ليس بذى النصب ولا التشيع. وفي الوعد والوعيد ليس بخارجي ولا مرجئ. فدين اللّه بين الغلو والجفاء والتفريط والإفراط، وخير الأمور الأوساط. وللعبادة ركنان لا قوام لها إلا بهما وهما: الإخلاص والصدق.

وحقيقة الإخلاص: أن يكون قصد العبد وجه اللّه ﷻ والدار الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: الآية ٢٠] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ

= هو ابن عبد الأعلى الصدفي.

ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾، وفي «الصحيحين» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إنمَا الأعْمَالُ بالنِّياتِ وَإنمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى، فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فهِجْرَتُهُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ومَن كَانَت هِجْرَتُهُ لِدُنيا يصِيبُهَا أو امْرَأةٍ ينكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إلَى مَا هَاجَرَ إلَيهِ**»[1] وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ لا ينظُرُ إلَى أجْسَامِكُمْ وَلَا إلَى صُوَرِكُم، وَلَكِنْ ينظُرُ إلَى قُلُوبِكُم**»[2] وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول اللّه ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاتل حمية، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل اللّه؟ فقال ﷺ: «**مَن قَاتَل لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيا فَهُوَ فِي سَبيلِ اللَّهِ**»[3] متفق عليه. ولو ذهبنا نذكر أحاديث الإخلاص لطال الفصل.

وأما الصدق: فهو بذل العبد جهده في امتثال ما أمر اللّه به، واجتناب ما نهى اللّه عنه، والاستعداد للقاء اللّه، وترك العجز، وترك التكاسل عن طاعة اللّه، وإمساك النفس بلجام التقوى عن محارم اللّه، وطرد الشيطان عنه بالمداومة على ذكر اللّه، والاستقامة على ذلك كله ما استطاع. قال اللّه تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: الآية ١١٩]، وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٣] الآية وقال تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري في صحيحه الحديث الأول، ومسلم (١٩٠٧).
(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤) وغيره.
(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٨١٠) ومسلم (١٩٠٤).

﴿ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۝١١﴾، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ [البقرة: الآية ٢١٤] الآية. وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: الآية ١٤٢] إلى قوله ﷻ ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٤٦﴾ [آل عمران: الآية ١٤٦] [آل عمران]، إلى آخر الآيات، وقال تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة: الآية ١٧٧]، وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«المؤمنُ القَوِي خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ المُؤمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيرٌ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَز، وإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلا تَقُل: لَو أَنِّي فَعَلتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُل: قَدَّرُ اللَّهِ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإنَّ لَو تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ»**[1] وفي الحديث الآخر **«الكَيسُ مَن دَانَ نفسه وعمل لما بعدَ الموتِ، والعَاجِزُ مَن أَتْبَعَ نفسَهُ هَواهَا وتمنى على اللَّه»**[2]. وإذا اجتمعت النية الصالحة والعزيمة الصادقة في هذا العبد قام بعبادة الله ﷻ.

ثم اعلم: أنه لا يقبل منه ذلك إلا بمتابعته الرسول ﷺ فيعبد الله تعالى بوفق ما شرع، وهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالى من أحد سواه، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: الآية ٨٥]، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ»**[3] وفي رواية لمسلم **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عَلَيهِ أمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**[4].

فهذه الثلاثة الأركان شروط في العبادة لا قوام لها إلا بها، فالعزيمة الصادقة شرط في

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٤) وفي «الزهد» بتحقيقي (٢٣٨١) والترمذي (٢٤٦٧) وابن ماجة (٤٢٦٠) والحاكم (١/ ٥٧) وابن المبارك في «الزهد» (١٧٠) وعبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٢٠٦ بتحقيقي) وغيرهم من حديث شداد بن أوس مرفوعًا به، ومداره على أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم الغساني وهو ضعيف.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٧١٨).

صدورها، والنية الخالصة، وموافقة السنة شرط في قبولها، فلا تكون عبادة مقبولة إلا باجتماعها، فإخلاص النية بدون صدق العزيمة هوس وتطويل أمل وتمن على الله وتسويف في العمل وتفريط فيه، وصدق العزيمة بدون إخلاص فيه يكون شركًا أكبر أو أصغر بحسب ما نقص من الإخلاص.

فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادة غير الله فنفاق، وإن كان دخل الرياء في تزيين العمل، وكان الباعث عليه أولًا إرادة الله والدار الآخرة كان شركًا أصغر بحسبه، حتى إذا غلب عليه التحق بالأكبر.

وإخلاص النية مع صدق العزيمة إن لم يكن العمل على وفق السنة كان بدعة وحدثًا في الدين وشرع ما لم يأذن الله به، فيكون ردًّا على صاحبه ووبالًا عليه والعياذ بالله، فلا يصدر العمل من العبد إلا بصدق العزيمة، ولا يقبل منه ذلك إلا بإخلاص النية واتباع السنة.

ولذا قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: الآية ٧]. قال: «أخلصه وأصوبه»[1]، يعني خالصًا من شوائب الشرك موافقًا للسنة.

وفي الحَدِيثِ مُخُّها الدُّعَاءُ ... خَوفٌ تَوكُّلٌ كَذَا الرَّجَاءُ
ورغبةٌ ورهبةٌ خشوع ... وَخَشْيةٌ إِنَابةٌ خضوع
والاستعاذَةُ والاستعانَه ... كذَا اسْتغاثةٌ بهِ سبحَانَه
والذَّبحُ والنذرُ وغيرُ ذَلكَ ... فَافْهَمْ هُدِيتَ أَوْضَحَ المَسَالِكِ
وصَرْفُ بَعضِهَا لغيرِ اللّهِ ... شِركٌ وَذَاكَ أقبحُ المَنَاهِي

«و» ثبت «في الحديث» الذي في السنن كما سنذكره «مخها» أي: مخ العبادة ولها «الدعاء» قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: الآية ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]، وغير ذلك من الآيات، وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «ليسَ شَيءٌ أكرَم

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥) من طريق إبراهيم بن الأشعث عن الفضيل بن عياض به، وإبراهيم خادم الفضيل متكلم فيه، وانظر ترجمته «باللسان» (١/ ١٣١).

عَلَى اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ»(١) وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الدُّعاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»(٢) وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، ومعنى «مخ العبادة» أي خالصها. وفيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الدُّعاءُ هُوَ العِبَادَةُ» ثم قرأ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر: الآية ٦٠] (٣) وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ مَن لَمْ يسْأَلِ اللَّهُ يغْضَب عَلَيهِ»(٤) وفيه من حديث ابن عباس مرفوعًا: «إِذَا سَأَلتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ»(٥) وهو حديث حسن صحيح.

«خوف» أي: ومن أنواع العبادة الخوف من الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٤٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٣٧٠) وابن ماجة (٣٨٢٩) وأحمد (٢/ ٣٦٢) وابن حبان (٨٧٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢) والحاكم (١٨٠١) والطبراني في «الأوسط» (٢٥٢٣، ٣٧٠٦) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٨٨) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٣٠٠) وصححه الحاكم، وقال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمران القطان.

قلت (يحيى): عمران بن دوار القطان يترجح ضعفه خاصة إذا انفرد، ولذا قال العقيلي عن هذا الحديث: لا يتابع عليه ولا يعرف بهذا اللفظ إلا عن عمران.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا وقال: هذا حديث غريب.

قلت: في إسناده عبدالله بن لهيعة وهو ضعيف.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٢٩٦٩، ٣٢٤٧، ٣٣٧٢) والنسائي في «الكبرى» (١١٤٦٤) وابن ماجة (٣٨٢٨) وأحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٤) وابن حبان (٨٩٠) والحاكم (١٨٠٢ - ١٨٠٤) وصححه الترمذي والحاكم من طريق منصور والأعمش عن ذر وهو ابن عبدالله المرهبي عن يسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير مرفوعًا، وإسناده صحيح.

(٤) في إسناده ضعف: أخرجه الترمذي (٢٢٧٣) وابن ماجة (٣٨٢٧) وأحمد (٢/ ٤٤٣، ٤٧٧) وأبو يعلى (٦٦٥٥) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨) وابن أبي شيبة (٦٩١٦٩) والحاكم (١٨٠٦، ١٨٠٧) وغيرهم من طرق عن أبي المليح صبيح عن أبي صالح الخوزي عن أبي هريرة مرفوعًا به، وأبو المليح ثقة لكن شيخه لين الحديث.

(٥) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٣) وابن الجعد في «مسنده» (٣٤٤٥) والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧٨ح ١١٤٦٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٤) وفي «الاعتقاد» (ص١٣٩) وغيرهم من طريق حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعًا به.

﴿رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: الآية ٦٠]، وقال ﷻ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: الآية ٥٧]، وقال تبارك اسمه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: الآية ٩]، الآية وغيرها من الآيات. وقال النبي ﷺ: «**وَالذِي نَفْسِي بِيدِهِ لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكتُم قَلِيلًا وَلَبَكَيتُم كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذتُم بالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشَاتِ ولخَرَجْتُم إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ**»[1] رواه أحمد وابن ماجه والترمذي عن أبي ذر وحسنه الترمذي. وفي البخاري عن أم العلاء الأنصارية رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**وَاللَّهِ لَا أَدْرِي وَاللَّهِ لَا أَدْرِي -وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ- مَا يفْعَلُ بِي وَلَا بِكُم**»[2].

وفي «الترمذي» عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا رَأَيتُ مِثْلَ النَّارِ نامَ هارِبُها، ولا مثل الجنةِ نامَ طَالِبُهَا**»[3].

---

(١) في إسناده ضعف: أخرجه الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجة (٤١٩٠) وأحمد (٥/ ١٧٣) والحاكم (٣٨٨٣، ٨٦٣٣، ٨٧٢٦) وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٧) والبيهقي في «السنن» (٧/ ٥٢) وفي «الشعب» (٧٨٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٣٦) من طريق إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر مرفوعًا، وإبراهيم فيه كلام يترجح منه ضعفه، وأخرجه أيضًا الحاكم (٨٧٢٤) من طريق يونس بن خباب وهو ضعيف عن مجاهد عن أبي ذر.

قلت: وقد صح أول الحديث من حديث أنس مرفوعًا، أخرجه البخاري (٤٦٢١) ومسلم (٢٣٥٩) وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٤٣) وأحمد (٦/ ٤٣٦) وغيرهما.

(٣) أسانيده ضعيفة: أخرجه الترمذي (٢٦٠١) وابن المبارك في «الزهد» (٢٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٧٨) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٩١) والبيهقي في «الشعب» (٣٨٨) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٠٣) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٣٧٤) من حديث يحيى بن عبدالله بن موهب عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده ضعيف جدًّا، يحيى متروك وأبوه مجهول لكن الحديث أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣٨٩) من طريق عبدالرحمن بن شريك عن أبيه عن محمد الأنصاري والسدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، وفي هذا الإسناد ضعف للكلام في عبدالرحمن بن شريك وأبيه.

لكنه صالح للشواهد، والأنصاري هو محمد بن سعد صدوق، وللحديث شاهد من حديث أنس بن مالك أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٦٣٨) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣٠) وقال: وإسناده حسن، ثم أورده (١٠/ ٤١٢) وقال: وفيه محمد بن مصعب القرقسائي وهو ضعيف بغير كذب.

وللحديث شاهد آخر من حديث عمر بن الخطاب أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٥٧) والجرجاني في «تاريخ جرجان» (ص٣٤٣، ٣٧٧) عن سعد بن سعيد عن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن الربيع بن خثيم عن عمر بن الخطاب مرفوعًا، وهذا إسناد ضعيف، سعد بن سعيد هو الجرجاني متكلم فيه وترجمته=

وفيه عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن خافَ أدْلَجَ، ومَن أدلجَ بلغَ المَنْزِل. ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»[١]. وله عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله جل ذكره: أخرجوا من ذكرني يومًا أو خافني في مقامي**»[٢] وله هو وابن ماجه عن عائشة ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٠] هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم**»: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: الآية ٦١][٣] وفيه من حديث أبي جحيفة قال: قالوا يا رسول الله قد شبت، قال:

= «باللسان» (٣/ ٢١) وأبو طيبة ليس بالقوي وهو عبدالله بن مسلم السلمي.

وكرز مجهول الحال ترجمه «بالتاريخ الكبير» (٧/ ٢٣٨) و«الجرح والتعديل» (٧/ ١٧٠) وثقات ابن حبان (٩/ ٢٧).

وهل يتقوى الحديث بمجموع ذلك؟ الأظهر أنه لا يتقوى به لأن الضعف شديد في طرقه، ثم الحديث قد ورد من كلام هرم بن حيان أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٨) وعبدالله بن أحمد في «الزهد» (١٢٩٨ بتحقيقي) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤١٩١، ٣٥٤٣٧) وليس له علة إلا تدليس الحسن البصري. كما ورد المتن عن غيره.

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٢٤٥٠) وعبد بن حميد (١٤٦٠) والحاكم (٧٨٥١) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١١١) والرامهرمزي في أمثال الحديث (٨٣) جميعًا من طريق يزيد بن سنان الرهاوي وهو ضعيف عن بكير بن فيروز وهو مجهول الحال عن أبي هريرة مرفوعًا، وصححه الحاكم وقال الترمذي: حسن غريب.

قلت: قد بينت ما فيه، وله شاهد أخرجه الحاكم (٧٨٥٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٧) من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه مرفوعًا، وإسناده ضعيف للكلام في عبدالله بن محمد بن عقيل. وهو صالح في الشواهد، لكن في إسناد حديث أبي هريرة علتان.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٢٥٩٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٣) وعبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد» (٢١٩٦ بتحقيقي) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٠) وفي «الاعتقاد» (ص ٢٠١) وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ١٦ ت ٢٤٢) جميعًا من طريق أبي داود وهو الطيالسي عن مبارك بن فضالة عن عبدالله بن أبي بكر عن أنس مرفوعًا به. وإسناده ضعيف للكلام في المبارك بن فضالة فإنه يدلس ويسوي وقد عنعن، لكن أخرجه الحاكم (٢٣٤) من طريق مؤمل بن إسماعيل ثنا المبارك بن فضالة ثنا عبيدالله بن أبي بكر عن جده أنس بن مالك... وصححه الحاكم والذهبي.

قلت: مؤمل سيئ الحفظ، ولم يتابع على التصريح المبارك بالسماع، والمبارك انفرد في هذا الحديث بلفظ: «أو خافني في مقام». والحديث صحيح من غير هذا اللفظ أخرجه البخاري (٤٤) ومسلم (١٩٣) وأحمد (٣/ ١٧٣، ٢٧٦) وغيرهم من طرق عن أنس مرفوعًا.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣١٧٥) والحميدي (٢٧٥) وأحمد (٦/ ٢٠٥) وابن جرير في «تفسيره» (١٨/ ٣٣، ٣٤) والبيهقي في «الشعب» (٧٦٢) جميعًا من طريق عبدالرحمن بن سعيد بن=

«شيبتني هود وأخواتها»[1] ومن حديث أبي بكر رضي الله عنه : **«شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»**[2] وغير ذلك من الأحاديث .

«توكل» أي : ومن أنواع العبادة التوكل على الله عز وجل ، وهو اعتماد القلب عليه وثقته به وأنه كافيه قال الله عز وجل : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة : الآية ٢٣] ، **فجعله تعالى**

= وهب عن عائشة به ، وإسناده ضعيف لأن عبدالرحمن لم يدرك عائشة .

وقال الترمذي عقب هذا الحديث : وقد روى هذا الحديث عن عبدالرحمن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحو هذا .

قلت (يحيى) : ما أشار إليه الترمذي أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٨/ ٣٣) وزاد فيه عائشة ، لكنه من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف لسوء حفظه ، وطريقه معلة بالطريق الأولى فلا تصلح شاهدًا ، وأخرجه ابن جرير (١٨/ ٣٤) من طرق أخرى ضعيفة عن عائشة لكنها لا تصلح شاهدًا لأن موضع العلة في الجميع واحد ، والله أعلم .

(١) **ضعيف الإسناد** : أخرجه بهذا اللفظ سعيد بن منصور في «سننه» (١١٠٩) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٤٧) من طريق يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف عن أنس مرفوعًا به ، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٨٦ح ٧٩٠) من حديث عقبة بن عامر مرفوعًا ، إلا أنه من طريق محمد بن محمد الثمار شيخ الطبراني لم يوثقه غير ابن حبان وقال : ربما أخطأ . وترجمته «باللسان» (٥/ ٣٥٦) .

(٢) **ضعيف الإسناد** : أخرجه الترمذي في «السنن» (٤٢٩٧) وفي «الشمائل» (٤١ بتحقيقي) والحاكم (٢/ ٣٧٤ح ٣٣١٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٥٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٦) جميعًا من طريق شيبان عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس عن أبي بكر الصديق ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه ، وروى علي بن صالح هذ الحديث عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة نحو هذا .

وروى عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلًا ، وروى أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عكرمة رضي الله عنه نحو حديث شيبان عن أبي إسحاق ولم يذكر فيه عن ابن عباس ، حدثنا بذلك هاشم بن الوليد الهروي حدثنا أبو بكر ابن عياش . اهـ.

قلت (يحيى) : أخرجه عبدالله بن أحمد في «الزهد» (٤٦ بتحقيقي) وسعيد بن منصور (١١١٠) وأبو يعلى (١٠٧ ، ١٠٨) من طريق أبي إسحاق عن عكرمة عن أبي بكر مرفوعًا ورجح أبو حاتم هذا الطريق بإسقاط ابن عباس في «العلل» (١٨٢٦) وهذا أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٧ ، ١٣٣) وقال : رواه أبو يعلى إلا أن عكرمة لم يسمع أبا بكر .

قلت : وأخرجه الترمذي في «الشمائل» (٤٢) وأبو يعلى (٨٨٠) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٢٣ح ٣١٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٥٠) من طريق أبي إسحاق عن أبي جحيفة . وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (٥٩٩٧) عن معمر عن أبي إسحاق مرسلًا وقد اختلف في هذا الإسناد على أبي إسحاق اختلافًا كثيرًا وهو اضطراب يوهن الإسناد .

شرطًا في الإيمان كما وصف المؤمنين أنهم أهله إذ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٢] وقال موسى لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟﴾ [يونس: الآية ٨٤] الآيات وقال تعالى عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾، وقال تعالى عن نبيه هود عليه السلام: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ [هود: الآية ٥٦] الآية. وكذلك عن نبيه نوح عليه السلام إذ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: الآية ٧١] الآية. وقال تعالى عن شعيب: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: الآية ٨٨] وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل: الآية ٧٩] وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود: الآية ١٢٣] وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: الآية ٩] وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٩] وقال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣] وقال تعالى فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: الآية ٢] وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: الآية ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: الآية ٣] أي: كافيه، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: الآية ٣٦] الجواب بلى.

والآيات في هذا الباب كثيرة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: «﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣] قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى في النار، وقالها محمد ﷺ وأصحابه حين ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٧٣]»(1) وفي الصحيح عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يدْخُلُ الجنةَ مِن أُمّتِي سَبعُونَ ألفًا بلا حِسَابٍ، هُم الذينَ لا يسْتَرقُونَ ولا يتَطَيرُونَ وَعَلى

---

(١) صحيح إلى ابن عباس: أخرجه البخاري في صحيحه (٤٥٦٣).

ربِّهِم يتوَكَّلُونَ»[١] وفي «السنن» «الطِّيرةُ شِركٌ، الطِّيرَةُ شِركٌ»[٢] قال ابن مسعود: وما منا إلا، ولكن اللَّه يذهبه بالتوكل»[٣]. وفي «جامع الترمذي» وغيره من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لَوْ أَنَّكُم تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كَمَا يرْزُقُ الطيرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»[٤] وفي حديث الإيمان بالقدر «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَم يكُن لِيخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يكُن لِيصِيبُكَ»[٥]. وفي «مسند أحمد» و«سنن ابن ماجه والدرامي» عن أبي ذر ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنِّي لأعلمُ آيةً في كِتَابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ لو أَخذَ الناسُ بِهَا لَكَفَتْهُم ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾**»[٦] ولابن ماجه عن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن قلب ابن آدم لكل واد شعبة، فمن أتبع الشعب كلها لم يبال اللَّه بأي واد هلك، ومن توكل على اللَّه**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٧٢) ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه مسلم أيضًا (٢١٨) من حديث عمران بن حصين.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٠) بتكرار اللفظ كما هنا، وأخرجه من غير تكرار أحمد (١/ ٣٨٩) وأبو داود (٣٩١٠) والترمذي (١٦١٤) وابن ماجه (٣٥٣٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٠٩) وابن حبان (٦١٢٢) وأبو يعلى (٥٢١٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩) وفي «شعب الإيمان» (١١٦٧) من طريق الثوري، وأخرجه أحمد (١/ ٤٣٨) والحاكم (٤٣) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩) من طريق شعبة. كلاهما عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم الأسدي عن زر بن حبيش عن ابن مسعود مرفوعًا وصححه الترمذي والحاكم وإسناده صحيح.

(٣) صحيح إلى ابن مسعود: وتخريجه ما سبق.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠، ٥٢) وفي «الزهد» (٩٧ بتحقيقي) والترمذي (٢٣٤٤) وابن ماجة (٢١٦٤) وابن حبان (٧٣٠) وابن المبارك في «الزهد» (٥٥٩) وأبو يعلى (٢٤٧) وعبد بن حميد (١٠) والطيالسي (٥١، ١٣٩) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٤٤٤، ١٤٤٥) والحاكم في «المستدرك» (٧٨٩٤) جميعًا من طريق عبدالله بن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

(٥) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٢، ١٨٥، ١٨٩) وعبدالله في «السنة» (٩١٤ بتحقيقي) وأبو داود (٤٦٩٩) وابن ماجة (٧٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٤) وغيرهم من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨) وفي «الزهد» (٢٤٥ بتحقيقي) والنسائي في «الكبرى» (١١٦٠٣) وابن ماجة (٤٢٢٠) وابن حبان (٦٦٦٩) والدارمي (٢٧٢٥) والحاكم (٣٨١٩) والبيهقي في «الشعب» (١٣٣٠) وفي «الزهد الكبير» (٨٨١) جميعًا من طريق كهمس، عن أبي السليل عن أبي ذر مرفوعًا وأبو السليل لم يدرك أبا ذر.

كفاه الشعب»[١] وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

«كذا الرجاء» أي: ومن أنواع العبادة الرجاء، قال ﷻ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[الكهف: الآية ١١٠]، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٰتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٥﴾[العنكبوت: الآية ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾، وغير ذلك من الآيات وفي الحديث: «**أَنَا عِندَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**»[٢] وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الرحمَةَ يومَ خَلَقَهَا مِائةَ رَحمةٍ فَأَمْسَكَ عِندَهُ تِسعًا وَتِسعِينَ رَحمةً وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهم رَحمَةً وَاحِدَةً، فَلَو يعْلَمُ الكَافِرُ بِكُلِّ الذِي عِندَ اللَّهِ مِنَ الرَّحمَةِ لَم ييأسْ مِن الجنةِ، وَلَو يعْلَمُ المُؤْمِنُ بِكُلِّ الذِي عِندَ اللَّهِ مِنَ العَذَابِ لَم يأمَنِ النَّارَ**»[٣]. وقال ﷺ في دعاء المكروب: «**اللَّهمَّ رحمتَك أرجُو فلا تكِلْنِي إلى نفسي ولا إلى أحدٍ من خَلقِكَ طَرفَةَ عَينٍ**»[٤] الحديث رواه أبو داود عن أبي بكرة.

«**ورغبة ورهبة خشوع**» أي: ومن أنواع العبادة الرغبة فيما عند اللَّه ﷻ من الثواب، وهى راجعة إلى معنى الرجاء. والرهبة مما عند اللَّه من العقاب، وهي راجعة إلى معنى الخوف. والخشوع هو التذلل للَّه ﷻ، قال تعالى في آل زكريا عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن ماجة (٤١٦٦) من طريق صالح بن رزيق العطار عن سعيد بن عبدالرحمن الجمحي عن موسى بن علي عن أبيه عن عمرو بن العاص مرفوعًا، وإسناده ضعيف، صالح مجهول وشيخه متكلم فيه، وقد خالفه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٤٥) فرواه عن موسى بن علي عن أبيه مرسلًا، ومن طريق ابن المبارك أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١١٤٥) والمرسل أصح.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا من غير قوله: فليظن بي ما شاء.

وإنما أخرجه بهذا اللفظ ابن المبارك في «الزهد» (٩٠٩) وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٩١)، (٤/ ١٠٦) وابن حبان (٦٣٣- ٦٣٥) والحاكم (٧٦٠٣) وغيرهم جميعًا من طريق هشام بن الغاز عن حيان أبي النضر عن واثلة بن الأسقع مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وحيان وثقه ابن معين وقال أبو حاتم صالح، وترجمته «بالجرح والتعديل» (٣/ ٢٤٤) وغيره.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٦٩) وأخرج مسلم أوله (٢٧٥٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) **في إسناده ضعف**: أخرجه أبو داود (٥٠٩٠) وأحمد (٥/ ٤٢) من حديث أبي بكرة مرفوعًا، وفي إسناده جعفر بن ميمون التميمي لا يقوى على التفرد.

كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩)﴾ [الإسراء: الآية ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ (٤٥) ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (٤٦)﴾ وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ (٢)﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: الآية ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب (٨)﴾، وغير ذلك من الآيات. وفي حديث الدعاء عند النوم: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيكَ، وَوَجَّهتُ وَجْهِي إِليكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيكَ، وفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيكَ**»[1] الحديث في الصحيحين. ولابن أبي حاتم في خطبة أبي بكر ﷺ: «**أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله** ﷻ، وتثنوا عليه بما هو أهله، وتخلطوا الرغبة بالرهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة، فإن الله ﷻ أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين﴾»[2] وفي الصحيح من حديث دعاء النبي ﷺ في الركوع والسجود «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي»[3] وغير ذلك من الأحاديث.

«وخشية» أي: ومن أنواع العبادة الخشية، وهي مرادفة للخوف. قال الله عز وجل: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: الآية ٣]، قال تعالى في مدح عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧)﴾ [المؤمنون: الآية ٥٧]، الآيات، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧)﴾ [المعارج: الآية ٢٧]، الآيات. وقال تعالى في شأن كتابه العزيز: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: الآية ٥١]، الآيات. وقال تعالى: ﴿طه (١) مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٣)﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس: الآية ١١]، الآية، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣١١) ومسلم (٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب مرفوعًا.

(٢) ضعيف الإسناد: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٩٤) من طريق ابن أبي حاتم، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٣١) وهناد في «الزهد» (٤٩٥)، والحاكم (٣٤٤٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٥٩٣) جميعًا من طريق عبدالرحمن بن إسحاق الكوفي وهو ضعيف عن عبدالله بن عبيد القرشي عن عبدالله بن حكيم عن أبي بكر مرفوعًا، وصححه الحاكم، وأعله الذهبي بضعف عبدالرحمن بن إسحاق.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٧٧١) وأبو داود (٧٦٠) وغيرهما من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا.

وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٣]، الآية. وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾، الآيات، وقال تعالى في شأن الساعة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ [النَّازعات: الآية ٤٥]، وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾، وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: الآية ٣٣]، الآية. وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا يلِجُ النارَ رَجُلٌ بَكَى مِن خَشْيةِ اللَّهِ تَعَالَى حتَّى يعُودَ اللَّبنُ في الضَّرعِ»**[1]، وفيه عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ليسَ شَيء أحب إلى اللَّه من قطرتين وأثرين: قطرة دموع من خشية اللَّه، وقطرة دم تهراق في سبيل اللَّه. وأما الأثران فأثر في سبيل اللَّه، وأثر فريضة من فرائض اللَّه تعالى»**[2] وقال حديث حسن. وفي «الصحيح»: **«إنَّ أخْشَاكُم، وَأَتْقَاكُمْ للَّهِ أنَا»**[3] الحديث وغير ذلك من الأحاديث.

«إنابة» أي: ومن أنواع العبادة الإنابة وهي التوبة النصوح، والرجوع إلى اللَّه تعالى، قال اللَّه ﷻ: ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزُّمَر: الآية ٥٤]، وقال تعالى في ذكر شعيب:

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٣٣، ٢٣١١) والنسائي في «المجتبى» (٦/ ١٢) وفي «الكبرى» (٤٣١٥) وأحمد (٢/ ٥٠٥) والحاكم (٧٦٦٧) وغيرهم من طريق المسعودي عن محمد بن عبدالرحمن مولى آل طلحة عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة مرفوعًا به، وإسناده صحيح، والمسعودي اختلط لكن رواه عنه ابن المبارك وهو ممن سمع منه قبل الاختلاط. وابن المبارك متابع على هذا الوجه تابعه يزيد بن هارون وجعفر بن عون، لكن خالفهم وكيع فرواه عن مسعر والمسعودي عن محمد بن عبدالرحمن عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة موقوفًا ولم يرفعه، وهذا صحيح أخرجه أحمد في «الزهد» (١٠٠٣ بتحقيقي) وهو أصح من المرفوع. والله أعلم.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (١٦٦٩) وابن أبي عاصم في الجهاد (١٠٨) والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٣٥ح ٧٩١٨) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٨٠) جميعًا من طريق يزيد بن هارون عن الوليد بن جميل الفلسطيني عن القاسم أبي عبدالرحمن عن أبي أمامة مرفوعًا، وقال الترمذي: حسن غريب. قلت: القاسم متكلم فيه خاصة إذا روى عنه من ليس بثقة، وقد روى عنه هنا الوليد بن جميل وهو لين الحديث على ما يترجح من أقوال العلماء فيه وانظر التهذيب (١١/ ١٣٢). والحديث أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٠٩) عن ابن فضيل عن العلاء بن المسيب عن الحسن مرسلًا مختصرًا. وهذا أصح من الموصول، لكن هذا ضعيف للإرسال.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك مرفوعًا به وأخرجه مسلم (١١٠٨) من حديث عائشة مرفوعًا.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: الآية ٨٨] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝١٠﴾ [الشورى: الآية ١٠] ، وقال تعالى عن إبراهيم والذين معه : ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: الآية ٤] ، وقال تعالى في شأن عباده المؤمنين : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧﴾ [الزمر: الآية ١٧] ، وقال عن عبده داود ﷺ : ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: الآية ٢٤] ، وفي ذلك آيات كثيرة سنذكر إن شاء الله ما تيسر منها في بابه .

«خضوع» أي : ومن أنواع العبادة الخضوع ، وهو الخشوع والتذلل بمعنى وتقدمت الآيات والأحاديث فيه .

«والاستعاذة» أي : ومن أنواع العبادة الاستعاذة ، وهي الامتناع بالله ﷻ والالتجاء إليه ، قال ﷻ : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨﴾ [النحل: الآية ٩٨] ، وقال تعالى : ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٠] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ ، السورة ، وقال تعالى : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ ، السورة . وقال عن كليمه موسى ﷺ : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧﴾ [غافر: الآية ٢٧] ، وقال تعالى عنه ﷺ : ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ۝٢٠﴾ [الدخان: الآية ٢٠] ، وقال النبي ﷺ : «**أعُوذُ باللَّهِ العَظِيم ، وَبِوَجْهِهِ الكَرِيم ، وَبِسُلْطَانِهِ القَدِيم مِنَ الشَّيطانِ الرَّجِيم ، مِن هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»[١] وقال : «**أعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ**»[٢] وقال : «**اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بِرِضَاكَ مِن سَخَطِكَ وَبِمُعَافَاتِكَ مِن عُقُوبَتِكَ ، وَبِكَ مِنكَ**»[٣] وقال : «**تَعَوَّذُوا باللَّهِ مِنَ الفِتَنِ**»[٤] واستعاذ ﷺ من

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٦) من طريق حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا من غير قوله : من همزه ونفخه ونفثه ، وإسناده حسن ، أما قوله : من همزه ونفخه ونفثه ، فورد من حديث جبير بن مطعم مرفوعًا أخرجه أبو داود (٧٦٤) وابن ماجة (٨٠٧) وأحمد (٤/ ٨٠ ، ٨٣ ، ٨٥) وفي إسناده عاصم العنزي وهو مجهول الحال .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٠٨) والترمذي (٣٤٣٧) وغيرهما من حديث خولة بنت حكيم مرفوعًا به .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٤٨٦) وغيره من حديث عائشة مرفوعًا . وسبق .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا .

الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال[١] ، ومن الرد إلى أرذل العمر[٢] ومن المأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ، ومن فتنة النار ، وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى ، ومن شر فتنة الفقر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال[٣] وغير ذلك .

«والاستعانة» أي : ومن أنواع العبادة الاستعانة ، وهي طلب العون من الله عزوجل ، قال الله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[الفاتحة: الآية ٥] ، أي : لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك ، ونبرأ من كل معبود دونك ومن عابديه ، ونبرأ من الحول والقوة إلا بك ، فلا حول لأحد عن معصيتك ، ولا قوة على طاعتك ، إلا بتوفيقك ومعونتك . وقال عن نبيه يعقوبﷺ : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف: الآية ١٨] ، وقال لنبيه محمدﷺ : ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١١٢﴾[الأنبياء: الآية ١١٢] ، وفي «الترمذي» من حديث وصية النبيﷺ لابن عباسرضي الله عنهما : **«إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»**[٤] الحديث . وقال فيه حسن صحيح ، وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرةرضي الله عنه عن النبيﷺ الحديث وفيه **«احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»**[٥] وفي «الترمذي» من حديث معاذ بن جبلرضي الله عنه عن النبيﷺ : **«اللَّهُمَّ أَعِنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسنَ عِبَادَتِكَ»**[٦] وغير ذلك من الأحاديث .

«كذا استغاثة به سبحانه» أي : ومن أنواع العبادة الاستغاثة بالله ﷻ وهى طلب الغوث منه تعالى من جلب خير أو دفع شر ، قال الله ﷻ : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾[الأنفال: الآية ٩] ، وقال تعالى : ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾[النمل: الآية ٦٢] الآية ،

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٨٩٣) ومسلم (٢٧٠٦) من حديث أنس واللفظ للبخاري .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٨٢٢) من حديث سعد بن أبي وقاص .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٣٧٥) من حديث عائشة .

(٤) **صحيح** : أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (١/ ٢٩٣ ، ٣٠٣) وغيرهما من حديث ابن عباس مرفوعًا ، وسبق .

(٥) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

(٦) **صحيح** : أخرجه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٥٣) وفي «الكبرى» (١٢٢٦) وأحمد (٥/ ٢٤٤ ، ٢٤٧) وابن حبان (٢٠٢٠) وابن خزيمة (٢٠٢١) والحاكم (١٠١٠ ، ٥١٩٤) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٠) وغيرهم من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا به .

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: الآية ٢٨]، الآية.

ومن دعاء النبي ﷺ: **«يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، برحمتك أستغيث»**[١] وفي الطبراني بإسناده من حديث ثابت بن الضحاك أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: **«إِنَّهُ لاَ يسْتَغَاثُ بِي، وَإِنمَا يسْتَغَاثُ باللَّهِ»**[٢]، وفي «الصحيح» من حديث أنس بن مالك ﷺ في الاستسقاء: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: **«اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا»**[٣] وغير ذلك من الأحاديث.

«والذبح» أي: ومن أنواع العبادة الذبح نسكًا للَّه تعالى من هدي وأضحية وعقيقة وغير ذلك، قال اللَّه ﷻ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: الآية ٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾، الآيات، وقال تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ [الحج: الآية ٣٦]، الآيات. وفي «صحيح مسلم» عن علي ﷺ قال: حدثني رسول اللَّه ﷺ بأربع كلمات: **«لَعَنَ اللَّهُ مَن ذَبَحَ لِغَيرِ اللَّهِ»**[٤] الحديث. وفي «مسند الإمام أحمد» رحمه الله عن طارق بن شهاب ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: **«دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجل في ذباب»**، قالوا: كيف ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: **«مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يقرب له شيئًا، فقالوا لأحدهما: قرب. قال: ليس عندي شيء أقرب. فقالوا له: قرب ولو ذبابًا. فقرب ذبابًا فخلوا سبيله فدخل النار. فقالوا**

---

(١) ضعيف الإسناد: بلفظ: «يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث».
أخرجه الترمذي (٣٥٢٤) من حديث أنس وفي إسناده يزيد الرقاشي وهو ضعيف، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٠٥) وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٧٠) والحاكم (٢٠٠٠) من طريق عثمان بن موهب عن أنس، لكن عثمان مجهول الحال، وأخرجه الحاكم (١٨٧٥) من حديث ابن مسعود وفي إسناده ثلاثة ضعفاء.
أما اللفظ الذي أورده المصنف فلم أقف على مصدره.

(٢) ضعيف الإسناد: أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) وعزاه للطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.
وقلت: ابن لهيعة ضعيف.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٠١٤) ومسلم (٨٩٧).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٧٨) وغيره.

للآخر: قرب. قال ما كنت لأقرب لأحد شيئًا دون الله ﷻ. فضربوا عنقه فدخل الجنة»[١].

«والنذر» أي ومن أنواع العبادة النذر لله ﷻ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: الآية ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٠]، الآية. وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يطِيعَ اللَّهَ فَلْيطِعهُ، وَمَن نَذَرَ أَنْ يعْصِي اللَّهَ فَلَا يعْصِهِ»[٢] رواه الجماعة إلا مسلمًا وعن عمر رضي الله عنه قال: نذرت نذرًا في الجاهلية: «فسألت النبي ﷺ بعد ما أسلمت، فأمرني أن أوفي بنذري»[٣]، رواه ابن ماجه، وقال البخاري رحمه الله تعالى: «باب إثم من لا يفي بالنذر»[٤]، وذكر حديث عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «خَيرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الذِينَ يلُونَهُم ثُمَّ الذِينَ يلُونَهُم» قال عمران: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثًا بعد قرنه «ثُمَّ يجِيءُ قَومٌ ينذِرُونَ وَلا يوفُونَ، وَيخُونُونَ وَلا يؤْتَمَنُونَ، وَيشْهَدُونَ وَلَا يسْتَشْهَدُونَ، وَيظْهَرُ فِيهِم السِّمَنُ»[٥]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن عمر قال: يا رسول الله، إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، قال: «أَوْفِ بِنَذْرِكَ»[٦] وهو في الصحيح أيضًا. ولعله هو النذر الذي في رواية ابن ماجه مبهمًا فسرته رواية الصحيح، وفي حديث الرجل الذي سأل النبي ﷺ فقال

---

(١) صحيح موقوفًا على سلمان الفارسي: أخرجه أحمد في «الزهد» (٨٤ بتحقيقي) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٣) من طريق طارق بن شهاب عن سلمان به موقوفًا، وهذا صحيح إليه، لكن أورده الإمام محمد ابن عبدالوهاب في كتابه «التوحيد» الباب العاشر فقال: وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال... وذكره، ونقل شراح الكتاب: قال ابن القيم رحمه الله: قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه... وانظر «فتح المجيد» (ص١٤٨) وتيسير العزيز الحميد (ص١٩٤).
قلت: وهذا يفيد أن سلمان ليس بالأصل، وأن الحديث مرسل، أو أن ذكر سلمان هو الصواب، وما ذكروه خطأ تتابعوا عليه والله أعلم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٩٦) وأبو داود (٣٢٨٩) والترمذي (١٥٢٦) والنسائي (٧/ ١٧) وابن ماجة (٢١٢٦) وأحمد (٦/ ٣٦، ٤١، ٢٢٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٣٢) ومسلم (١٦٥٦) وغيرهما واللفظ لابن ماجة (٢١٢٩).

(٤) «فتح الباري» (١١/ ٦٤٢) كتاب «الأيمان والنذور» باب (٢٧).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٩٥) ومسلم (٢٥٣٥).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٢٠٣٢) ومسلم (١٦٥٦).

له : إن أختي نذرت أن تحج وإنها ماتت ، فقال النبي ﷺ : «**لَوْ كَانَ عَلَيْهَا دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيهِ؟**» قال : نعم . قال : «**فَاقْضِ اللَّهَ ، فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْقَضَاءِ**»[1] وغير ذلك من أحاديث الأمر بوفاء النذر عن النبي ﷺ .

ومن شرط النذر للَّه تعالى : أن يكون طاعة ، وأن يكون مما يطيقه العبد ، وأن يكون فيما يملك ، وأن لا يكون في موضع كان يعبد فيه غير اللَّه تعالى أو ذريعة إلى عبادة غير اللَّه تعالى ، ولمن كان معلقًا بحصول شيء فلا يعتقد الناذر تأثير النذر في حصوله .

أما الأول : فلقوله ﷺ : «**لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِي قَطِيعَةِ رَحِمٍ**»[2] الحديث رواه أبو داود ، وكذا حديث عائشة السابق وغيره .

وأما الثاني : فلحديث عقبة بن عامر ﷺ قال : نذرت أختي أن تمشي إلى بيت اللَّه ، فأمرتني أن أستفتي لها رسول اللَّه ﷺ ، فاستفتيته فقال : «**لِتَمْشِ وَلْتَرْكَبْ**»[3] متفق عليه .
وعن ابن عباس ﷺ قال : بينما النبي ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم ، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيل نذر أن يقوم فلا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم ، فقال النبي ﷺ : «**مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**»[4] فأمره ﷺ بترك ما لم يكن مطيقه ولم يكن مشروعًا ، وأمره بإتمام الصوم لكونه يطيقه ولكونه مشروعًا .

وأما الثالث : فلقوله ﷺ : «**لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ، وَلَا فِيمَا لا يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ**»[5]

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٩٩) وغيره من حديث ابن عباس .
(٢) صحيح شواهده : أخرجه أبو داود (٣٢٧٣ ، ٣٢٧٤) والنسائي في «المجتبى» (٧/ ١٢) وفي «الكبرى» (٤٧٣٤) وأحمد (٢/ ٢١٢) من طريق أبي عبدالرحمن وعبيدالله بن الأخنس عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا به ، وهذا إسناد حسن ، لكن أخرجه ابن حبان (٤٣٥٥) والبيهقي (١٠/ ٣٣) من طريق حبيب المعلم عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن عمر مرفوعًا بقصة ، وهذا أصح لأنها غير الجادة ، وغير الجادة مقدمة على الجادة ، وهذا الطريق ضعيف للانقطاع بين عمر وسعيد بن المسيب . لكن للحديث شواهد يتقوى بها . وقطيعة الرحم داخلة في معصية الله . وقد ورد هذا المتن أيضًا من حديث ابن عباس عند الدارقطني في «سننه» (٤/ ١٦ ح ٤٨) ومن حديث جابر عند ابن عدي (٢/ ٤٤٧) .
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٨٦٦) ومسلم (١٦٤٤) .
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٧٠٤) وأبو داود (٣٣٠٠) وابن ماجة (٢١٣٦) وغيرهم من حديث ابن عباس .
(٥) صحيح : أخرجه مسلم (١٦٤١) وأبو داود (٣٣١٦) وأحمد (٤/ ٤٣٠ ، ٤٢٣) والدارمي (٢٣٣٧ ، ٢٥٠٥) وابن حبان (٤٣٩١) من حديث عمران بن حصين مرفوعًا ، وانظر ما يأتي .

رواه أبو داود وغيره وإسناده صحيح.

وأما الرابع: فلحديث ثابت بن الضحاك أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلًا ببوانة، فقال: «**كانَ فِيهَا وَثَنٌ مِن أوثَانِ الجَاهِلِيةِ يعْبَدُ؟**» فقالوا: لا، قال: «**فَهَل كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِن أعْيادِهِم؟**» قالوا: لا، قال: «**أوفِ بِنَذْرِكَ، فإنهُ لا وَفَاءَ لِنَذرٍ فِي مَعصِيةِ اللَّهِ وَلَا فِيمَا لا يمْلِكُ ابنُ آدمَ**»[1] رواه أبو داود. وفي سد الذرائع إلى ذلك حديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد، ولعن من فعل ذلك كما سيأتي إن شاء اللَّه تعالى.

وأما الخامس: فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ النذرَ لا يقَدِّمُ شَيئًا ولا يؤَخِّره، وإنمَا يسْتَخْرَجُ بِالنذرِ مِنَ البَخِيلِ**»[2] وهو في الصحيح. وفيه في رواية عنه نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «**إنه لا يرُدُّ شَيئًا، ولكنهُ يسْتَخرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ**»[3] وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لَا يأتِي ابنَ آدمَ النذرُ بِشَيءٍ، ولَكِن يلقِيهِ النَّذرُ إلَى القَدَرِ قَد قُدِّر لَهُ، فَيسْتَخرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ، فَيؤتِي عَلَيهِ مَا لَم يكُنْ يؤتِي عَلَيهِ مِن قَبلُ**»[4] وغير ذلك من الأحاديث، وفيما ذكرنا كفاية إن شاء اللَّه تعالى.

أنواع أخرى من العبادات

«**وغير ذلك**» أي: من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير، وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتعليمه وسائر الأذكار المشروعة ومحبة اللَّه ورسوله والمؤمنين، والحب في اللَّه والبغض فيه والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه اللَّه ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، وأن مناطها الذي لا قوام لها إلا به هو كمال الحب وغايته مع غاية الذل، ولا تسمى عبادة إلا مع ذلك كله. فالمحبة وحدها التي لم يكن معها خوف ولا تذلل كمحبة المطعم والمشرب والأهل والمال والولد وغير ذلك ليست بعبادة. وكذلك الخوف بدون محبة للمخوف منه كالخوف من عدو أو غرق أو حرق

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٣١٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٧٥ح ١٣٤١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٩٢) ومسلم (١٦٣٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٩٣) ومسلم (١٦٣٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٩٤) ومسلم (١٦٤٠).

ونحو ذلك لم يكن عبادة، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادة: إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياذ بالله. ولذا قلنا «**وصرف بعضها**» أي شيء منها قلَّ أو كثر «**لغير الله**» كائنًا من كان من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو غيره، كل ذلك «**شرك**» أكبر، «**وذاك**» إشارة إلى الشرك هو «**أقبح المناهي**» على الإطلاق، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ [الأحقاف: الآية ٥]، الآيات، أي: لا أحد أضل منه، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ۝١١٧﴾ [المؤمنون: الآية ١١٧]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، فالشرك أعظم الظلم، لأن الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا أعظم ظلمًا من شكاية العبد ربه الذي هو أرحم الراحمين فيما أصابه من ضر أو فاته من خير إلى من لا يرحمه ولا يسمعه ولا يبصره ولا يعلمه ولا يملك لنفسه ولا لداعيه من ضر ولا نفع ولا موت ولا حياة ولا نشور، ولا يغني عنه مثقال ذرة، وعدوله عمن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، ويفزع في قضاء حوائجه إلى من لا قدرة له على شيء البتة ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾، وصرفه عبادة خالقه- الذي خلقه لعبادته وتوحيده ورباه بنعمه الظاهرة والباطنة وحفظه وكلأه بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوف والأخطار- لمخلوق مثله خلقه الله بقدرته ولم يك من قبل شيئًا، بل هو مسخر مدبر مربوب متصرف فيه الله تعالى بما شاء من أنواع التصرف لا يبدي حراكًا ولا ينفك من قبضة الله ﷻ، بل هو خلقه وملكه مخلوق لعبادته فيرفعه من درجة العبودية والتأله إلى جعله مألوهًا معبودًا ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: الآية ٢٨] الآية، هذا- والله- أظلم الظلم وأقبح الجهل وأكبر الكبائر، ولذا لم تدع الرسل إلى شيء قبل التوحيد، ولم تنه عن شيء قبل التنديد، ولم يتوعد الله على ذنب أكبر مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد، وفي الصحيح عن ابن مسعود ﷺ: قلت يا رسول الله! أي ذنب أعظم؟ قال: «**أنْ تجعَلَ للَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[1].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦).

وسنذكر إن شاء اللّٰه من الآيات والأحاديث قريبًا ما تقر به أعين الموحدين وتدحض شبهة المعاندين، ويدمغ باطل الملحدين. واللّٰه المستعان وبه التوفيق.

فصل في بيان ضد التوحيد وهو الشرك وكونه ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر وبيان كل منهما

قد قدمنا انقسام التوحيد إلى قسمين: توحيد المعرفة والإثبات وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية والعبادة، ولكل من هذه الأنواع ضد يفهم من تعريفه. فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار بأن اللّٰه تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور المتصرف في كل مخلوقاته لا شريك له في ملكه، فضد ذلك هو اعتقاد العبد وجود متصرف مع اللّٰه غيره فيما لا يقدر عليه إلا اللّٰه ﷻ. وإذا عرفت أن توحيد الأسماء والصفات هو أن يدعى اللّٰه تعالى بما سمى به نفسه ويوصف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ وينفى عنه التشبيه والتمثيل. فضد ذلك شيئان ويعمهما اسم الإلحاد: أحدهما: نفي ذلك عن اللّٰه ﷻ وتعطيله عن صفات كماله ونعوت جلاله الثابتة بالكتاب والسنة. ثانيهما: تشبيه صفات اللّٰه تعالى بصفات خلقه وقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١]، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه: الآية ١١٠]، وإذا عرفت أن توحيد الإلهية هو إفراد اللّٰه تعالى بجميع أنواع العبادة ونفي العبادة عن كل ما سوى اللّٰه تبارك وتعالى فضد ذلك هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير اللّٰه ﷻ، وهذا هو الغالب على عامة المشركين وفيه الخصومة بين جميع الرسل وأممها.

بداية ظهور الشرك

وأول ما ظهر الشرك: في قوم نوح على المشهور، وقد كان بنو آدم على ملة أبيهم ﷺ نحو عشرة قرون كما قدمنا، وبه قال ابن عباس[1] وغيره في تفسير قوله ﷻ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا

---

(١) وهو صحيح إلى ابن عباس، وسيأتي لفظه فيما يأتي.

اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾[البقرة: الآية ٢١٣] ، وذلك لأن الشيطان لعنه اللَّه لم يزل دائبًا جادًّا مشمرًا في عداوة بني آدم عليه السلام منذ كان أبوهم طينًا ، فلما نفخ اللَّه فيه الروح وعلمه الأسماء كلها وأمر الملائكة بالسجود له فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقال : ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[الإسراء: الآية ٦١] ، وقال تعالى : ﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ ﴾[الحجر: الآية ٣٣] ، فلما سأله اللَّه ﷻ عن سبب امتناعه من السجود واستكباره عن أمر ربه - واللَّه تعالى أعلم به - فقال سبحانه له : ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾[الأعراف: الآية ١٢] ، فأجاب الخبيث مفتخرًا بأصله ، طاعنًا على ربه تعالى في حكمته وعدله : ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: الآية ١٢] ، فعامله الجبار بنقيض ما قصده وأذاقه وبال حسده ، وأثمر له استكباره الذل الأبدي الذي لا عز بعده : ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأعراف: الآية ١٣] ، وقال : ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾[الأعراف: الآية ١٨] ، الآية ، وقال : ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

فطلب الإنظار ليأخذ بزعمه من آدم وذريته بالثأر ، ولا يعلم أنه بذلك إنما يزداد من غضب الجبار ، وقد علم أنه لا سبيل له إلا على حزبه وتابعيه من الكفار ، الذين هو إمامهم في الخروج عن طاعة اللَّه والاستكبار : ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ ﴾ أجابه اللَّه تعالى إلى طلبته ليمتحن عباده اختبارًا وابتلاء : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[هود: الآية ٧] ، فقابل النعمة بالكفران وجدد صفقة الخسران وأقسم ليستعملن مدته وليستغرقن حياته في إغواء ذرية آدم الذين كان طرده وإبعاده بسببهم إذ لم يسجد لأبيهم ، ولا رأى أن ذلك باستكباره عن أمر ربه ، بل قدس نفسه اللئيمة وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمة ومحادة ومشاقة : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ ، ولم يقل اللعين «من فوقهم» لعلمه أن اللَّه تعالى من فوقهم ، قال اللَّه سبحانه : ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ ، وقد علم الرجيم ذلك فقال آيسًا منهم : ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾[الحجر: الآية ٤٠] ، ثم لما سعى إلى آدم وحواء زوجه في الجنة ودلهما على تلك الشجرة التي نهاهما اللَّه ﷻ عنها أن يقرباها ، وأباح لهما ما سواها من الجنة ، فاستدرجهما اللعين بخداعه وحيلته البائرة ، وغرهما بتلك اليمين الفاجرة ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾[الأعراف: الآية ٢١] ، فنفذ قضاء اللَّه تعالى وقدره

بأكلهما منها : ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾[الأنفال: الآية ٤٢] ، وظن اللعين أنه قد أخذ بثأره من آدم وأنه قد أهلكه معه ، ولم يعلم بفضل اللَّه ﷻ وسعة رحمته الذي لا يقدر أحد على شيء منه : ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[الحديد: الآية ٢٩] ، فلما عاتبهما اللَّه تبارك وتعالى على ذلك بقوله : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾[الأعراف: الآية ٢٢] ، فلم يعترضا على قضاء اللَّه وقدره ولم يحتجا بذلك على ارتكاب ما نهى للَّه عنه ولم يخاصما به كما قال اللعين مواجهًا ربه بقوله : ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[الأعراف: الآية ١٦] بل اعترفا بقدرة اللَّه عليهما وأقرا بظلمهما لأنفسهما وصرحا بافتقارهما إلى ربهما وبكمال غناه عنهما : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف: الآية ٢٣] ، وهذه هي الكلمات التي قال اللَّه ﷻ : ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾[البقرة: الآية ٣٧] .

ثم أراد اللَّه ﷻ أن يهبطهم إلى دار أخرى هي دار الامتحان والابتلاء ليتبين حزبه الذين يتبعون رسله ويقاتلون أعداءه ويغرس لهم بصالح الأعمال ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويتبين حزب عدوه الذين اتبعوه وأطاعوه وصاروا من خيله ورجله وقد أعد لهم جهنم وساءت مصيرًا ، وألقى العداوة ونصب الحرب بين هذين الحزبين في هذه الدار ليميز اللَّه الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعًا فيجعله في جهنم فقال تعالى : ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾[البقرة: الآية ٣٨] ، ثم كان من كيد الشيطان مما قص اللَّه ﷻ من إلقائه الفتنة بين ابنى آدم وقتل أحدهما الآخر كما في سورة المائدة . ولما مات آدم ﵇ كان وصيه شيثًا ﵇ ، ومضت تلك المدة التي ذكرنا والناس كلهم على شريعة من الحق كما قال ابن جرير رحمه اللَّه تعالى : حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو داود أخبرنا همام عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ﵄ قال : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا ، فبعث اللَّه النبيين مبشرين ومنذرين[1] . وزين الشيطان لعنه اللَّه لقوم نوح عبادة الأصنام وكان أول ذلك أن زين لهم تعظيم القبور والعكوف عليها ، وبيان ذلك ما روى البخاري رحمه اللَّه تعالى عن ابن عباس قال في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣٣٤) بهذا الإسناد به وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٥٤، ٤٠٠٩) من طريقين عن همام به.

انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنوسي العلم عبدت. اهـ[1]. فلو جاءهم اللعين وأمرهم من أول مرة بعبادتهم لم يقبلوا ولم يطيعوه، بل أمر الأولين بنصب الصور لتكون ذريعة للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادة اللَّه عندها ذريعة إلى عبادتها ممن يخلفهم. فلما أرسل اللَّه سبحانه إليهم نوحًا ﷺ فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى اللَّه تعالى وهم مستكبرون عن الحق حتى أهلكهم اللَّه تعالى بالطوفان. ثم بعدهم عادٌ عبدوا آلهة مع اللَّه منها هدًا وصدى وصمودًا، فأرسل اللَّه ﷻ إليهم هودًا ﷺ فلبث فيهم ما لبث يدعوهم إلى توحيد اللَّه ﷻ، فلما حق عليهم العذاب أهلكهم اللَّه تعالى بالريح. ثم ثمود كذلك وأرسل اللَّه إليهم صالحًا ﷺ فكذبوه فأهلكوا بالصيحة. ثم قوم إبراهيم عبدوا الشمس والقمر والنجوم وعبدوا الأصنام وغير ذلك، وقد قص اللَّه تعالى في كتابه كل ذلك مفصلًا عن الأمم ورسلهم. وعبد أول بنى إسرائيل العجل، وآخرهم عزيرًا، وعبدت النصارى المسيح وعبدت المجوس النار وعبد قوم الماء وعبد كل قوم ما زينه الشيطان لهم على قدر عقولهم، هذا في الأمم الأولى وكل منها له وارث من الأمم المتأخرة، فالأصنام التى في قوم نوح قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرو بن لحى قبحه اللَّه تعالى كما ذكره ابن عباس فيما رواه البخاري عنه رضي الله عنه قال: أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وسواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت

---

(١) في إسناده إلى ابن عباس كلام: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٩٢٠) من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، واختلف العلماء في عطاء من هو؟ فقيل: هو ابن أبي رباح وبه يصح الأثر إلى ابن عباس، وقيل: بل هو الخراساني فيكون الإسناد منقطعًا في موضعين. والأثر أورده ابن حجر في «التهذيب» (٧/ ٢١٣) وقال: قال علي بن المديني في «العلل»: سمعت هشام بن يوسف قال: قال لي ابن جريج: سألت عطاء يعني ابن أبي رباح عن التفسير من البقرة وآل عمران، فقال: اعفني من هذا.
قال هشام: فكان بعد إذا قال: عطاء عن ابن عباس، قال: الخراساني.
قال هشام: فكتبنا حينًا ثم مللنا. قال علي بن المديني: يعني كتبنا أنه عطاء الخراساني.
قال علي: وإنما كتبت هذه القصة لأن محمد بن ثور كان يجعلها عطاء عن ابن عباس، فيظن من حملها عنه أنه ابن أبي رباح. . .
ثم قال الحافظ ابن حجر: ما المانع أن يكون ابن جريج سمع هذين الحديثين خاصة في موضع آخر غير التفسير دون ما عداهما من التفسير، فإن ثبوتهما في تفسير عطاء الخراساني لا يمنع أن يكون عند عطاء ابن أبي رباح أيضًا، هذا أمر واضح، بل هو المتعين ولا ينبغي الحكم على البخاري بالوهم بمجرد هذا الاحتمال. . وانظر بقية كلام الحافظ رحمه الله.

لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى الكلاع. انتهى[(١)].

وتفسير ذلك ما ذكره الكلبى حيث قال: وكان عمرو بن لحى كاهنًا وله رئى من الجن فقال له: عجل السير والظعن من تهامة، بالسعد والسلامة، ائت جدة، تجد فيها أصنامًا معدة، فأوردها تهامة ولا تهب، ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب. فأتى نهر جدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عدن ابن زيد اللات فدفع إليه ودًا فحمله. فكان بوادى القرى بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول من سمي به، وجعل عوف ابنه عامرًا سادنًا له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء اللَّه بالإسلام. قال الكلبى: فحدثني مالك بن حارثة أنه رأى ودًا. قال وكان أبي يبعثني باللبن إليه فيقول: اسقه إلهك فأشربه. قال ثم رأيت خالد بن الوليد ﷺ كسره فجعله جذاذًا، وكان رسول اللَّه ﷺ بعث خالد بن الوليد لهدمه فحالت بينه وبين هدمه بنو عذرة وبنو عامر فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسره. قال الكلبى: فقلت لمالك بن حارثة صف لى ودًا كأنى أنظر إليه، قال: كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد دبر - أى نقش - عليه حلتان. متزر بحلة مرتد بأخرى عليه سيف قد تقلده وقد تنكب قوسًا وبين يديه حربة فيها لواء وقبضة فيها نبل بغير جعبة. وأجابت عمرو بن لحي مضر بن نزار فدفع إلى رجل من هذيل يقال له: الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر سواعًا فكان بأرض يقال لها: وهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر، وفي ذلك يقول رجل من العرب:

تراهم حول قبلتهم عكوفًا ... كم عكفت هذيل على سواع

وأجابته مذحج فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادى يغوث، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها، وأجابته همدان فدفع إلى مالك بن زيد بن جشم يعوق فكان بقرية يقال له: خيوان، فعبدته همدان ومن والاها من اليمن، وأجابته حمير فدفع إلى رجل من ذى رعين يقال له معدي كرب نسرًا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له: بلخع تعبده حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذو نواس، فلم تزل هذه الأصنام تعبد حتى بعث اللَّه النبي ﷺ فهدمها وكسرها[(٢)]. وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «رَأَيتُ عَمرَو بنَ لُحَي الخُزَاعِي يجُرَّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ. وَكَانَ أَوَّلَ مَن سَيبَ

---

(١) في إسناده إلى ابن عباس كلام: وانظر ما سبق.

(٢) ضعيف الإسناد جدًا: محمد بن هشام بن السائب الكلبي متهم، والخبر أخرجه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص٤٨ - ٥١) من طريق الكلبي به.

السَّوَائِبَ»[١] وفي لفظ: «وَغَيرَ دِينَ إبْرَاهِيمَ»[٢].

وروى ابن إسحاق عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول لأكثم بن الجوف الخزاعي: «**يا أكْثَمُ، رَأيتُ عَمرَو بنَ لحَي بنَ قمعةَ بنَ خندفٍ يجُرُّ قصبَهُ فِي النَّارِ، فَمَا رَأيتُ رَجُلًا أشبَهُ بِرَجُلٍ مِنكَ بِهِ وَلا بِكَ مِنهُ**» فقال أكثم: عسى ألا يضرني شبهه يا رسول اللَّه، قال: «**لَا، إنَّكَ مُؤْمِنٌ وَهُوَ كَافِرٌ إنَّه كَانَ أوَّلَ مَن غَيرَ دِينَ إسْمَاعِيلَ فَنَصَبَ الأوْثَانَ وَبَحَّرَ البَحِيرَةَ وَسَيبَ السَّائِبَةَ وَحَمَى الحَامِي**»[٣]. قال ابن هشام: حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، فلما قدم مُآب من أرض البلقاء- وبها يومئذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح- رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: «**هذه الأصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا**»، فقال لهم: «**أفلا تعطونني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه**». فأعطوه صنمًا يقال له «هبل»، فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه[٤]، وقال ابن إسحاق: واتخذوا إسافًا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما، وكان إساف ونائلة رجلًا وامرأة من جرهم هو إساف بن بغي ونائلة بنت ديك فوقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما اللَّه حجرين. قال: وقال أبو طالب:

وحيث ينيخ الأشعرون ركابهم بمفضى السيول من إساف ونائل[٥]

واتخذوا حول الكعبة نحو ثلاثمائة وستين صنمًا[٦]. قال ابن إسحاق وكان لخولان

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٢١، ٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦) وأحمد (٢/ ٢٧٥، ٣٦٦) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٢) حسن: أخرجه ابن جرير (٧/ ٨٧) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا. وانظر ما يأتي.

(٣) حسن: أخرجه ابن جرير (٧/ ٨٦) عن هناد عن يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا به، وإسناده حسن، ومحمد ابن إسحاق صرح بالتحديث.

(٤) ضعيف: لابهام الواسطة، بعض أهل العلم لا يدري من هم.

وكلام ابن هشام في كتابه «السيرة النبوية» (١/ ٥٩ طبعة دار ابن رجب).

(٥) انظر «السيرة» لابن هشام (١/ ٦٢) وقد روى ابن إسحاق بإسناد صحيح عن عائشة قالت: مازلنا نسمع أن إسافًا ونائلة كانا رجلًا وامرأة من جرهم، أحدثا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٧٨) ومسلم (١٧٨١) وغيرهما من حديث ابن مسعود في قصة فتح مكة.

صنم يقال له عم أنس بأرض خولان يقسمون له من أموالهم من أنعامهم وحروثهم قسمًا بينه وبين اللَّه بزعمهم، فما دخل في حق عم أنس من حق اللَّه تعالى الذي سموه له تركوه له، وما دخل في حق اللَّه تعالى من حق عم أنس ردوه عليه. وهم بطن من خولان يقال لهم الأديم، وفيهم أنزل اللَّه تبارك وتعالى فيما يذكرون: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)﴾ [الأنعام: الآية ١٣٦][1]، قال: وكان لبني ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر صنم يقال له سعد، صخرة بفلاة من أرضهم طويلة، فأقبل رجل من بني ملكان بإبل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم، فلما رأته الإبل- وكانت مرعية لا تركب، وكان يهراق عليه الدماء- نفرت منه فذهبت في كل وجه، وغضب ربها الملكائي فأخذ حجرًا فرماه به وقال: لا بارك اللَّه فيك، نفرّت علي إبلي، ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا ... فشتتنا سعد فلا نحن من سعد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة ... من الأرض لا تدعو لغى ولا رشد؟!

وكان لدوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي[2]. قال: وكان لقريش وبني كنانة العزى بنخلة وكانت سدنتها وحجابها بنو شيبان من سليم حلفاء أبي طالب. قلت: فبعث إليها رسول اللَّه ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدمها[3]. قال: وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بنى معتب من ثقيف. قال: وكان مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد[4]، وقال ابن هشام: فبعث رسول اللَّه ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه فهدمها، ويقال: على بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

(١) «السيرة» لابن هشام (١/ ٦١) و«إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٣٠).
(٢) المرجع السابق.
(٣) حسن: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٢/ ١٩٦ح ٩٠٢) عن أبي كريب عن محمد بن فضيل عن الوليد بن جميع عن أبي الطفيل، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧٧) وأبو نعيم الأصبهاني في «دلائل النبوة» (٢/ ٦٨٧ح ٤٦٣) وإسناده حسن.
(٤) «السيرة» لابن هشام (١/ ٦٣).
(٥) «السيرة» لابن هشام (١/ ٦٣) وذكر ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٢٧) أن الذي هدمها هو علي بن أبي طالب، وذكر في «زاد المعاد» (٣/ ٤١٤) أن الذي هدمها هو سعد بن زيد الأشهلي.

قال ابن إسحاق: وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة فبعث إليها رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه فهدمها[١]. قال: وكانت قلس لطيئ ومن يليها بجبل طيئ بين سلمى وأجأ، قال ابن هشام: فحدثني بعض أهل العلم أن رسول الله ﷺ بعث إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخذم فوهبهما له فهما سيفا علي رضي الله عنه. قال: وكان لحمير وأهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام. قال: وكانت رضاء بيتًا لبنى ربيعة بن كعب وفيها يقول المستوغر بن ربيعة حين هدمها في الإسلام:

ولقد شددت على رضاء شدة   فتركتها قفرًا بقاع أسحما

وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب ابنى وائل وإياد بسنداد، وله يقول أعشى بنى قيس:

بين الخورنق والسدير وبارق   والبيت ذى الشرفات من سنداد[٢]

قال ابن إسحاق: وكان عمرو بن الجموح سيدًا من سادات بنى سلمة وشريفًا من أشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنمًا من خشب يقال له مناة فلما أسلم فتيان بنى سلمة- معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو بن الجموح وغيرهم- ممن أسلم وشهد العقبة وكانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بنى سلمة وفيها عذرات الناس منكسًا على رأسه فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزيته. فإذا أمسى ونام غدوا ففعلوا بصنمه مثل ذلك، فيغدو ويلتمسه فيجد به مثل ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهره ويطيبه، فيغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به ذلك. فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقوه فغسله وطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له: والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى، فإذا كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك. فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبًا ميتًا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من آبار بنى سلمة فيها عذر الناس، وغدا عمرو فلم يجده في مكانه الذي كان به فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكسًا مقرونًا بكلب ميت. فلما رآه أبصر شأنه، وكلمه من

---

(١) صحيح: وخبر هدم جرير بن عبدالله لذي الخلصة صحيح، أخرجه البخاري (٣٠٢٠) ومسلم (٢٤٧٦) وغيرهما.

(٢) «السيرة» لابن هشام (١/ ٦٤، ٦٥).

أسلم من قومه فأسلم وحسن إسلامه، فقال حين أسلم وعرف من اللَّه ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره وشكر اللَّه إذ أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والله لو كنت إلهًا لم تكن ... أنت وكلب وسط بئر في قرن
أف لملقاك إلها مستدن ... تهان أو تسأل عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن ... الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن ... أكون في ظلمة قبر مرتهن[1]

قال ابن إسحاق: واتخذ أهل كل دار في دارهم صنمًا يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سفرًا تمسح به فيكون آخر عهده وأول عهده، فلما بعث اللَّه محمدًا ﷺ بالتوحيد قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: الآية ٥]، وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، ويهدى لها كما يهدى للكعبة ويطاف بها كما يطاف بالكعبة وينحر عندها كما ينحر عند الكعبة[2]، وكان الرجل إذا سافر فنزل منزلًا أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذه ربًّا وجعل الثلاثة أثافي لقدره، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلًا آخر فعل مثل ذلك[3]. وقال أبو رجاء العطاردي: لما بعث النبي ﷺ فسمعنا به سمعنا بمسيلمة الكذاب فلحقنا بالنار، قال: وكنا نعبد الحجر في الجاهلية فإذا وجدنا حجرًا هو أحسن منه نلقي ذاك ونأخذه، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به[4]، قال: وكنا نعمد إلى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده، وكنا نعمد إلى الحجر الأبيض فنعبده زمانًا ثم نلقيه[5]. وقال أبو عثمان النهدى: كنا في الجاهلية نعبد حجرًا. فسمعنا مناديا ينادي يا أهل الرحال إن ربكم قد هلك فالتمسوا ربًّا. قال: فخرجنا على كل صعب وذلول فبينما نحن كذلك

---

(١) «السيرة» لابن هشام (١/ ٢٨٥) و «إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٣١).

(٢) «السيرة» لابن هشام (١/ ٦٢) و «إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٣٢).

(٣) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٣٢).

(٤) حسن إلى أبي رجاء العطاردي: وهو مخضرم، والأثر أخرجه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص٥٥) بإسناده عن حسن بن الربيع عن مهدي بن ميمون عن أبي رجاء العطاردي، وأورده ابن القيم في «إغاثة اللفهان» (٢/ ٦٣٢) عن حنبل عن حسن بن الربيع به.

(٥) حسن إلى أبي رجاء العطاردي: أخرجه ابن الجوزي في «تليس إبليس» (ص٥٥) من طريق عمارة بن مهران المعولي عن أبي رجاء العطاردي، وإسناده حسن.

نطلبه إذ نحن بمناد ينادي: إنا قد وجدنا ربكم أو شبهه، فإذا حجر فنحرنا عليه الجزور[١].

وقال عمرو بن عبسة: كنت ممن يعبد الحجارة فينزل الحي ليس معهم إله، فيخرج الرجل منهم فيأتي بأربعة أحجار فينصب ثلاثة لقدره ويجعل أحسنها إلهًا يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسن منه قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره[٢]. ولما فتح رسول اللَّه ﷺ مكة وجد حول البيت ثلاث مائة وستين صنمًا فجعل يطعن بنشبة قوسه في وجوهها وعيونها ويقول: «﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾» وهي تتساقط على وجوهها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحرقت[٣].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في خاتمة كتابه «الإغاثة»[٤]:

فصل: وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم: فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد والسرج ونهى عن الصلاة إلى القبور، وسأل ربه ﷺ أن لا يجعل قبره وثنًا يعبد، ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدًا، وقال: «**اشتد غضب اللَّه على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» وأمر بتسوية القبور وطمس التماثيل[٥]. قلت: وسنذكر الأحاديث المسندة في ذلك تقريبًا إن شاء اللَّه تعالى. قال: فأبي المشركون إلا خلافه في ذلك كله إما جهلًا وإما عنادًا لأهل التوحيد، ولم يضرهم ذلك شيئًا، وهذا السبب هو الغالب على

---

(١) **في إسناده كلام**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٩١٤) وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٩٧) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٠٤) وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص٥٥) من طريق يزيد بن هارون عن الحجاج بن أبي زينب عن أبي عثمان النهدي، والحجاج بن أبي زينب لا بأس به إلا في روايته عن أبي عثمان، فقد قال العقيلي: روى عن أبي عثمان النهدي حديثًا لا يتابع عليه.

(٢) **ضعيف الإسناد جدًا**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢١٧) من طريق محمد بن عمر الواقدي وهو متروك، ومن طريقه أخرجه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص٥٥) وأورده ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٣٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٧٨) ومسلم (١٧٨١) والترمذي (٣١٤٩) وغيرهم من حديث ابن مسعود.

(٤) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (٢/ ٦٣٣).

(٥) سيذكر المصنف رحمه الله هذه الأحاديث في الفصل السادس والسابع وسيأتي الكلام عنها تفصيلًا إن شاء الله تعالى.

عوام المشركين، وأما خواصهم فإنهم اتخذوا بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتًا وسدنة وحجابًا وحجًا وقربانًا، ولم يزل هذا في الدنيا قديمًا وحديثًا، فمنها بيت على رأس جبل بأصبهان كانت به أصنام أخرجها بعض ملوك المجوس وجعله بيت نار. ومنها بيت ثان وثالث ورابع بصنعاء بناه بعض المشركين على اسم الزهرة فخرَّبه عثمان رضي الله عنه. ومنها: بيت بناه قابوس الملك على اسم الشمس بمدينة فرغانة فخرَّبه المعتصم، وأشد الأمم في هذا النوع من الشرك الهند. قال يحيى بن بشر: إن شريعة الهند وضعها لهم رجل يقال له برهمن ووضع لهم أصنامًا وجعل أعظم بيوتها بيتًا بمدينة من مدائن «السند» وجعل فيه صنمهم الأعظم وزعم أنه بصورة الهيولى الأكبر، وفتحت هذه المدينة في أيام الحجاج واسمها الملتان[1]. إلى أن قال رحمه الله: وأصل هذا المذهب من مشركي الصابئة وهم قوم إبراهيم عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشرك وكسر حجتهم بعلمه، وآلهتهم بيده، فطلبوا تحريقه. وهو مذهب قديم في العالم وأهله طوائف شتى، فمنهم عباد الشمس زعموا أنها ملك من الملائكة لها نفس وعقل، وهي أصل نور القمر والكواكب، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها، وهي عندهم ملك الفلك يستحق التعظيم والسجود والدعاء. ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتخذوا لها صنمًا بيده جوهر على نوع النار، وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياع وله سدنة وقوام وحجبة يأتون البيت ويصلون فيه لها ثلاث كرات في اليوم، ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمس سجدوا كلهم، وإذا غربت، وإذا توسطت الفلك. ولهذا يقارفها الشيطان في هذه الأوقات الثلاثة لتقع عبادتهم وسجودهم له، ولهذا نهى النبي ﷺ عن تحرى الصلاة في هذه الأوقات[2] قطعًا لمشابهة الكفار ظاهرًا، وسدًّا لذريعة الشرك وعبادة الأصنام. اهـ[3].

قلت: وقد ذكر اللَّه عز وجل عبادة الشمس عن أهل سبأ من أرض اليمن في عهد بلقيس، كما حكى قول الهدهد حيث قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[النمل: الآية ٢٤]

---

(١) انظر فيما سبق «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص٥٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٨١-٥٨٦) ومسلم (٨٢٧، ٨٢٨) وغيرهما، من حديث عدد من الصحابة رضي الله عنهم.

(٣) هذا آخر كلام ابن القيم في «إغاثة اللفهان» (٢/ ٦٣٧).

إلى آخر الآيات، وهداها اللَّه تعالى إلى الإسلام على يد نبيه سليمان ﷺ حيث قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: الآية ٤٤].

ثم قال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى:

(فصل) وطائفة أخرى اتخذت للقمر صنمًا، وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلى، ومن شريعة عباده أنهم اتخذوا لهم صنمًا على شكل عجل ويجره أربعة، وبيد الصنم جوهرة، ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أيامًا معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه. ومنهم من يعبد أصنامًا اتخذوها على صور الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه، ومتى أردت الوقوف على هذا فانظر في كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» المنسوب لابن خطيب الرى، تعرف عبادة الأصنام وكيفية تلك العبادة وشرائطها، وكل هؤلاء مرجعهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريق إلا بشخص خاص على شكل خاص ينظرون إليه ويعكفون عليه، ومن هنا اتخذ أصحاب الروحانيات والكواكب أصنامًا زعموا أنها على صورها، فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب فجعلوا الصنم على شكله وهيئته وصورته ليكون نائبًا منابه وقائمًا مقامه، وإلا فمن المعلوم أن عاقلًا لا ينحت خشبة أو حجرًا بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده. ومن أسباب عبادتها أيضًا أن الشياطين تدخل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيبات عنهم وتدلهم على بعض ما يخفى عليهم، وهم لا يشاهدون الشيطان، فجهلتهم وسقطهم يظنون أن الصنم نفسه هو المتكلم المخاطب. وعقلاؤهم يقولون إن تلك روحانيات الأصنام، وبعضهم يقول إنها الملائكة، وبعضهم يقول إنها هى العقول المجردة، وبعضهم يقول هى روحانيات الأجرام العلوية، وكثير منهم لا يسأل عما عهد بل إذا سمع الخطاب من الصنم اتخذه إلهًا ولا يسأل عما وراء ذلك. وبالجملة فأكثر أهل الأرض مفتونون بعبادة الأصنام والأوثان، ولم يتخلص منها إلا الحنفاء أتباع ملة إبراهيم ﷺ وعبادتها في الأرض من قبل نوح ﷺ كما تقدم، وهياكلها ووقوفها وسدنتها وحجابها والكتب المصنفة في شرائع عبادتها طبق الأرض. قال إمام الحنفاء ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ * رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾، والأمم التى أهلكها اللَّه تعالى بأنواع الهلاك كلهم يعبدون الأصنام كما قص اللَّه ﷻ ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسل

وأتباعهم من الموحدين. ويكفي في معرفة كثرتهم وأنهم أكثر أهل الأرض ما صح عن النبي ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون(١)، وقد قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا﴾ [الإسراء: الآية ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: الآية ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٠٣﴾ [يوسف: الآية ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ ١٠٢﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢]، ولو لم تكن الفتنة بعبادة الأصنام عظيمة لما أقدم عبادها على بذل نفوسهم وأموالهم وأبنائهم دونها، فهم يشاهدون مصارع إخوانهم وما حل بهم ولا يزيدهم ذلك إلا حبًّا لها وتعظيمًا ويوصي بعضهم بعضًا بالصبر عليها وتحمل أنواع المكارة في نصرتها وعبادتها، وهم يسمعون أخبار الأمم التي فتنت بعبادتها وما حل بهم من عاجل العقوبات ولا يثنيهم ذلك عن عبادتها، ففتنة عبادة الأصنام أشد من فتنة عشق الصور وفتنة الفجور بها، والعاشق لا يثنيه عن مراده خشية عقوبة في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحل بأصحاب ذلك من الآلام والعقوبات والضرب والحبس والنكال والفقر، غير ما أعد اللَّه له في الآخرة وفي البرزخ ولا يزيده ذلك إلا إقدامًا وحرصًا على الوصول والظفر بحاجته، فهكذا الفتنة بعبادة الأصنام وأشد، فإن تأله القلوب لها أعظم من تألهها للصور التي يريد منها الفاحشة بكثير، والقرآن بل وسائر الكتب الإلهية من أولها إلى آخرها مصرحة ببطلان هذا الدين وكفر أهله وأنهم أعداء اللَّه وأعداء رسله وأنهم أولياء الشيطان وعباده وأنهم هم أهل النار الذين لا يخرجون منها وهم الذين حلت بهم المثلات ونزلت بهم العقوبات وأن اللَّه سبحانه بريء منهم هو وجميع رسله وملائكته وأنه سبحانه لا يغفر لهم ولا يقبل لهم عملًا، وهذا معلوم بالضرورة من الدين الحنيف، وقد أباح اللَّه ﷻ لرسوله وأتباعه من الحنفاء دماء هؤلاء وأموالهم ونساءهم وأبناءهم، وأمرهم بتطهير الأرض منهم حيث وجدوا وذمهم بسائر أنواع الذم وتوعدهم بأعظم أنواع العقوبة. فهؤلاء في شق ورسل اللَّه في شق.

ثم قال رحمه اللَّه تعالى:

فصل: ومن أسباب عبادة الأصنام الغلو في المخلوق وإعطاؤه فوق منزلته حتى جعلوا فيه حظًّا من الإلهية وشبهوه باللَّه تعالى، وهذا هو التشبيه الواقع في الأمم الذي

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٨) ومسلم (٢٢٢) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

أبطله اللَّه سبحانه وبعث رسله وأنزل كتبه بإنكاره والرد على أهله، فهو سبحانه ينفي وينهى أن يجعل غيره مثلًا له وندًّا وشبهًا له، لا أن يشبه هو بغيره إذ ليس في الأمم أمة جعلته سبحانه مثلًا لشيء من مخلوقاته فجعلت المخلوق أصلًا وشبهت به الخالق فهذا لا يعرف في طائفة من طوائف بنى آدم، وإنما الأول هو المعروف في طوائف أهل الشرك غلوًّا في من يعظمونه ويحبونه حتى شبهوه بالخالق وأعطوه خصائص الإلهية، بل صرحوا أنه إله وأنكروا جعل الآلهة إلهًا واحدًا وقالوا اصبروا على آلهتكم، وصرحوا بأنه إله معبود يرجى ويخاف ويعظم ويسجد له ويحلف باسمه ويقرب له القرابين إلى غير ذلك من خصائص العبادة التى لا تنبغي إلا للَّه تعالى[1]. ثم ذكر رحمه اللَّه تعالى في ذلك بحثًا نفيسًا فأجاد وأفاد، ثم ذكر باقى طوائف المشركين من عباد النار والماء والحيوانات والملائكة وغيرهم من الثنوية والدهرية والفلاسفة، وذكر من أوضاع شرائعهم الباطلة وأصولها وكيفية عبادتهم لما ألهوه ونقض ذلك عليهم أتم نقض، تغمده اللَّه برحمته[2].

والمقصود أن أكثر شرك الأمم التى بعث اللَّه إليها رسله وأنزل كتبه غالبهم إنما أشرك في الإلهية، ولم يذكر جحود الصانع إلا عن الدهرية والثنوية، وأما غيرهم ممن جحدها عنادًا كفرعون ونمرود وأضرابهم فهم مقرون بالربوبية باطنًا كما قدمنا، وقال اللَّه ﷻ عنهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: الآية ١٤]، وبقية المشركين يقرون بالربوبية باطنًا وظاهرًا كما صرح بذلك القرآن فيما قدمنا من الآيات وغيرها، مع أن الشرك في الربوبية لازم لهم من جهة إشراكهم في الإلهية وكذا في الأسماء والصفات، إذ أنواع التوحيد متلازمة لا ينفك نوع منها عن الآخر، وهكذا أضدادها فمن ضاد نوعًا من أنواع التوحيد بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثال ذلك في هذا الزمن عباد القبور إذا قال أحدهم يا شيخ فلان - لذلك المقبور - أغثنى أو افعل لى كذا ونحو ذلك يناديه من مسافة بعيدة وهو مع ذلك تحت التراب وقد صار ترابًا. فدعاؤه إياه عبادة صرفها له من دون اللَّه لأن الدعاء مخ العبادة، فهذا شرك في الإلهية. وسؤاله إياه تلك الحاجة من جلب خير أو دفع ضر أو رد غائب أو شفاء مريض أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلا اللَّه معتقدًا أنه قادر على ذلك هذا شرك في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرف مع اللَّه تعالى في ملكوته. ثم إنه لم

---

(١) آخر كلام ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٦٣٧- ٦٤٠).

(٢) وقد قمت منذ سنوات مديدة بتحقيق كتاب «إغاثة اللهفان» لابن القيم رحمه الله، ولعله يطبع قريبًا بعون الله وتوفيقه.

يدعه هذا الدعاء إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان وفي أي مكان ويصرحون بذلك، وهذا شرك في الأسماء والصفات حيث أثبت له سمعًا محيطًا بجميع المسموعات لا يحجبه قرب ولا بعد فاستلزم هذا الشرك في الإلهية الشرك في الربوبية والأسماء والصفات.

أنواع الشرك

وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ فَشِرْكٌ أَكْبَرُ ... بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لَا يُغْفَرُ
وَهْوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيرَ اللَّهِ ... نِدًّا بِهِ مُسَوِّيًا مُضَاهِي

«**والشرك**» الذي هو ضد التوحيد «**نوعان**» أي: ينقسم إلى نوعين «**فشرك أكبر**» ينافي التوحيد بالكلية ويخرج صاحبه من الإسلام «**به خلود**» فاعله في «**النار**» أبدًا «**إذ**» تعلل لأبدية الخلود أي لكونه «**لا يغفر**» قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: الآية ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية ١١٦]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: الآية ٧٢]، وقال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ * حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾، وقال لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: الآية ٨٨]، وقال لخاتمهم محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾، فالشرك أعظم ذنب عصي اللَّه به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضل من فاعله، وأنه مخلد في النار أبدًا لا نصير له ولا حميم ولا شفيع يطاع، وأنه لو قام للَّه تعالى قيام السارية ليلًا ونهارًا ثم أشرك مع اللَّه تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها ولو كان نبيا رسولًا، ولو كان محمدًا ﷺ، وهذا من تقدير وقوع المحال وهو كثير في اللغة العربية، أي: لو قدر وقوع ذلك من ملك أو رسول لكان كغيره من المشركين في حبوط عمله وحلول غضب اللَّه عليه، وإلا فلم يرسل اللَّه تعالى رسولًا إلا

معصومًا من جميع المعاصي فضلًا عن الشرك: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٤]، والآيات في بيان عظم الشرك ووعيد فاعله أكثر من أن يحيط بها هذا المختصر، وفي معناها من الأحاديث ما لا يحصى، ولنذكر من ذلك ما تيسر فنقول وبالله التوفيق:

في «الصحيح» عن عبد الله بن مسعود «رضي الله عنه» قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ مَاتَ يشرِكُ باللَّهِ شَيئًا دَخَلَ النَّارَ**» وقلت أنا: «**ومن مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**»[1]. وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله ما الموجبتان؟ فقال: «**مَن مَاتَ لَا يشْرِكُ باللَّهِ شَيئًا دَخَلَ الجنَّةَ، وَمَن مَاتَ يشْرِكُ باللَّهِ شَيئًا دَخَلَ النَّار**»[2]. وفيه عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن لَقِيَ اللَّهَ لَا يشرِكُ بِه شَيئًا دَخَل الجنةَ، ومَن لَقِيَ اللَّهَ يشْرِكُ بِه شَيئًا دَخَلَ النَّارَ**»[3] وفيه من حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أَتَانِي جبريلُ عَلَيهِ السَّلامُ فَبَشَّرَنِي أنهُ مَن ماتَ مِن أمَّتِكَ لا يشرِكُ بِاللَّهِ شَيئًا دَخَلَ الجنةَ. قلتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قالَ: وإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**»[4]. وفيه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «**أَنْ تجْعَلَ للَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»[5] الحديث. وفيه عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «**أَلَا أُنَبِّئُكُم بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ -ثلاثًا-: الإِشْراكُ باللَّهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَينِ، وشَهَادَةُ الزُّورِ**»[6] الحديث.

وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الدَّواوِينُ عند اللَّه ثلاثة: ديوان لا يعبأ اللَّه به شيئًا، وديوان لا يترك اللَّه منه شيئًا، وديوان لا يغفره اللَّه. فأما الديوان الذي لا يغفره اللَّه فالشرك باللَّه، قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾** [النساء: الآية ٤٨] **وقال: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾** [المائدة: الآية ٧٢] **وأما الديوان الذي لا يعبأ اللَّه به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين اللَّه من صوم يوم تركه أو صلاة فإن اللَّه تعالى يغفر ذلك ويتجاوزه إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك اللَّه منه شيئًا**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٣٨) ومسلم (٩٢).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٩٣).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٩٣).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٣٧) ومسلم (٩٤).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم (٨٦).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٥٤) ومسلم (٨٧).

فظلم العباد بعضهم بعضًا، القصاص لا محالة» تفرد به أحمد[1]. وله عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كُلُّ ذَنبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ، إِلَّا الرَّجُلُ يَمُوتُ كَافِرًا**

---

(١) أسانيده ضعيفة: أخرجه أحمد (٦/ ٢٤٠) والحاكم (٨٧١٧) والبيهقي في «الشعب» (٧٤٧٣، ٧٤٧٤) من طرق عن صدقة بن موسى عن أبي عمران الجوني عن يزيد بن بابنوس عن عائشة مرفوعًا وصححه الحاكم وتعقبه الذهبي فقال: فيه صدقة بن موسى ضعفوه، يزيد بن بابنوس فيه جهالة.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨) وقال: رواه أحمد وفيه صدقة بن موسى وقد ضعفه الجمهور، وقال مسلم بن إبراهيم حدثنا صدقة بن موسى وكان صدوقًا.

وبقية رجاله ثقات. اهـ.

قلت (يحيى): صدقه بن موسى الدقيقي ضعيف، وأما يزيد بن بابنوس ففيه كلام.

وللحديث شاهد من حديث سلمان الفارسي مرفوعًا أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٥٢ح ٦١٣٣) وفي «الصغير» (١٠٢) وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٠٢) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٣٣) عن عبيد الله بن محمد الحارثي عن يزيد بن سفيان بن عبدالله بن رواحة عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٤٨) وقال: وفيه يزيد بن سفيان بن عبدالله بن رواحة وهو ضعيف وبقية رجالة ثقات.

قلت (يحيى): يزيد منكر الحديث يروي نسخة منكرة منها هذا الحديث وترجمته «باللسان» (٦/ ٣٧٣) والراوي عنه لم يوثقه غير ابن حبان حيث ذكره في «الثقات» (٨/ ٤٠٧) وقال: مستقيم الحديث.

وللحديث شاهد ثان من حديث أنس بن مالك أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢١٠٩) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٠٩) وفي إسناده يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف، وأخرجه البزار في «مسنده»، وإليه عزاه ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٠٩) عن أحمد بن مالك عن زائدة ابن أبي الرقاد عن أنس مرفوعًا، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٤٨) وقال: رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري ولم أعرفه، وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم.

قلت (يحيى): زائدة بن أبي الرقاد منكر الحديث.

وللحديث شاهد ثالث أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧/ ٣١٢ح ٧٥٩٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، ومن طريقه أورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٤٨) وقال: وفيه طلحة ابن عمرو وهو متروك.

قلت (يحيى): الضعف في الطرق شديد وأحسنها حالًا حديث عائشة، لكن تقوية الحديث بمجموع الطرق مع ما فيها من الضعف بعيد، خاصة أن الحديث أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ١٨٣ جامع معمر) عن معمر عن قتادة أو الحسن أو كليهما موقوفًا. وهذا وإن كان فيه ضعف لضعف رواية معمر عن البصريين إلا أنه أحسن حالًا من المرفوعات وتقوية المرفوع بالموقوف تعنت والأصوب إعلال المرفوع بالموقوف، وليس القصد هنا الإعلال بل القصد بيان أن للمتن أصلًا موقوفًا لا مرفوعًا، والله أعلم.

أَوْ الرَّجُلُ يقْتُلُ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا»[1] ورواه النسائي أيضًا . ولأحمد عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يقُولُ : يا عَبدِي ، مَا عَبدتَنِي وَرَجَوتَنِي فإنِّي غَافِرٌ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنكَ ، يا عَبْدِي إنَّكَ إنْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خَطَايا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشرِكُ بِي شَيئًا لَقِيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**»[2] . وللترمذي وقال حسن صحيح عن أنس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**قالَ اللَّهُ تَعَالَى : يا ابنَ آدَمَ ، إنكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنكَ وَلَا أُبَالِي . يا ابنَ آدَم لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرتَنِي غَفَرتُ لَكَ ، يا ابنَ آدَمَ لَو أَتَيتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خَطَايا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيئًا لأَتَيتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرةً**»[3] . ولابن أبي حاتم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَا مِنْ نفسٍ تَموتُ لا تشركُ باللَّهِ شَيئًا إلا حَلَّت لَهَا المغفِرَةُ ، إنْ شَاءَ اللَّهُ عَذَّبَهَا وإنْ شَاءَ غَفَرَ لَهَا** : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: الآية ٤٨]»[4] . ولأبي يعلى عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «**لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب**» . قيل : يا نبي الله ،

---

(١) **صحيح من غير حديث معاوية** : أما حديث معاوية رضي الله عنه فأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٩٩) وعبدالله في «السنة» (٨١٢ بتحقيقي) والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٨١) وفي «الكبرى» (٣٤٤٦) والحاكم (٨٠٣١) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٦٤ح ٨٥٦، ٨٥٧) وفي «الأوسط» (٥/ ٢١٩ح ٥١٣٥) وفي «الشاميين» (٤٩٧) جميعًا من طريق أبي عون عن أبي إدريس الخولاني عن معاوية مرفوعًا ، وإسناده ضعيف ، أبو عون هو عبدالله بن أبي عبدالله الأنصاري الشامي الأعور مجهول الحال ، وترجمته «بالتهذيب» (١٢/ ١٩١) لكن الحديث أخرجه أبو داود (٤٢٧٠) والحاكم (٨٠٣٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢١) من طريق خالد بن دهقان عن عبدالله بن أبي زكريا عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعًا ، وهذا إسناد صحيح ، وخالد ثقة ، وانظر تعليقي على كتاب «السنة» لعبد الله بن أحمد .

(٢) **صحيح بمجموع طرقه** : أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٦٧ ، ١٧٢) والدارمي (٢٧٨٨) من طريق جرير وعامر الأحول وغيلان جميعًا عن شهر بن حوشب عن عمرو بن معديكرب عن أبي ذر مرفوعًا ، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٦١ ح١٤٠١) من طريق عبدالحميد عن شهر عن ابن غنم عن أبي ذر مرفوعًا ، وشهر متكلم فيه ، وقد اختلف عليه ، لكن ورد بعض هذا المتن من حديث أبي ذر بإسناد صحيح ، أخرجه مسلم (٢٦٨٧) وأحمد (٥/ ١٨٠) وغيرها من طريق معرور بن سويد عن أبي ذر .

(٣) **صحيح بشواهده** : أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٣١) وفي إسناده كثير ابن فائد ليس بالقوي ، لكن يتقوى الحديث بشواهده . والحديث قال فيه الترمذي : حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

(٤) **ضعيف الإسناد** : أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥١٠) من طريق ابن أبي حاتم بإسناده عن موسى بن عبيدة الربذي عن عبدالله بن عبيدة عن جابر مرفوعًا به ، وإسناده ضعيف لضعف موسى والانقطاع بين جابر وعبدالله بن عبيدة .

وما الحجاب؟ قال: «**الإشراك بالله، قال: ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئًا إلا حلتها المغفرة من الله تعالى، إن شاء أن يعذبها وإن شاء أن يغفر لها**» ثم قرأ النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: الآية ٤٨](١) ولأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ لَا يشرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(٢) ولابن أبي حاتم عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام، قال: «**وَمَا دِينُه**» قال: يصلث ويوحد الله، قال: «**اسْتَوهِب منهُ دِينَهُ، فَإِنْ أَبَى فَابْتَعْهُ مِنهُ**» فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال: وجدته شحيحًا على دينه، قال فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: الآية ٤٨](٣) وللطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَن عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدرَةٍ عَلَى مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ غَفَرتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي مَا لَم يشرِكْ بِي شَيْئًا**»(٤) ولابن مردويه عن

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥١٠) وعزاه لأبي يعلى في «مسنده» من طريق موسى ابن عبيدة الربذي عن أخيه عبدالله بن عبيدة عن جابر مرفوعًا به، ومن طريق موسى أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٣٤) وإسناده ضعيف لما ذكرتُ في التعليق السابق.

(٢) **صحيح من غير حديث أبي سعيد**: أما حديث أبي سعيد فأخرجه أحمد (٣/ ٧٩) من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي، والحديث صحيح من غير طريقه أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود ومن حديث أبي ذر، وأخرجه مسلم من حديث جابر، وسبق تخريج ذلك.

(٣) **ضعيف الإسناد جدًّا**: أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥١١) من طريق ابن أبي حاتم بإسناده عن واصل بن السائب عن أبي سورة بن أخي أبي أيوب عن أبي أيوب الأنصاري به، ومن طريق واصل أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ١٧٧ح ٤٠٦٣) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥) وقال: رواه الطبراني وفيه واصل بن السائب وهو ضعيف.

قلت: بل متروك وشيخه منكر الحديث.

(٤) **حسن بشواهده**: أخرجه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٠٢) والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٤١ح ١١٦١٥) عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف إبراهيم بن الحكم، لكن إبراهيم متابع، تابعه حفص بن عمر العدني وهو ضعيف أخرج حديثه الحاكم (٧٦٧٦) وصححه.

قلت: فيتقوى الحديث باتفاقهما، ثم للحديث شواهد عامة، وقد ورد بهذا اللفظ من حديث أبي ذر مرفوعًا بإسناد ضعيف صالح للشواهد، أخرجه الترمذي (٢٤٩٥) وابن ماجة (٤٢٥٧) وأحمد (٥/ ١٧٧) وغيرهم.

والحديث يحسن لحال الحكم بن أبان فإنه صدوق وفيه كلام.

عمران بن حصين رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**أخبركم بأكبر الكبائر: الإشراك بالله**» ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ٤٨] «**وعقوق الوالدين**» ثم قرأ: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: الآية ١٤] [١]، وللإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢]، شق ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله أينا لا يظلم نفسه؟ قال: «**إنَّهُ لَيسَ الذِي تَعْنُونَ، ألَم تَسْمَعُوا مَا قَالَ العَبدُ الصَّالِحُ**: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، الحديث في الصحيحين[٢]. ولابن مردويه من حديث عبادة وأبي الدرداء رضي الله عنهما: «**لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيئًا وإنْ قُطِّعْتم أَوْ صُلِّبْتُم أو حُرِّقْتُم**»[٣]. ولابن أبي حاتم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

---

(١) ضعيف الإسناد وله شاهد صحيح: أما هذا فأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥١٢) من طريق ابن مردويه بإسناده عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين، ومن طريق سعيد أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٤٠ح ٢٩٣) وسعيد متابع من الحكم بن عبدالملك عند البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠).

قلت: سعيد بن بشير والحكم بن عبدالملك ضعيفان، والحسن مدلس وفي سماعه من عمران بن حصين كلام، والمتن صحيح من غير الآيات من حديث أبي بكرة وسبق تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢) ومسلم (١٢٤) وأحمد (١/ ٣٧٨، ٤٢٤، ٤٤٤) وغيرهم.

(٣) صحيح لشواهده: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٨٩) عن ابن مردويه ولم يذكر إسناده إلى عبادة وأبي الدرداء.

ثم أورده من طريق ابن أبي حاتم بإسناده عن يزيد بن قوذر عن سلمة بن شريح عن عبادة بن الصامت مرفوعًا ومن طريق يزيد أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٩٢٠) والضياء في «المختارة» (٣٥١) وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢١٦) للطبراني وأعله بسلمة بن شريح.

قلت: سلمة مجهول لا يعرف ترجمته «باللسان» (٣/ ٨٠) ويزيد مجهول الحال ذكره ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٦٢٦) ولم يوثقه معتبر، وأصل حديث عبادة بن الصامت أخرجه البخاري (١٨) ومسلم (١٧٠٩) من غير هذا اللفظ وهو مما يزيد ضعفه، وأما حديث أبي الدرداء فأخرجه ابن ماجة (٤٠٣٤) والبيهقي في «الشعب» (٥٥٨٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٥٢٤) بنحوه بضمير المخاطب المفرد، وإسناده لا بأس به، فيه شهر به حوشب وهو متكلم فيه، لكن يحسن -حديثه إذا لم يخالف أو ينفرد بغريب، وللحديث شاهد من حديث معاذ بن جبل أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٨) وإسناده منقطع صالح للشواهد، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨/ ٥٨ح ٧٩٥٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٠٦) متصلًا وفي إسناده عمرو ابن واقد القرشي وهو متروك. وبه أعله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٠٥) و(٤/ ٢١٥) وله شاهد آخر من حديث أميمة مولاة رسول الله ﷺ أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٩٠ح ٤٧٩) وفيه يزيد بن سنان الرهاوي وهو ضعيف، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٢١٧) وله شاهد=

قال: أوصانا رسول اللَّه ﷺ بسبع خصال: «**لا تشركوا باللَّه شيئًا وإن حرقتم وقطعتم وصلبتم**»[1]. وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار فقال لي: «**يا مُعاذُ، أتَدْري ما حَقُّ اللَّهِ عَلى العِبَادِ، وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟**» قلت اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**حَقُّ اللَّهِ عَلى العِبَادِ أنْ يعْبُدُوهُ وَلا يشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقُّ العِبَادِ عَلى اللَّهِ أنْ لا يعَذِّبَ مَن لا يشْرِكُ بِهِ شَيئًا**»[2]. وللبخارى عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضي الله عنه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: «**أي عَمِّ، قُل لا إلهَ إلَّا اللَّهُ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِندَ اللَّهِ**» فقال أبو جهل وعبد اللَّه بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وقال النبي ﷺ: «**لأسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَم أُنهَ عَنكَ**» فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: الآية ١١٣][3].

والأحاديث في عظم ذنب الشرك وشدة وعيده أكثر من أن تحصى، وقد قدمنا من أحاديث التوحيد جملة وافية عند الكلام على لا إله إلا اللَّه وغير ذلك والمقصود أن الشرك أعظم ما نهى اللَّه عنه، كما أن التوحيد أعظم ما أمر اللَّه به، ولهذا كان أول دعوة الرسل كلهم إلى توحيد اللَّه ﷻ ونفي الشرك فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ولم ينهوا عن شيء قبل الشرك كما قدمنا بسط ذلك. وما ذكر اللَّه تعالى التوحيد مع شيء من الأمور إلا جعله أولها، ولا ذكر الشرك مع شيء من النواهي إلا جعله أولها، كما في آية النساء: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: الآية ٣٦]، وكما في آية الأنعام التى طلب النبي ﷺ البيعة عليها وهى قوله تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

= من حديث خباب أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/ ٨١ ح ٣٧٠٩) وفي إسناده منير بن الزبير وهو ضعيف.

(١) ضعيف الإسناد: والمتن حسن بشواهده، وانظر تخريجه فيما سبق.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٧٣) ومسلم (٣٠) وغيرهما.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٤) ومسلم (٢٤) وغيرهما.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)﴾، وكما في آيات الإسراء: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: الآية ٢٣]- إلى قوله- ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩)﴾ [الإسراء: الآية ٣٩]، فابتدأ تلك الأوامر والنواهى بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وختمها بذلك. وكما في آيات الفرقان في الثناء على عباده المؤمنين في اجتنابهم الفواحش ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: الآية ٦٨] الآيات، وغير ذلك من الآيات. وكذلك في أحاديث النبي ﷺ الجامعة للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامر بالتوحيد وفي المناهي بالشرك، كما في حديث الكبائر المتقدم. وكما في حديث من سأل النبي ﷺ فقال: دلني على عمل يقربني من الجنة ويباعدني عن النار، قال: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيم، وإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَن يسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيئًا**» وذكر الحديث[١]. وكذا في أحاديث أركان الإسلام، كحديث جبريل المشهور[٢]، وحديث ابن عمر[٣]، وحديث وفد عبد القيس[٤] وغيرهما يبدأ فيها بالشهادتين. ومن تتبع القرآن والسنة وتدبر نصوصهما تبين له أنها لا تخرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بذلك ولم يخلق اللَّه الخلق إلا لذلك.

ما هو الشرك؟

«**وهو**» أي: الشرك الذي تقدم ذكره في المتن وذكر النصوص فيه في الشرح «**اتخاذ العبد غير اللَّه**» من نبي أو ولي أو ملك أو قبر أو جني أو شجر أو حجر أو حيوان أو نار أو شمس أو قمر أو كوكب أو غير ذلك. «**ندًا**» من دون اللَّه «**مسويا به**» اللَّه، يحبه كحب اللَّه،

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٩٤) وأحمد (٥/ ٢٣١) وعبد بن حميد (١١٢) والطيالسي (٥٦٠) وغيرهم من حديث معاذ بن جبل مرفوعًا بإسناد حسن.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر بن الخطاب.

(٣) **صحيح**: وهو حديث بني الإسلام على خمس، أخرجه البخاري (٨) ومسلم (١٦).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٣) ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

ويخافه ويخشاه كخشية اللَّه، ويتبعه على غير مرضاة اللَّه، ويطيعه في معصية اللَّه، ويشركه في عبادة اللَّه «**مضاهي**» به اللَّه، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة: الآية ١٦٥]، وحكى عنهم في اختصامهم في النار: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾، وقد أخبرنا اللَّه ﷻ أنهم لم يسووهم به في خلق ولا رزق ولا إحياء ولا إماته ولا في شيء من تدبير الملكوت بل أخبرنا أنهم مقرون للَّه تعالى بالربوبية ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾[الزخرف: الآية ٩]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تقدمت، ولكنهم سووهم باللَّه تعالى في حبهم إياهم كحب اللَّه ولم يجعلوا المحبة للَّه وحده في خوفهم منهم وخشيتهم كخشية اللَّه، ولم يجعلوا الخشية للَّه والخوف من اللَّه وحده. وأشركوهم في عبادة اللَّه ولم يفردوا اللَّه بالعبادة دون من سواه، مع أنهم لم يعبدوهم استقلالًا بل زعموهم شفعاء لهم عند اللَّه ليقربوهم إلى اللَّه زلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعة والتقريب ملكًا للمخلوق ويطلبونه منه وأنَّ له أن يشفع بدون إذن اللَّه واللَّه تعالى يقول: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[يونس: الآية ٣]، ولهذا سمى اللَّه تعالى استشفاعهم ذلك شركًا كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾[يونس: الآية ١٨]، فجمعوا في ذلك بين شركين:

الأول: عبادتهم إياهم من دون اللَّه ﷻ.

والثاني: جعلهم شفعاء بدون إذن اللَّه ﷻ، وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟﴾[الأنعام: الآية ٩٤]، وأيضًا فقد أخبرنا اللَّه تعالى أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيره في الرخاء، وأما في الشدة فكانوا يخلصون العبادة للَّه، قال اللَّه تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾[العنكبوت: الآية ٦٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا

وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ ، قال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٨]، وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٣٣]، وقال تعالى : ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: الآية ٦٧] الآيات، وقال تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ ، وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث حصين المتقدم لما قال له النبي ﷺ : «**كم تعبد اليوم من إله**» قال : سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «**فمن تعد لرغبتك ورهبتك**» قال: الذي في السماء[1]. ولما ركب بعض مشركى قريش فرارًا من النبي ﷺ حين فتح مكة فلما اضطرب البحر عليهم وشاهدوا من أمر اللَّه ما شاهدوا فقال بعضهم لبعض: ادعوا اللَّه فإنه لا ينجيكم من هذا إلا هو، فقال: واللَّه إن كان لا ينفع في البحر إلا هو، فإنه لا ينفع في البر إلا هو، لئن أخرجنى اللَّه من هذه لأذهبن إلى رسول اللَّه ﷺ فلأضعن يدى في يده[2]. وهذا بخلاف مشركى زماننا اليوم من عُبَّاد القبور وغيرها فإنهم يشركون في الشدة أضعاف شركهم في الرخاء، حتى إن كانوا ينذرون لهذا الولى في الرخاء ببعير أو تبيع أو شاة أو دينار أو درهم أو نحو ذلك فأصابتهم الشدة زادوا ضعف ذلك فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غير ذلك. وأيضًا فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبية وأنهم متصرفون فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه. وغلا بعضهم حتى جعل منهم المتصرف في تدبير الكون على سبيل الاستقلال ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرة ولا تسكن إلا بإذن فلان، تعالى اللَّه وتقدس وجل وعلا عن أن يكون معه إله غيره أو يكون له شريك في الملك أو ولى من الذل ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: الآية ٢٢]، ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) والطبراني (١٨/ ١٧٤ح ٣٩٦) وغيرهم وسبق تخريجه.

(٢) **في إسناده ضعف**: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٧/ ١٠٦) وفي «الكبرى» (٣٥٣٠) وابن أبي شيبة (٣٦٩١٣) وأبو يعلى (٧٥٧) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٣/ ٣٣٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٠٥) من طريق أسباط ابن نصر عن السدي عن مصعب بن سعد عن أبيه، وأسباط متكلم فيه، وأخرجه أبو داود (٢٦٨٣) وغيره من غير موضع الشاهد بهذا الإسناد.

ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ ، وغير ذلك من الآيات .

الشرك في القصد

يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولَ الضُّرِّ   لِجَلْبِ خَيرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ
أَوْ عِنْدَ أَي غَرَضٍ لَا يقْدِرُ   عَلَيهِ إِلَّا الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
مَعْ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ   أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ
فِي الْغَيبِ سُلْطَانًا بِهِ يطَّلِعُ   عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيهِ يفْزَعُ

«**يقصده**» أي : المتخذ ذلك الند من دون اللَّه يقصد نده «**عند نزول الضر**» به من خير فاته أو شر دهمه . «**لجلب خير**» له «**أو لدفع الشر**» عنه «**أو عند**» احتياج «**أى غرض**» من الأغراض ، والحال أنه «**لا يقدر عليه**» أي : على ذلك الغرض «**إلا المالك المقتدر**» وهو اللَّه ﷻ «**مع جعله**» أي : العبد «**لذلك المدعو أو المعظم أو المرجو**» من ملك أو نبي أو ولي أو قبر أو شجر أو حجر أو كوكب أو جني «**في الغيب سلطانًا**» أي : يعتقد أن له سلطانًا غيبيا فوق طوق البشر «**به يطلع**» أي : بذلك السلطان الذي اعتقده فيه «**على ضمير من إليه**» إلى ذلك الند «**يفزع**» في قضاء أى حاجة من شفاء مريض أو رد غائب أو غير ذلك ، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه ويرى مكانه ويعلم حاجته ويقضيها بقدرة اعتقدها فيه مع اللَّه ، والمقصود : أنه يثبت له من صفات الربوبية ما يرفعه عن درجة العبودية إلى درجة المعبودية ، ويجعله مستحقًّا العبادة مع اللَّه . ومن هنا : يتبين لك ما قدمنا من أن الشرك في الألوهية يستلزم الشرك في الربوبية والأسماء والصفات ولابد ، ويتبين لك عظم ذنب الشرك وأنه أقبح الذنوب وأظلم الظلم وأكبر الكبائر ، وأن اللَّه تعالى لا يغفره ولا يقبل لأحد معه عملًا وأنه لا أشد هلكة منه ، وما أرسل اللَّه الرسل وأنزل الكتب إلا بالنذارة عن الشرك والدعوة إلى التوحيد ، وما هلكت الأمم الغابرة وأعدت لهم النيران في الآخرة إلا بالشرك والإباء عن التوحيد ، ولا نجا الرسل وأتباعهم من خزى الدنيا وعذاب الآخرة إلا بالتزام التوحيد والبراءة من الشرك ، فما هلك قوم نوح بالطوفان ، ولا عاد بالريح العقيم ، ولا ثمود بالصيحة ، ولا أهل مدين بعذاب يوم الظلة ؛ إلا بالشرك وعبادة الأصنام ، وهكذا الأمم من بعدهم بأنواع العذاب ، ولم يخرج عصاة الموحدين من النار في الآخرة إلا بالتوحيد ، ولم

يخلد غيرهم فيها أبدًا مؤبدًا إلا بالشرك .

ثم اعلم : أن ما عُبد من دون اللّه إما عاقل أو غير عاقل ، فالعاقل كالآدمى والملائكة والجن ، وينقسمون إلى قسمين : راض بالعبادة له ، وغير راض بها .

فالأول : كفرعون وإبليس وغيرهما من الطواغيت ، وهؤلاء في النار مع عابديهم كما قال اللّه ﷻ : ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ ، وقال تعالى في شأن إبليس : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: الآية ٨٥]، وقال في شأن فرعون : ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: الآية ٩٨]، وقال تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [فصلت: الآية ٢٩]، وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: الآية ١٢٨]، وغير ذلك من الآيات .

والقسم الثاني : وهو من كان مطيعًا للّه وغير راض بالعبادة له من دون اللّه ، كعيسى ومريم وعزير والملائكة وغيرهم فهم برآء ممن عبدهم في الدنيا والآخرة ، كما قال اللّه تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٦] ، إلى آخر الآيات . وقال تعالى في شأن الملائكة : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ ، وقال تعالى في شأن كل من عُبد من دون اللّه تعالى من الملائكة وعيسى وأمه وعزير وغيرهم من أولياء اللّه مطلقًا إلى يوم القيامة : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ الآية ، وغيرها من الآيات .

وأما غير العاقل من الأشجار والأحجار وغيرها مما لا يعقل فيشملها قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ

ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ ، ولكن الأحجار لا أرواح فيها وإنما يعذب بها من عبدها من دون الله كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[التحريم: الآية ٦] الآية ، وكما يعذب عبد الدينار والدرهم بهما كما قال الله ﷻ : ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ، وفي الصحيح من حديث أبي سعيد في الشفاعة بطوله وفيه : «**ينَادِي مُنَادٍ : ليذهبْ كُلُّ قوم إلى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ، فيذهبُ أصحابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِم ، وَأَصْحَابُ الأوثانِ مَعَ أَوْثَانِهِم ، وأصحابُ كُلِّ آلهةٍ مَعَ آلهتِهِمْ**»[١] وفيه في حديث أبي هريرة ﷺ : «**يجْمَعُ اللَّهُ الناسَ يومَ القِيامَةِ فيقولُ : مَن كانَ يعبُدُ شيئًا فَلْيتَّبِعْهُ ، فيتَّبِعُ مَنْ كَانَ يعبُدُ الشَّمسَ الشَّمْسَ ، ويتبعُ مَنْ كَانَ يعبُدُ القَمَرَ القَمَرَ ، ويتبعُ مَن كَانَ يعبُدُ الطَّواغيتَ الطَّوَاغيتَ**»[٢] الحديث . وفي حديث الصور الطويل : «**ألا ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون من دون الله ، فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ، ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم ، ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى . ثم قادتهم آلهتهم إلى النار ، وهو الذي يقول تعالى** : ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾[الأنبياء: الآية ٩٩] »[٣] .

وفي حديث ابن مسعود ﷺ عن الدارقطني والطبراني وعبد الله بن أحمد وغيرهم من المصنفين في السنة عن رسول الله ﷺ الحديث بطوله . وفيه : «**ثم ينادي أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا أن يولي كل أناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا ، أليس ذلك عدلًا من ربكم؟ قالوا : بلى ، قال : فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا . قال : فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون ، فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون ، قال : ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ، ويمثل لمن كان يعبد عزيرًا شيطان عزير ، ويبقى محمد ﷺ وأمته**» الحديث[٤] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٣٩) ومسلم (١٨٣) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٨٠٦، ٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) .

(٣) ضعيف الإسناد : وهو جزء من حديث طويل وسيأتي الكلام عنه في بابه .

(٤) ضعيف الإسناد : أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٢٩٤ بتحقيقي) والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٣٥٧ح ٩٧٦٣) وغيرهما ، وسبق الكلام عنه عند كلام المصنف عن رؤية الله تبارك وتعالى .

قلت وقوله: «**يمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون**» الخ هذا في مثل عيسى وعزير. وأما عبدة الطاغوت فتقودهم طواغيتهم حقيقة لا أشباهها كما صرح به الكتاب والسنة والله أعلم.

الشرك الأصغر

وَالثَّانِ شِرْكٌ أَصْغَرُ وَهْوَ الرِّيَا ... فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأَنْبِيَا

«و» النوع «**الثاني**» من نوعى الشرك «**شرك أصغر**» لا يخرج من الملة ولكنه ينقص ثواب العمل، وقد يحبطه إذا زاد وغلب «**وهو الريا**» اليسير في تحسين العمل «**فسره به**» أي: فسر الشرك الأصغر بالريا «**ختام الأنبيا**» محمد ﷺ في قوله: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ**»، قالوا: يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال: «**الرياء**»[1] وبذلك فسر قول الله عز وجل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: الآية ١١٠]، وعن شهر بن حوشب قال: جاء رجل إلى عبادة بن الصامت فقال: أنبئني عما أسألك عنه، أرأيت رجلا يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد، ويحج يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد؟ فقال عبادة: ليس له شيء، إن الله تعالى يقول: «**أنا خير شريك، فمن كان له معي شريك فهو له كله لا حاجة لي فيه**»[2]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟**» قال قلنا:

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) من طريق ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب عن محمود بن لبيد مرفوعًا به، وهذا إسناد حسن على بعض كلام في عمرو وهو ممن أخرج له الجماعة، ومحمود صحابي صغير، وأخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣١) من طريق ابن أبي الزناد عن عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد مرفوعًا.
وعبد الرحمن بن أبي الزناد متكلم فيه، لكنه متابع على هذا الوجه، تابعه عبدالعزيز بن محمد عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ٢٥٣ح ٤٣٠١) لكنه جعله من حديث محمود بن الربيع عن رافع بن خديج مرفوعًا. وغايته أنه مرسل صحابي، والحديث بكل الأحوال حسن. والله أعلم.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٤٠) من طريق الأعمش عن حمزة أبي عمارة عن شهر بن حوشب عن عبادة بن الصامت، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٨١١) عن يعلى بن عبيد عن الأعمش عن عمارة بن حمزة عن شهر عن عبادة.
قلت: وما في «تفسير» ابن جرير أصوب، ويعلى لم يضبط اسم شيخ الأعمش، فقد أخرجه هناد في «الزهد» (٨٥١) عن يعلى عن الأعمش فقال: عن رجل قد سماه.
=

بلى. قال: «**الشرك الخفي، أن يقوم الرجل يصلي لمقام الرجل**»(١) رواه أحمد. وفي رواية: «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**»(٢). وله عن شداد بن أوس ﷺ قال: إن أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من الشهوة الخفية الشرك**» فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء: اللَّهم غفرًا، ألم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب. أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها، فما هذا الشرك الذي تخوفنا به يا شداد؟ فقال شداد: أرأيتكم لو رأيتم رجلًا يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق، أترون أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم والله، إن من صلى لرجل أو صام أو تصدق له لقد أشرك. فقال شداد: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى يرَائِي فَقَد أَشْرَكَ، وَمَن صَامَ يرَائِي فَقَد أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يرَائِي فقد أَشْرَكَ**». قال عوف بن مالك عند ذلك: أفلا يعمد الله إلى ما ابتغى به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلص منه، ويدع ما أشرك به؟

فقال شداد عند ذلك: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يقُولُ: أنَا خَيرُ قَسِيمٍ لمَنْ أَشْرَكَ بِي شَيئًا، مَن أَشْرَكَ بِي شَيئًا فإنَّ عَملَهُ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ لِشريكهِ الذِي أشْرَكَ بِهِ، أنَا عَنْهُ غَنِي**»(٣).

وله عنه ﷺ أنه بكى فقيل: ما يبكيك؟ قال: شيء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أتخوف على أمتي الشرك والشهوة الخفية**» قلت: يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك؟ قال: «**نعم، أما إنهم لا يعبدون شمسًا ولا قمرًا ولا حجرًا ولا وثنًا، ولكن يراءون بأعمالهم، والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائمًا**

= قلت: وهذا الرجل هو حمزة أبو عمارة ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢١٧) وذكر روايته لهذا الخبر، وترجم له البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٥١) وابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٢٧) والذهبي في «المقتنى» (ت ٤٤٧٠) وذكروا أنه يروي عن شهر وعنه الأعمش، ولم يذكروا فيه توثيقًا أو جرحًا، فهو مجهول.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٣/ ٣٠) وابن ماجة (٤٢٠٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣٢) من طريق كثير بن زيد عن رُبيح بن عبدالرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده مرفوعًا به، واللفظ لأحمد والبيهقي، وإسناده ضعيف لضعف ربيح، وانظر ترجمته «بالتهذيب» (٣/ ٢٣٨).

(٢) ضعيف الإسناد: وتخريجه ما سبق، واللفظ لابن ماجه.

(٣) حسن: أخرجه بطوله أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٥) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٩) واقتصر على تخريج قوله: «من صلى يرائي...» إلخ. =

فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه»(١) ورواه ابن ماجه. وللبزار عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقولُ اللَّهُ يومَ القِيامَةِ: أنَا خَيرُ شريك، مَن أشرَكَ بِي أحَدًا فَهُوَ لَهُ كُلُّه»(٢) ولأحمد عنه ﷺ عن النبي ﷺ يرويه عن الله ﷻ أنه قال: «أنَا خَيرُ الشُّركاءِ، فَمَن عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ فِيهِ غَيرِي فَأنَا بَرِيءٌ منهُ، وَهُوَ لِلَّذِي أشْرَكَ»(٣). وله عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أخوفَ مَا أخَافُ عَلَيكُم الشِّرْكَ الأصْغَرَ» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرِّياءُ. يقُولُ اللَّهُ يومَ القِيامَةِ إذَا جَزَى الناسَ بِأعْمَالِهِم: اذْهَبُوا إلَى الذِينَ كُنتُم تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيا فانْظُرُوا هَل تجِدُونَ عِندَهُم جَزَاء»(٤). وله عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري- وكان من الصحابة- أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: مَن كان أشرك في عمل

= والحاكم (٤/ ٣٦٥ح ٧٩٣٨) والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٨١ح ٧١٣٩) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣٣٧ح ٦٨٤٤) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٩) وأخرج من هذه الفقرة إلى آخر الخبر الطيالسي (١١٢٠) جميعًا من طرق عن عبدالحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم عن شداد بن أوس، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٠، ٢٢١) بطوله، وقال: رواه أحمد وفيه شهر بن حوشب وثقه أحمد وغير واحد، وبقية رجاله ثقات.

قلت: شهر الراجح فيه أنه صدوق ما لم يخالف أو ينفرد بغريب.

ولهذا المتن شواهد عديدة تقويه، ولآخره شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وغيره.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣) والحاكم (٤/ ٣٦٦ح ٧٩٤٠) والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٨٤ح ٧١٤٤) وفي «الأوسط» (٤/ ٢٨٤ح ٤٢١٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٣٠) من طرق جميعًا عن عبدالواحد بن زيد عن عبادة بن نسي عن شداد ابن أوس مرفوعًا، وإسناده ضعيف جدًا، عبدالواحد متروك الحديث ترجمته «باللسان» (٤/ ٩٨) وأخرجه ابن ماجة في «سننه» (٤٢٠٥) من طريق رواد بن الجراح عن عامر بن عبدالله عن الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي عن شداد، وإسناده ضعيف جدًا، عامر لين أو مجهول، ورواد ضعيف جدًا.

(٢) صحيح بطرقه: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١١٠) وعزاه للبزار من حديث أبي هريرة مرفوعًا بهذا اللفظ، وفي إسناده الحسين بن علي بن جعفر الأحمر قال أبو حاتم: لا أعرفه، وقال النسائي: صالح، وقال ابن حجر: مقبول.

قلت: وقد صح بلفظ مقارب من حديث أبي هريرة مرفوعًا أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وغيره.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وابن ماجة (٤٢٠٢) وأحمد (٢/ ٣٠١، ٤٣٥) من طريق العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا به، واللفظ لأحمد.

(٤) حسن: وسبق تخريجه في أول الكلام عن الشرك الأصغر.

عمله للَّه أحدًا فليطلب ثوابه من عند غير اللَّه، فإن اللَّه تعالى أغنى الشركاء عن الشرك»[١] أخرجه الترمذي وابن ماجه. ولأحمد عن أبي بكرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن سَمَّع سَمَّع اللَّهُ بِهِ، ومَن رَاءَى رَاءَى اللَّهُ بِهِ»[٢]. وله عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «مَن يرائي يرائي اللَّهُ به، وَمَن يسمِّع يسمِّع اللَّه به»[٣].

وله عن عبد اللَّه ابن عمرو ﷺ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «من سمع الناس بعلمه سمع اللَّه به مسامع خلقه وصغره وحقره» فذرفت عينا عبداللَّه[٤].

وللبزار عن أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «تعرض أعمال بني آدم بين يدي اللَّه ﷻ يوم القيامة في صحف مختمة، فيقول اللَّه: ألقوا هذا، واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: يا رب، واللَّه ما رأينا منه إلا خيرًا. فيقول: إن عمله كان لغير وجهي، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي»[٥].

ولوهب عن عبد اللَّه بن قيس الخزاعي أن رسول اللَّه ﷺ قال: «من قام رياء وسمعة لم

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٢١٥٤) وابن ماجة (٤٢٠٣) وأحمد (٣/ ٤٦٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٠٧ح ٧٧٨) والبخاري في الكنى من «التاريخ الكبير» (ص٣٦ ت ٣١١) من طريق زياد بن مينا عن أبي سعيد بن أبي فضالة، وإسناده ضعيف لأن زيادًا مجهول الحال.

(٢) **صحيح بشواهده**: أخرجه أحمد (٥/ ٤٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٨٩) من طريق بكار بن عبدالعزيز بن أبي بكرة مرفوعًا به، ولكن بكار يترجح ضعفه، وقال عنه الحافظ في التقريب: صدوق يهم.

قلت: لكن الحديث صحيح من غير طريقه، فأخرجه البخاري (٦٤٩٩، ٧١٥٢) ومسلم (٢٩٨٧) من حديث جندب العلقي وأخرجه مسلم (٢٩٨٦) وغيره من حديث ابن عباس مرفوعًا.

(٣) **ضعيف الإسناد وله شاهد صحيح**: أما حديث أبي سعيد الخدري فأخرجه أحمد (٣/ ٤٠) وابن ماجة (٤٢٠٦) وأبو يعلى (١٠٥٩) وابن أبي شيبة (٣٥٣٠١) من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد، وعطية ضعيف جدًّا في روايته عن أبي سعيد خاصة، فإنه كان يروي عن الكلبي الكذاب ويكنيه أبا سعيد. لكن الحديث صحيح من حديث جندب ومن حديث ابن عباس، وانظر ما سبق.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٢، ١٩٥، ٢١٢، ٢٢٣) والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٣١) من طرق عن شعبة والأعمش عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا، وإسناده ضعيف لإبهام الرجل، ورواه مسعر عند أحمد في «الزهد» (٢٣٨ بتحقيقي) عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبدالله بن عمرو ولم يرفعه.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ١٨٣ح ٦١٣٣) وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١١١) وعزاه للبزار من طريق الحارث بن غسان عن أبي عمران الجوني عن أنس مرفوعًا، وإسناده ضعيف، الحارث مجهول.

يزل في مقت الله حتى يجلس»(١) . ولأبي يعلى عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه ﷻ»(٢) .

الرياء ومعناه

ثم اعلم: أن الرياء قد أطلق في كتاب الله كثيرًا ويراد به النفاق الذي هو أعظم الكفر وصاحبه في الدرك الأسفل من النار كما قال تعالى: ﴿كَالَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: الآية ٢٦٤] ، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾[النساء: الآية ٣٨] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾[النساء: الآية ١٤٢] ، وغير ذلك من الآيات النازلة في المنافقين بلفظ الرياء، ومنها ما يصرح بمعناه دون لفظه كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: الآية ١٤] ، والآيات التي قبلها وبعدها وما في معناها. والفرق بين هذا الرياء الذي هو النفاق الأكبر وبين الرياء الذي سماه النبي ﷺ شركًا أصغر خفيا هو حديث «الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ» وهو ما رواه الشيخان عن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الأعمالُ بالنياتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرئٍ مَا نَوَى، فَمَن كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجرَتُهُ إِلى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ومَن كانتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيا يصيبُهَا أو امرأةٍ ينكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيهِ»(٣) فالنية هي الفرق في العمل في تعيينه وفيما يراد به، وقد أطلقت النية في القرآن بلفظ الابتغاء

---

(١) ضعيف الإسناد جدًا: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١١١) من طريق يزيد بن عياض عن عبدالرحمن الأعرج عن عبدالله بن قيس الخزاعي، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٣) وقال: رواه الطبراني وفيه يزيد بن عياض وهو متروك.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٥١١٧) وعبدالرزاق في «مصنفه» (٢/ ٣٦٩ح ٣٧٣٨) والبيهقي (٢/ ٢٩٠) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٠٥، ٥٠٦) من طريق أبي إسحاق إبراهيم بن مسلم الهجري عن أبي الأحوص عن أبي مسعود مرفوعًا، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢١) وقال: رواه أبو يعلى وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري وهو ضعيف.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري الحديث الأول، ومسلم (١٩٠٧).

وبلفظ الإرادة، فإن كان الباعث على العمل هو: إرادة الله والدار الآخرة وسلم من الرياء في فعله وكان موافقًا للشرع فذلك العمل الصالح المقبول، وإن كان الباعث على العمل هو إرادة غير الله ﷻ فذلك النفاق الأكبر، سواء في ذلك من يريد به جاهًا ورئاسة وطلب دنيا، ومن يريد حقن دمه وعصمة ماله وغير ذلك، فهذان ضدان ينافي أحدهما الآخر لا محالة.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: الآية ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠]، وقال تعالى يثني على عباده المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾، وقال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ٢٠]، وغير ذلك من الآيات.

وإن كان الباعث على العمل هو: إرادة الله ﷻ والدار الآخرة ولكن دخل عليه الرياء في تزيينه وتحسينه فذلك هو الذي سماه النبي ﷺ الشرك الأصغر، وفسره بالرياء العملي، وزاده إيضاحًا بقوله: «**يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل إليه**»[1] وهذا لا يخرج من الملة، ولكنه ينقص من العمل بقدره. وقد يغلب على العمل فيحبطه كله والعياذ بالله. اللَّهم اجعل أعمالنا كلها صالحة واجعلها لوجهك خالصة ولا تجعل لأحد فيها شيئًا. وأما حديث أبي موسى رضي الله عنه في الصحيح قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «**مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[2] فهذا الحديث يحتمل المعنيين، وتعيينه لأحدهما النية، فإن كان أصل العمل لغير الله فهو النفاق، وإن كان أصله لله وأحب مع ذلك أن يذكر ويثنى عليه به فهو المعنى الذي سبق في حديث عبادة رضي الله عنه في الرجل: «**يصلي يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد...**» الحديث وفي آخره قال: «**ليس له شيء**»[3].

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن ماجة (٤٢٠٤) وغيره، وسبق.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨١٠) ومسلم (١٩٠٤) وغيرهما من حديث أبي موسى مرفوعًا.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (١٦/ ٤٠) وغيره، وسبق.

والله تعالى أعلم .

وَمِنْـهُ إِقْـسَامٌ بِـغَـيـرِ الْـبَـارِي   كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَخْبَارِ

أي : ومن الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة «**إقسام**» مصدر أقسم أي : الحلف «**بغير البارى**» كالحلف بالآباء والأمهات والأبناء والأمانة وغير ذلك ، كما في «الصحيح» عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه ، فقال : «**أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُم أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم، مَن كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَو لِيَصْمُتْ**»[1] وفي رواية قال عمر : فوالله ما حلفت بها منذ سمعت النبي ﷺ ذاكرًا ولا آثرًا[2]. متفق عليه . ولأبي داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا : «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُم وَلَا بِأُمَّهَاتِكُم وَلَا بِالأَنْدَادِ، وَلَا تَحْلِفُوا بِاللَّهِ إِلا وَأَنْتُم صَادِقُونَ**»[3] ولأحمد ومسلم والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَن كَانَ حَالِفًا فَلَا يحْلِفْ إِلَّا بِاللَّهِ**»[4] وللنسائى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا تحلفُوا إلا باللَّهِ، وَلَا تحلِفُوا بِاللَّهِ إِلَّا وَأَنتُم صَادِقُونَ**»[5] . وسمع ابن عمر رضي الله عنهما رجلًا يقول : لا والكعبة ، فقال ابن عمر : لا تحلف بغير الله ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**مَن حَلَفَ بِغَيرِ اللَّهِ فَقَد كَفَرَ**» أو «**أَشْرَكَ**»[6] ، أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه ، والحاكم وصححه . وعن بريدة رضي الله عنه

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦) من حديث ابن عمر .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٦٤٧) ومسلم (١٦٤٦) .

(٣) **صحيح** : أخرجه أبو داود (٣٢٤٨) والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٥) وفي «السنن الكبرى» (٤٧١٠) وأبو يعلى (٦٠٤٨) وابن حبان (٤٣٥٧) والبيهقي (١٠/ ٢٩) جميعًا عن عبيدالله ابن معاذ عن أبيه عن عوف عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا به .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٦٤٦) ومسلم (١٦٤٦) وأحمد (٢/ ١١ ، ١٧ ، ١٤٢) والنسائي (٧/ ٥) وغيرهم وسبق بنحوه .

(٥) **صحيح** : وسبق قبل تعليق بنحوه، وهذا اللفظ للنسائي (٧/ ٥) .

(٦) أخرجه أبو داود (٣٢٥١) والترمذي (١٥٣٥) وأحمد (٢/ ١٢٥) وابن حبان (٤٣٥٨) وابن الجعد (٨٩٥) والطيالسي (١٨٩٦) والحاكم (٤٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٧٨١٤) والبيهقي (١٠/ ٢٩) من طرق عن سعد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعًا به وحسنه الترمذي وصححه الحاكم .

قلت : وإسناده صحيح ، إلا أن فيه علة خفية ، وهي أن سعد بن عبيدة لم يسمعه من ابن عمر كما ذكر البيهقي (١٠/ ٢٩) .

قلت : بينهما رجل مجهول اسمه محمد الكندي ، وقد أخرجه بزيادة هذا الرجل أحمد (٢/ ٦٩ ، ٨٦ ، ١٢٥) والبيهقي (١٠/ ٢٩) من طريق منصور عن سعد به .

قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من حلف بالأمانة**»[1] رواه أبو داود. وفي الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سمع رجلًا يحلف بالأمانة فقال: «**ألست الذي يحلف بالأمانة**»[2]. وعن قتيلة بنت صفى أن يهوديًا أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تنددون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا «ورب الكعبة»، ويقول أحدهم «ما شاء الله ثم شئت»[3] رواه أحمد والنسائى وصححه وابن ماجه. وقد ثبت في كفارة الحلف بغير الله حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَن حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ بِاللاتِ والعُزَّى فَلْيَقُل لَا إِلَهَ إِلَّا**

---

(١) **في إسناده ضعف**: أخرجه أبو داود (٣٢٥٣) وأحمد (٥/ ٣٥٢) وابن حبان (٤٣٦٣) والحاكم (٧٨١٦) والبيهقي (١٠/ ٣٠) وصححه الحاكم جميعًا من طريق الوليد بن ثعلب الطائي عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعًا به، وذكر ابن حبان أن ابن بريدة هو عبدالله.

قلت: وهذا إسناد رجاله جميعًا ثقات، إلا أن للعلماء في سماع عبدالله بن بريدة من أبيه كلام. لكن أخرجه الروياني (٧، ١١) من طريق عثمان بن عمير عن سليمان بن بريدة عن أبيه.

قلت: وفي سماع سليمان أيضًا من أبيه كلام.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٧٧ح ٣٦٥٧) من طريق يونس ابن عبيد عن الحسن عن ابن عمر، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٧٨) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات.

قلت (يحيى): لكنه ضعيف لأن الحسن هو البصري مدلس وقد عنعن.

(٣) **في إسناده ضعف**: أخرجه أحمد (٦/ ٣٧١) والحاكم (٤/ ٣٣١ح ٧٨١٥) والطبراني (٢٥/ ١٣ح٥) والبيهقي (٣/ ٢١٦) جميعًا عن المسعودي، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦) وفي «السنن الكبرى» (٤٧١٤، ١٠٨٢٢) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٦) والترمذي في «العلل» (٤٥٧ شرح القاضي أبي طالب) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥/ ١٤ح ٧) جميعًا عن مسعر بن كدام، كليهما المسعودي ومسعر عن معبد بن خالد عن عبدالله بن يسار عن قتيلة مرفوعًا به.

قلت (يحيى): وهذا إسناد صحيح في الظاهر، فإن معبد بن خالد هو الجدلي ثقة، وعبدالله بن يسار هو الجهني وثقه النسائي وذكره ابن حبان في الثقات، ولم يذكر الحافظ في ترجمة عبدالله بن يسار من «التهذيب» (٦/ ٨٤) قولًا لغير النسائي وابن حبان، فالذي يظهر أنه غير مشهور بالرواية، وأما معبد فقد ذكر ابن سعد أنه قليل الحديث.

وإنما ذكرتُ ذلك لأن في الحديث اضطرابًا سببه أحد هذين الرجلين، فقد رواه المغيرة وهو ثقة عن معبد عن قتيلة، ولم يذكر عبدالله بن يسار، وهذا أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢٣) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٧).

ومعبد مخالف في روايته لهذا الحديث خالفه منصور بن المعتمر وهو ثقة فرواه بنحوه عن عبدالله بن=

اللَّهُ»[1]. ومن الشرك الأصغر قول ما شاء اللَّه وشئت، كما روى النسائي عن ابن عباس ﷺ أن رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء اللَّه وشئت، فقال: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا؟ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَه»[2]. ولأبي داود بسند صحيح عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلانٌ، وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلانٌ»[3] وتقدم في ذلك حديث قتيلة.

والفرق بين الواو وثم: أنه إذا عطف بالواو كان مضاهيًا مشيئة اللَّه بمشيئة العبد إذ قرن

= يسار عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا، وهذا أخرجه أبو داود (٤٩٨٠) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢١) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٥) وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) والطيالسي (٤٣٠) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٩٠) والترمذي في «العلل» (٤٥٨) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢١٦) ونقل الترمذي عن البخاري أن حديث منصور أصح.

قلت (يحيى): لكن عبدالله بن يسار غير مشهور بالرواية كما أسلفت، وقد اختلف عليه، ثم وجدت عثمان بن سعيد الدارمي قال في «تاريخه» (ص١٦٠ فقرة ٥٦٧) وسألته - يعني ابن معين - عن عبدالله بن يسار الذي يروي عنه منصور عن حذيفة «لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان» ألقى حذيفة؟ فقال: لا أعلمه:

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٥٠) ومسلم (١٦٤٧).

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن ماجة (٢١١٧) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢٥) وأحمد (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣، ٣٤٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦٦٩١) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٤٤ح ١٣٠٠٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢١٧) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٤٢٨) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ١٠٤) من طرق جميعًا عن الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس مرفوعًا به، وإسناده ضعيف لضعف الأجلح. وقد رواه القاسم بن مالك عند النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢٤) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٧) عن الأجلح عن أبي الزبير عن جابر، وهذا أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٢٤٠ح ٢٢١٠) وقال: هذا منكر، إنما يرويه الأجلح عن يزيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ.

قلت: وهو ضعيف لحال الأجلح.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٨٠) وغيره من حديث عبدالله بن يسار عن حذيفة مرفوعًا، وإسناده صحيح لولا اضطراب عبدالله بن يسار فيه بما ينبئ أنه لم يضبطه، مع قول ابن معين عنه: لا أعرفه، وقد ذكرت هذا قبل تعليقين لكن حديث حذيفة صحيح من غير هذا الطريق، فقد أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٨٢٠) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٨٤) وابن ماجة (٢١١٨) عن سفيان عن عبدالملك ابن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعًا.

وهذا إسناد صحيح، إلا أنه مختلف في صحابييه، فسفيان جعله من حديث حذيفة، لكن خالفه شعبة عند أحمد (٥/ ٣٩٨) والدارمي (٢٦٩٩) فرواه عن عبدالملك بن عمير عن ربعي عن الطفيل أخي عائشة مرفوعًا، وشعبة متابع على هذا الوجه تابعه أبو عوانة عند ابن ماجة (٢١١٨)، وتابعهما حماد بن سلمة عند ابن مردويه، أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٨) من طريقه.

قلت: وهذا أصح من حديث سفيان الثوري.

بينهما ، وإذا عطف بثم فقد جعل مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ﷻ كما قال تعالى : ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: الآية ٣٠] ومثله قول : لولا الله وفلان هذا من الشرك الأصغر ، ويجوز أن يقول : لولا الله ثم فلان ، ذكره إبراهيم النخعي . ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله ﷻ : ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٢] قال «الأنداد» هو : الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول والله وحياتك يا فلان وحياتي ويقول لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانًا ، هذا كله به شرك[1].

فصل في بيان أمور يفعلها العامة
منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه
وبيان المشروع من الرقى والممنوع منها، وهل تجوز التمائم

هذه الأمور المذكورة التي يتعلق بها العامة غالبها من الشرك الأصغر ، لكن إذا اعتمد العبد عليها بحيث يثق بها ويضيف النفع والضر إليها كان ذلك شركًا أكبر والعياذ بالله ، لأنه حينئذ صار متوكلًا على سوى الله ملتجئًا إلى غيره .

وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابِ ... أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ
أَوْ خَيطٍ اوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ ... أَوْ وَتَرٍ أَوْ تُرْبَةِ الْقُبُورِ
لأي أَمْرٍ كَائِنٍ تَعَلَّقَهْ ... وَكَّلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَلَّقَهْ

«**ومن يثق**» هذا الشرط جوابه «**وكله**» الآتي . «**بودعة**» قال في النهاية هو : شيء أبيض يجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم . وإنما نهى عنه لأنهم كانوا يعلقونها مخافة العين[2]. «**أو ناب**» كما يفعله كثير من العامة يأخذون ناب الضبع ويعلقونه من العين . «**أو حلقة**» وكثيرًا ما يعلقونها من العين وسيأتي في الحديث أنهم يعلقونها من الواهنة وهو مرض العضد . «**أو أعين الذئاب**» وكثيرًا ما يعلقونها يزعمون أن الجن تفرّ منها ، ومنهم من يقول إنه إذا وقع بصر ذئب على جني لا يستطيع أن يفر حتى يأخذه ، ولهذا

---

(١) حسن إلى ابن عباس : أخرجه ابن أبي حاتم ، وإليه عزاه ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٨) عن الضحاك بن مخلد عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس به ، وإسناده حسن ، وشبيب لا بأس به .
(٢) «النهاية» لابن الأثير (٥/ ١٦٨).

يعلقون عينه إذا مات على الصبيان ونحوهم. «**أو خيط**» وكثيرًا ما يعلقونه على المحموم ويعقدون فيه عقدًا بحسب اصطلاحاتهم، وأكثرهم يقرأ عليه سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ①﴾ [الشرح: الآية ١]، إلى آخرها، ويعقد عند كل كاف منها عقدة، فيجتمع في الخيط تسع عقد بعدد الكافات، ثم يربطونه بيد المحموم أو عنقه. «**أو عضو من النسور**» كالعظم ونحوه يجعلونها خرزًا ويعلقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين. «**أو وتر**» وكانوا في الجاهلية إذا عتق وتر القوس أخذوه وعلقوه يزعمون عن العين على الصبيان والدواب.

«**أو تربة القبور**» وما أكثر من يستشفى بها لا شفاهم اللَّه.

واستعمالهم لها على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلده، ومنهم من يتمرغ على القبر تمرغ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغير ذلك. وهذا كله ناشئ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبر أنه ينفع ويضر، حتى عدوا ذلك الاعتقاد فيه إلى تربته فزعموا أنها فيها شفاء وبركة لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعة لم يدفن فيها ذلك الولي بزعمه بل قيل له إن جنازته قد وضعت في ذلك المكان. وهذا وغيره من تلاعب الشيطان بأهل هذه العصور زيادة على ما تلاعب بمن قبلهم. نسأل اللَّه العافية.

«**لأي أمر كائن تعلقه**» الضمير عائد إلى ما تقدم وغيره «**وكله اللَّه**» أي: تركه «**إلى ما علقه**» دعاء عليه أي: لا حفظه اللَّه ولا كلأه بل تركه إلى ما وثق به واعتمد عليه دون اللَّه ﷻ. قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ⑩⑥﴾ [يوسف: الآية ١٠٦]، وعن عقبة بن عامر ﵁ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من تعلق تميمة فلا أتم اللَّه له، ومن تعلق ودعة فلا ودع اللَّه له**»[1] رواه أحمد. وله عن عمران بن حصين ﵁ أن النبي ﷺ رأى رجلًا في يده حلقة من صفر فقال: «**ما هذا؟**» قال: من الواهنة، فقال: «**انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهنًا، فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدًا**»[2] ولابن أبي حاتم عن حذيفة ﵁ أنه

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٤/ ١٥٤) وأبو يعلى (١٧٥٩) وابن حبان (٦٠٨٦) والحاكم (٧٥٠١) و (٨٢٨٩) والروياني (٢١٧) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٢٥) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٩٧ح ٨٢٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥٠) جميعًا عن حيوة عن خالد بن عبيد المعافري عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر مرفوعًا به، وصححه الحاكم.

قلت: وإسناده ضعيف خالد بن عبيد وثقه ابن حبان ولا يعرف فيمن روى عنه غير حيوة، وترجمته بـ«تعجيل المنفعة» (ص١١٤ ت٢٦٢) و«التاريخ الكبير» (٣/ ١٦١) و «الجرح والتعديل» (٣/ ٣٤٢) و «الثقات» (٦/ ٢٦١) وقد أخرج أحمد (٤/ ١٥٦) والحاكم (٧٥١٣) من طريق يزيد بن أبي منصور عن دخين الحجري عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «من علّق تميمة فقد أشرك» وإسناده حسن.

رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى: «﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ١٠٦﴾ [يوسف: الآية ١٠٦]»[1] وفي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولًا أن: «**لَا يبْقَينَّ في رَقَبَةِ بَعِيرٍ قِلادَةٌ مِنْ وَتَرٍ أَو قِلادَةٌ إِلَّا قُطِعَتْ**»[2]. وعن رويفع رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: «**يا رويفع، لعل الحياة تطول بك، فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وترًا أو استنجى برجيع دابة أو عظم فإن محمدًا بريء منه**»[3] رواه أحمد. وله عن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «**من علق شيئًا وكل إليه**»[4] ورواه الترمذى. وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منا على أمر يكرهه، قالت:

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٤/ ٤٤٥) وابن ماجة (٣٥٣١) وابن حبان (٦٠٨٥) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٢ح ٣٩١) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن البصري عن عمران ابن حصين مرفوعًا، وأخرجه ابن حبان (٦٠٨٨) والحاكم (٧٥٠٢) والروياني (٧٢) والطبراني (١٨/ ١٥٩ح ٣٤٨) والبيهقي (٩/ ٣٥٠) والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ١٨٢) من طريق صالح بن رستم أبي عثمان الخزاز عن الحسن عن عمران مرفوعًا به، وعلة هذا الإسناد تدليس الحسن البصري، وفي سماع الحسن من عمران كلام، لكن فيه علة أخرى أقوى، وهي أن المبارك وصالح خالفهم أربعة، هم يونس عند ابن أبي شيبة (٢٣٤٦٠) ومنصور عند ابن أبي شيبة (٣٤٦١) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٩ح ٤١٤) ومعمر عند عبدالرزاق (١١/ ٢٠٩ جامع معمر) وإسحاق بن الربيع عند الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢ح ٣٥٥) فرووه عن الحسن عن عمران بن حصين موقوفًا ولم يرفعه.

(٢) **صحيح إلى حذيفة**: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٩٥) عن حماد بن سلمة عن عاصم ابن أبي النجود عن عروة عن حذيفة به، وهذا إسناد حسن، لكن لم يعزه ابن كثير لمن خرجه، لكن صح نحوه عن حذيفة أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٣٤٦٢) من طريق زيد بن وهب عن حذيفة، وإسناده صحيح، وليس فيه الآية المذكورة.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٠٥) ومسلم (٢١١٥) وغيرهما.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٨) من طريق ابن لهيعة عن عياش بن عباس عن شييم ابن بيتان عن رويفع بن ثابت مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، إلا أنه متابع من حيوة بن شريح وهو ثقة، أخرج حديثه النسائي في «المجتبى» (٨/ ١٣٥) وفي «الكبرى» (٩٣٣٦) وهذا إسناد ظاهره الصحة، إلا أن ابن لهيعة وحيوة مخالفان، خالفهما المفضل بن فضالة القتباني وهو ثقة أخرج حديثه أحمد (٤/ ١٠٩) وأبو داود (٣٦) والطبراني في «الكبير» (٥/ ٢٨ح ٤٤٩١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ١١٠) فرواه عن عياش عن شييم عن شيبان القتباني عن رويفع مرفوعًا، وهذا ضعيف لأن شيبان القتباني مجهول.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٤/ ٣١٠) والترمذي (٢٠٧٢) والحاكم (٧٥٠٣) والطبراني (٢٢/ ٣٨٥ح ٩٦٠) والبيهقي (٩/ ٣٥١) جميعًا من طريق محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أخيه عيسى=

وإنه جاء ذات يوم فتنحنح وعندي عجوز ترقيني من الحمرة فأدخلتها تحت السرير، قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطًا. فقال: ما هذا الخيط؟ قالت قلت: خيط رقى لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد اللَّه لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**» قالت: قلت له: لم تقول هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، فكان إذا رقاها سكنت. فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبي ﷺ: «**أذهب الباس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاءك، شفاء لا يغادر سقمًا**»[1] رواه أحمد، وروى جملة الدلالة منه على الباب أبو داود، أعني الجملة المرفوعة إلى النبي ﷺ.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه تعالى في كتاب التوحيد:

الرقى هي: التي تسمى العزائم وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص رسول اللَّه ﷺ من العين والحمة.

= عن عبدالله بن عكيم مرفوعًا به، وهذا إسناد ضعيف، عبدالله بن عكيم لا سماع له من النبي ﷺ نص على ذلك الترمذي (٢٠٧٢) وأبو حاتم كما في «جامع التحصيل» للعلائي (ص ٢١٤) وأيضًا فمحمد بن عبدالرحمن ضعيف لسوء حفظه، وقد ورد هذا المتن من حديث أبي هريرة مرفوعًا ومن حديث أسير بن جابر مرفوعًا ومن مرسل الحسن البصري، ولا يصح من ذلك شيء، والله أعلم، وورد موقوفًا على ابن مسعود.

(١) **ضعيف بهذا الطول ولآخره شواهد صحيحة**: أخرجه أحمد (١/ ٣٨١) وابن ماجة (٣٥٣٠) واللفظ لهما، وأخرج الجملة الأولى من المرفوع: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» أبو يعلى (٥٢٠٨) وعبدالله في «السنة» (٨٥٧ بتحقيقي) جميعًا من طريق الأعمش عن عمرو بن مرة عن يحيى بن الجزار عن ابن أخي زينب عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود عن عبدالله مرفوعًا، وهذا إسناد ضعيف، ابن أخي زينب مجهول الحال.

والحديث أخرجه بنحوه بهذا الطول أيضًا أبو داود (٣٨٨٣) والبيهقي (٩/ ٣٥٠) من طريق عمرو بن مرة عن يحيى الجزار عن ابن مسعود، ولم يذكر واسطة، ولأول الحديث طرق أخرى كلها ضعيفة انظرها في تعليقي على كتاب «السنة» لعبد الله بن أحمد، وورد أيضًا موقوفًا على ابن مسعود أخرجه عبدالله في «السنة» (٨٥٣) وغيره، ولا يصح.

قلت: أما الفقرة الأخيرة وهي قوله ﷺ: «أذهب البأس رب الناس...» إلخ فصحيح مرفوعًا، أخرجه البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢١٩١) من حديث عائشة، وأخرجه البخاري (٥٧٤٢) وغيره من حديث أنس مرفوعًا.

والتمائم: شيء يلقونه على الأولاد عن العين.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته[١] اهـ. وقوله في الرقى: وخص منها الدليل ما خلا عن الشرك إلخ يشير إلى ما سنذكره بقولنا:

مشروعية الرقية

ثمَّ الرُّقَى مِن حِمَةٍ أو عَين فإنْ تَكُن مِن خَالِصِ الوَحْيَينِ
فَذاكَ من هُدَى النبي وَشِرْعَتِه وَذَاكَ لا اختلافَ فِي سُنيتِهِ

«ثم الرقى» إذا فعلت «من حمة» وهي: تطلق على لدغ ذوات السموم كالحية والعقرب وغيرها «أو عين» وهي من الإنس كالنفس من الجن وهي حق ولها تأثير، لكن لا تأثير لها إلا بإذن الله ﷻ، وقال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ [القلم: الآية ٥١] الآية، فسره بإصابة العين ابن عباس ومجاهد وغيرهما[٢]. وفي تحقيقها أحاديث: ففي «صحيح مسلم» عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**العَينُ حَقٌّ. وَلَو كَانَ شَيءٌ سَابِقَ القَدَرِ سَبَقَتِ العَينُ. وإذَا اسْتُغْسِلتُم فَاغْسِلُوا**»[٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ العَينَ حَقٌّ**»[٤] أخرجاه، ولأحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَينُ حَقٌّ**»[٥]. ولأحمد عنه أيضًا رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**العَينُ حَقٌّ، وَيحْضُرُهَا الشيطانُ وَحَسَد ابنِ آدَمَ**»[٦]. وله عنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أصدق الطيرة الفأل، والعين حق**»[٧]. وله هو والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أسماء رضي الله عنها

---

(١) كتاب «التوحيد» للإمام محمد بن عبدالوهاب. الباب السابع، باب ما جاء في الرقى والتمائم.

(٢) أخرج ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ٤٦) بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال في تفسير الآية: ينفذونك بأبصارهم من شدة النظر، وأخرج نحوه عن مجاهد لكنه من طريق ابن أبي نجيح وهذا منقطع.
قلت: وهذا ليس تفسيرًا بإصابة العين، وقد فهم ابن جرير أن المقصود شدة غيظهم، وبمثل قول ابن جرير قال ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص٣٤٢ طبعة دار الجيل) واعترض على من فسرها بإصابة العين. والله أعلم.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٨٨) والترمذي (٢٠٦٢) وابن حبان (٦١٠٧) وغيرهم.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٤٠) ومسلم (٢١٨٧) وأبو داود (٣٨٧٩) وغيرهم.

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٣١٩) بمثل إسناد «الصحيحين»، وابن ماجة (٣٥٠٧) بإسنادين مختلفين عن أبي هريرة مرفوعًا وليس التعويل عليهما.

(٦) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٩) والطبراني في «مسند الشاميين» (٤٥٩) من طريق ثور بن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة مرفوعًا به، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٧) وقال: رواه=

قالت: يا رسول الله، إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: «**نَعَمْ، فَلَوْ كَانَ يسْبَقُ القَدَرُ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ**»[1] ولأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا هَامَ، والعين حق، وأصدق الطيرة الفأل**»[2] وله عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الحرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلًا أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة - أخو بني

= أحمد ورجاله رجال الصحيح.

قلت (يحيى): لكن إسناده ضعيف؛ لأنَّ مكحولًا لم يسمع من أبي هريرة، وانظر «التهذيب» (١٠/ ٢٩٢).

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٨٩) من طريق أبي معشر عن محمد بن قيس عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده ضعيف أبو معشر نجيح بن عبدالرحمن ضعيف وشيخه ضعيف.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٤٣٨) والترمذي (٢٠٥٩) والنسائي في «الكبرى» (٧٥٣٧)، وابن ماجة (٣٥١٠) والحميدي (٣٣٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٤٨) وفي «شعب الإيمان» (١١٢٢٥) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٦٣) والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (١/ ٤٦٧) جميعًا من طريق عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي عن أسماء بنت عميس به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: عبيد بن رفاعة تابعي وثقه ابن حبان والعجلي وروى عنه جماعة وولد في عهد النبي ﷺ، وعروة بن عامر ذكره ابن حبان في «الثقات»، وعده بعضهم في الصحابة، وانظر «التهذيب» (٧/ ١٨٥) لكن أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣٢٧) من طريق زهير عن أبي إسحاق عن ابن أبي نجيح عن عبدالله بن باباة عن أسماء بنت عميس به، وهذا إسناد صحيح، وأخرجه من طريق يحيى بن معين عن عبدالرزاق عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر أن النبي ﷺ قال لأسماء بنت عميس... وذكره. وإسناده صحيح أيضًا، وأخرجه مسلم (٢١٩٨) من طريق ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بمثله.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩١٤) وأبو يعلى (٦٦٣٢) وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٦٦) والترمذي في «العلل» بشرح أبي طالب القاضي (ص٢٦٦ح ٤٨٦) من طريق يحيى بن أبي كثير عن حية بن حابس التميمي عن أبيه مرفوعًا به، ورواه عن يحيى على هذا الوجه علي بن المبارك وخالفه شيبان فرواه عن يحيى عن حية عن أبي هريرة قال الترمذي: ولم أر محمدًا - يعني البخاري - يقضي في هذا الحديث بشيء. ثم قال الترمذي: وكأن حديث علي بن المبارك أشبه لما وافقه حرب بن شداد.

قلت (يحيى): حية مجهول الحال، وانظر «التهذيب» (٣/ ٧١) وقد أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٧٠) من الطرق الثلاث (على ابن المبارك وحرب وشيبان) عن يحيى كما سبق. وللحديث شواهد صحيحة وسبق حديث «العين حق». وأخرج البخاري (٥٧٥٥) ومسلم (٢٢٢٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا طيرة وخيرها الفأل».

عدي بن كعب- وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة. فليط سهل، فأتي رسول اللَّه ﷺ فقيل له: يا رسول اللَّه هل لك في سهل، واللَّه ما يرفع رأسه ولا يفيق؟ قال: «**هَل تَتَّهِمُونَ فِيهِ مِن أَحَدٍ؟**» قالوا: نظر إليه عامر بن ربيعة. فدعا رسول اللَّه ﷺ عامرًا، فتغيظ عليه وقال: «**عَلَامَ يقتلُ أَحَدُكُم أَخَاهُ؟ هَلَّا إِذَا رَأَيتَ مَا يعْجِبُكَ بَرَّكتَ**» ثم قال له: «**اغتَسِل لَهُ**» فغسل وجهه ويده ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح، ثم صب ذلك الماء عليه، فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه، ثم يكفأ القدح وراءه، ففعل ذلك فراح سهل بين الناس ليس به بأس[1].

وله عن عبيد اللَّه بن عامر بن ربيعة قال: انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل، قال: فانطلقا يلتمسان الخمر، قال: فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت إليه فأصبته بعيني، فنزل الماء يغتسل، قال: فسمعت له في الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثًا فلم يجبني، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدره بيده ثم قال: «**اللَّهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها**» قال: فقام، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله ما يعجبه، فليبرك، فإن العين حق**»[2]. وله عن عبد اللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد، والعين حق**»[3] وغير ذلك من الأحاديث المصرحة بأن العين حق، وسنذكر بعضها أيضًا في شرعية الرقى منها وغيرها.

---

(١) **صحيح الإسناد**: أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٢٣٩ كتاب العين باب الوضوء من العين) وابن ماجة (٣٥٠٩) وأحمد (٣/ ٤٨٦) من طريق الزهري عن أبي أمامة، وظاهر رواية مالك وابن ماجة الإرسال، لأن أبا أمامة قال عنه الحافظ في «التقريب» معدود في الصحابة، له رؤية ولم يسمع من النبي ﷺ
قلت: ووقع في رواية أحمد عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة... وذكره.

(٢) **في إسناده ضعف**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٧) والحاكم (٧٥٠٠) من طريق عبدالله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيدالله بن عامر به، وأمية مجهول، قال ابن معين: لا أعرفه، وذكره ابن حبان في «الثقات».

(٣) **ضعيف الإسناد ولبعضه شواهد**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٢) من طريق رشدين بن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبدالله بن عمرو بن العاص مرفوعًا به، وإسناده ضعيف، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠١) وأعله برشدين بن سعد.
قلت: وهو ضعيف، وهشام بن أبي رقية مجهول الحال وترجمته «بتعجيل المنفعة» (ص٤٣٢). =

ولنرجع إلى المقصود من شرح المتن: **«فإن تكن»** أي: الرقى **«من خالص الوحيين»** الكتاب والسنة، وإضافة خالص إلى الوحيين من إضافة الصفة إلى الموصوف، والمعنى من الوحي الخالص: بأن لا يدخل فيه غيره من شعوذة المشعبذين، ولا يكون بغير اللغة العربية، بل يتلو الآيات على وجهها والأحاديث كما رويت وعلى ما تلقيت عن النبي ﷺ بلا همز ولا رمز، **«فذلك»** أي: الرقى من الكتاب والسنة هو **«من هدى النبي»** ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابه والتابعون بإحسان، **«و»** من **«شرعته»** التي جاء بها مؤديًا عن الله ﷻ. **«وذاك»** معطوف على ذاك الأول، والمشار إليه بهما واحد ولكن الخبر في الثاني غير الخبر في الأول فيكون من عطف الجملة على الجملة، والخبر **«لا اختلاف في سنيته»** بين أهل العلم إذ قد ثبت ذلك من فعل النبي ﷺ وقوله وتقريره فرقاه جبريل ﷺ ورقى هو ﷺ أصحابه وأمر بها وأقر عليها. ولنذكر ما تيسر من الأحاديث في ذلك وبالله التوفيق.

قال البخاري رحمه الله تعالى: «باب الرقى بالقرآن والمعوذات»(١)، وذكر فيه حديث عائشة ﷺ أن النبي ﷺ كان ينفث على نفسه في المرض الذي مات فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنفث عليه بهن وأمسح بيد نفسه لبركتها(٢)، ثم قال: «**باب الرقى بفاتحة الكتاب**» ويذكر عن ابن عباس عن النبي ﷺ(٣)، ثم ذكر حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ أتوا على حي من أحياء العرب فلم يقروهم، فبينما هم كذلك إذ لدغ سيد أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راق؟ فقالوا: إنكم لم تقرونا. ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلًا فجعلوا لهم قطيعًا من الشاء، فجعل يقرأ بأم القرآن ويجمع بزاقة ويتفل فبرأ فأتوا بالشاء فقالوا: لا نأخذه حتى نسأل النبي ﷺ، فسألوه، فضحك وقال: «**وَمَا أَدْرَاكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ، خُذُوهَا واضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»(٤). ثم قال: باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، وساق فيه بإسناده عن ابن عباس ﷺ أن نفرًا من أصحاب النبي ﷺ مروا بماء فيه لديغ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلًا

= وقد انفرد رشدين في هذ الحديث بلفظ: «ولا حسد»، وللحديث شواهد من غير هذا اللفظ، أخرجه بنحوه البخاري (٥٧٠٧) ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٥٧٥٣) ومسلم (٢٢٢٥) من حديث ابن عمر، وورد عن حديث جابر وأنس وابن عباس وغيرهم.

(١) صحيح البخاري كتاب «الطب» باب رقم (٣٢)، (فتح الباري ١٠/ ٢٢١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٣٥) ومسلم (٢١٩٢).

(٣) «فتح الباري» (١٠/ ٢٢٤) وحديث ابن عباس يأتي بعد تعليق.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٣٦) ومسلم (٢٢٠١).

لديغًا أو سليمًا . فانطلق رجل منهم فقرأ بفاتحة الكتاب على شاء فبرأ ، فجاء بالشاء إلى أصحابه ، فكرهوا ذلك وقالوا : أخذت على كتاب اللَّه أجرًا ، حتى قدموا المدينة فقالوا : يا رسول اللَّه ، أخذ على كتاب اللَّه أجرًا . فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُم عَلَيهِ أَجْرًا كِتَابَ اللَّهِ**»[1] . قلت : وهذا هو الذي علقه آنفًا عن ابن عباس .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : باب رقية العين ، وذكر فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت : أمرني رسول اللَّه ﷺ أو أمر أن يسترقى من العين[2] . وحديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال : «**اسْتَرْقُوا لَهَا ، فإِنَّ بِهَا النَّظْرَةَ**»[3] وذكر باب «العين حق»[4] ثم قال : «**باب رقية الحية والعقرب**» ، وذكر فيه حديث عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : سألت عائشة عن الرقية من الحمة فقالت : رخص النبي ﷺ في الرقية من كل ذي حمة[5] . ثم قال : «**باب رقية النبي ﷺ**» ، وذكر فيه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه إذ قال لثابت : ألا أرقيك برقية رسول اللَّه ﷺ؟ قال : بلى . قال : «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ ، مُذْهِبَ البَاسِ ، اشفِ أنتَ الشَّافِي ، لَا شَافِيَ إِلَّا أَنتَ ، شِفَاءً لا يغَادِرُ سَقَمًا**»[6] وحديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يعود بعض أهله يمسح بيده اليمنى ويقول : «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ البَاسَ ، واشْفِ أنتَ الشَّافِي ، لا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ ، شِفَاءً لا يغَادِرُ سَقَمًا**»[7] وحديثها رضي الله عنها أن رسول اللَّه ﷺ كان يرقي يقول : «**امسَحِ البَاسَ ، رَبَّ النَّاسِ بِيدَكَ الشِّفَاءُ ، لَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنتَ**»[8] . وحديثها رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول للمريض : «**بِسمِ اللَّهِ ، تُرْبةُ أَرْضِنَا ، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا - وفي رواية : وَرِيقَةُ بَعْضِنَا - يشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنا**»[9] . وعن أنس رضي الله عنه قال : رخص رسول اللَّه ﷺ في الرقية من العين والحمة والنملة[10] ، رواه أحمد ومسلم والترمذي وابن ماجه . قال أبو البركات ابن تيمية :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٣٧) وغيره .
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٣٨) ومسلم (٢١٩٥) .
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٣٩) ومسلم (٢١٩٧) .
(٤) «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٠) .
(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٤١) ومسلم (٢١٩٣) .
(٦) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٤٢) وغيره من حديث أنس .
(٧) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٤٣) ومسلم (٢١٩١) .
(٨) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٤٤) ومسلم (٢١٩١) .
(٩) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٤٥ ، ٥٧٤٦) ومسلم (٢١٩٤) .
(١٠) صحيح : أخرجه مسلم (٢١٩٦) والترمذي (٢٠٥٦) وابن ماجة (٣٥١٦) وأحمد (٣/ ١١٨ ، ١١٩) .

النملة قروح تخرج في الجنب[١] . وعن الشفاء بنت عبد الله قالت : دخل علي النبي ﷺ وأنا عند حفصة فقال : «**أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمِلَةِ**»[٢] الحديث رواه أحمد وأبو داود . وعن عوف بن مالك قال : كنا نرقي في الجاهلية ، فقلنا : يا رسول الله كيف ترى في ذلك؟ فقال : «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُم ، لا بَأْسَ بِالرُّقَى مَا لَم يكُن فِيهِ شِرْكٌ**»[٣] رواه مسلم وأبو داود . وعن جابر رضي الله عنه قال : نهى رسول الله ﷺ عن الرقى فجاء آل عمرو بن حزم فقالوا : يا رسول الله إنها كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب ، إنك نهيت عن الرقى . قال : «**فَاعْرِضُوهَا**» ، فقال : «**مَا أَرَى بَأْسًا ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنكُم أنْ ينفَعَ أَخَاهُ فَلْيفعَل**»[٤] رواه مسلم . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن ، قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا . فقال : «**يا عائشةُ ، أَعَلِمْتِ أنَّ اللَّهَ قَد أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ**»[٥] الحديث رواه البخاري ومسلم بطوله في مواضع . وعند ابن أبي شيبة عن زيد بن أرقم قال : سحر النبي ﷺ رجل من اليهود ، قال فاشتكى لذلك أيامًا ، قال فأتاه جبريل فقال : إن رجلًا من اليهود سحرك وعقد لك عقدًا ، فأرسل رسول الله ﷺ عليا فاستخرجها فجاء بها ، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة ، فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال[٦] ، ولمسلم عن أبي سعيد الخدرى أن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فقال : «**يا مُحَمَّدُ اشْتَكَيتَ؟ قال : نَعَمْ . قَالَ : بِسمِ اللَّهِ أرْقِيكَ مِن كُلِّ شَيءٍ يؤذِيكَ وَمِن شَرِّ**

(١) في كتابه «منتقى الأخبار» الذي شرحه الشوكاني بكتابه «نيل الأوطار» (٨/ ٢١١) .

(٢) حسن : أخرجه أبو داود (٣٨٨٧) وأحمد (٦/ ٣٧٢) والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٥٤٣) من طريق صالح بن كيسان عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن الشفاء بنت عبدالله مرفوعًا به ، وإسناده صحيح ، لكن رواه النسائي في «الكبرى» (٧٥٤٢) بإسناد صحيح عن محمد بن المنكدر عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن حفصة به ، وإسناده صحيح أيضًا ، والخلاف في كون الحديث من «مسند الشفاء» أو من «مسند حفصة» ، ولا يضر .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٠٠) وأبو داود (٣٨٨٦) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢١٩٩) وأحمد (٣/ ٣٠٢ ، ٣٣٤ ، ٣٨٢ ، ٣٩٣) .

(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٣١٧٥ ، ٥٧٦٣) ومسلم (٢١٨٩) .

(٦) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٧) والنسائي في «المجتبى» (٧/ ١١٢) وفي «السنن الكبرى» (٣٥٤٣) وابن أبي شيبة (٢٣٥١٨) وعبد بن حميد (٢٧١) والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ١٨٠ح ٥٠١٦) جميعًا من طريق الأعمش عن أبي حيان يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم ، وإسناده صحيح .

كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَينِ حَاسد اللَّهُ يشفِيكَ»[(١)] وعن بريدة بن الحصيب ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عَينٍ أو حمةٍ**»[(٢)] رواه ابن ماجه هكذا مرفوعًا، ورواه مسلم وغيره موقوفًا.

[الرقية بألفاظ مجهولة المعنى]

أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي ... فَذَاكَ وِسْوَاسٌ مِنَ الشَّيطَانِ
وبِه قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّه ... شِرْكٌ بِلَا مِرْيَةٍ فَاحْذَرَنَّه
إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ لَا يَدْرِي ... لَعَلَّهُ يكُونُ مَحْضَ الْكُفْرِ
أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ ... عَلَى الْعَوَامِ لَبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ

أي: أما الرقى التي ليست بعربية الألفاظ ولا مفهومة المعاني، ولا مشهورة ولا مأثورة في الشرع البتة، فليست من اللَّه في شيء، ولا من الكتاب والسنة في ظل ولا فيء، بل هي وسواس من الشيطان أوحاها إلى أوليائه كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: الآية ١٢١]، وعليه يحمل قول النبي ﷺ في حديث ابن مسعود: «**إن الرقى والتمائم والتولة شرك**»[(٣)] وذلك لأن المتكلم به لا يدرى أهو من أسماء اللَّه تعالى أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدرى هل فيه كفر أو إيمان، وهل هو حق أو باطل، أو فيه نفع أو ضر أو رقية أو سحر. ولعمر اللَّه لقد انهمك غالب الناس في هذه البلوى غاية الانهماك واستعملوه على أضرب كثيرة وأنواع مختلفة:

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) والنسائي في «الكبرى» (١٠٨٤٣) وابن ماجة (٣٥٢٣) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا به.

(٢) **صحيح موقوفًا**: أخرجه مسلم (٢٢٠) عن هشيم عن حصين بن عبدالرحمن عن عامر الشعبي عن بريدة ابن الحصيب موقوفًا، وإسناده صحيح وهشيم صرح بالتحديث، لكن خالفه ابن فضيل فرواه عن حصين عن الشعبي عن عمران بن حصين موقوفًا أيضًا، أخرجه البخاري (٥٧٠٥) وخالفهما سفيان عند الترمذي (٢٠٥٧)، ومالك بن مغول عند أبي داود (٣٨٨٤) فروياه عن حصين عن الشعبي عن حصين مرفوعًا، وخالفهم جميعًا أبو جعفر الرازي وهو ضعيف سيء الحفظ عند ابن ماجة (٣٥١٣) فرواه عن حصين عن الشعبي عن بريدة مرفوعًا.

قلت: والأظهر الوقف، وفي الإسناد اختلاف آخر على الشعبي وانظر «فتح الباري» (١٠/ ١٧٨) و«العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ٣٤٨ح ٣٥٦٦).

(٣) **ضعيف الإسناد**: وسبق في أوائل هذا الفصل.

فمنه : ما يدَّعون أنه من القرآن أو من السنة ومن أسماء اللَّه المثبتة فيها ، وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرها وأخرجوه عن اللغة العربية ، ولا أدرى إن صدقناهم في دعواهم أهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التى نزل بها القرآن وتكلم بها النبي ﷺ بالسنة حتى يترجموه بالأعجمية أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفع منه بالعربية ، أو أنه ينفع بالعربية لشيء وبالأعجمية لغيره ولا تصلح إحداهما فيما تصلح فيه الأخرى ، أم ماذا زين لهم الشيطان وسولت لهم أنفسهم ، أم ماذا كانوا يفترون؟ ومما يزعمون أنه من أسماء اللَّه تعالى التى ليست في الكتاب ولا في السنة وأنهم علموها من غيرهما فمنه ما يدعون أنه دعا به آدم ﷺ أو نوح أو هود أو غيرهم من الأنبياء ، ومنه ما يقولون إنه ليس إلا في أم الكتاب ، ومنه ما يقولون هو مكتوب في البيت المعمور ، ومنه ما يقولون هو مكتوب على جناح جبريل ﷺ أو جناح ميكائيل أو جناح إسرافيل أو غيرهم من الملائكة ، أو على باب الجنة أو غير ذلك . وليت شعرى متى طالعوا اللوح المحفوظ فاستنسخوه منه ، ومتى رقوا إلى البيت المعمور فقرءوه فيه ، ومتى نشرت لهم الملائكة أجنحتها فرأوها ، ومتى اطلعوا إلى باب الجنة فشاهدوه ، كلما شعوذ مشعبذ وتحذلق متحذلق وأراد الدجل على الناس والتحيل لأخذ أموالهم طلب السبل إلى وجه تلك الحيلة ورام لها أصلًا ترجع إليه ، فإن وجد شبهة تروج على ضعفاء العقول وأعمياء البصائر وإلا كذب لهم كذبًا محضًا وقاسمهم باللَّه إنه لهم لمن الناصحين ، فيصدقونه لحسن ظنهم به .

ومنه : أسماء يدعونها ، تارة يدعون أنها أسماء الملائكة وتارة يزعمون أنها من أسماء الشياطين ، واعتقادهم في هذه الأسماء أنها تخدم هذه السورة أو هذه الآية ، أو هذا الاسم من أسماء اللَّه تعالى ، فيقولون : يا خدام سورة كذا أو آية كذا أو اسم كذا ، يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان أجيبوا أجيبوا ، العجل العجل ونحو ذلك . وما من سورة من القرآن ولا آية منه ولا اسم من أسماء اللَّه يعرفونه إلا وقد انتحلوا له خدامًا ودعوهم له ، ساء ما يفترون . وتارة يكتبون السورة أو الآية ويكررونها مرات عديدة بهيئات مختلفة حتى يجعلوا أولها آخرًا وآخرها أولًا ، وأوسطها أولًا في موضع وآخرًا في آخر . وتارة يكتبونها بحروف مقطعة كل حرف على حدته ويزعمون أن لها بهذه الهيئة خصوصية ليست لغيرها من الهيئات ، ولا أدرى من أين أخذوها وعمن نقلوها ، ما هى إلا وساوس شيطانية زخرفوها ، وخرافات مضلة ألفوها ، وأكاذيب مختلقة لفقوها ، لم ينزل اللَّه بها من سلطان ، ولا يعرف لها أصل في سنة ولا قرآن ، ولم تنقل عن أحد من أهل الدين والإيمان .

إن هؤلاء إلا كاذبون، أفاكون مفترون. وسيجزون ما كانوا يعملون. وتارة يكتبون رموزًا من الأعداد العربية المعروفة من آحاد وعشرات ومئات وألوف وغيرها ويزعمون أنها رموز إلى حروف آية أو سورة أو اسم أو شيء مما قدمنا بحساب الحروف الأبجدية المعروفة عند العرب وغير ذلك من الخرافات الباطلة، والأكاذيب المفتعلة المختلقة، وغالبها مأخوذ عن الأمة الغضبية الذين أخذوا السحر عن الشياطين وتعلموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنة أو أسماء الله تعالى وأنهم إنما غيروا ألفاظه وترجموها بغير العربية لمقاصد لا تتم بزعمهم إلا بذلك.

ومنها: ما هو من عبّاد الملائكة والشياطين ونحوهم يأخذون أسماءهم ويقولون للجهال هي أسماء الله ليروجوا الشرك بذلك عليهم فيدعون غير الله من دونه، وهذه مكيدة لم يقدر عليها إبليس إلا بواسطة هؤلاء المضلين وهو: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: الآية ٦]، والله تعالى يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٥١]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: الآية ٤٠].

فتحصل من هذا أن الرقى لا تجوز إلا باجتماع ثلاثة شروط: فإذا اجتمعت فيها كانت رقية شرعية، وإن اختل منها شيء كان بضد ذلك.

الأول: أن تكون من الكتاب والسنة فلا تجوز من غيرهما.

الشرط الثاني: أن تكون باللغة العربية محفوظة ألفاظها مفهومة معانيها فلا يجوز تغييرها إلى لسان آخر.

الثالث: أن يعتقد أنها سبب من الأسباب لا تأثير لها إلا بإذن الله ﷻ فلا يعتقد النفع فيها لذاتها، بل فعل الراقي السبب والله هو المسبب إذا شاء.

وَفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ ... إِنْ تَكُ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتِ
فَالاخْتِلَافُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ ... فَبَعْضُهُمْ أَجَازَهَا وَالْبَعْضُ كَفّْ

«**وفي التمائم المعلقات**» أي: التي تعلق على الصبيان والدواب ونحوها «**إن تك**» هي أي: التمائم «**آيات**» قرآنية «**مبينات**»، وكذلك إن كانت من السنن الصحيحة الواضحات «**فالاختلاف**» في جوازها «**واقع بين السلف**» من الصحابة والتابعين فمن بعدهم «**فبعضهم**» أي: بعض السلف «**أجازها**» يروى ذلك عن عائشة ﵂ وأبي جعفر

محمد بن علي وغيرهما من السلف ، «والبعض» منهم «كف» أي : منع ذلك وكرهه ولم يره جائزًا ، منهم عبد اللّٰه بن عكيم وعبد اللّٰه بن عمرو وعقبة بن عامر وعبد اللّٰه بن مسعود وأصحابه كالأسود وعلقمة ومن بعدهم كإبراهيم النخعي وغيرهم رحمهم اللّٰه تعالى[1].

ولا شك أن منع ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقاد المحظور ، لا سيما في زماننا هذا فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال فلأن يكره في وقتنا هذا وقت الفتن والمحن أولى وأجدر بذلك ، كيف وهم قد توصلوا بهذه الرخص إلى محض المحرمات وجعلوها حيلة ووسيلة إليها ، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آية أو سورة أو بسملة أو نحو ذلك ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانية ما لا يعرفه إلا من اطلع على كتبهم ، ومنها أنهم يصرفون قلوب العامة عن التوكل على اللّٰه ﷻ إلى أن تتعلق قلوبهم بما كتبوه ، بل أكثرهم يرجفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيء ، فيأتي أحدهم إلى من أراد أن يحتال عن أخذ ماله مع علمه أنه قد أولع به ، فيقول له : إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو نفسك كذا كذا أو يقول له إن معك قرينًا من الجن أو نحو ذلك . ويصف له أشياء ومقدمات من الوسوسة الشيطانية موهمًا أنه صادق الفراسة فيه ، شديد الشفقة عليه ، حريص على جلب النفع إليه ، فإذا امتلأ قلب الغبي الجاهل خوفًا مما وصف له حينئذ أعرض عن ربه وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقالبه ، والتجأ إليه وعول عليه دون اللّٰه ﷻ وقال له : فما المخرج مما وصفت ، وما الحيلة في دفعه؟ كأنما بيده الضر والنفع ، فعند ذلك يتحقق فيه أمله ، ويعظم طمعه فيما عسى أن يبذله له ، فيقول له إنك أعطيتني كذا وكذا كتبت لك من ذلك حجابًا طوله كذا وعرضه كذا ، ويصف له ويزخرف له في القول ، وهذا الحجاب علقه من كذا وكذا من الأمراض أترى هذا - مع هذا الاعتقاد - من الشرك الأصغر ، لا بل هو تأله لغير اللّٰه وتوكل على غيره والتجاء إلى سواه ، وركون إلى أفعال المخلوقين وسلب لهم من دينهم ، فهل قدر الشيطان على مثل هذه الحيل إلا بواسطة أخيه من شياطين الإنس : ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝٤٢﴾ [الأنبياء: الآية ٤٢]، ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمه الشيطانية شيئًا من القرآن

---

(١) صح عن ابن مسعود المنع وسبق حديثه ، وعن عائشة الجواز وفرقت بين التميمة قبل البلاء وبعده أخرجه الحاكم (٧٥٠٦) عنها وصححه ، وأما عبدالله بن عكيم وعبدالله بن عمرو وعقبة بن عامر ، فلم أقف على أقوالهم وإنما رووا أحاديث تفيد المنع ، والأسانيد إليهم ضعيفة وسبقت .

ويتعلقه على غير طهارة ويحدث الحدث الأصغر والأكبر وهو معه أبدًا لا يقدسه عن شيء من الأشياء، تاللَّه ما استهان بكتاب اللَّه تعالى أحد من أعدائه استهانة هؤلاء الزنادقة المدعين الإسلام به. واللَّه ما نزل القرآن إلا لتلاوته، والعمل به، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، والوقوف عند حدوده، والاعتبار بأمثاله، والاتعاظ بقصصه والإيمان به، كل من عند ربنا، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كله ونبذوه وراء ظهورهم ولم يحفظوا إلا رسمه كي يتأكلوا به ويكتسبوا كسائر الأسباب التي يتوصلون بها إلى الحرام لا الحلال، ولو أن ملكًا أو أميرًا كتب كتابًا إلى من هو تحت ولايته أن افعل كذا، واترك كذا، وأمر من في جهتك بكذا وانههم عن كذا، ونحو ذلك، فأخذ ذلك الكتاب ولم يقرأه ولم يتدبر أمره ونهيه ولم يبلغه إلى غيره ممن أمر بتبليغه إليه، بل أخذه وعلقه في عنقه أو عضده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتة، لعاقبه الملك على ذلك أشد العقوبة ولسامه سوء العذاب. فكيف بتنزيل جبار السموات والأرض الذي له المثل الأعلى في السموات والأرض، وله الحمد في الأولى والآخرة وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه هو حسبي لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

وإنْ تَكُنْ مِمَّا سِوَى الْوَحْيينِ فَـإنَّـهَا شِـرْكٌ بِـغَـيْـرِ مَـيْـنِ
بَـلْ إنَّـهَـا قَـسِـيـمَـةُ الأَزْلَامِ فِي الْبُعْدِ عَنْ سِيمَا أُولِي الإِسْلَامِ

«**وإن تكن**» أي: التمائم «**مما سوى الوحيين**» بل من طلاسم اليهود وعُبَّاد الهياكل والنجوم والملائكة ومستخدمي الجن ونحوهم أو من الخرز أو الأوتار أو الحلق من الحديد وغيره «**فإنها شرك**» أي تعلقها شرك «**بدون مين**» أي: شك، إذ ليست هي من الأسباب المباحة والأدوية المعروفة، بل اعتقدوا فيها اعتقادًا محضًا أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها، لخصوصية زعموا فيها كاعتقاد أهل الأوثان في أوثانهم «**بل إنها قسيمة**» أي: شبيهة «**الأزلام**» التي كان يستصحبها أهل الجاهلية في جاهليتهم ويستقسمون بها إذا أرادوا أمرًا، وهي ثلاثة قداح مكتوب على إحداها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: غفل، فإن خرج في يده الذي فيه افعل مضى لأمره، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك، أو الغفل أعاد استقسامه. وقد أبدلنا اللَّه تعالى- وله الحمد- خيرًا من ذلك: صلاة الاستخارة ودعاءها.

والمقصود: أن هذه التمائم التي من غير القرآن والسنة شريكة للأزلام وشبيهة بها من حيث الاعتقاد الفاسد والمخالفة للشرع «**في البعد عن سيما أولي الإسلام**» أي: عن زي

أهل الإسلام، فإن أهل التوحيد الخالص من أبعد ما يكون عن هذا وهذا، والإيمان في قلوبهم أعظم من أن يدخل عليه مثل هذا، وهم أجل شأنًا وأقوى يقينًا من أن يتوكلوا على غير اللَّه أو يثقوا بغيره. وباللَّه التوفيق.

فصل: من الشرك فعل من يتبرك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها يتخذ ذلك المكان عيدًا، وبيان أن الزيارة تنقسم إلى سنية وبدعية وشركية

هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ ... مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ
مَا يقْصِدُ الْجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا ... لَمْ يأْذَنِ اللَّهُ بِأَنْ يعَظَّمَا
كَمَنْ يلُذْ بِبُقْعَةٍ أَوْ حَجَرِ ... أَوْ قَبْرِ مَيتٍ أَوْ بِبَعْضِ الشَّجَرِ
مُتَّخِذًا لِذَلِكَ الْمَكَانِ ... عِيدًا كَفِعْلِ عَابِدِ الأَوْثَانِ

«**هذا**» أي الأمر والإشارة إلى ما تقدم «**ومن أعمال أهل الشرك**» التي لا يفعلها غيرهم ولا تليق إلا بعقولهم السخيفة، وأفئدتهم الضعيفة، وقلوبهم المطبوع عليها، وأبصارهم المغشى عليها «**ما**» أي الذي «**لم يأذن اللَّه**» ﷻ في كتابه ولا سنة نبيه «**بأن يعظما**» بألف الإطلاق، وأن ومدخولها في تأويل مصدر أي لم يأذن اللَّه بتعظيمه ذلك التعظيم الذي منحه إياه من لم يفرق بين حق اللَّه تعالى وحقوق عباده من النبيين والأولياء وغيرهم، بل لم يفرق بين أولياء اللَّه وأعدائه ولا بين طاعته ومعصيته، فيتخذ من دون اللَّه أندادًا وهو يرى أن ذلك الذي فعله قربة وطاعة للَّه وأن اللَّه يحب ذلك ويرضاه، ويكذِّب الرسل ويدَّعي أنه من أتباعهم، ويوالي أعداء اللَّه وهو يظنهم أولياءه، كفعل اليهود والنصارى يجاهرون اللَّه بالمعاصي ويكذبون كتابه ويغيرونه ويبدلونه ويحرفون الكلم عن مواضعه ويقتلون الأنبياء بغير الحق وينسبون للَّه ﷻ الولد ويفعلون الأفاعيل ويقولون نحن أبناء اللَّه وأحباؤه، وهم البغضاء إلى اللَّه وأعداؤه. وسبب هذا كله- في الأمم الأولى والأخرى- هو الإعراض عن الشريعة وعدم الاهتمام لمعرفة ما احتوت عليه الكتب من البشارة والنذارة والأمر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد، ومعرفة ما يجب للَّه على عباده فعله وما يجب تركه «**كمن يلذ ببقعة**» أي يعوذ بها ويختلف إليها ويتبرك بها ولو بعبادة اللَّه تعالى عندها، وتقدم تقييد ذلك بما لم يأذن به اللَّه، فيخرج بهذا القيد ما أذن اللَّه تعالى بتعظيمه كتعظيم بيته

الحرام بالحج إليه وتعظيم شعائر اللّه من المشاعر والمواقف وغيرها، فإن ذلك تعظيم للّه ﷻ الذي أمر بذلك لا لتلك البقعة ذاتها كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما استلم الحجر الأسود: «**أما واللّه إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول اللّه ﷺ يقبلك ما قبلتك**»[1]، وكذلك التعظيم أيضًا نفسه إنما أردنا منع تعظيم لم يأذن اللّه به لا المأذون فيه، فإن اللّه تعالى قد أمر بتعظيم الرسل بأن يطاعوا فلا يعصوا ويحبوا ويتبعوا، وأن طاعة الرسول هي طاعة اللّه ﷻ ومعصيته معصية اللّه ﷻ، فهذا تعظيم لا يتم الإيمان باللّه إلا به إذ هو عين تعظيم اللّه تعالى، فإنهم إنما عُظموا لأجل عظمة المرسل ﷻ وأُحبوا لأجله واتُّبعوا على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيم اللّه ﷻ، فلو أن أحدًا عظم رسولًا من الرسل بما لم يأذن اللّه به ورفعه فوق منزلته التي أنزله اللّه ﷻ وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئًا من الإلهية لانعكس الأمر وصار عين التنقص والاستهانة باللّه وبرسله كفعل اليهود والنصارى الذي ذكر اللّه ﷻ عنهم من غلوهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعزير، فكذبوا بالكتاب وتنقصوا الرب ﷻ بنسبة الولد إليه وغير ذلك وكذبوا الرسول في قوله: ﴿قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [مريم: الآية ٣٠]. فصار ذلك التعظيم في اعتقادهم هو عين التنقص والشتم، سبحان اللّه عما يصفون، وسلام على المرسلين.

«**أو حجر، أو قبر ميت، أو ببعض الشجر**» أو غير ذلك من العيون ونحوها ولو بعبادة اللّه عندها فإن ذلك ذريعة إلى عبادتها ذاتها كما فعل إبليس لعنه اللّه بقوم نوح حيث أشار عليهم بتصوير صالحيهم ثم بالعكوف على قبورهم وصورهم وعبادة اللّه عندها إلى أن أشار عليهم بعبادتها ذاتها من دون اللّه تعالى فعبدوها، «**متخذًا لذلك المكان**» من القبور والأشجار والعيون والبقاع وغيرها «**عيدًا**» أي ينتابها ويعتاد الاختلاف إليها «**كفعل عابدي الأوثان**» في تعظيم أوثانهم واعتيادهم إليها، ولذا سمى النبي ﷺ العكوف على الأشجار وتعليق الأسلحة بها على جهة التعظيم «**تألهًا**»، كما في الترمذي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول اللّه ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها: «**ذات أنواط**» فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول اللّه اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال رسول اللّه ﷺ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُم والذِي نَفْسِي بِيدِهِ كَمَا قَالَت بَنُو إِسْرَائِيلَ لموسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ**

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٥٩٧، ١٦٠٥، ١٦١٠) ومسلم (١٢٧٠).

ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٨]. لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُم»[1] ولقد عمت البلوى بذلك وطمت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمة لا سيما زماننا هذا، ما من قبر ولا بقعة يذكر لها شيء من الفضائل ولو كذبًا إلا وقد اعتادوا الاختلاف إليها والتبرك بها حتى جعلوا لها أوقاتًا معلومة يفوت عيدهم بفواتها ويرون من أعظم الخسارات أن يفوت الرجل ذلك العيد المعلوم. وآل بهم الأمر إلى أن صنفوا في أحكام حجهم إليها كتبًا سموها مناسك حج المشاهد[2]. ومن أخل بشيء منها فهو عندهم أعظم جرمًا ممن أخل بشيء من مناسك الحج إلى بيت الله الحرام وجعلوا لها طوافًا معلومًا كالطواف بالبيت الحرام، وشرعوا تقبيلها كما يقبّل الحجر الأسود حتى قالوا إن زحمت فاستلم بمحجن أو أشر إليه، قياسًا على فعل النبي ﷺ بالحجر الأسود، وشرعوا لها نذورًا من المواشي والنقود ووقفوا عليها الوقوف من العقارات والحرث وغيرها وغير ذلك من شرائعهم الشيطانية، وقواعدهم الوثنية. وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص النبوية في سد ذرائع الشرك في الفصل الآتي وبالله التوفيق.

كيفية زيارة القبور

ثُمَّ الزِّيَارَةُ عَلَى أَقْسَامِ	ثَلَاثَةٍ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ
فَإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فِيمَا أَضْمَرَهْ	فِي نَفْسِهِ تَذْكِرَةً بِالآخِرَهْ
ثُمَّ الدُّعَا لَهُ وَلِلأَمْوَاتِ	بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ عَنِ الزَّلَّاتِ
وَلَمْ يكُنْ شَدَّ الرِّحَالَ نَحْوَهَا	وَلَمْ يقُلْ هُجْرًا كَقَوْلِ السُّفَهَا
فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهْ	فِي السُّنَنِ الْمُثْبَتَةِ الصَّحِيحَهْ

«ثم الزيارة» أي زيارة القبور تأتي «على أقسام ثلاثة»: زيارة سنية وزيارة بدعية،

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٥/ ٢١٨) والنسائي في «الكبرى» (١١١٨٥) وابن حبان (٦٧٠٢) وأبو يعلى (١٤٤١) والحميدي (٨٤٨) والطيالسي (١٣٤٦) وعبدالرزاق (١١/ ٣٦٩) وابن أبي شيبة (٣٧٣٧٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٦) وابن جرير في «التفسير» (٩/ ٤٥) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٤٣، ٢٤٤ح ٣٢٩٠- ٣٢٩٤) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٢٠٤، ٢٠٥) من طرق جميعًا عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي به، وإسناده صحيح.

(٢) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (٣/ ٤١٩) أن المفيد من الرافضة صنف كتابًا سماه: «مناسك حج المشاهد».

قال: وفيه من الكذب والشرك ما هو من جنس كذب النصارى وشركهم.

وزيارة شركية فتفهموها«**يا أمة الإسلام**» . والبداءة بالشرعية لشرفها والندب إليها، ثم البدعية لكونها أخف جرمًا من الشركية، ثم هي بعد ذلك، «**فإن نوى الزائر**» للقبور«**فيما أضمره في نفسه**» أى كانت نيته بتلك الزيارة (تذكرة بالآخرة) أى ليتعظ بأهل القبور ويعتبر بمصارعهم إذ كانوا أحياء مثله يؤملون الآمال ويخولون الأموال، ويجولون في الأقطار بالأيام والليالى، ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحال، فبينما هم كذلك إذ بصارخ الموت قد نادى، فاستجابوا له على الرغم جماعات وفرادى، وأبادهم ملوكًا ونوابًا وقوادًا وأجنادًا، وقدَّموا على ما قدَّموا غيا كان أو رشادًا، وصار لهم التراب لحفًا ومهادًا، بعد الغرف العالية التي كان عليها الحجاب أرصادًا، تساوى فيها صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، وشريفهم وحقيرهم، ومأمورهم وأميرهم. اتفق ظاهر حالهم واتحد، ولا فرق للناظر إليهم يميز به أحدًا من أحد. وأما باطنًا فاللَّه أكبر لو كشف للناظرين الحجاب، لرأوا من الفروق العجب العجاب، **فهؤلاء لهم** طوبى وحسن مآب، وأولئك في أسوأ حالة وأشد العذاب. فليعلم الواقف عليهم الناظر إليهم، أنه بهم ملتحق، ولإحدى الحالتين مستحق، فليتأهب لذلك، وليتب إلى العزيز المالك، وليلتجئ إليه من شر كل ما هنالك. «**ثم**» قصد أيضًا«**الدعا**» أى دعاء اللَّه ﷻ «**له**» أى لنفسه«**وللأموا ت**» من المسلمين«**بالعفو**» من اللَّه ﷻ «**والصفح عن الزلات**» وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك «**و**» مع ذلك«**لم يكن شد الرحال نحوها**» الضمير للقبور لما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدرى ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: المسجِدِ الحرامِ، ومَسْجِدِي هَذَا، وَالمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[1] . «**ولم يقل هجرًا**» أي محظورًا شرعًا «**كقول**» بعض«**السفها**» لما في السنن من حديث بريدة قال فيه النبي ﷺ: «**كُنتُ نَهَيتُكُم عَن**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١١٩٧) بنحوه من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، واللفظ الذي أورده المصنف أخرجه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٢) **صحيح**: أخرجه بهذا اللفظ النسائي في «المجتبى» (٤/ ٨٩) وفي «السنن الكبرى» (٢١٦٠) من طريق جرير عن أبي فروة عن المغيرة بن سبيع عن عبدالله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا به، وهذا إسناد لا بأس به، والمغيرة وثقه ابن حبان والعجلي وقال ابن حجر: ثقة، وأبو فروة هو عروة بن الحارث الهمداني ثقة، على أنهما لم ينفردا به، بل أخرجه الطبراني في «الأوسط» (ح٢٣٨) من طريق حماد بن أبي سليمان عن ابن بريدة عن أبيه به، وأخرجه (٢٩٦٦) من طريق سماك عن القاسم بن عبدالرحمن عن ابن بريدة عن أبيه به.

قلت: والحديث صحيح من طرق، وقد أخرجه مسلم (٩٧٧) من حديث بريدة بلفظ: «**كنت نهيتكم عن**=

زِيارَةِ القُبُورِ . فمَن أرَادَ أنْ يزُورَ فَلْيزُر وَلَا تَقُولُوا هَجْرًا» [١] «**فتلك**»الإشارة إلى النوع المذكور من الزيارة «**سنة**»طريقة نبوية «**أتت صريحة**»أي واضحة ظاهرة «**فى السنن**»أي الأحاديث «**المثبتة**»في دواوين الإسلام «**الصحيحة**»سندًا ومتنًا، منها حديث بريدة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَدكُنتُ نَهَيتُكُمْ عَن زِيارَةِ القُبُورِ، فَقَدأُذِنَ لمُحَمَّدٍ ﷺفِي زِيارَةِ قَبرِ أُمِّهِ فَزُورُوهَا، فَإِنَّهَا تذكرةُ الآخِرَةِ**» [٢] رواه الترمذي وصححه. وحديث أبي هريرة ﷺ قال: زار النبي ﷺقبر أمه فبكى وأبكى من حوله فقال: «**اسْتَأْذَنتُ رَبِّي أنْ أَسْتَغفِرَ لَهَا فَلَم يأْذَنْ لِي، واسْتَأْذَنتُهُ فِي أنْ أَزُورُهَا فَأَذِنَ لِي، فَزُورُوا القُبُورَ فَإنَّها تُذَكِّرُ المَوتَ**» [٣] رواه الجماعة. وعن أبي هريرة ﷺأن النبي ﷺأتى المقبرة فقال: «**السَّلامُ عَلَيكُم دَارَ قَومٍ مُؤمِنينَ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُم لاحِقُونَ**» [٤] رواه ومسلم والنسائي. ولأحمد من حديث عائشة ﷺمثله وزاد: «**اللَّهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم**» [٥]. وعن بريدة قال: كان

= **زيارة القبور فزوروها**». وأما قوله: «ولا تقولوا هجرًا» فصح من حديث أنس مرفوعًا أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٧، ٢٥٠) وابن أبي شيبة (١١٨٠٥) وأبو يعلى (٣٧٠٥- ٣٧٠٧) والحاكم (١٣٩٣) والبيهقي (٤/ ٧٧) وغيرهم، وورد من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٥٣ح ١١٦٥٣) وفي «الأوسط» (٢٧٠٩) ومن حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد (٣/ ٦٣، ٦٦) وأخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٤٨٥) ومن طريقه الشافعي في «مسنده» (ص ٣٦١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٧٧)، ومن حديث زيد بن ثابت أخرجه الطبراني في «الصغير» (٨٨١) وأصح طرق الحديث طريق بريدة وطريق أنس بن مالك.

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي في «سننه» (١٠٥٤) وأحمد (٥/ ٣٥٦) وابن حبان (٣١٦٨) وابن الجعد (٣٠٧٩) والبيهقي (٨/ ٣١١) من طريق سفيان وزيد بن أبي أنيسة وقيس جميعًا عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه مرفوعًا به، وصححه الترمذي.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٦) وأبو داود (٣٢٣٤) والنسائي في «المجتبى» (٤/ ٩٠) وفي «الكبرى» (٢١٦١) وابن ماجة (١٥٧٢) وأحمد (٢/ ٤٤١) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا به، وهو عند الترمذي باللفظ السابق من حديث بريدة، ولم يخرجه البخاري.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٩) وأبو داود (٣٢٣٧) والنسائي (١/ ٩٣) وابن ماجة (٤٣٠٦) وأحمد (٢/ ٣٠٠، ٣٧٥، ٤٠٨) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٤) **في إسناده ضعف**: أخرجه أحمد (٦/ ٧١) وابن ماجة (١٥٤٦) والطيالسي (١٤٢٩) وأبو يعلى (٤٥٩٣، ٤٦٢٠، ٤٧٤٨) من طريق شريك عن عاصم بن عبيد الله عن عبدالله بن عامر ابن ربيعة عن عائشة مرفوعًا به، وأخرجه أحمد (٦/ ٧٦، ١١١) وأبو يعلى (٤٦١٩) من طريق شريك عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة مرفوعًا به، وهذا إسناد لا بأس به، إلا أن شريكًا فيه كلام، وقد اختلف عليه في إسناده، وقد رواه غيره من حديث عائشة فلم يذكر هذا اللفظ.

رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «**السَّلامُ عَلَيكُم أهلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤمِنينَ والمُسْلِمينَ، وإنَّا إنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُم لاحِقُونَ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا ولَكُم العافيةَ**»[1] رواه أحمد ومسلم وابن ماجه، زاد مسلم في رواية: «**يرحَمُ اللَّهُ المُتَقَدِّمِينَ مِنَّا وَمِنكُم والمُتَأَخِّرينَ**»[2]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: «**السلام عليكم يا أهل القبور، يغفر الله لنا ولكم أنتم سلفنا ونحن بالأثر**»[3] رواه الترمذي وقال: حسن، وكذلك الأحاديث في خروجه ﷺ إلى بقيع الغرقد كثيرًا يدعو لهم ويترحم عليهم. وكان الصحابة إذا أتوا قبره ﷺ صلوا وسلموا عليه فحسب، كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه[4]. وكذا التابعون ومن بعدهم من أعلام الهدى ومصابيح الدجى لم يذكر عنهم في زيارة القبور غير العمل بهذه الأحاديث النبوية وأفعال الصحابة لم يعدلوا عنها ولم يستبدلوا بها غيرها بل وقفوا عندها، فهذه الزيارة الشرعية المستفادة من الأحاديث النبوية، وعليها درج الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، إنما فيها التذكر بالقبور والاعتبار بأهلها والدعاء لهم والترحم عليهم وسؤال الله العفو عنهم، فمن ادعى فيها غير هذا طولب بالبرهان، وأنى له ذلك ومن أين يطلبه؟ بل كذب وافترى، وقفا ما ليس له به علم. بل إن العلوم الشرعية دالة على ضلاله وجهله[5].

أو قَصَدَ الدُّعَاءَ والتَّوَسُّلا ... بِهِم إلى الرَّحْمَنِ جَلَّ وعَلا

فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلالَة ... بَعِيدَةٌ عَنْ هَدْي ذِي الرِّسَالَة

«**أو قصد الدعاء**» من الصلاة وغيرها أو الاعتكاف عند قبورهم أو نحو ذلك

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٥) وابن ماجة (١٥٤٧) وأحمد (٥/ ٣٥٣) وغيرهم.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٤) والنسائي (٤/ ٩٢) وابن حبان (٧١١٠) وغيرهم.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (١٠٥٣) من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس، وقال الترمذي: حسن غريب.
قلت: وقابوس ضعيف.

(٤) **صحيح إلى ابن عمر**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٨ح ١١٧٩٣) عن أبي معاوية عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر، وهذا إسناد صحيح، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣٤٥) من طريق حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر، وأخرجه في «شعب الإيمان» (٤١٥٠) من طريق محمد بن بشر عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر.

(٥) **توسعت في تفاصيل الزيارة الشرعية في كتابي**: «جامع أحكام القبور» وما يتعلق بها من الدفن والزيارة وأحوال الموتى وسيصدر قريبًا بعون الله، فانظره إن شئت.

«والتوسلا» بألف الإطلاق **«بهم»** أي: بأهل القبور **«إلى الرحمن جل وعلا»** عما انتفكه أهل الزيغ والضلال **«فبدعة محدثة»** لم يأذن اللَّه تعالى بها **«ضلالة»** كما قال ﷺ: «**كُلُّ بدعةٍ ضَلالَةٍ**»[1] وقال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[2]، وقال ﷺ في رواية: «**مَن عَمِلَ عَمَلًا ليسَ عَلَيهِ أمرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[3] وقال ﷺ: «**عَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنةِ الخُلُفاء الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وإياكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٍ**»[4] وغير ذلك. فإن من قال: اللَّهم إني أسألك بجاه فلان، وهو ميت أو غائب، وإن كان يرى أنه لم يدع إلا اللَّه ولم يعبد سواه فهو قد عبد اللَّه بغير ما شرع وابتدع في الدين ما ليس منه واعتدى في دعائه ودعا اللَّه بغير ما أمره أن يدعوه به، فإن اللَّه تعالى إنما أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٠]، ولم يشرع لنا أن ندعوه بشيء من خلقه البتة، بل قد نهانا رسول اللَّه ﷺ عن أن نقسم بشيء من المخلوقات مطلقًا فكيف بالإقسام بها على اللَّه ﷻ. وأما حديث الأعمى الذي به يحتج المجوزون للتوسل بالمقبور فلا حجة لهم فيه بحمد اللَّه لو فهموا معناه ووضعوه موضعه، ولكنهم أخطئوا في تأويله، ولم يوفقوا لفهم مدلوله، فإن هذا الحديث بجميع ألفاظه هو بمعزل عن مدعاهم، وهذه ألفاظه من الكتب التي خرج فيها: قال

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٦٧) وغيره وسبق.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٦٧٦) وأحمد (٤/ ١٢٦) والدارمي (٩٥) وابن حبان (٥) والحاكم (٣٢٩، ٣٣٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٤) وفي «شعب الإيمان» (٧٥١٦) وفي «الاعتقاد» (ص٢٢٩) من طريق ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبدالرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر الكلاعي عن العرباض بن سارية مرفوعًا به، وأخرجه الحاكم (٣٣٠) عن محمد بن إبراهيم، وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) والحاكم (٣٣١) عن ضمرة بن حبيب، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٤٩ح ٦٢٤) والبيهقي في «الشعب» (٧٥١٥) عن بحير بن سعد، جميعًا عن خالد بن معدان به، لكن عبدالرحمن بن عمرو السُّلمي وحجر بن حجر الكلاعي مجهولا الحال، لم يوثقهما غير ابن حبان، إلا أن الترمذي والحاكم صححا حديثهما.

قلت: لكن أخرجه ابن ماجة (٤٢) والحاكم (٣٣٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٤٨ح ٦٢٢) وفي «مسند الشاميين» (٧٨٦) عن عبدالله بن العلاء بن زبر عن يحيى بن أبي المطاع عن العرباض بن سارية مرفوعًا به، وهذا إسناد رجاله ثقات، إلا أن يحيى لم يسمع من العرباض، لكن يتقوى الحديث بمجموع الطرق، وله طريق آخر عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٤٨ح ٦٢٣) عن مهاجر بن حبيب عن العرباض بن سارية.

الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلًا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ادع الله أن يعافيني. قال: «إِنْ شِئْتَ دَعَوتُ وَإِنْ شِئْتَ صَبَرتَ فَهُوَ خَيرٌ لَكَ». قال: فادعه. قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيكَ بِنَبِيكَ مُحَمدٍ ﷺ نَبِي الرَّحمَةِ، إِنِّي تَوَجهتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ لتَقْضِي لِي، اللَّهُمَّ فَشَفِّعْهُ فِيَ»(١) هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه

---

(١) صحيح: وهذا الحديث في إسناده اختلاف للكلام في أبي جعفر من هو، وأفصله فيما يأتي:
أولًا: حديث أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن ضيف.
١- شعبة عن أبي جعفر مهملًا من غير تعيين.
أخرجه الترمذي (٣٥٧٨) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩٥) وفي «عمل اليوم والليلة» (٥٦٩) عن محمود بن غيلان عن عثمان بن عمر عن شعبة به، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٨) وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٧٩) عن عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف.
٢- شعبة عن أبي جعفر الخطمي وهو المدني والمدني عمير بن يزيد.
أخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٢١٩) عن محمد بن بشار وأبي موسى عن عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر المدني.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٨ح ١١٨٠) عن العباس بن محمد الدوري عن عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر المديني.
وأخرجه ابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٥٧ت ٧٧٣) عن محمد بن يونس عن عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر الخطمي.
وأخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٩٠ح ٢٠٦٤) عن أبي زرعة بإسناده عن عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر الخطمي.
وأخرجه الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٢١/ ٢٤١) من طريق أحمد بن حنبل عن عثمان بن شعبة عن أبي جعفر، قال: وهو الخطمي، وعزاه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة من حديث عثمان بن عمر به.
٣- حماد بن سلمة عن أبي جعفر مهملًا.
أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩٤) وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٥٨) وفي إسناده ضعف.
٤- حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي.
أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨) عن مؤمل عن حماد عن أبي جعفر الخطمي، ومؤمل ضعيف لسوء حفظه.
ثانيا: حديث أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل عن عمه عثمان بن ضيف.
أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٠٧ح ١٩٢٩، ١٩٣٠) وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ٢٥٨ت ٧٧٣) عن روح بن القاسم عن أبي جعفر (المدني، الخطمي، المدني وهو الخطمي). =

= وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩٦) وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٦٠) عن روح بن القاسم وهشام الدستوائي عن أبي جعفر (ولم ينسبه النسائي) لكنه قال قبل إيراد الحديث: خالفهما - يعني حماد وشعبة - هشام الدستوائي وروح بن القاسم فقالا عن أبي جعفر عمير بن يزيد بن خماشة عن أبي أمامة بن سهل عن عثمان بن حنيف.

قلت (يحيى): وإنما فصلت في بيان الروايات التي نسبت أبا جعفر والتي لم تنسبه لأن المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نقل هنا عن الترمذي قوله: لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر، وهو غير الخطمي. اهـ.
والمصنف رحمه الله لم ينفرد بهذا بل هو متابع فيه لابن حجر رحمه الله، حيث يقول في «التقريب» (ص٦٢٩): أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة، قال الترمذي: ليس هو الخطمي، فلعله الذي بعده. اهـ.
وتابعه على هذا القول المباركفوري رحمه الله في كتابه «تحفة الأحوذي» (١٠/ ٢٤) حيث يقول: أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة رجلان، أحدهما أبو جعفر الخطمي. اهـ.
قلت (يحيى): بل هو أبو جعفر الخطمي يقينًا، لما يلي:

١- أن الذي حملهم على التفريق هو قول الترمذي رحمه الله: لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي. اهـ

قلت: وكلمة: «غير» ليست في كل النسخ، بل في بعض نسخ الترمذي دون بعض، وليست هذه الكلمة في طبعة دار إحياء التراث، ولا في طبعة دار الحديث، ووردت في طبعة دار الفكر هكذا: الخطمي، بين معقوفين إشارة إلى أنها ليست في الأصل المعتمد عليه.

٢- ليس في شيء من الروايات أن أبا جعفر الراوي لهذا الحديث هو غير الخطمي.

٣- في كثير من الروايات أن أبا جعفر هو المدني أو المديني أو الخطمي، وهو في الحالات الثلاث واحد.

٤- إن ثبت أن كلمة «غير» ثابتة عن الترمذي رحمه الله، فهي تفسيرية، وليست رواية، والرواية مقدمة على التفسير.

٥- إن صح أن الترمذي رحمه الله يفرق بين المذكور في هذا الإسناد وبين غيره، فقد خالفه النسائي رحمه الله وجزم بأنه الخطمي عمير بن يزيد.
والمزي أيضًا في «تهذيب الكمال» قال في روايته للحديث عن أبي جعفر: وهو الخطمي. اهـ.
هذا غير سكوت الحاكم وابن أبي حاتم وغيرهم على أن الراوي هو الخطمي.

٦- لم يذكر الحافظ المزي رحمه الله في ترجمة عمارة بن خزيمة من «تهذيب الكمال» (٢١/ ٢٤١) فيمن روى عنه مما يكنى أبا جعفر إلا الخطمي وأشار إلى أن حديثه عند الترمذي والنسائي وابن ماجة.

٧- لم يذكر الحافظ المزي في ترجمة أبي جعفر الرازي وهو الذي ظن المصنف أنه المذكور في هذا الحديث، وسبق المباركفوري - أنه يروي عن عمارة بن خزيمة أو أبي أمامة بن سهل، ولا ذكر فيمن يروي عنه حماد بن سلمة أو روح بن القاسم أو هشام الدستوائي، وإنما اقتصر على ذكر رواية شعبة عنه وأنه من أقرانه، ولم يشر الحافظ المزي رحمه الله إلى وجود رواية شعبة عن أبي جعفر الرازي في شيء من الكتب الستة، وانظر «تهذيب الكمال» (٣٣/ ١٩٣). =

من حديث أبي جعفر وهو غير الخطمي[1] . اهـ. قلت الظاهر بالاستقراء أن أبا جعفر هذا هو

= ٨- أن هذا الحديث من الشبه القوية للقبورية يلبسون به على الناس دينهم، ويستدلون به كذبًا وزورًا على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله من أشد أعداء القبورية وأكثر العلماء نصحًا لهم، وقد أورد الحديث في كتابه «الرد على البكرى» (ص٢٦٤-٢٦٩) بطرقه، ولم يتعرض للكلام على إسناده، ولو وقف على لفظ الترمذي هذا لأورده وأعل به الحديث، لكنه رحمه الله اقتصر في مناقشة الحديث على فقهه ومعناه، ثم تكلم في آخر كلامه بما يفيد صحته، بل نقل عن الترمذي تصحيحه.

فقال (ص٢٦٩): وحديث الأعمى إنما ظهر للناس بسبب كلامنا، ومن جهة أصحابنا اتصل علمه إلى هؤلاء المبتدعة، فإن الفقيه أبا محمد بن عبدالسلام لم يقف على هذا الحديث، ولم يعرف صحته.

فإنه علق الجواب بجواز التوسل به ﷺ على صحته، فكأنه لم يصح عنده، إما لعدم علمه بتصحيح الترمذي له، أو أنه اطلع فيه على قادح معارض.

ولولا الإطالة لتكلمنا على ذلك، فنحن لا حاجة بنا إلى شيء من ذلك، فإنا بالحديث عاملون، وله موافقون، وبه عاملون، والحديث ليس فيه إلا أنه طلب حاجته من الله عز وجل ولم يطلبها من مخلوق.

اهـ. كلامه.

قلت (يحيى بن سوس): فالذي أجزم به بعد تحرير وتأنٍ أن المذكور في الإسناد هو الخطمي، وأكاد أجزم أن كلمة «غير» الموجودة ببعض النسخ من «سنن الترمذي» دون البعض هي من أخطاء النساخ، وليست من كلام الترمذي رحمه الله تعالى.

بقي الكلام على الاختلاف على أبي جعفر، فقد رواه شعبة وحماد عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف وهذا إسناد صحيح لا علة له، ورواه هشام الدستوائي وروح بن القاسم عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف.

وهذا إسناد صحيح أيضًا لا علة له، فأما أبو زرعة رحمه الله فرجح حديث شعبة وقال: الصحيح حديث شعبة.

إلا أن ابن أبي حاتم قال: حكم أبو زرعة لشعبة، وذلك لأنه لم يكن عنده أحد تابع هشامًا الدستوائي، ثم ذكر ابن أبي حاتم متابعة روح بن القاسم له، ثم قال: فاتفاق الدستوائي وروح بن القاسم يدل على أن روايتهما أصح. اهـ. من «العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ١٩٠ح ٢٠٦٤).

قلت (يحيى): كأن ابن أبي حاتم رحمه الله لم يكن عنده أحد تابع شعبة، وقد تابعه حماد بن سلمة كما بينته في التخريج، وظني أنه سبيل لترجيح أحد الطريقين على الآخر، وأن الصواب حمل هذا الاختلاف على تعدد شيوخ أبي جعفر، فرواه مرة عن عمارة بن خزيمة ومرة عن أبي أمامة بن سهل، وهما روياه عن عثمان بن حنيف. وعلى كل فمن لجأ إلى ترجيح أحد الطريقين على الآخر لا ينزل الحديث عن درجة الصحيح، ولا سبيل للطعن في الحديث إلا بالكلام في تعيين أبي جعفر، وقد بينت ما فيه بحمد الله تعالى، والله الموفق والمعين.

(١) سنن الترمذي حديث (٣٥٧٨) وقد تكلمت عن لفظة «غير» فيما سبق فانظره.

الرازي التيمي مولاهم مشهور بكنيته وهو من رجال الأربعة واسمه عيسى بن أبي عيسى عبد اللَّه بن ماهان، وأصله من مرو كان يتجر إلى الري، روى عن عطاء وعمرو بن دينار وقتادة، وعنه أبو عوانة وشعبة كما في هذا الحديث [1] قال ابن معين: ثقة، وقال ابن المديني: ثقة يخلط عن المغيرة، وقال الفلاس: سيئ الحفظ. وقال أبو حاتم: ثقة صدوق صالح الحديث، وقال في التقريب: صدوق سيئ الحفظ خصوصًا عن المغيرة، من كبار السابعة مات في حدود الستين ومائة. والظاهر من عباراتهم أن تخليطه عن المغيرة خاصة وهو ثبت فيمن سواه. وبهذا يجمع بين قول من يضعفه وقول من يوثقه، كيف ومن الموثقين له شيخا البخاري يحيى بن معين وعلى بن المديني وهما هما. واللَّه أعلم [2].

ورواه النسائي عن عثمان بن حنيف ولفظه «أن رجلًا أعمى قال: يا رسول اللَّه ادع اللَّه أن يكشف لي عن بصري. قال: فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللَّهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف عن بصري، اللَّهم فشفعه في قال: فرجع وقد كشف اللَّه بصره» [3].

وقال أحمد رحمه اللَّه تعالى في «مسنده»: حدثنا روح حدثنا شعبة عن عمير بن يزيد الخطمي المديني قال: سمعت عمارة بن خزيمة بن ثابت يحدث عن عثمان بن حنيف أن رجلًا ضريرًا أتى النبي ﷺ فقال: يا نبي اللَّه ادع اللَّه أن يعافيني. فقال: «**إِنْ شِئْتَ أَخَّرتُ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لآخِرَتِكَ، وإِنْ شِئتَ دعَوتُ لَكَ**». قال: بل ادع اللَّه لي. فأمره أن يتوضأ وأن يدعو بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وأتوجَّهُ إليكَ بِنَبِيكَ محمدٍ نَبِي الرَّحمةِ، يا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتُقْضَى لِي، اللَّهمَّ فَشَفِّعْنِي فِيهِ وَشَفِّعْهُ فِي**» [4]. قلت: عمير بن يزيد الخطمي هذا هو أبو جعفر الذي فرق الترمذي بينه وبين أبي جعفر المذكور في

---

(١) أبو جعفر الرازي ليس له رواية عن عمارة بن خزيمة، وانظر «تهذيب الكمال» (٢١/ ٢٤١) والذي يروي عن عمارة هو أبو جعفر الخطمي.

(٢) أبو جعفر الرازي ضعيف لسوء حفظه، وابن معين وثقه مرة.
وقال مرة: صالح. وقال مرة: يكتب حديثه ولكنه يخطئ، والمصنف هنا لم يورد كل الأقوال فيه، وسكت عن قول أحمد وأبي زرعة والنسائي وابن خراش وابن حبان وغيرهم، وانظر لتفصيل الكلام عنه «تهذيب التهذيب» (٥٦٨٢).

(٣) **صحيح الإسناد**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٩٦) وفي «عمل اليوم والليلة» (٦٦٠) عن هشام الدستوائي عن أبي جعفر عن أبي أمامة عن عثمان بن حنيف به.

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٨) وانظر الكلام عن الحديث فيما سبق.

روايته، وقد قلنا الظاهر أنه هو الرازي التيمي وكلاهما شيخ لشعبة وكلاهما صدوق[١] فيحتمل أن كلًّا منهما سمعه من عمارة، وسمعه شعبة من كليهما وحدث به مرة عن هذا ومرة عن هذا، فرواه عثمان بن عمر عن شعبة عن أبي جعفر الرازي التيمي، وسمعه روح منه عن الخطمي فحدث به كذلك والله ﷻ أعلم. والمقصود أن هذا الحديث إن جزمنا بصحته فليس فيه لهم حجة ولا دليل على ما انتحلوه بأفكارهم الخاطئة فإن هذا الأعمى إنما سأل من النبي ﷺ الدعاء له بكشف بصره، وهو حي حاضر قادر على ما سأله منه وهو الدعاء، وهو يؤمّن على ذلك ويقول: اللَّهم شفعه في، فسأل من النبي ﷺ الدعاء، وسأل قبول دعائه من اللَّه ﷻ لعلمهم التام بالإيمان باللَّه ﷻ وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، وبهذا أمره النبي ﷺ أن يدعو اللَّه تعالى، فاجتمع الدعاء من الجهتين. وهكذا كان الصحابة ﷺ كثيرًا ما كانوا يسألون من النبي ﷺ أن يدعو لهم بالنصر وأن يستسقى لهم إذا أجدبوا وبتكثير الطعام كما سأله منه عمر ﷺ في غزوة تبوك[٢] وقالت له أم أنس خويدمك أنس ادع اللَّه تعالى له[٣]، وأمثال ذلك في حياته الدنيا ما لا يحصى، وكذلك في موقف القيامة يسأل الخلائق من أولى العزم أن يشفعوا لهم إلى ربهم في فصل القضاء واحد بعد واحد، حتى تنتهي إليه ﷺ فيذهب ويسجد تحت العرش ويحمد اللَّه تعالى ويثني عليه إلى أن يقول له: «**ارْفَع رَأْسَكَ وَقُل يسْمَعْ وَسَلْ تُعْطَ واشْفَع تُشَفَّعْ**»[٤] وذلك إذا أذن اللَّه ﷻ له في الشفاعة التي وعده إياها كما سيأتي تقريره. وقد قال ﷺ لعمر وهو ذاهب للعمرة: «**لا تنسنا من دعائك**»[٥] وكذلك استسقى عمر ﷺ بالعباس والصحابة متوافرون كما في صحيح

---

(١) الترمذي لم يفرق كما أسلفت، وراوي الحديث هو الخطمي، وهو ثقة، وأما الرازي فضعيف لسوء حفظه.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧) وغيره من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٦٠) وأحمد (٣/ ٣٤٨) وغيرهما من حديث أنس.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وصح من حديث أنس وغيره.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود (١٤٩٨) والترمذي (٣٥٦٢) وابن ماجة (٢٨٩٤) وأحمد (١/ ٨٩) وعبد بن حميد (٧٤٠) والطيالسي (١٠) والبزار (١١٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥١) وفي «الشعب» (٩٠٥٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٩٧) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٢٧) جميعًا من طريق عاصم بن عبيدالله العمري عن سالم بن عبدالله عن أبيه عن عمر مرفوعًا به وصححه الترمذي. قلت: عاصم ضعيف.

البخاري: «**اللَّهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**»[1]، وكان من دعاء العباس يومئذ: اللَّهم إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك. وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث»[2] ذكره الزبير بن بكار، وكان ذلك الجدب عام الرمادة. وكذلك قال معاوية لما استسقى بيزيد بن الأسود الجرشى، فقال: اللَّهم إنا نستشفع - أو نتوسل - إليك بخيارنا، يا يزيد ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الناس حتى سقوا[3]، فكان أفضل القرون يسألون اللَّه ﷻ، ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا اللَّه ﷻ لهم ولهم، وتوسلهم إنما كان بدعائهم لا بذواتهم، وهذا جائز في كل زمان ومكان أن تسأل من عبد صالح حاضر عندك أن يدعو لك وتؤمن أنت على دعائه، أو تسأل من مسافر الدعاء بظهر الغيب ونحو ذلك كما ثبت عن النبي ﷺ ودرج عليه السلف الصالح رحمهم اللَّه تعالى. ولو كان ذلك عندهم جائزًا أعنى التوسل بالذوات لم يحتج الأعمى أن يأتي إلى النبي ﷺ ويطلب منه الدعاء، بل كان يتوسل به في محله أينما كان إذ لا فائدة زائدة في مجيئه إليه على هذا المعنى، وكذلك عمر والصحابة معه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى ذات العباس لو كان التوسل بالذوات لا بالدعاء، وكذا معاوية وأصحابه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى يزيد بن الأسود ولم يطلبوا منه الدعاء، ولما أمر النبي ﷺ عمر إذا وجد أويسًا أن يطلب منه الاستغفار[4]، بل كان يكفيه أن يقول: اللَّهم بحق أويس القرني،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠١٠، ٣٧١٠) والطبراني في «الكبير» (١/ ٧٢ح ٨٤) وفي «الأوسط» (٣/ ٤٩ح ٢٤٣٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٥٢) وغيرهم من حديث أنس.

(٢) أورده الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٢/ ٦٠٥ شرح حديث ١٠١٠) وعزاه للزبير بن بكار ولم يورد إسناده.

(٣) **صحيح إلى يزيد بن الأسود**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٤٤٤) بإسناده رجاله ثقات. إلا أنه قال: أخبرت عن أبي اليمان، قلت: لكن وصله أبو القاسم اللالكائي في كتابه «يكرامات الأولياء» (ص١٩٠ح ١٥١) بإسناد صحيح إلى أبي اليمان عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر به، وصح أن الضحاك بن قيس استسقى أيضًا بيزيد بن الأسود أخرجه أبو بكر ابن الضحاك في «الآحاد والمثاني» (٢/ ١٣٧ح ٨٥٦) واللالكائي في كرامات الأولياء (ص١٩٠ح ١٥٠) وأورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ١٣٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٤٢) وابن المبارك في «الزهد» (٨٥٥) وأحمد في «الزهد» (٢٠٤٦ بتحقيقي).

ولم يعرف هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان أنه فعل ذلك التوسل بالنبي ﷺ ولا بغيره من الأنبياء ولا بأحد من أفاضلهم الأولياء بعد موته، ولو كانوا بالذوات يتوسلون في حال حياتهم لم يكن فرق بين ذلك وبين مماتهم، وهذا في التوسل بأهل القبور عام عند القبر وغيره وأما عبادة اللّٰه عند القبور كالصلاة عندها والعكوف عليها فهو أشد وأغلظ، لأنه ذريعة مفضية إلى عبادة المقبور نفسه، كما قدمنا عن قوم نوح من استدراج الشيطان لهم. وكذلك فعل بغالب هذه الأمة والعياذ باللّٰه، ولذلك نهى النبي ﷺ أن يصلى على القبور أو إليها وغلظ في ذلك ودعا على فاعله باللعنة وشدة الغضب كما سيأتي في الفصل الآتى قريبًا إن شاء اللّٰه تعالى.

وَإِنْ دَعَا الْمَقْبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ ... أَشْرَكَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ وَجَحَدْ
لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ ... صَرْفًا وَلَا عَدْلًا فَيَعْفُو عَنْهُ
إِذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الْغُفْرَانِ ... إِلَّا اتِّخَاذَ النِّدِّ لِلرَّحْمَنِ

«**وإن دعا**» الزائر«**المقبور نفسه**» من دون اللّٰه ﷻ وسأل منه ما لا يقدر عليه إلا اللّٰه ﷻ من جلب خير أو دفع ضر أو شفاء مريض أو رد غائب أو نحو ذلك من قضاء الحوائج«**فقد أشرك**» في فعله ذلك«**باللّٰه العظيم**» المتعالى عن الأضداد والأنداد والكفء والولى والشفيع بدون إذنه«**وجحد**» حق اللّٰه ﷻ على عباده وهو إفراده بالتوحيد وعبادته وحده لا شريك له ونفى ضد ذلك عنه، قال اللّٰه تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ (١١٧)﴾[المؤمنون: الآية ١١٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ (١٠٦) وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ (٦)﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٩٤)﴾[الأعراف: الآية ١٩٤]، الآيات. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾ وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: الآية ٥٧] الآيات. وغيرها ما لا يحصى يخبر اللّه تعالى أن من دعا مع اللّه إلهًا آخر ولو لحظة فقد كفر وإن مات على ذلك فلا فلاح له أبدًا ولو فعل ذلك نبيه لكان من الظالمين وأنه لا كاشف للضر غيره ولا جالب للخير سواه، وأنه لا أضل ممن يدعو من دونه سواه، وأن من عبد من دون اللّه يكون عدوًا لعابده يوم القيامة وكافرًا بعبادته إياه من دون اللّه تعالى، وأنهم كلهم عباد مثل عابديهم مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف اللّه وقهره لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدرون على خلق ذباب فما فوقه ولو اجتمعوا بأسرهم على ذلك ولا يقدرون على استنقاذ ما استلبه الذباب فكيف يقدرون على قضاء شيء من حوائج عابديهم؟ بل قد أخبرنا ﷻ أنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو سمعوا دعاءه ما استجابوا له، وأخبرنا أن من عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعزير وغيرهم أنهم لا يملكون كشف ضر من دعاهم ولا تحويله من حال إلى حال، بل هم يبتغون الوسيلة إلى ربهم والقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فينبغي للعباد الاقتداء بهم في ذلك الابتغاء والرجاء والخوف من اللّه ﷻ، لا دعاؤهم دونه، تعالى اللّه عما يشركون.

«**لا يقبل اللّه تعالى منه**» أي من ذلك الداعي مع اللّه غيره المتخذ من دونه أولياء «**صرفا**» أي نافلة «**ولا عدلا**» أي ولا فريضة «**فيعفو عنه**» في ذلك لأن الكافر عمله كلا شيء، قال اللّه تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: الآية ٢٣] وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ [إبراهيم: الآية ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: الآية ٣٩] الآيات. وقال تعالى لصفوة خلقه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: الآية ٨٨]، وقال لسيدهم وخاتمهم وأكرمهم على ربه تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: الآية ٦٥].

«**إذ**» حرف تعليل «**كل ذنب**» لقي العبد ربه به «**موشك الغفران**» أي يرجى ويؤمل أن يغفر ويعفى عنه «**إلا اتخاذ الند للرحمن**» فإن ذلك لا يغفر ولا يخرج صاحبه من النار ولا يجد ريح الجنة، قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: الآية ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ

ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾ [النساء: الآية ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: الآية ٧٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: الآية ٣١]، وقد قدمنا في ذلك من الآيات والأحاديث ما فيه كفاية في الدلالة على ما وراء ولله الحمد والمنة.

فصل: في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور وما يرتكبونه من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات

هذا الفصل هو المقصود بالذات من ذكر ما قبله من تقسيم الزيارة إلى ثلاثة أقسام، وهي تمهيد له، فإنما المقصود من ذكر ضلال الأمم الأولى هو تحذير الأحياء الموجودين لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه، وزجر من وقع منهم عما وقع فيه لئلا يحل بهم ما حل بهم من النكال، كما أن الله ﷻ ما قص علينا من أخبار الأمم الأولى إلا لنتعظ بهم ونعتبر بمصارعهم ولنعلم أسباب هلاكهم فنتقيه ونعلم سبل النجاة التي سلكها رسل الله وأولياؤه ففازوا بخيري الدنيا والآخرة فنسلكها ونقفو أثرهم، ولهذا قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٠٠]الآية، وقال تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [السجدة: الآية ٢٦]، وقال تعالى بعد أن قص علينا ما قص في سورة هود: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾، الآيات. وقد قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يصِيبَكُم مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ**»[1] وهو في الصحيح، فإذا كان هذا الخطر على من دخل ديارهم فما ظنك بمن عمل مثل عملهم وزيادة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٨٠) ومسلم (٢٩٨٠) وغيرهما من حديث ابن عمر مرفوعًا.

ومَنْ على القبر سراجًا أوقدا | أو ابتنى على الضريح مسجدا
فــإنّــه مــجــدِّد جــهــارًا | لــســنَــنِ الــيــهــودِ والــنــصــارى

«**ومن على القبر**» متعلق بأوقد «**سراجًا**» مفعول «**أوقدا**» بألف الإطلاق والمعنى ومن أوقد سراجًا على القبر «**أو ابتنى**» بمعنى بني وزيدت التاء فيه لمعنى الاتخاذ «**على الضريح**» أي على القبر واشتقاقه من الضرح الذي هو الشق «**مسجدًا**» أو اتخذ القبر نفسه مسجدًا ولو لم يبن عليه «**فإنه**» أي فاعل ذلك «**مجدد**» بفعله ذلك «**جهارًا**» أي تجديدًا واضحًا مجاهرًا به اللَّه ورسوله وأولياءه «**لسنن**» أي لطرائق «**اليهود والنصارى**» في اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد ويعكفون عليها، وأعيادلهم ينتابونها، ويترددون إليها، كيف وقد قال رسول اللَّه ﷺ للذين طلبوا منه ذات أنواط: «**اللَّهُ أكبَرُ، إنَّهَا السُّنَنُ، قُلتُم والذِي نَفْسِي بِيدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ لمُوسَى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٣٨]، **لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ**»(١) وقال ﷺ: «**لتتبعنَّ سَننَ مَن كَانَ قَبْلَكُم شِبْرًا بِشبرٍ وَذِراعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ**» قلنا يا رسول اللَّه اليهود والنصارى؟ قال: «**فَمَنْ**»(٢) أخرجاه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وقد وقع الأمر واللَّه كما أخبر ﷺ به، فاللَّه المستعان.

كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ | فَاعِلَهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنْ
بَلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ | وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوْقَ الشِّبْرِ
وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرْ | بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ

«**كم**» خبرية للتكثير «**حذر المختار**» نبينا محمدًا ﷺ «**عن ذا**» الفعل من اتخاذ القبور مساجد وأعيادًا والبناء عليها وإيقاد السرج عليها، كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن أم سلمة ذكرت لرسول اللَّه ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة يقال لها مارية فذكرت له ما رأت فيها من الصور، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أُولَئِكَ قَومٌ إذَا مَاتَ فِيهِمُ العبدُ الصَّالحُ - أو الرجلُ الصَّالحُ - بَنَوا عَلَى قَبرِهِ مَسْجِدًا وصَوَّرُوا فيهِ تِلكَ الصُّوَر، أُولئِكَ شِرارُ الخَلقِ عِندَ اللَّهِ**»(٣).

وفيه عنها هي وعبد اللَّه بن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل برسول اللَّه ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «**لعنةُ اللَّهِ عَلَى اليهودِ**

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢١٨٠) وغيره، وسبق في الفصل السابق.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا به.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٢٧، ٤٣٤) ومسلم (٥٢٨) وغيرهما من حديث عائشة.

والنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبورَ أنْبيائِهِم مَسَاجِدَ» يحذر ما صنعوا[١].

وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**قاتلَ اللَّهُ اليهودَ والنَّصَارَى اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[٢]. وعن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُصَلُّوا إلَى القُبُورِ وَلَا تجلِسُوا عَلَيهَا**»[٣] رواه الجماعة إلا البخاري وابن ماجه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُم فِي بُيوتِكُم وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**»[٤] رواه الجماعة إلا ابن ماجه.

وعن جندب ابن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إنَّ مَنْ كانَ قبلَكُمْ كانُوا يتَّخِذُونَ قُبورَ أنبيائِهِمْ وَصَالحيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ. إنِّي أنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ**»[٥] رواه مسلم.

وعن جابر رضي الله عنه قال: «**نهى النبي ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**»[٦]، رواه أحمد ومسلم والثلاثة وصححه الترمذي ولفظه: «**نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ**»[٧]، وفي لفظ النسائي: «**نهى أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص أو يكتب عليه**»[٨]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[٩]، رواه أهل السنن. وللترمذي

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٥، ٤٣٦) ومسلم (٥٣١) وغيرهما من حديث عائشة وابن عباس مرفوعًا به.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٧) ومسلم (٥٣٠) من حديث أبي هريرة.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٢) وأبو داود (٣٢٢٩) والترمذي (١٠٥٠) والنسائي (٢/ ٦٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٢) ومسلم (٧٧٧) وأبو داود (١٤٤٨) والترمذي (٤٥١) والنسائي (٣/ ١٩٧) وغيرهم.

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٣٢) وغيره.

(٦) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٠) وأبو داود (٣٢٢٥، ٣٢٢٦) والترمذي (١٠٥٢) والنسائي (٤/ ٨٦) من حديث جابر.

(٧) سنن الترمذي (١٠٥٢).

(٨) سنن النسائي (٤/ ٨٦).

(٩) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠) والنسائي (٤/ ٩٤) وابن ماجة (١٥٧٥) وغيرهم من طريق أبي صالح باذام مولى أم هانئ عن ابن عباس به، وحسنه الترمذي.
قلت: إسناده ضعيف لضعف أبي صالح.

وصححه عن أبي هريرة ﷺ قال: «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور»[1]. ولابن ماجه مثله من حديث حسان ﷺ[2]، ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود ﷺ مرفوعًا: «**إنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَن تُدْرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، والذِينَ يَتَّخِذُونَ القُبُورَ مَسَاجِدَ**»[3] رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تجْعَلُوا بيوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَي فَإِنَّ صَلاتَكُم تَبْلُغُنِي حَيثُ كُنتُمْ**»[4] رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات. وعن علي بن الحسين ﷺ أنه رأى رجلًا يجيء إلى فرجة عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيدعو فيها، فقال ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبرى عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، فإن تسليمكم يبلغنى أينما كنتم**»[5] رواه في «المختارة»، وقال سعيد بن منصور في سننه: حدثنا

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٠٥٦) وابن ماجة (١٥٧٦) وأحمد (٢/ ٣٣٧) وغيرهم من طريق عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: عمر فيه بعض كلام لا يضر ولا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن، والفرق بين هذا اللفظ وبين لفظ ابن عباس، أن الزوارات هن من يعتدن الزيارة ويكثرن منها.

(٢) سنن ابن ماجة (١٥٧٤) وفيه عبدالرحمن بن بهمان وهو مجهول.

قلت (يحيى): وهذه الأحاديث قد فصلت في تخريجها وأحكامها في كتابي «جامع أحكام القبور وما يتعلق به» فراجعه إن شئت.

(٣) **حسن، ويصح بشواهده**: وهذا أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥، ٤٣٥) وابن خزيمة (٧٨٩) وابن حبان (٢٣٢٥) وأبو يعلى (٥٣١٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٨٨ح ١٠٤١٣) جميعًا من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن ابن مسعود مرفوعًا به، وإسناده حسن لحال عاصم، وله شواهد يتقوى بها إلى الصحة.

(٤) **حسن، ويصح بشواهده**: أخرجه أبو داود (٢٠٤٢) وأحمد (٢/ ٣٦٧) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٦٢) جميعًا.

من حديث عبدالله بن نافع عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا به، وللحديث شواهد عديدة انظرها في تعليقي على «كتاب فضل الصلاة» على النبي ﷺ لإسماعيل بن إسحاق الجهضمي.

(٥) **ضعيف الإسناد وله شواهد**: أخرجه إسماعيل بن إسحاق الجهضمي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» بتحقيقي (ح ٢٠) من طريق جعفر بن إبراهيم بن محمد الجعفري عمن أخبره عن علي بن الحسين، وإسناده ضعيف لجهالة حال جعفر وهو مترجم له «باللسان» (٢/ ١٣٥) والواسطة بين جعفر وعلي بن الحسين مبهمة، وقد أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤٦٩) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٥٤٢) والضياء المقدسي في «المختارة» (٤٢٨) من جعفر عن علي بن عمر عن أبيه عن علي بن الحسين، وهذا ضعيف، جعفر مجهول وعلي مستور كما قال عنه الحافظ في «التقريب».

عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي صالح قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشى فقال: هلمَّ إلى العشاء، فقلت لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم. ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم. لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1] ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء. وروى مالك في «الموطأ» أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لا تجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يعْبَد. اشتدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبيائِهِم مَسَاجِدَ**»[2] وفي الباب أحاديث غير ما ذكرنا.

«**وقد نهى**» النبي ﷺ «**عن ارتفاع القبر**» بالبناء أو نحوه، كما تقدم من النهي عن تجصيصها والبناء عليها، وكما سيأتي من الأمر بتسويتها «**وأن يزاد فيه فوق شبر**» كما في السنن عن جابر رضي الله عنه قال: «نهى النبي ﷺ أن يبنى على القبر أو يزاد عليه أو يجصص»[3].

«**وكل قبر مشرف**» يعنى مرتفع «**فقد أمر**» النبي ﷺ «**بأن يسوى**» بالأرض أو بما عداه من القبور التي تجاوز الشرع في ارتفاعها، «**هكذا صح الخبر**»، وهو ما رواه مسلم عن

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (ح ٣٠) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٥٤٣) وعبدالرزاق (٦٧٢٦) من طريق سهيل بن حسن بن الحسن بن علي، وإسناده ضعيف للإرسال، وليس في شيء من هذه المصادر: ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء، وأورده بهذه الزيادة ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٠٢) وابن القيم في «إغاثة اللهفان» (ص ٢٣٠) وأبو الطيب العظيم آبادي في «عون المعبود» (٦/ ٢٤) ثلاثتهم من طريق سعيد بن منصور بهذا الإسناد به. وإسناده ضعيف للإرسال.

(٢) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه مالك في «الموطأ» (ص١٧٢ كتاب قصر الصلاة في السفر حديث ٨٥ باب جامع الصلاة) عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار مرسلًا. ورجاله ثقات، وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١٥٨٧) عن معمر عن زيد بن أسلم مرسلًا، ولم يذكر عطاء، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٥٤٤، ١١٨١٩) عن أبي خالد الأحمر عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلًا، وليس لهذا الحديث علة إلا الإرسال، وقد صح موصولًا أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٦) والحميدي في «مسنده» (١٠٢٥) وأبو يعلى (٦٦٨١) وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤١) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٤٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣١٧) جميعًا من طريق سفيان بن عيينة عن حمزة بن المغيرة عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا به، وإسناده حسن أو صحيح، حمزة بن المغيرة قال عنه ابن معين: ليس به بأس، ويتقوى هذا بالمرسل.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٩٧٠) وأبو داود (٣٢٢٥) والترمذي (١٠٥٢) والنسائي (٤/ ٨٦).

ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفى صاحب لنا. فأمر فضالة بن عبيد بقبره فسوى ثم قال: «سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها»[(١)]. وله عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ «أَلَّا تَدَع تمثَالًا إِلَّا طَمَسْتُهُ، وَلا قَبرًا مُشْرفًا إِلَّا سَوَّيتُهُ»[(٢)].

وحــذَّرَ الأمــةَ عــن إطــرائــه فَــغَــرَّهُــمْ إبــلــيــسُ بــاســتــجــرائــه

فــخــالــفــوه جَــهْــرَةً وارتــكــبــوا ما قد نَهَى عنه ولم يجتنبوا

«**وحذر**» النبي ﷺ «**الأمة عن إطرائه**» أي الغلو فيه، كما في الصحيحين عن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَطرُونِي كَمَا أَطرتِ النَّصَارَى ابنَ مريمَ، إنمَا أَنَا عَبدٌ، فَقُولُوا عَبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»[(٣)]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكُم والغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإنمَا أَهْلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم الغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»[(٤)]. وعن أنس رضي الله عنه أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**يا أيها النَّاسُ قُولُوا بِقَولِكُم أو بَعْضِ قَولِكُم، وَلا يسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيطانُ، أنَا مُحَمَّدٌ عبدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، مَا أُحِبُّ أنْ تَرْفَعُونِي فَوقَ مَنْزِلَتِي التِي أَنْزَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**»[(٥)] رواه النسائي بسند جيد. وعن عبد الله بن الشخير قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي ﷺ فقلنا: أنت سيدنا، فقال: «**السَّيدُ اللَّهِ تَعَالَى**» قلنا: وأفضلنا فضلًا وأعظمنا طولًا، فقال: «**قُولُوا بِقَوْلِكُم أَو بَعْضِ قَولِكُم، وَلا يسْتَجْرِينكُمُ الشيطانُ**»[(٦)]. وهذا كله من حماية النبي ﷺ جناب التوحيد. وكما قال لمن قال: تعالوا بنا

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٦٨) وأبو داود (٣٢١٩) والنسائي (٤/ ٨٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٦٩) وأبو داود (٣٢١٨) والترمذي (١٠٤٩) والنسائي (٤/ ٨٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠) وأحمد (١/ ٢٣، ٢٤، ٤٧، ٥٥) والحميدي (٢٧) وغيرهم، ولم يخرجه مسلم.

(٤) **صحيح**: أخرجه النسائي (٥/ ٢٦٨) وابن ماجة (٣٠٢٩) وأحمد (١/ ٢١٥) وابن حبان (٣٨٧١) والحاكم (١٧١١) من طريق عوف بن أبي جميلة عن زياد بن حصين عن أبي العالية عن ابن عباس مرفوعًا به، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو صحيح.

(٥) **صحيح**: أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٧٧) وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٤٨) وأحمد (٣/ ٢٤١، ٢٤٩) وابن حبان (٦٢٤٠) والضياء المقدسي في «المختارة» (١٦٢٦- ١٦٢٩) من طرق عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٣/ ٣٤١) من طريق مؤمل عن حماد بمثله، وعن حماد عن حميد عن أنس، والأول أصح، ومؤمل ضعيف.

(٦) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٨٠٦) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٧٦) وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٤٧) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢١١) جميعًا من طريق بشر بن المفضل عن أبي مسلمة سعيد=

نستغيث برسول اللَّه ﷺ من هذا المنافق، قال: «إنه لا يستغَاثُ بِي، وإنمَا يستغَاثُ بِاللَّهِ»[(١)] واللَّه ﷻ قد بين ما يجب اعتقاده في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو تصديق خبرهم وامتثال أمرهم واجتناب نهيهم واتباعهم على شريعتهم ومحبتهم هم وأتباعهم وتوابع ذلك، وهذا هو الذي دعوا إليه لم يدع أحد منهم الربوبية ولا دعوا إلى عبادة أنفسهم ولا ينبغي لهم ذلك كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩- ٨٠]. وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾﴾ [النساء: الآية ١٧٢] الآيات، وقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: الآية ٧٥] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزخرف: الآية ٥٩]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [المائدة: الآية ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٩]، وقال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [هود: الآية ٣١]، وقال لصفوة خلقه وخاتم رسله وسيد ولد آدم أجمعين محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٨] وقال تعالى له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ

= ابن يزيد عن أبي نضرة عن مطرف بن عبدالله عن أبيه به، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤) عن حجاج عن شعبة عن قتادة عن مطرف عن أبيه به، وإسناده صحيح أيضًا.

(١) **ضعيف الإسناد**: أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) وعزاه للطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث. اهـ.

قلت: ابن لهيعة ضعيف.

وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ الآيات [الجن: ٢٠-٢٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾ [الأحقاف: الآية ٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] الآيات، وقد تلاها أبو بكر ﷺ يوم مات النبي ﷺ وقال: «**أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات** ﷺ، ومن كان يعبد اللَّه فإن اللَّه حي لا يموت، إلى آخر خطبته ﷺ»(١).

وهذا باب واسع كثيرة النصوص فيه، بل ليست النصوص إلا فيه وفي متعلقاته ومكملاته.

«**فغرهم**» أي أكثر الأمة بعدما سمعوا الزواجر والنواهي «**إبليس**» لعنه اللَّه وأعاذنا منه «**باستجرائه**» أي باستهوائه إياهم واستدراجه لهم وإدخالهم في الهلكات شيئًا فشيئًا كما فعل بالأمم السالفة قوم نوح فمن بعدهم، وأتاهم على ما يهوون إما بغلو وإما بجفاء لا يبالي ما أهلك العبد به سواء قصره على الصراط المستقيم وهون عليه أمره حتى لا يدخله، ولا يسلكه أو جاوزه به حتى يتبع سبيل الضلال فتفرق به عن سبيله، فالذين أبغضوا الرسل من الكفار وعادوهم ونابذوهم بالمحاربة من أول مرة زين لهم ذلك وضرب لهم الأمثلة والمقاييس وأنهم مثلهم بشر يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدوهم عما كان يعبد آباؤهم ويتنقصوا شيوخهم بذلك وتكون لهم الكبرياء في الأرض وغير ذلك. والذين صدقوا الرسل واتبعوهم أتى الكثير من خلوفهم وزين لهم الغلو فيهم بالكذب والقول عليهم بالبهتان ورفعهم فوق منزلتهم التي أنزلهم اللَّه ﷻ، وأتاهم بذلك في صورة محبتهم وموالاتهم حتى جعلهم مثله في البعد عن اللَّه ورسله ولم يسلم من ذلك إلا عباد اللَّه المخلصون الذين هداهم اللَّه صراطه المستقيم، فلم يقصروا عنه ولم يستبدلوا به غيره. بل استمسكوا به واعتصموا ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: الآية ١٠١]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: الآية ٦٩].

«**فخالفوه**» أي: الذين استهواهم الشيطان خالفوا النص من الكتاب والسنة «**جهرة وارتكبوا، ما قد نهى عنه**» من الغلو والإطراء وما لم يأذن به اللَّه «**ولم يجتنبوا**» ذلك ولا شيئًا: فنهى عن الحلف بغير اللَّه ﷻ وهؤلاء لا يحلفون إلا بغيره، وقد يحلفون باللَّه على

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦٨، ٤٤٥٤) وابن ماجة (١٦٢٧) وأحمد (٦/ ٢١٩) وغيرهم من حديث عائشة رضي الله عنها.

الكذب ولا يحلفون بالند فيكذبون، ونهى أن تقرن مشيئة العبد بمشيئة اللَّه تعالى، وهؤلاء يثبتون له ذلك على سبيل الاستقلال ويهتفون باسمه في الغدّو والآصال، ويسألون منهم قضاء الحوائج دون ذى الجلال، بل يعتقد فيهم الغلاة منهم أن بعض الأولياء هو المتصرف في الكون والمدبر له في كل حال. ودعا الرسول ﷺ إلى عبادة اللَّه وحده ودعائه وحده لا شريك له، فدعوا مع اللَّه غيره، حتى دعوا الرسول الآتي بذلك نفسه مع اللَّه ﷻ.

ونهى عن اتخاذ القبور مساجد وهؤلاء يعكفون عليها، ويصلون عليها وإليها بل ولها من دون اللَّه ﷻ، وكثير منهم يفضلون الصلاة فيها على مساجد اللَّه ﷻ التي بنيت لذلك.

ونهى أن تجصص القبور أو يبنى عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القباب وزخرفوها، وحبسوا عليها العقارات وغيرها وأوقفوها، وجعلوا لها النذور والقربات، وكم عبادة إليها دون اللَّه صرفوها. ونهى عن بناء المساجد عليها ولعن من فعل ذلك ودعا عليه بالغضب وهؤلاء قد بنوا عليها ورأوها من أكبر حسناتهم، وما بينهم وبين بنائهم عليها إلا موت أهلها أو حلم يتمثل لهم الشيطان فيه أو خيال أو سماع صوت فيسارعون إلى ذلك أسرع من مسارعة أهل الدين إلى الكتاب والسنة، ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يوقفون الوقوف على تسريجها، ويجعلون عليها من الشموع والقناديل ما لم يجعلوه في مساجد اللَّه، وكأنما ندبهم الرسول ﷺ إلى ذلك بتلك اللعنة التي عنى بها من فعل ذلك.

وقال ﷺ: «**لَا تَشَدُّ الرِّحَالَ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ**...»[1] الحديث وهؤلاء يضربون أكباد الإبل إلى قبور الصالحين أو من يظنونهم صالحين مسافة الأيام والأسابيع والشهور ويرون ارتكاب ذلك المنهي من أعظم القربات.

ونهى ﷺ عن اتخاذها أعيادًا، وهؤلاء قد اتخذوها أعيادًا ومعابد لا بل معبودات من دون اللَّه ﷻ، ووقتوا لها المواقيت زمانًا ومكانًا، وصنفوا فيها مناسك حج المشاهد وحجوا إليها أكثر مما يحج إلى بيت اللَّه الحرام، بل رأوها أولى بالحج منه ورأوا من أخل بشيء من مناسكها أعظم جرمًا ممن أخل بشيء من مناسك الحج، حتى أن من كان منهم قد حج عشرات مرات أو أكثر يبايع من شهد أحد المشاهد أن يعاوضه بجميع حججه بتلك الزيارة فيمتنع أشد الامتناع، ويخشعون عندها أكثر مما يخشع عند شعائر اللَّه، وقال ﷺ:

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه البخاري (١١٩٧) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

«**لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابنَ مَرِيمَ**»(١) وهؤلاء قد أطروا من هو دونه من أمته بكثير بل قد أطروا من لم يؤمن به ﷺ ساعة من الدهر أعظم من إطراء النصارى ابن مريم، بل جعلوه هو الرب على سبيل الاستقلال.

وقال ﷺ: «**إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله**»(٢)، وهؤلاء قد استغاثوا بغير الله سرًّا وجهرًا وهتفوا باسم غير الله في السراء والضراء والشدة والرخاء وأخلصوا لهم الدعاء من دون الله ﷻ وصرفوا إليهم جل العبادات من الصلاة والنذر والنسك والطواف وغير ذلك.

وقد أنكر ﷺ على من قال لولا الله وفلان فكيف بمن يقول يا فلان ما لي سواك، ويقول قد استغثت الله فلم يغثني حتى استغثت فلانًا فأغاثني، وإنه ليعصى الله في المسجد الحرام، ولا يقدر على مخالفة شيء مما ينسبونه إلى وليه من الأكاذيب المختلقة والحكايات الملفقة، وترى أكثر مساجد الله المبنية للصلوات معطلة حسًّا ومعنى، وفيها من الأزبال والكناسات والأوساخ ما لا يعد ولا يحصى، فإذا أتيت قباب المقابر والمساجد المبنية عليها رأيت بها من الزينة والزخارف والأعطار والزبرقة والستور المنقشة المعلمة المرصعة والأبواب المفصصة المحكمة، ولها من السدنة والخدام ما لم تجده في بيت الله الحرام، والداخل إليها والخارج منها من الزوار ما لا تحصيهم الأقلام، وعليها من الأكسية والرايات والأعلام ما لو قسم لاستغنى به كثير من الفقراء والأرامل والأيتام، فما ظنك بالوقوف المحبسة عليها، والأموال المجبية إليها من الثمار والنقود والأنعام، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأي فاقرة على الدين أصعب من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابث على الدين أعظم من هذا الضلال، وهل استطاع الأعداء من هدم قواعد الدين ما هدمه هؤلاء الضلال، وهل تلاعب الشيطان بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجهال، فأي مُنَاف للتوحيد وأي مناقض له أقبح من هذا الشرك والتنديد.

تالله ما قوم نوح ولا عاد ولا ثمود ولا أصحاب الأيكة بأعظم شركًا ولا أشد كفرًا من هؤلاء الملاحيد وليس أولئك بأحق منهم بالعذاب الشديد، وليس هؤلاء المشركون خيرًا من أولئك ولا براءة لهم من ذلك الوعيد، ولكن الله يمهل ولا يهمل وما بطشه من الظالمين

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠) وغيره من حديث عمر.

(٢) **ضعيف الإسناد**: وسبق قريبًا.

ببعيد . ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: الآية ١٠٢].

فَانْظُرْ إِلَيهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا ... وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا
بِالشِّيدِ وَالآجُرِّ وَالأَحْجَارِ ... لَا سِيمَا فِي هَذِهِ الأَعْصَارِ

«**فانظر**» أيها المؤمن «**إليهم**» وإلى أعمالهم «**قد غلوا**» في أهل القبور الغلو المفرط الذي نهاهم اللّه تعالى ورسوله ﷺ عنه «**وزادوا**» عما حذرهم عنه الرسل «**ورفعوا بناءها**» أي بناء القبور المنهى عن مجرده قليله وكثيره «**وشادوا**» أي ضربوه «**بالشيد**» وهو الجص «**والآجر**» اللبن المحرق «**والأحجار**» المنقشة المزخرفة «**لا سيما**» بزيادة «**فى هذه الأعصار**» القريبة بعد ظهور دولة العبيديين[1] الذين قال فيهم أهل العلم : ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض . فاعتنوا ببناء القباب على القبور وزخرفتها وتشييدها وجعلها مشاهد ، وندبوا الناس إلى زيارتها وأتوا بذلك باسم محبة أهل البيت وكل من جاء بعدهم من الدول المبتدعة زاد فيها وأحدث أكثر مما أحدث من قبله حتى اتخذوها مساجد ومعابد ، إلى أن عبدت من دون اللّه . وسألوا منها ما لا يقدر عليه إلا اللّه وفعلوا بها ما يفعل أهل الأوثان بأوثانهم وزادوا كثيرًا فضلوا عن سواء السبيل ، وأضلوا من قدروا على إضلاله جيلًا بعد جيل ، ولم يبق من الدين عندهم إلا اسمه ، ولا من الكتاب والسنة لديهم إلا لفظه ورسمه ، ولكن الأرض لا تخلو من مجدد لمعالم الشريعة الحنيفية ، ومنبه على ما يخل بها أو يناقضها من البدع الشيطانية . ولا تزال طائفة من هذه- الأمة أمة محمد ﷺ - على الحق ظاهرة لا يضرهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتى أمر اللّه تبارك وتعالى واللّه سبحانه يقول : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: الآية ٩] .

وللقناديل عليها أوقدوا ... وكم لواء فوقها قد عقدوا
ونصبوا الأعلامَ والرايات ... وافتتنوا بالأعظم الرُّفات
بل نحروا في سوحها النحائر ... فعل أولى التسييب والبحائر

---

(١) دولة العبيدين نسبة إلى عبيدالله المهدي وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبدالله بن ميمون القداح ، غير اسمه ونسبه وزعم أنه عبيدالله المهدي ، وأن اسمه : عبيدالله بن الحسين من محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، كان جده ميمون ، مولى لجعفر الصادق ، وميمون هذا هو الذي أسس مذهب الباطنية ، وأما عبيدالله فخدع الناس حتى استولى على بلاد المغرب ، ثم استولى أتباعه على مصر سنة ٣٦٣هـ وأنشئوا بها دولة العبيديين والمعروفة بالدولة الفاطمية ، وهم قوم يظهرون الرفض ، ويبطنون الكفر والزندقة ، يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع . وانظر الكلام عنهم في «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي (ص٢٨١- ٣١٢) .

والتمسوا الحاجات من موتاهم   واتخذوا إلههم هواهم

«**وللقناديل**»من الشموع وغيرها «**عليها**»أي على القبور وفي قبابها «**أوقدوا**»تعرضًا للعنة من رسول الله ﷺلمن فعل ذلك إذ يقول: «**لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»(١) فأوقفوا لتسريجها الوقوف الكثيرة وجعلوا عليها سدنة وخدامًا معدّين لإيقادها، وويل للسادن إن طفئ مصباح قبل الشيخ «**وكم لواء فوقها قد عقدوا**» تعظيمًا لها وتألهًا ورغبة ورهبة «**ونصبوا**» عليها «**الأعلام والرايات**» لا سيما يوم عيدها لأنهم قد اتخذوا لكل قبر عيدًا أي يومًا معتادًا يجتمعون فيه من أقاصي البلاد وأدناها كما أن الحج يوم عرفة، مخالفة منهم ومشاقة لله ورسوله إذ يقول ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيدًا**»(٢) فقد اتخذوا قبور من هو دونه أعيادًا. ومن فاته يوم ذلك العيد المعتاد فقد فاته المشهد وفاته خير كثير، وفي ذلك العيد تنصب الزينة الباهرة وتدق الطبول والأعواد، ويجتمع الرجال والنساء في ميدان واحد لابسين زينتهم قد تعطر كل من الجنسين بأطيب ما يجد ولبس أطيب ما يجد، وتجبى الأموال من الأوقاف والنذور وغيرها على اختلاف أجناسها من نقود وثمار وأنعام وخراجات وغيرها مما علم الله تعالى أنها لا يبتغى بها وجه ولم تنفق في مرضاته بل في مساخطه «**وافتتنوا**» في دينهم «**بالأعظم الرفات**» النخرة فعبدوها من دون الله ﷻ دعاء وتوكلًا وخوفًا ورجاء ونذرًا ونسكًا وغير ذلك، «**بل نحروا في سوحها**» أي في أفنية القبور «**النحائر**» من الإبل والبقر والغنم إذا نابهم أمر أو طلبوا حاجة من شفاء مريض أو رد غائب أو نحو ذلك، وأكثرهم يسمنها للقبر من حين تولد ويربيها له إلى أن تصلح للقربة في عرفهم ولا يجوز عندهم تغييرها ولا تبديلها ولا خصيها ولا وجاؤها لا يذهب شيء من دمها إذ ذلك عندهم نقص فيها وبخس«**فعل أولى التسييب والبحائر**» أي كفعل مشركي الجاهلية من العرب وغيرهم في تسييبهم السوائب وتبحير البحائر وجعل الحام كما قدمنا عنهم ذلك مبسوطًا في موضعه، غير أن أولئك سموهم آلهة وشفعاء وسموا مثل هذا الفعل بهم عبادة، وهؤلاء سموهم سادة وأولياء وسموا دعاءهم إياهم تبركًا وتوسلًا وكلاهما مشرك في فعله بالله ﷻ، وهؤلاء أعظم شركًا وأشد لأنهم يشركون في الرخاء وفي الشدة بل هم في الشدة أكثر شركًا وأشد تعلقًا بهم من حالة الرخاء، وأما مشركو الجاهلية الأولى فيشركون في الرخاء ويخلصون لله في الشدة كما أخبرنا الله

---

(١) **ضعيف الإسناد**: وسبق بنحو هذا اللفظ من حديث ابن عباس، ولبعضه شواهد.

(٢) **صحيح بمجموع طرقه وشواهده**: وسبق له طريقان ضعيفان، وطريق حسنة.

عنهم بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦٥]، وغيرها من الآيات. «**والتمسوا الحاجات**» التي لا يقدر عليها إلا اللَّه ﷻ «**من موتاهم**» من جلب الخير ودفع الشر «**واتخذوا إلههم هواهم**» وهذا هو السبب في عبادة غير اللَّه بل في جميع معاصي اللَّه، وهو الذي كلما هوى أمرًا أتاه، ولم يأتهم الشيطان من غير باب الهوى ولم يصطد أحدًا بغير شبكته، لأن الهوى يعمى عن الحق. ويضل عن السبيل أتباعه، وهو سبب الشقاوة كما أن التزام الشريعة باطنًا وظاهرًا سبب السعادة، فهما ضدان لا يجتمعان ولا يكون الحكم إلا لواحد منهما، لأن الشريعة تدل على مرضاة اللَّه وتأمر بها، وتحذر من مساخط اللَّه وتنهى عنها. والهوى بضد ذلك، ولهذا قال ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره**»[1] يعني لمخالفة أسبابها من الأعمال الصالحة للَّهوى، «**وحفت النار بالشهوات**»[2] لموافقة أسبابها من المعاصي للَّهوى. فطوبى لمن كان هواه تبعًا لما جاء به رسول اللَّه محمد ﷺ، وويل لمن قدم هواه على ذلك لقد هلك.

قد صَادَهُم إبليسُ في فِخَاخِه بل بعضُهم قد صار من أفراخِه
يدعو إلى عِبَادِة الأوثانِ بالمال والنفسِ وباللسانِ

«**وقد صادهم**» من الاصطياد بل من مطاوع اصطاد لأن التاء التي قلبت طاء هي لمعنى الطلب وأما حذفها فيدل على وصول الطالب إلى مطلوبه، «**إبليس في فخاخه**» التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم من تزيين المعاصي وتصويرها في صورة الطاعات، فأول ما زين لقوم نوح العكوف على صور صالحيهم ليتذكروا عبادتهم اللَّه تعالى فيقتفوا أثرهم فيها، ولم يزل بهم حتى عبدوها كما قدمنا. وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمة أول ما أشار عليهم ببناء القباب على القبور باسم محبة الأولياء ثم بالعكوف عليها وعبادة اللَّه ﷻ عندها تبركًا وتيمنًا بتلك البقاع التي فضلت بهم إذ دفنوا فيها ثم بعبادتهم أنفسهم دون اللَّه ﷻ، ثم استرسلوا في تلك العبادة شيئًا فشيئًا إلى أن أثبتوا للمخلوق صفات الربوبية من التصرف فيما لا يقدر عليه إلا اللَّه ﷻ، فصار الأمر كما ترى في جميع الأقطار، وفي كل القرى والأمصار. وفي كل زمن تشيع وتزيد وفي كل عصر من الأعصار. «**بل بعضهم قد صار من**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٨٧) ومسلم (٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، واللفظ لمسلم، ولفظ البخاري: «حجبت».
وأخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: وتخريجه ما سبق.

أفراخه» المساعدين له الداعين إلى ما دعا إليه حزبه ليكونوا من أصحاب السعير «**يدعو إلى عبادة الأوثان**» من القبور وغيرها «**بالمال والنفس وباللسان**» ، فمن دعايتهم إلى ذلك أنهم يجمعون أنواعًا من المطالب ويدخلونها القبر إلى القبة المبنية عليه في سراديب معدة تحتها فإذا أتى إليهم الجاهل المفتون ووقف على الحاجب فإن لم يكن له مطلوب معين قال له أدخل يدك فما خرج فيها فهو الباب الذي ترزق منه لا تعدوه إلى غيره ، فإن خرج في يده تراب فحارث ، وإن خرج قطن فحائك . وإن خرج فحم أو نحوه فحداد أو صائغ ، وإن خرج آلة حجامة فحجام ، وإن خرج كذا فهو كذا ، على قواعد هم يعرفونها ، ومخرقة لهم يألفونها ، وإن كان له مطلوب معين قال له ما تريد من الشيخ؟ قال أريد كذا ، فإن كان ذلك يوجد فيها أدخل القبر ، وإلا قال ارجع الآن وموعدك الوقت الفلاني فإن الشيخ الآن مشغول أو نحو ذلك من الأعذار مع ما في قلبه من تعظيم الشيخ ، فلا يكرر الطلب أدبًا معه ، فلا يأتي في المرة الثانية إلا وقد استعد له بمطلوبه ، فإذا جاء وأدخل يده خرج فيها ذلك المطلوب فحينئذ خرج ينادي : شيء للّٰه يا شيخ فلان ، وكلما وجد أحدًا أراه ذلك وقال : هذا من كرامات الشيخ فلان وعطاياه ، فيجمعون من أموال الناس بهذه الحيل والشعوذة ما لا يحصى ، ولكنهم لم يحتالوا لأخذ أموال الناس فحسب ، بل احتالوا لسلب دينهم وأخرجوهم من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر ، وليس هذا خاصًا بقبور الصالحين الذين عرفوا في الدنيا بالأمانة والديانة ، بل أي قبر تمثل فيه الشيطان أو حكيت له حكاية أو رؤيت له رؤيا صدقًا كانت أو كذبًا فقد استحق عندهم أن يبنى عليه القباب ويعكف عنده وينذر له ويذبح عليه ويستشفى به المرضى ويستنزل به الغيث ويستغاث به في الشدائد ويسأل منه قضاء الحوائج ويخاف ويرجى ويتخذ ندًّا من دون اللّٰه ﷺ وتقدس وتنزه عمَّا يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوًّا كبيرًا .

اللّٰهُ أكبرُ لو رأيتَ على القُبُورِ	عُكُوفَهُمْ صُبْحًا وبالإمْسَاءِ
واللّٰهُ أكبرُ لو ترَى أعيادَهُمْ	جَمْعُ الرِّجَالِ معًا وجَمعُ نساءِ
واللّٰهُ أكبرُ لو رأيتَ مساجدًا	بنيت على الموتى بأى بناء
قد زُخرِفَتْ بحجارةٍ منقوشةٍ	بالشيدِ قد ضربتْ مَعَ الإعلاءِ
ورءوسها قد زينت بأهلةٍ	من أنفسِ المنقوشِ دون مراءِ
قَدْ أُسرجتْ ولكم على تَسْريجِهَا	وَقَفُوا الشموعَ لَهَا بأيِّ أَدَاءِ
كَمْ سادن قد وكَّلُوهُ بشأنِهَا	طيبًا وتنظيفًا وشأن ضياءِ

وَيلٌ له لو قد أخلَّ ببعضِ ذَا ... ماذا يُقَاسِي مِنْ ضُروبِ بَلَاءِ
وَلَكُمْ عليهَا رايةٌ قد نشرتْ ... ألوانُهَا سلبتْ لقلبِ الرَّائِي
وكرائمُ الأنعامِ تنحرُ سوحها ... منذورة يؤتى بها لوفاءِ
لم يُفْرِدُوا ربَّ السماءِ بدعوةٍ ... بل للقبورِ تجاوبوا بنداءِ
يدعونَهُمْ في كشفِ كلِّ ملمةٍ ... في الجهرِ قد هَتَفُوا وفي الإخفاءِ
ويُعظِّمونَهُمُو بكل عبادةٍ ... يا صاحِ في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ
وتراه بالرحمنِ يحلفُ كاذبًا ... وصفاتُهُ العُلْيَا وبالأسماءِ
لكنه لا يستطيعُ الحلفَ بالمقبورِ ... ذَا إنْ لَمْ يَكُنْ ببَرَاءِ
زادُوا عَلَى شركِ الَّذين إليهُمُو ... بُعِث الرسولُ بأصدقِ الأنباءِ
إذ يخلُصُونَ لدى الكروبِ وهؤلا ... ء فَشِركُهُمْ في شِدَّةٍ ورَخَاءِ
بل في الشدائد شركهم أضعاف ما ... قد أشركوا في حالة السراء
فتراه ينذرُ في الرخاءِ ببدنةٍ ... وببدنتينِ لدى اشتدادِ بلاءِ
وجميعُ ما يأتيه في سرائِهِ ... فله به الأضعافُ في الضراءِ
تاللَّهِ ما ظفر اللعينُ بمثلِها ... من بعضِ أهلِ الشرعةِ الغراءِ
حتى إذا ما هيأوا لعدوهم ... سبب الدخول وسلم الإغواء
طمعَ العدوُّ بهم لنيلِ مرادِهِ ... منهم فغرَّ القومُ باستجدَاءِ
لما أساءُوا الظنَّ بالوحيين لـ ... ـكن أحسنوه بزخرفِ الأعداءِ
لم يهتدُوا بالنصِّ قط بل اقتفوا ... آراءَ مَن قد كانَ عنها نائِي
نبذوا الكتابَ فلم يُقِيمُوا نصَّهُ ... إذ كان ميلِهُمُو إلى الأهواءِ
وعبادةُ الأوثانِ قد صارتْ لَهُمْ ... دينًا تعالى اللَّهُ عنْ شركاءِ
وطرائقُ البدعِ المضلَّةِ صيَّرُوا ... سُبُلًا مكانَ الملَّةِ السَّمْحَاءِ
يا ربِّ ثَبِّتْنَا علَى دينِ الهُدَى ... وعلَى سلوكِ طريقِهِ البيضاءِ
واردُدْ بتوفيقٍ إليها مَن نَأَى ... ممن قد اسْتَهْوَى أولو الإغواءِ
يا ربَّنَا فاكشفْ غِطَاءَ قُلُوبِنَا ... النور أخرجنا من الظلماءِ
واسلكْ بنا نهج النجاةِ ونجِّنا ... مِن حِيرَةٍ وضلالةٍ عمياءِ
واجعل كتابَكَ يا كريمُ إمَامنا ... ورسولَكَ المقدَام للحنفاءِ
وانصرْ علَى الأعداءِ حزبَكَ إنَّهم ... خبطتهُمُو فتن من الأعداءِ

رامُوا بِنَا السوأى بسوءِ مكايدٍ ... فاقْصِمْهُمُو يا ربِّ للأسواءِ
واردُدْ إلهي كيدَهُمْ في بَيْدْهم ... وأبدهُمُو بَيْدًا عن الْبَيْداءِ
أَظهِرْ علَى الأدْيَانِ دينَكَ جهرةً ... وَشِعَارُهُ فارْفَعْ بدُونِ خَفَاءِ
واجْعَلْ لِوَجْهِكَ خلَّصًا أعمالنا ... بعِبَادةٍ وولايَةٍ وبراءِ[1]

فصل: أذكر فيه بيان حقيقة السحر وحكم الساحر

أي: ما عليه من العقوبة شرعًا: وأن منه أي من السحر علم التنجيم وهو النظر في النجوم الآتي بيانه، وذكر عقوبة من صدق كاهنًا بقلبه، ويعنى عقوبته الوعيدية. والبحث في هذا الفصل في أمور: الأول: هل السحر حقيقة وقوعه ووجوده أم لا، الثاني: أنواعه، الثالث: حكم متعلمه إن عمل به أو لم يعمل، الرابع: عقوبته شرعًا ووعيدًا.

وَالسِّحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ ... لِكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ
أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ ... فِي الْكَوْنِ لَا فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

هذا هو البحث الأول في حقيقته وتأثيره: «**والسحر حق**» يعنى متحقق وقوعه ووجوده، ولو لم يكن موجودًا حقيقة لم ترد النواهى عنه في الشرع والوعيد على فاعله والعقوبات الدينية والأخروية على متعاطيه والاستعاذة منه أمرًا وخبرًا. وقد أخبر اللَّه تعالى أنه كان موجودًا في زمن فرعون وأنه أراد أن يعارض به معجزات نبى اللَّه موسى ﷺ في العصا بعد أن رماه هو وقومه به بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[يونس: الآية ٧٦] إلى قوله- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾[يونس: الآية ٧٩]، وقال تعالى عن السحرة: ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾[الأعراف: الآية ١١٦]، وقال تعالى فيهم: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾، يقال إنهم كانوا سبعين ألفًا مع كل واحد منهم حبل وعصا فأخذوا بأبصار الناس بسحرهم وألقوا تلك الحبال والعصى فرآها الناس حيات عظامًا وذلك قوله تعالى: ﴿سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: الآية ١١٦] وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾[طه: الآية ٦٦] قال اللَّه تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ

(١) في حاشية بعض النسخ أن هذا من شعر المؤلف رحمه الله في قصيدته الطويلة همزية الإصلاح.

﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ يعنى العصا ﴿تَلْقَفْ﴾ [الأعراف: الآية ١١٧] تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓا۟﴾ [هود: الآية ١٦] أي السحرة أى ما اختلفوا وائتفكوا من الزور والتخييل، ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١١٧] وهون اللَّه أمرهم على نبيه موسى عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: الآية ٦٩] مكره وخداعه ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: الآية ٦٩] ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف: ٩١] إلى آخر الآيات، وقد أخبر اللَّه تعالى عن قوم صالح وكانوا قبل إبراهيم عليه السلام أنهم قالوا لنبيهم عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: الآية ١٥٣] وكذا قال قوم شعيب له عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: الآية ١٥٣] وقالت قريش لنبينا محمد ﷺ كما ذكر اللَّه تعالى ذلك عنهم في غير موضع بل ذكر اللَّه عز وجل أن ذلك القول تداوله كل الكفار لرسلهم فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ﴾، الآية، وقال سبحانه في ذم اليهود: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠١- ١٠٣] وقال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق: ٤] والنفاثات هن السواحر يعقدن وينفثن. والمقصود أنه قد ثبت بهذه النصوص وغيرها مما سنذكر ومما لا نذكر أن السحر حقيقة وجوده.

«**وله تأثير**» فمنه ما يمرض ومنه ما يقتل ومنه ما يأخذ بالعقول ومنه ما يأخذ بالأبصار ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، «**لكن**» تأثيره ذلك إما هو «**بما قدره القدير**» سبحانه وتعالى أى بما قضاه وقدره وخلقه عندما يلقى الساحر ما ألقى، ولذا قلنا «**أعنى بذا التقدير**» في قوله بما قدره القدير «**ما قد قدره في الكون**» وشاءه «**لا**» أنه أمر به «**فى الشرعة**» التي أرسل اللَّه بها رسله وأنزل بها كتبه «**المطهرة**» من ذلك وغيره كما تقدم أن القضاء والأمر والحكم والإرادة كل منها ينقسم على كونى وشرعى، فالكونى: يشمل ما يرضاه اللَّه ويحبه شرعًا، وما لا برضاه في الشرع ولا يحبه، والشرعى يختص بمرضاته سبحانه وتعالى ومحابه، ولهذا قال

تعالى في الشرعي: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: الآية ١٨٥] وقال ﷻ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: الآية ٧]. فأخبر تعالى أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر وأنه يرضى لهم الشكر ولا يرضى لهم الكفر، مع كون كل من العسر واليسر والشكر والكفر واقع بقضاء الله وقدره وخلقه وتكوينه ومشيئته، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: الآية ٦٢] وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: الآية ٤٩]. والمقصود أن السحر ليس بمؤثر لذاته نفعًا ولا ضرًّا وإنما يؤثر بقضاء الله تعالى وقدره، وخلقه وتكوينه، ولأنه تعالى خالق الخير والشر، والسحر من الشر، ولهذا قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢]، وهو القضاء الكوني القدري، فإن الله تعالى لم يأذن بذلك شرعًا، وقد ثبت في الصحيحين من طرق عن عائشة ﵂ قالت: سحر رسول الله ﷺ حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ﷻ ودعاه ثم قال: «**أشعرت يا عائشة، إن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه**» قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «**جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق. قال: فبماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فأين؟ قال: في بئر ذي أروان**». قال: فذهب النبي ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخل ثم رجع إلى عائشة فقال: «**والله لكأن ماءها نقاعة الحناء، ولكأن نخلها رءوس الشياطين**». قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: «**لا، أما أنا فقد عافاني الله ﷻ وشفاني وخشيت أن أثور على الناس منه شرًّا**» وأمر بها فدفنت[1]. وفي رواية قال: «**ومن طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود كان منافقًا. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاقة. قال: وأين؟ قال: في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان**» - وذكره[2] - هذا لفظ البخاري المشاط ما يخرج من الشعر، والمشط أسنان ما يمشط به، والمشاقة من مشاقة الكتان، وجف طلعة غشاؤها وهو الوعاء الذي يكون فيه الطلع، تحت راعوفة هو حجر يترك في البئر عند الحفر ثابت لا يستطاع قلعه يقوم عليه المستقي، وقيل حجر على رأس البئر يستقى عليه المستقي، وقيل حجر بارز من طيها يقف

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٦٨، ٥٧٦٣، ٥٧٦٦)، ومسلم (٢١٨٩) وغيرهما من حديث عائشة.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٦٥) من حديث عائشة.

عليها المستقي والناظر فيها ، وقيل في أسفل البئر يجلس عليه الذي ينظفها لا يمكن قلعه لصلابته . والله ﷻ أعلم .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم : قال المازرى رحمه الله تعالى : مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافًا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها ، وقد ذكره الله تعالى في كتابه وذكر أنه مما يتعلم ، وذكر ما فيه إشارة إلى أنه مما يكفر به ، وأنه يفرق بين المرء وزوجه ، وهذا كله لا يمكن فيما لا حقيقة له ، وهذا الحديث أيضًا مصرح بإثباته وأنه أشياء دفنت وأخرجت ، وهذا كله يبطل ما قالوه فإحالة كونه من الحقائق محال ، ولا يستنكر في العقل أن الله ﷻ يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو المزج بين قوى على ترتيب لا يعرفه إلا الساحر ، وإذا شاهد الإنسان بعض الأجسام منها قاتلة كالسموم ومنها مسقمة كالأدوية الحادة ومنها مضرة كالأدوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله أن ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة أو كلام مهلك أو مؤد إلى التفرقة .

قال : وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث بسبب آخر فزعم أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع ، وإذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته ، وعصمته ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك ، وتجويز ما قام الدليل بخلافه باطل .

فأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلًا من أجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقة له ، وقد قيل إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام فلا يبعد تخيله في اليقظة ولا حقيقة له ، وقيل إنه يخيل إليه أنه فعله وما فعله ، ولكن لا يعتقد صحة ما يتخيله فتكون اعتقاداته على السداد .

«قال القاضي عياض رحمه الله تعالى» : وقد جاءت روايات هذا الحديث مبينة أن السحر إما تسلط على جسده وظواهر جوارحه لا على عقله وقلبه واعتقاده ، ويكون معنى قوله في الحديث حتى يظن أنه يأتى أهله ولا يأتيهن ، ويروى يخيل إليه أى يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة عليهن فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك كما يعترى المسحور . وكل ما جاء في الروايات من أنه يخيل إليه فعل شيء لم يفعله ونحوه

فمحمول على التخيل بالبصر لا كالخلل تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل لبسًا على الرسالة ولا طعنًا لأهل الضلالة والله أعلم. (١)هـ.

قلت: «قول المازرى خلافًا لمن أنكر ذلك»، قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى: «أجمعوا على أن السحر له حقيقة»، إلا أبا حنيفة فإنه قال: «لا حقيقة له عنده». ثم ذكر الاختلاف في حكم الساحر، «وقال القرطبى رحمه الله تعالى»: وعندنا أن السحر حق وله حقيقة يخلق الله عنده ما يشاء (٢)خلافًا للمعتزلة وأبي إسحاق الاسفرايينى حيث قالوا إنه تمويه وتخييل. اهـ(٣).

قلت: قد ثبت وتقرر من هذا وغيره تحقق السحر وتأثيره بإذن الله بظواهر الآيات والأحاديث وأقوال عامة الصحابة، وجماهير العلماء بعدهم رواية ودراية، فأما القتل به والأمراض والتفرقة بين المرء وزوجه وأخذه بالأبصار فحقيقة لا مكابرة فيها، وأما قلب الأعيان كقلب الجماد حيوانًا وقلب الحيوان من شكل إلى آخر فليس بمحال في قدرة الله ﷻ ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعل في الحقيقة وهو الفعال لما يريد، فلا مانع من أن يحول الله ذلك عندما يلقى الساحر ما ألقى امتحانًا وابتلاء وفتنة لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالى به في الواقع من سحرة فرعون في قصتهم مع موسى إنما هو التخييل والأخذ بالأبصار حتى رأوا الحبال والعصى حيات، فنؤمن بالخبر ونصدقه ولا نتعداه ولا نبدل قولًا غير الذي قيل لنا ولا نقول على الله ما لا نعلم وبالله التوفيق.

وَاحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتَّكْفِيرِ ... وَحَدُّهُ الْقَتْلُ بِلَا نَكِيرِ
كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَهْ ... مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ
عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا فِي أَثَرْ ... أَمْرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِي عَنْ عُمَرْ
وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِنْدَ مَالِكِ ... مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ لِلسَّالِكِ

هذا هو الحكم الثاني: وهو حكم الساحر «**واحكم على الساحر**» تعلمه أو علمه عمل به أو لم يعمل «**بالتكفير**» أى بأنه كفر بهذا الذنب الذي هو السحر، وذلك واضح صريح في آية البقرة بأمور: منها سبب عدول اليهود إليه وهو نبذهم الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم

---

(١) آخر كلام النووي في «شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١٧٤) طبعة الريان.
(٢) «تفسير القرطبي» (٢/ ٤٤) طبعة دار الشعب.
(٣) قوله: خلافًا للمعتزلة... إلخ من كلام ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٨).

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: الآية ١٠١] ، سواء أريد بالكتاب التوراة التي بأيديهم أو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ ، كل ذلك نبذه كفر ، وقد علم أن السحر لا يعمل إلا مع من كفر بالله ، وهذا معلوم من سبب نزول الآية كما قال الربيع بن أنس وغيره : «إن اليهود سألوا محمدًا ﷺ زمانًا عن أمور من التوراة ، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله تعالى ما سألوه عنه فيخصمهم ، فلما رأوا ذلك قالوا : هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا . وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله عز وجل : ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢] ، الآيات»[1] .

ومنها قوله : ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢] تتقوله وتزوره ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢] أى في ملكه وعهده ، ومعلوم أن استبدال ما تتلوه الشياطين وتتقوله والانقياد له والعمل به عوضًا عما أوحى الله تعالى إلى رسوله ﷺ هذا من أعظم الكفر ، وهو من عبادة الطاغوت التي هى أصل الكفر ، وقد سمى الله تعالى طاعة العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله ، سمى ذلك عبادة وأنه اتخذ لهم أربابًا من دون لله فقال تعالى : ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣١]، الآية ، قال عدى بن حاتم رضي الله عنه حين سمع رسول الله ﷺ يتلوها : إنا لسنا نعبدهم ، قال : «**أليس يحلون ما حرم الله فتحلونه ، ويحرمون ما أحل الله فتحرمونه؟**» قال : بلى . قال : «**فتلك عبادتكم إياهم**»[2]، ولهذا قال تعالى بعدها : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٣٦) عن الربيع مرسلًا ولم يسنده أو يعزه، وإسناده ضعيف للإرسال، وأخرج آخره، وهو سؤال اليهود عن السحر ونزول الآية، ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٨٥) من طريق أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية مرسلًا وإسناده ضعيف للإرسال، وضعف أبي جعفر الرازي.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ١١٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٩٢ح ٢١٨، ٢١٩) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٠٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٦) وفي المدخل إلى «السنن الكبرى» (ص٢١٠ح ٢٦١) جميعًا من طريق عبدالسلام بن حرب عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم مرفوعًا به، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبدالسلام بن حرب، وغطيف ليس بمعروف في الحديث. اهـ

=

إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣١]، فإذا كان هذا في طاعة الأحبار والرهبان فكيف في طاعة الشيطان فيما ينافي الوحي، فهل فوق هذا الشرك من كفر؟ ﴿سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: الآية ٣١] وعبادة الشيطان هى اتباعه فيما أمر به من الكفر والضلال ودعا إليه، كما قال ﷻ فيه إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير، وكما يقول للمجرمين يوم القيامة: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢] برأ اللَّه ﷻ نبيه ﷺ من الكفر، وهذا الكفر الذي برأه تعالى منه هو علم الساحر وعمله، وإن كان بريئًا من الكفر كله معصومًا مما هو دونه، لكن سياق الآية في خصوص السحر وأنه برىء منه، ولو فرض وجود عمله به لكفر لأنه شرك والشرك أقبح الذنوب وأعظم المحبطات للأعمال كما قال تعالى في جميع رسله سليمان وغيره عليهم السلام بعد أن ذكرهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: الآية ٨٨]، وهذا معلوم من أصل القصة فإن اليهود قاتلهم اللَّه تلقوا السحر عن الشياطين ونسبوه إلى سليمان ﷺ، فبرأه اللَّه تعالى من إفكهم بهذه الآية، كما قال مجاهد رحمه اللَّه تعالى في هذه الآية: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢] قال: «كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلها، فأرسل سليمان ﷺ إلى ما كتبوا من ذلك، فلما توفى سليمان وجدته الشياطين وعلمته الناس وهو السحر»[1]. وقال سعيد بن جبير رحمه اللَّه تعالى: كان سليمان ﷺ يتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته فلم تقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس

= قلت: غطيف ضعيف وعبدالسلام له مناكير.

وأما تفسير الآية بهذا المعنى فورد من كلام حذيفة بن اليمان أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ١١٤) والبيهقي في «المدخل» (٢٥٩) من طريق الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة موقوفًا، وهذا إسناد صحيح إلى حذيفة.

(١) **ضعيف الإسناد:** أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٤٥٠) من طريق ابن جريج عن مجاهد، وإسناده ضعيف عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج مدلس وقد عنعن وقد قال البرديجي عنه: لم يسمع من مجاهد إلا حرفًا واحدًا، وانظر «التهذيب» (٦/ ٤٠٥).

وأخرجه ابن جرير أيضًا (١/ ٤٤٧) عن مجاهد وفي سنده أبو حذيفة النهدي وهو سيئ الحفظ.

فقالوا لهم: أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم، قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه، فاستثار به الإنس واستخرجوه وعملوا به، فقال أهل الحجاز- يعنى اليهود من أهل الحجاز- كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر، فأنزل اللَّه تعالى على نبيه محمد ﷺ براءة سليمان ﷺ فقال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: الآية ١٠٢][1].

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود عليهما السلام فكتبوا أصناف السحر، من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتم سليمان وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم. ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بنى إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا واللَّه ما كان ملك سليمان إلا بهذا، فأفشوا السحر في الناس فتعلموه وعلموه، فليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم اللَّه، فلما ذكر رسول اللَّه ﷺ فيما نزل عليه من اللَّه سليمان بن داود وعده فيمن عد من المرسلين قال من كان بالمدينة من اليهود: تعجبون من محمد يزعم أن ابن داود كان نبيا، واللَّه ما كان إلا ساحرًا. وأنزل اللَّه تعالى في ذلك: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢]، الآية[2].

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحرًا وكفرًا وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل به، قال: فأكفره جهال الناس وسبوه ووقف علماء الناس، فلم يزل جهال الناس يسبونه حتى أنزل اللَّه على محمد ﷺ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا

---

(١) **ضعيف الإسناد:** أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٤٤٩) عن ابن حميد عن يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير به، وإسناده ضعيف محمد بن حميد الرازي ضعيف، وجعفر بن أبي المغيرة ضعيف في روايته عن سعيد بن جبير.

(٢) **ضعيف الإسناد:** أخرجه ابن جرير (١/ ٤٤٦) عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق وإسناده ضعيف لضعف ابن حميد.

كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢][١] وتفاسير السلف وآثارهم في هذه الآية كثيرة جدًّا، وما كان منها إسرائيليا فهو من القسم المقبول لموافقته ظاهر الآية في أن اليهود تعلموا السحر من الشياطين ورموا به نبى اللَّه سليمان وأكفروه به وسبوه، وخاصموه به محمدًا رسول اللَّه ﷺ ونبذوا كتاب اللَّه وراء ظهورهم، فبين اللَّه تعالى ما لبسوه وهدم ما أسسوه وبرأ نبيه سليمان عليه السلام مما ائتفكوه وأقام الحجة عليهم في بطلان ما انتحلوه فللَّه الحمد والمنة.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢] أكذب اللَّه تعالى اليهود فيما نسبوه إلى نبيه سليمان عليه السلام بقوله ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢] وهم إنما نسبوا السحر إليه، ولازم ما نسبوه إليه هو الكفر لأن السحر كفر، ولهذا أثبت كفر الشياطين بتعليمهم الناس السحر فقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢] وكذلك كل من تعلم السحر أو علمه أو عمل به يكفر ككفر الشياطين الذين علموه الناس، إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذ الشيطان وخريجه، عنه روى وبه تخرج وإياه اتبع، ولهذا قال تعالى في الملكين: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢] فبين تعالى أنه بمجرد تعلمه يكفر سواء عمل به وعلمه أو لا. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فإذا أتاهما الآتي مريد السحر نهياه أشد النهي وقالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر، قال: فإذا أبي عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا فإذا أتى عاين الشيطان فعلمه، فإذا تعلمه خرج منه النور فنظر إليه ساطعًا في السماء فيقول: يا حسرتاه يا ويله ماذا صنع[٢].

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أنزل الملكان بالسحر ليعلما الناس البلاء الذي أراد اللَّه تعالى أن يبتلى به الناس، فأخذ عليهما الميثاق أن لا يعلما أحدًا حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر[٣]، وقال قتادة: كان أخذ عليهما أن لا

---

(١) **في إسناده كلام:** أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٩٨٢) من طريق المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، والمنهال متكلم فيه.

(٢) **ضعيف الإسناد:** أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٢١) عن ابن عباس موقوفًا وفي إسناده أبو جعفر الرازي ضعيف لسوء حفظه. وأخرج أوله برقم (١٠١٠) وفيه نفس العلة.

(٣) **ضعيف الإسناد:** أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠١١) عن الحسن، وفي إسناده سرور ابن المغيرة متكلم فيه وترجمته ب«اللسان» (٣/ ١٤) لكن قوله: أخذ عليهما... إلخ أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٤٦١) عن بشر بن معاذ عن يزيد عن سعيد عن قتادة والحسن، وهذا إسناده حسن.

يعلما أحدًا حتى يقولا : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾[البَقَرَة: الآية ١٠٢] أي بلاء ابتلينا به ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٢][1] وقال السدي : إذا أتاهما إنسان يريد السحر وعظاه وقالا له : لا تكفر إنما نحن فتنة ، فإذا أبي قالا له ائت هذا الرماد فبل عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخل السماء وذلك الإيمان ، وأقبل شيء أسود كهيئة الدخان حتى يدخل في مسامعه وكل شيء وذلك غضب اللَّه ، فإذا أخبرهما بذلك علماه السحر فذلك قول اللَّه تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[البَقَرَة: الآية ١٠٢] الآية[2] . وعن ابن جريج في هذه الآية : لا يجترئ على السحر إلا كافر[3] ، والفتنة هي المحنة والاختبار . ومنها قوله تعالى : ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾[البَقَرَة: الآية ١٠٢] ، يعني من حظ ولا نصيب ، وهذا الوعيد لم يطلق إلا فيما هو كفر لا بقاء للإيمان معه ، فإنه ما من مؤمن إلا ويدخل الجنة ، وكفى بدخول الجنة خلاقًا ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة . ثم قال تعالى : ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البَقَرَة: الآية ١٠٢] .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٣] يعني بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ [البَقَرَة: الآية ٤٨] السحر وسائر الذنوب ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٣] ، وهذا من أصرح الأدلة على كفر الساحر ونفي الإيمان عنه بالكلية ، فإنه لا يقال للمؤمن المتقي : ولو أنه آمن واتقى ، وإنما قال تعالى ذلك لمن كفر وفجر وعمل بالسحر واتبعه وخاصم به رسوله ورمى به نبيه ونبذ الكتاب وراء ظهره ، وهذا ظاهر لا غبار عليه واللَّه أعلم . وقد صرح بذلك أئمة السلف من الصحابة والتابعين ، وإنما اختلفوا في القدر الذي يصير به كافرًا ، والصحيح أن السحر المتعلم من الشياطين كله كفر قليله وكثيره كما هو ظاهر القرآن .

«**وحده**» أي حد الساحر «**القتل**» ضربه بالسيف «**بلا نكير**» بل هو ثابت بالكتاب من

---

(١) **حسن إلى قتادة** : أخرجه ابن أبي حاتم (١٠١٢) وفي إسناده أبو جعفر الرازي ضعيف ، وأخرجه ابن جرير (١/ ٤٦١) من طريقين عن قتادة أحدهما حسن ، وليس فيه : أي بلاء . . . إلخ . ثم أخرج ابن جرير هذه الفقرة وحدها بإسناد حسن إلى قتادة .

(٢) **ضعيف الإسناد** : أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٤٦١) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به ، وأسباط متكلم فيه .

(٣) أخرجه ابن جرير (١/ ٤٦٢) عن القاسم عن حسين عن حجاج عن ابن جريج .

عموم النصوص في الكفار المرتدين وغيرهم **«كما أتى»** ثابتًا **«في السنة المصرحة»** الثابتة عن النبي ﷺ **«مما رواه الترمذي»** محمد بن عيسى بن سورة بمهملتين بن موسى بن الضحاك السلمى أبو عيسى الترمذي الحافظ الضرير أحد الأعلام وصاحب الجامع والتفسير عن خلق مذكورين في تراجمهم من جامعه وغيره، وعنه محمد بن إسماعيل السمرقندى وحماد بن شكر وأبو العباس محمد بن أحمد المحبوبى راوى الجامع والهيثم بن كليب وخلق من أهل سمرقند ونسف وتلك الديار، وقال ابن حبان كان ممن جمع وصنف، قال أبو العباس المستغفرى مات سنة تسع وسبعين ومائتين، مرفوعًا وصححه موقوفًا عن جندب هو ابن عبدالله بن سفيان البجلى العلقمى أو العلقى له ثلاثة وأربعون حديثًا اتفقا على سبعة وانفرد مسلم بخمسة. روى عنه الحسن وابن سيرين وأبو مجلز، مات بعد الستين، قال رحمه الله تعالى: «باب ما جاء في حد الساحر حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب[1] قال: قال رسول الله ﷺ: **«حد الساحر ضربة بالسيف»**[2] هذا حديث لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه وإسماعيل بن مسلم المكى يضعف في الحديث من قبل حفظه وإسماعيل بن مسلم العبدى البصرى قال وكيع وهو ثقة ويروى عن الحسن أيضًا والصحيح عن جندب موقوفًا والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول مالك بن أنس، وقال الشافعى: إنما يقتل الساحر إذا كان يعمل من سحره ما يبلغ الكفر فإذا عمل عملًا دون الكفر فلم ير عليه قتلًا»[3]. ويعنى بقوله: ما يبلغ الكفر أى ما كان فيه اعتقاد التصرف لغير الله

(١) جندب: هو جندب الخير - وليس البجلي - قاتل الساحر، مختلف في صحبته (تقريب: ٩٧٧) ط. دار ابن رجب.

(٢) **ضعيف الإسناد:** أخرجه الترمذي (١٤٦٠) وفي «العلل» (٤٣٠ بشرح أبي طالب) والحاكم (٨٠٧٣) والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٦١ح ١٦٦٥) والدارقطني في «السنن» (٣/ ١١٤ح ١١٢) والبيهقي (٨/ ١٣٦) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٢٨٤) جميعًا من طريق إسماعيل بن مسلم المكي عن الحسن عن جندب مرفوعًا، وإسماعيل ضعيف، وبه أعله الترمذي والبخاري والبيهقي، وقال الترمذي: والصحيح عن جندب موقوفًا.

قلت (يحيى): وإسماعيل متابع، تابعه خالد العبد عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٦١ح ١٦٦٦) لكن خالدًا متهم بالوضع وسرقة الحديث وترجمته ب«اللسان» (٢/ ٤٥٢).

(٣) **آخر كلام الترمذي في «السنن»** عقب حديث (١٤٦٠)، وقال الترمذي في «العلل» (٤٣٠): سألت محمدًا - يعني البخاري - عن هذا الحديث فقال: هذا لا شيء، وإنما رواه إسماعيل بن مسلم. وضعف إسماعيل بن مسلم المكي جدًّا.

وصرف العبادة له كما يفعله عباد هياكل النجوم من أهل بابل وغيرهم والله أعلم **«وهكذا في أثر . أمر بقتلهم»** يعني السحرة **«روى عن عمر»** بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى العدوى أبي حفص المدني أحد فقهاء الصحابة ثاني الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأول من سمي أمير المؤمنين، له خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثًا اتفقا على عشرة وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسة عشر، وعنه أبناؤه عبد الله وعاصم وعبيد الله وعلقمة بن أبي وقاص وغيرهم، شهد بدرًا والمشاهد والمواقف، وولي أمر الأمة بعد أبي بكر رضي الله عنهما وفتح في أيامه عدة أمصار، أسلم بعد أربعين رجلًا، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «**إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»[1] ولما دفن قال ابن مسعود رضي الله عنه: ذهب اليوم بتسعة أعشار العلم[2]. استشهد في آخر سنة ثلاث وعشرين ودفن في أول سنة أربع وعشرين في الحجرة النبوية وهو ابن ثلاث وستين وصلى عليه صهيب، ومناقبه جمة قد أفردت في مجلدات. وهذا الأثر المشار إليه في الباب هو ما رواه الإمامان الجليلان أحمد بن حنبل الشيباني ومحمد بن إدريس الشافعي رحمهما الله تعالى قالا: أخبرنا سفيان هو ابن عيينة عن عمرو بن دينار أنه سمع بجالة بن عبدة يقول: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة. قال فقتلنا ثلاث سواحر[3].

«وصح» نقلًا **«عن حفصة»** بنت عمر بن الخطاب العدوية أم المؤمنين رضي الله عنهما **«عند مالك»** بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي أبي عبد الله المدني أحد الأعلام في الإسلام وإمام دار الهجرة، ولد سنة ثلاث وتسعين وحمل به ثلاث سنين،

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٦٨٨٩) من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه أحمد (٢/ ٤٠١) من حديث المسور بن مخرمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه أبو داود (٢٩٦٢) وابن ماجة (١٠٨) وأحمد (٥/ ١٤٥، ١٦٥، ١٧٧) من حديث غضيف عن أبي ذر مرفوعًا، وأخرجه الترمذي (٣٦٨٢) وأحمد (٢/ ٥٣) وابن حبان (٦٨٩٥) من طريق نافع عن ابن عمر مرفوعًا به.

(٢) **صحيح إلى ابن مسعود**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٣٦) عن أبي معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن ابن مسعود وإسناده صحيح، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٦٣ح ٨٨٠٩) عن أسد بن موسى عن وكيع عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود، وإسناده صحيح، وصححه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٩).

(٣) **صحيح إلى بجالة**: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٩٠) والشافعي في «مسنده» (ص٣٨٣) وعبدالرزاق (١٠/ ١٨٠) وأبو يعلى (٨٦٠، ٨٦١) وابن أبي شيبة (٢٨٩٨٢، ٣٢٦٥٢) والدارقطني (٢/ ١٥٤) والبيهقي (٨/ ١٣٦) جميعًا عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن بجالة، وإسناده صحيح، وأخرجه عبدالرزاق (٦/ ٨٩)، (١٠/ ٣٦٧) عن ابن جريج عن عمرو بن دينار، عن بجالة.

وتوفى سنة تسع وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رحمه اللَّه تعالى ورضى عنه «ما» أى الذي «فيه أقوى» دليل «مرشد للسالك» وهو ما رواه في موطئه في «باب ما جاء في الغيلة والسحر من كتاب العقول: عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها، وقد كانت دبرتها فأمرت بها فقتلت[1]، قال مالك: الساحر الذي يعمل السحر، ولم يعمل ذلك له غيره، وهو مثل الذي قال اللَّه تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢]، فأرى أن يقتل ذلك إذا عمل ذلك هو نفسه»[2]. اهـ. قال ابن كثير رحمه اللَّه تعالى. وقد روى من طرق متعددة أن الوليد بن عقبة كان عنده ساحر يلعب بين يديه فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه، فقال الناس: سبحان اللَّه، يحيى الموتى! ورآه رجل من صالح المهاجرين فلما كان الغد جاء مشتملًا على سيفه وذهب يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنق الساحر وقال: إن كان صادقًا فليحيى نفسه، وتلا قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٣]، فغضب الوليد إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه واللَّه أعلم[3]. وقال الإمام أبو بكر الخلال: أخبرنا عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل حدثني أبي أخبرنا يحيى بن سعيد حدثني أبو إسحاق عن حارثة قال: كان عند بعض الأمراء رجل يلعب فجاء جندب مشتملًا على سيفه فقتله، قال: أراه كان ساحرًا[4]. وحمل الشافعي رحمه اللَّه

---

(١) **صحيح إلى حفصة**: أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٧١) وإسناده ضعيف للانقطاع، وأخرجه الشافعي في «مسنده» (ص٣٨٣) تعليقًا عن حفصة، لكن وصله عبدالرزاق في «المصنف» (١٠/ ١٨٠) عن عبدالله أو عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر.

قلت: والتردد في شيخ عبدالرزاق مما يوهن الإسناد فإن عبدالله ضعيف، وعبيدالله ثقة، لكن هذا التردد ليس بشيء فقد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٥٦١ح ٢٨٩٨٠) عن عبدة عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر، وهذا إسناد صحيح، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦) عن سعدان بن نصر عن أبي معاوية عن عبيدالله بن عمر عن نافع عن ابن عمر.

(٢) «الموطأ» للإمام مالك (٢/ ٨٧١).

(٣) **صحيح إلى جندب**: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦) من طريق أبي عثمان النهدي عن جندب، وإسناده صحيح، وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٠١ح ٨٠٧٥) من طريق الحسن عن جندب.

(٤) أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٥) ومنه نقله «المصنف»، ولم أقف على تخريجه، وبه سقط، فإن أبا إسحاق هو السبيعي وحارثة هو ابن مضرب أو ابن وهب الخزاعي.

تعالى قصة عمر وحفصة على سحر يكون شركًا . والله أعلم[1] .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى : فصل . وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله تعالى فيمن يتعلم السحر ويستعمله ، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد : يكفر بذلك ، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال : إن تعلمه ليتقيه أو ليتجنبه فلا يكفر ، ومن تعلمه معتقدًا جوازه أو أنه ينفعه كفر ، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر . وقال الشافعي رحمه الله تعالى : إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك ، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر . وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فهو كافر ، قال ابن هبيرة : وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد : نعم ، وقال الشافعي وأبو حنيفة : لا ، فأما إن قتل بسحره إنسان فإنه يقتل عند مالك والشافعي وأحمد ، وقال أبو حنيفة : لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك أو يقر بذلك في حق شخص معين ، وإذًا فإنه يقتل حدًّا عندهم ، إلا الشافعي فإنه قال : يقتل والحالة هذه قصاصًا . قال : وهل إذا تاب الساحر تقبل توبته؟ فقال مالك وأبو حنيفة وأحمد في المشهور عنه : لا تقبل وقال الشافعي وأحمد في الرواية : تقبل ، وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبي حنيفة إنه يقتل كما يقتل الساحر إذا كان مسلمًا ، وقال مالك وأحمد والشافعي : لا يقتل يعفى لقصة لبيد بن الأعصم . واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند أبي حنيفة إنها لا تقتل ولكن تحبس ، وقال الثلاثة : حكمها حكم الرجل والله أعلم . وقال أبو بكر الخلال أخبرنا أبو بكر المروزي قال : قرأ على أبي عبد الله يعني أحمد بن حنبل : عمر بن هارون أخبرنا يونس عن الزهري قال : يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها[2] ، وقد نقل القرطبي عن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أنه قال في الذمي : يقتل إن قتل سحره ، وحكى ابن خويز منداد عن مالك روايتين في الذمي إذا سحر أحدًا : الأولى أنه يستتاب فإن أسلم وإلا قتل . والثانية أنه يقتل وإن أسلم . وأما الساحر المسلم فإن تضمن سحره كفرًا كفر عند الأئمة الأربعة وغيرهم لقوله تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: الآية ١٠٢] ، لكن قال مالك : إذا ظهر

---

(١) هذا آخر كلام ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٥) .

(٢) **ضعيف الإسناد جدًّا** : لأن عمر بن هارون هو البلخي متروك واتهم ، وأما حديث سحر اليهود للنبي ﷺ فصحيح وسبق تخريجه ، والذي سحره رجل من اليهود اسمه لبيد بن الأعصم .

عليه لم تقبل توبته لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائبًا قبلناه، فإن قَتل بسحره قُتل، قال الشافعي: فإن قال لم أتعمد القتل فهو مخطئ عليه الدية [1].

هَـذَا وَمِـنْ أَنْـوَاعِـهِ وَشُـعَـبِـهْ عِـلْمُ النُّجُومِ فَـادْرِ هَـذَا وَانْتَبِهِ

هذا هو البحث الرابع وهو «**بيان أنواعه**» فمنها علم التنجيم وهو أنواع: أعظمها ما يفعله عبدة النجوم ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتًا لأجلها وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك وشرائع يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباسًا خاصًا وحلية خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناسًا خاصة، لكل نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتًا مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرفها في الكون. وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم ببابل وغيرها، وإياهم خاطب فيما حكى اللَّه عنهم متحديا لهم مبينًا سخافة عقولهم وضلال قلوبهم، قال اللَّه تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٥- ٧٨] إلى آخر الآيات.

ومنها: ما يفعله من يكتب حروف أبي جاد ويجعل لكل حرف منها قدرًا من العدد معلومًا ويجرى على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها، ويجمع جمعًا معروفًا عنده، ويطرح منه طرحًا خاصًا، ويثبت إثباتًا خاصًا، وينسبه إلى الأبراج الإثنى عشر المعروفة عند أهل الحساب. ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان، وكثير منهم يغير الاسم لأجل ذلك ويفرق بين المرء وزوجه بذلك، ويعتقد أنهم إن جمعهم بيت لا يعيش أحدهم. وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدعى أن هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكر وهذا الأنثى، وهذا يكون غنيا وهذا يكون فقيرًا، وهذا يكون شريفًا وهذا وضيعًا، وهذا محبًا وهذا مبغضًا، كأنه هو الكاتب ذلك للجنين في بطن أمه، لا واللَّه لا يدريه الملك الذي يكتب ذلك حتى يسأل ربه أذكر أم أنثى شقى أم سعيد ما الرزق وما الأجل، فيقول له فيكتب وهذا الكاذب المفتري يدعى علم ما استأثر اللَّه بعلمه،

(١) هذا آخر كلام ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٨- ١٤٩).

ويدعى أنه يدركه بصناعة اخترقها، وأكاذيب اختلقها، وهذا من أعظم الشرك في الربوبية. ومن صدقه به واعتقده فيه كفر والعياذ بالله.

ومنها النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها معتقدين أن لكل نجم منها تأثيرات في كل حركاته منفردًا، وله تأثيرات أخر عند اقترانه بغيره في غلاء الأسعار ورخصها وهبوب الرياح وسكونها ووقوع الكوائن والحوادث، وقد ينسبون ذلك إليها مطلقًا. ومن هذا القسم الاستسقاء بالأنواء وسيأتي الحديث فيه عن ذكره في المتن إن شاء الله وبه الثقة.

ومنها النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيرات في اقتران القمر بكل منها ومفارقته، وأن في تلك سعودًا أو نحوسًا وتأليفًا وتفريقًا وغير ذلك، وكل هذه الأنواع اعتقاد صدقها محادة الله ورسوله، وتكذيب بشرعه وتنزيله، واتباع لزخارف الشيطان ما أنزل الله بذلك من سلطان، والنجم مخلوق من المخلوقات مربوب مسخر مدبر كائن بعد أن لم يكن، مسبوق بالعدم المحض متعقب به ليس له تأثير في حركة في الكون ولا سكون لا في نفسه ولا في غيره، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٧]، وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنعام: الآية ٩٧]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ [النحل: الآية ١٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: الآية ٥]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ

مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [يونس: الآية ٥]، وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالى في ذهابها وفنائها وعودها إلى العدم كما أوجدت بعد العدم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ۝﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ۝﴾ [الانفطار: الآية ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝﴾ [القيامة: ٨- ٩]، وروى ابن أبي حاتم رحمه اللَّه تعالى عن قتادة الإمام في التفسير وغيره قال رحمه اللَّه تعالى: إنما جعل اللَّه سبحانه هذه النجوم لثلاث خصال، جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجومًا للشياطين. فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسًا جهلة بأمر اللَّه قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى اللَّه تعالى أنه: ﴿لَا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: الآية ٦٥] [(١)]، وهذا كلام جليل متين صحيح، وأصله في صحيح البخاري تعليقًا.

وقال أبو داود رحمه اللَّه تعالى في كتاب الطب من سننه: «**باب في النجوم**»[(٢)] حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومسدد المعنى قالا: حدثنا يحيى بن عبيد اللَّه بن الأخنس عن الوليد بن عبد اللَّه عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**»[(٣)] وذكر حديث

---

(١) **صحيح إلى قتادة**: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٢٩٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٢٦) من طريقين عن سعد بن أبي عروبة عن قتادة وإسناده صحيح إلى قتادة، وأخرج أوله إلى قوله: وتكلف ما لا علم له به البخاري في صحيحه تعليقًا (الفتح ٦/ ٣٢٨ كتاب بدء الخلق باب في النجوم) وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٩١)، (٢٩/ ٣) بإسناد حسن إلى قتادة.

(٢) «سنن أبي داود» (٤/ ١٥).

(٣) **حسن**: أخرجه أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجة (٣٧٢٦) وأحمد (١/ ٢٢٧، ٣١١) وعبد بن حميد (٧١٤) وابن أبي شيبة (٢٥٦٤٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٣٥ح ١١٢٧٨) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٨) وفي «شعب الإيمان» (٥١٩٧) جميعًا من طريق عبيدالله بن الأخنس عن الوليد بن عبدالله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس، مرفوعًا، وإسناده حسن عبيدالله بن الأخنس صدوق وباقي رجال الإسناد ثقات.

النوء[1]. وروى عبد بن حميد عن رجاء بن حيوة أن النبي ﷺ قال: «**إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وحيف الأئمة**»[2]. وروى ابن عساكر وحسنه عن أبي محجن مرفوعًا: «**أخاف على أمتي ثلاثًا: حيف الأئمة وإيمانًا بالنجوم، وتكذيبًا بالقدر**»[3] وروي أبويعلي وابن عدي عن أنس ﷺ مرفوعًا «أخاف علي أمتي بعدى خصلتين: تكذيبًا بالقدر، وإيمانًا بالنجوم»[4] وروى الطبراني عن ابن عباس ﷺ مرفوعًا: «**رب معلم حروف أبي جاد دارس في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة**»[5] ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ: «**رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف**

---

(١) **وهو حديث صحيح**: أخرجه البخاري (١٠٣٨) ومسلم (٧١) وأبو داود (٣٩٠٦) وغيرهم من حديث زيد بن خالد الجهني مرفوعًا به، وهو حديث قدسي لفظه: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

(٢) **ضعيف الإسناد**: رجاء بن حيوة تابعي وهذا مرسل، والحديث أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٨) وله شواهد ضعيفة وانظر ما يأتي.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٤٠١ نسخة التراث الإلكترونية) من طريق علي بن يزيد الصدائي عن أبي سعد البقال عن أبي محجن مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال، وأيضًا فعلي بن يزيد الصدائي فيه لين، والحديث أورده المناوي في فيض القدير» (١/ ٢٠٤) وعزاه لابن عساكر من حديث أبي محجن وقال: قال الحافظ العراقي: إسناده ضعيف.

قلت (يحيى): وللحديث شاهد من حديث أبي أمامة مرفوعًا أخرجه الروياني في «مسنده» (١٢٤٤) من طريق ليث عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي أمامة، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣) وعزاه للطبراني وأعله بسليم.

قلت: سليم ضعيف، وعبدالرحمن لم يسمع من أبي أمامة، وله شاهد آخر من حديث جابر بن سمرة أورده الهيثمي (٧/ ٢٠٣) وعزاه لأحمد وأبي يعلى والبزار والطبراني في الثلاثة.

وقال: وفيه محمد بن القاسم الأسدي وثقه ابن معين وكذبه أحمد وضعفه بقية الأئمة.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو يعلى (٤١٣٥) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٤) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/ ٢٥١) و (٢٣/ ٢٠٧، ٢٠٨) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف يزيد الرقاشي، وبه أعله الذهبي في «السير» (٨/ ٢٨٧) وقال: الحديث واه لمكان الرقاشي. اهـ وبه أعله الهيثمي أيضًا في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣).

(٥) **ضعيف الإسناد جدًّا**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤١ح ١٠٩٨٠) من طريق خالد بن يزيد العمري بإسناده عن ابن عباس مرفوعًا به، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧) وأعله بخالد بن يزيد وذكر أنه كذاب.

=

أبي جاد ليس له عند الله خلاق»[١].

ومن أنواع السحر زجر الطير والخط بالأرض، قال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا يحيى حدثنا عوف حدثنا حيان- قال غير مسدد: حيان بن العلاء- حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**العيافة والطيرة والطرق من الجبت**»[٢] ورواه أحمد في مسنده. والجبت هو السحر. قال عمر رضي الله عنه[٣] وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم[٤]. وعن ابن عباس وغيره أيضًا الجبت الشيطان[٥]، ولا ينافي

= وأورده المناوي في «فيض القدير» (٤/ ١٧) ونقل كلام الهيثمي، وذكر أنه رواه عنه أيضًا حميد ابن زنجويه.

قلت (يحيى): فالعلة في الطريقين واحدة وهي خالد بن يزيد، لكن هذا المتن صح موقوفًا على ابن عباس أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٦٤٨) وعبدالرزاق (١١/ ٢٦) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٩) وفي «شعب الإيمان» (٤/ ٣٠٦ح ٥١٩٦) من طريق عبدالله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس موقوفًا، وهذا صحيح إلى ابن عباس.

(١) **ضعيف الإسناد جدًا**: وانظر ما سبق.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود (٣٩٠٧) والنسائي في «الكبرى» (١١١٠٨) وأحمد (٣/ ٤٧٧)، (٥/ ٦٠) وعبدالرزاق (١٠/ ٤٠٣) وابن أبي شيبة (٢٦٤٠٣) وابن حبان (٦١٣١) والبيهقي (٨/ ١٣٩) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٧٣) وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٣٥) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٢٤) جميعًا من طريق عوف عن حيان عن قطن ابن قبيصة عن أبيه مرفوعًا به، وحيان هو ابن العلاء أو ابن مخارق أبو العلاء، وهو مجهول لا يعرف له إلا هذا الحديث وانظر ترجمته «بالتهذيب» (٣/ ٦٨).

(٣) **حسن إلى عمر**: أخرجه البخاري في صحيحه تعليقًا عن عمر (فتح الباري ٨/ ١٠٨ قبل حديث ٤٥٨٣) ووصله ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ١٣١) وابن أبي حاتم (٥٤٨١) وسعيد بن منصور في «سننه» (٦٤٩ طبعة الصميعي) من طرق عن أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر بن الخطاب، وقال ابن حجر في «الفتح»: وصله عبد بن حميد في «تفسيره» ومسدد في «مسنده» وعبدالرحمن بن رستة في «كتاب الإيمان» كلهم من طريق أبي إسحاق عن حسان بن فائد عن عمر مثله، وإسناده قوي، وقد وقع التصريح بسماع أبي إسحاق له من حسان، وسماع حسان من عمر في رواية رستة، وحسان بن فائد بالفاء عبسي بالموحدة.

قال أبو حاتم: شيخ، وذكره ابن حبان في الثقات. اهـ.

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ١٣١) من ثلاثة طرق عن مجاهد في كل منها علة، ويتقوى بمجموعها، وأخرجه من طريقين عن داود عن أبي العالية.

قلت: وصح هذا القول أيضًا عن الشعبي وزيد وسعيد بن جبير.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٨٢) وأبهم شيخه.

الأول لأن السحر من عمل الشيطان، وعنه أيضًا الجبت الشرك[١]، وعنه الجبت الأصنام[٢]، وعنه الجبت حيي بن أخطب[٣]، وعن الشعبي الجبت كاهن[٤]. وعن مجاهد الجبت كعب بن الأشرف[٥]، ولا منافاة أيضًا فإن السحر من الشرك الذي يشمله عبادة غير الله، وحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ممن خاصم رسول الله ﷺ بالسحر، والكاهن عامل بالسحر، وقال في القاموس: الجبت بالكسر الصنم والكاهن والساحر والسحر والذي لا خير فيه وكل ما عبد من دون الله ﷻ[٦].

ومن أنواعه العقد والنفث فيه قال الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: الآية ٤]، وقد تقدم حديث عائشة في قصة لبيد بن الأعصم[٧]، وقد ثبت في حديث نزول المعوذتين ورقية جبريل النبي ﷺ بهما أنه كان كلما قرأ آية انحلت عقدة[٨]. وقال النسائى رحمه الله تعالى في كتاب تحريم الدم من سننه: «**الحكم في السحرة**»[٩] أخبرنا عمرو بن على قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا عباد بن ميسرة المنقرى عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وكل إليه**»[١٠] وقد أطلق السحر على ما فيه التخييل في قلب

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٤٨٣) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا منقطع.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٥/ ١٣١) وابن أبي حاتم (٥٤٨٤) من طريق العوفيين عن ابن عباس.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٥/ ١٣٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهذا منقطع، وأخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٨٤) من طريق العوفيين.

(٤) حسن إلى الشعبي: أخرجه ابن أبي حاتم (٥٤٨٥) من طريق حنش بن الحارث عن الشعبي، وحنش لا بأس به.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٥/ ١٣٣) وابن أبي حاتم (٥٤٨٦) من طريق ليث عن مجاهد، وإسناده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم.

(٦) القاموس المحيط للفيروزابادي (١/ ١٤٤ طبعة دار الكتب).

(٧) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وسبق تخريجه.

(٨) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧٥) نقلًا عن «تفسير الثعلبي»، وقال في آخره: هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد.

(٩) سنن النسائي (٧/ ١١٢).

(١٠) ضعيف الإسناد: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٧/ ١١٢) وفي «السنن الكبرى» (٣٥٤٢) والطبراني في «الأوسط» (١٤٦٩) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٤١) من طريق عباد بن ميسرة المنقري عن=

الأعيان وإن لم يكن السحر الحقيقي كما في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»(١) يعنى لتضمنه التخييل فيخيل الباطل في صورة الحق، وإنما عنى به البيان في المفاخرة والخصومات بالباطل ونحوها كما يدل عليه أصل القصة في التميميين اللذين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدهما في حسب الآخر ونسبه، وكذلك قال ﷺ: «إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَحْكُمُ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ حَكَمْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ»(٢) أو كما قال، وهو في الصحيح، وأما البيان بالحق لنصرة الحق فهو فريضة على كل مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وهو من الجهاد في سبيل اللَّه ﷻ. وقد سمى ﷺ ما يعمل عمل السحر سحرًا وإن لم يكن سحرًا كقوله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ، هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ»(٣) رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه. والعضه في لغة قريش السحر، ويقولون للساحر عاضه، فسمى النميمة سحرًا لأنها تعمل عمل السحر في التفرقة بين المرء وزوجه وغيرهما من المتحابين بل هى أعظم في الوشاية لأنها تثير العداوة بين الأخوين. وتسعر الحرب بين المتسالمين كما هو معروف مشاهد لا ينكر. وقد جاء الوعيد للقتات في الآيات والأحاديث كثيرًا جدًّا، ومع هذا فالخداع للكفار للفتك بهم وإظهار المسلمين عليهم وكسر شوكتهم وتفريق كلمتهم من أعظم الجهاد وأنفعه وأشده نكاية فيهم كما فعله نعيم بن مسعود الغطفانى رضي الله عنه في تفريق كلمة الأحزاب بإذن رسول اللَّه ﷺ حتى فرق بين قريش وبين يهود بنى قريظة ونقض اللَّه بذلك ما أبرموه وللَّه الحمد والمنة.

حل السحر بالمشروع

وَحَلُّهُ بِالوَحْيِ نَصًّا يشْرَعُ   أَمَّا بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَيمْنَعُ

«وحله» يعنى حل السحر عن المسحور «ب» الرقى والتعاويذ والأدعية من «الوحي»

= الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف عباد وتدليس الحسن، وأخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ١٧) عن الحسن مرسلًا، وإسناده ضعيف للإرسال.

وأما قوله: «من تعلق شيئًا وكل إليه»، فسبق الكلام عنه.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥١٤٦، ٥٧٦٧) ومسلم (٨٦٩) وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧١٦٩) ومسلم (١٧١٣) من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعًا به.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٠٦) وأحمد (١/ ٤٣٧) والدارمي (٢٧١٥) من حديث ابن مسعود مرفوعًا به.

الكتاب والسنة «**نصًا**» أي بالنص «**يشرع**» كما رقى جبريل النبي ﷺ «بالمعوذتين»، وكما يشمل ذلك أحاديث الرقى المتقدمة في بابها التي أمر بها الشارع ﷺ وندب إليها، ومن أعظمها «فاتحة الكتاب» «وآية الكرسي» «والمعوذتين» «وآخر سورة الحشر»، فإن ضم إلى ذلك الآيات التي فيها التعوذ من الشياطين مطلقًا والآيات التي يتضمن لفظها إبطال السحر كقوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١١٨ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ۝١١٩﴾، وقوله ﷻ: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: الآية ٨١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: الآية ٦٩]، ونحوها كان ذلك حسنا. ومثل ذلك الأدعية والتعاويذ المأثورة عن النبي ﷺ الواردة في الأحاديث الصحيحة كما تقدم كثير منها في باب الرقى، وكحديث: «**ربنا اللَّه الذي في السماء، تبارك اسمك، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ**»[(١)] رواه أبو داود، وكحديث عثمان بن أبي العاص أنه قال: أتاني رسول اللَّه ﷺ وبي وجع قد كاد يهلكني، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ**» قال: ففعلت فأذهب اللَّه ما كان بي فلم أزل آمر به أهلي وغيرهم[(٢)]، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وكتب السنة من الأمهات وغيرها مشحونات بالأدعية والتعوذات الكافية الشافية بإذن اللَّه ﷻ، فمن ابتغى ذلك وجده، واللَّه الموفق.

«**أما**» حل السحر عن المسحور «**بسحر مثله فيحرم**»، فإنه معاونة للساحر وإقرار له على عمله، وتقرب إلى الشيطان بأنواع القرب ليبطل عمله عن المسحور، ولهذا قال الحسن: «لا يحل السحر إلا ساحر»[(٣)]. ولما قيل للنبي ﷺ لو تنشرت، فقال: «**أما أنا فقد**

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٨٩٢) وغيره، وسبق تخريجه والكلام عليه في الكلام على الفوقية في أوائل الكتاب.

(٢) صحيح: أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٤٢) وأبو داود (٣٨٩١) والترمذي (٢٠٨٠) وابن ماجة (٣٥٢٢) وأحمد (٤/ ٢١) وابن حبان (٢٩٦٥) جميعًا من طريق يزيد بن خصيفة عن عمرو بن كعب عن نافع بن جبير عن عثمان بن أبي العاص، وصححه الترمذي، وأخرجه مسلم (٢٢٠٢) وابن حبان (٦٩٦٤، ٦٩٦٧) من طريق يونس عن ابن شهاب عن نافع بن جبير عن عثمان به، وليس عندهما الموقوف من كلام عثمان بن أبي العاص.

(٣) أورده ابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/ ٤٩) وعزاه لابن جرير في «تهذيب الآثار» عن حميد بن مسعدة عن يزيد بن زريع عن قتادة عن الحسن.

شفاني الله وعافاني، وخشيت أن أثير على الناس شرًّا»[1] وقال أبو داود في كتاب الطب من سننه «باب في النشرة»[2] حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا: عبد الرزاق حدثنا: عقيل بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: «**هو من عمل الشيطان**»[3].

ولهذا ترى كثيرًا من السحرة الفجرة في الأزمان التي لا سيف فيها يردعهم يتعمد سحر الناس ممن يحبه أو يبغضه ليضطره بذلك إلى سؤاله حله ليتوصل بذلك إلى أموال الناس بالباطل فيستحوذ على أموالهم ودينهم نسأل الله تعالى العافية.

وَمَنْ يصَدِّقْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرْ ... بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ الْمُعْتَبَرْ

«**ومن يصدق كاهنًا**» يعتقد بقلبه صدقه في ما ادعاه من علم المغيبات التي استأثر الله تعالى بعلمها «**فقد كفر**» أى بلغ دركة الكفر بتصديقه الكاهن «**بما أتى به الرسول**» محمد ﷺ عن الله ﷻ من الكتاب والسنة وبما أتى به غيره ﷺ من الرسل عليهم السلام. ولنسق الكلام أولًا في تعريف الكاهن من هو ثم في بيان كذبه وكفره ثم في كفر من صدقه بما قال والله المستعان، فنقول: الكاهن في الأصل: هو من يأتيه الرئى من الشياطين المسترقة السمع تتنزل عليهم كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾، وهذه الآيات متعلقة بما قبلها وهى قوله ﷻ لما قال المشركون في رسوله محمد ﷺ إنه كاهن وقالوا في القرآن كهانة وأنه مما يلقيه الشيطان، فنفى الله تعالى ذلك وبرأ رسوله وكتابه مما أفكوه وافتروه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾، إلى أن قال تعالى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾. فأثبت تعالى أن القرآن كلامه وتنزيله، وأن جبريل ﷺ رسول منه مبلغ كلامه إلى الرسول البشرى محمد ﷺ، وهو مبلغ له إلى الناس، ثم نفى ما افتراه المشركون

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٦٥) ومسلم وغيرهما واللفظ للبخاري، والحديث سبق تخريجه.

(٢) «سنن أبي داود» (٤/ ٦).

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٣٨٦٨) وأحمد (٣/ ٢٩٤) وغيرهما من حديث عقيل بن معقل عن وهب بن منبه عن جابر مرفوعًا، وعقيل صدوق.

قلت: والنشرة هي حل السحر عن المسحور وهي نوعان، حل بسحر مثله وهو حرام، وحل بالرقى الشرعية والتعوذات النبوية والدعوات المباحة، وهذا جائز، وانظر كلام ابن القيم رحمه الله في كتابه «الطب النبوي» بتحقيقي.

عليه فقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠﴾ [الشعراء: الآية ٢١٠] وقرر انتفاء ذلك بثلاثة أمور:

الأول: بعد الشياطين وأعمالهم عن القرآن وبعده وبعد مقاصده منهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمْ﴾ [الشعراء: الآية ٢١١] لأن الشياطين مقاصدها الفساد والكفر والمعاصي والبغي والعتو والتمرد وغير ذلك من القبائح، والقرآن آت بصلاح الدنيا والآخرة، آمر بأصول الإيمان وشرائعه مقرر لها مرغب فيها زاجر عن الكفر والمعاصي ذام لها متوعد عليها آمر بالمعروف ناه عن المنكر، ما من خير آجل ولا عاجل إلا وفيه الدلالة عليه والدعوة إليه والبيان له، وما من شر عاجل ولا آجل إلا وفيه النهي عنه والتحذير منه، فأين هذا من مقاصد الشياطين؟

الثاني: عجزهم عنه فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: الآية ٢١١] أي لو انبغى لهم ما استطاعوه، لأنه كلام رب العالمين ليس يشبه كلام شيء من المخلوقين، وليس في وسعهم الإتيان به ولا بسورة من مثله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]

الثالث: عزلهم عن السمع وطردهم عن مقاعده التي كانوا يقعدون من السماء قبل نزول القرآن فقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [الشعراء: الآية ٢١٢] فبين تعالى - مع كونه لا ينبغي لهم - أنه لو انبغى ما استطاعوا الإتيان به أو بمثله لا من عند أنفسهم ولا نقلًا عن غيرهم من الملائكة، نفى عنهم الأول بعدم الاستطاعة، والثاني بعزلهم عن السمع وطردهم منه قال الله ﷻ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: الآية ٩] إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: الآية ٥] وقال تعالى عن مؤمني الجن ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠﴾، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قالوا:

ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهو ﷺ بنخل عامدًا إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء. فرجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾، فأنزل الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: الآية ١] [(١)]، وهذا الحديث بطوله وطرقه في الصحيحين وغيرهما، ثم قال تعالى في جواب الكفار مبينًا لهم أولياء الشياطين الذين تنزل عليهم فقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١﴾ [الشعراء: ٢٢١] الآيات. وفي «صحيح البخاري» قالت عائشة ﵂: سأل ناس النبي ﷺ عن الكهان، فقال: «**إِنَّهُمْ لَيسُوا بِشَيءٍ**» قالوا يا رسول الله إنهم يحدثون بالشيء يكون حقًا، فقال النبي ﷺ: «**تِلكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يخْطَفُهَا الجنِّي فَيقَرْقِرُهَا فِي أُذُنِ وَلِيهِ كَقَرْقَرَةِ الدَّجَاجِ، فَيخْلِطُونَ مَعَهَا أكثرَ مِن مِائةِ كَذِبَةٍ**» [(٢)]. وله عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا قَضَى اللَّهُ الأمرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الملائكةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَأَنهُ سِلسِلةٌ عَلَى صَفْوانٍ، فَإِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِم قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُم قَالُوا الحقَّ وَهُوَ العَلِي الكَبِيرُ، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُوا السَّمعِ وَمُسْتَرِقُوا السَّمعِ هَكَذَا بَعْضُهُ فَوقَ بَعْض**- وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه- **فَيَسْمَعُ الكَلِمَةَ فَيلْقِيهَا إِلَى مَن تَحتَهُ، ثُمَّ يلْقِيهَا الآخرُ إِلَى مَن تحتَهُ، حتَّى يلْقِيهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أو الكَاهِنِ فَرُبما أدْرَكَهُ الشِّهابُ قَبلَ أنْ يلْقِيهَا وربما ألْقَاهَا قَبلَ أنْ يدْرِكَهُ، فيكذِبُ مَعَهَا مِائةَ كذبةٍ، فيقَالُ: أوَ لَيسَ قَد قَالَ لَنَا يومَ كَذَا وَكَذَا، كَذَا وَكَذَا؟ فَيصَدَّقُ بِتِلكَ الكَلِمَةِ التِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ**» [(٣)] ولمسلم عن ابن عباس نحوه، وللبخاري عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الملائكةَ تحدثُ فِي العَنَانِ**- والعنان الغمام- **بالأمرِ فِي الأرْضِ، فَتَسْمَعُ الشياطينُ الكَلِمةَ فَتقرُّها فِي أُذُنِ الكَاهِنِ كمَا تُقرُّ القَارُورَةُ، فيزِيدُونَ مَعَهَا مِائةَ كذبةٍ**» [(٤)]. وقد بين الله تعالى كذب الكاهن بقوله ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الجاثية: ٧]

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٢١) ومسلم (٤٤٩) من حديث ابن عباس.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٦٢) ومسلم (٢٢٢٨) من حديث عائشة.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٠٠) من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٢٢٢٩) من حديث ابن عباس.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٨٨) واللفظ له، وهو عند مسلم بنحوه كما سبق لفظه قبل تعليق.

فسماه أفاكًا وذلك مبالغة في وصفه بالكذب. وسماه أثيمًا وذلك مبالغة في وصفه بالفجور، وقوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ﴾[الشعراء: الآية ٢٢٣] أي أكثر ما يقولونه الكذب فلا يفهم منه أن فيهم صادقًا، يفسره قول النبي ﷺ: «**فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ**» فلا يكون صدقًا إلا الكلمة التي سمعت من السماء.

وأما كفر الكاهن فمن وجوه: منها «كونه وليا للشيطان» فلم يوح إليه الشيطان إلا بعد أن تولاه، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[الأنعام: الآية ١٢١]، «والشيطان لا يتولى إلا الكفار» ويتولونه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة: الآية ٢٥٧]، وهذا وجه ثان.

والثالث: قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾[البقرة: الآية ٢٥٧] أي: نور الإيمان والهدى ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة: الآية ٢٥٧] أي: ظلمات الكفر والضلالة. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾[النساء: الآية ١١٩]، وهذا وجه رابع.

والخامس: «تسميته طاغوتًا» في قوله ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء: الآية ٦٠]، نزلت في المتحاكمين إلى كاهن جهينة[(١)]. وقوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾[النساء: الآية ٦٠] أي: الطاغوت. وهذا وجه سادس.

والسابع: أن من هداه الله للإيمان من الكهان كسواد بن قارب ﵁ لم يأته رئيه بعد أن دخل في الإسلام، فدل أنه لم ينزل عليه في الجاهلية إلا لكفره وتوليه إياه، حتى إنه ﵁ كان يغضب إذا سئل عنه حتى قال له عمر ﵁: ما كنا فيه من عبادة الأوثان أعظم[(٢)].

الثامن وهو أعظمها: تشبهه بالله ﷻ في صفاته ومنازعته له تعالى في ربوبيته، فإن علم الغيب من صفات «الربوبية التي استأثر الله تعالى بها دون من سواه» فلا سمي له ولا

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ١٥٢، ١٥٣) من مرسل الشعبي ومرسل قتادة، وهو صحيح إليهما. لكن علته الإرسال.

(٢) ضعيف جدًا: أخرجه أبو يعلى (٣٢٩) والحاكم (٦٥٥٨) والطبراني في «الكبير» (٧/ ٩٢ح ٦٤٧٥) جميعًا من طريق عثمان بن عبدالرحمن الوقاص عن محمد بن كعب القرظي عن عمر. وإسناده ضعيف جدًا. فيه عثمان الوقاصي وهو متروك واتهم بالكذب.

مضاهي ولا مشارك: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[الأنعام: الآية ٥٩]، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾[النمل: الآية ٦٥]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾[الطور: الآية ٤١]، ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾[النجم: الآية ٣٥]، ولسان حال الكاهن ومقاله يقول نعم.

التاسع: أن دعواه تلك تتضمن التكذيب بالكتاب وبما أرسل اللَّه به رسله.

العاشر: النصوص في كفر من سأله عن شيء فصدقه بما يقول فكيف به نفسه فيما ادعاه؟! فقد روى الأربعة والحاكم وقال صحيح على شرطهما عن أبي هريرة ﷺ: **«مَن أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بما يقُولُ فقَدْ كَفَرَ بمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ»**[1]. وعن عمران بن حصين ﷺ: **«ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»**[2]. ولمسلم عن بعض أزواج

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩) من طريق عوف عن خلاس عن أبي هريرة والحسن مرفوعًا به، وإسناده ضعيف، خلاس لم يسمع من أبي هريرة، والحسن مرسل، لكن أخرجه الحاكم (١٥) والبيهقي (٨/ ١٣٥) من طريق عوف عن خلاس ومحمد عن أبي هريرة مرفوعًا به، وإسناده صحيح، ومحمد هو ابن سيرين، وللحديث طريق آخر عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (١٣٥) وأبو داود (٣٩٠٤) وابن ماجة (٦٣٩) وأحمد (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦) والدارمي (١/ ٢٥٩) من طريق حماد بن سلمة عن حكيم بن الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة مرفوعًا. وإسناده ضعيف لأن أبا تميمة لم يسمع من أبي هريرة، وحكيم فيه لين.

وقد أنكر البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٧) على حكيم هذا الحديث وذكر أنه لا يتابع عليه، وللحديث شاهد من حديث ابن عمر أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٥٦) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف، وشاهد آخر من حديث أنس مرفوعًا أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٤٦) وفي إسناده يوسف بن أسباط وهو ضعيف ترجمته «باللسان» (٦/ ٤١١).

قلت: وطرق حديث أبي هريرة يتقوى بعضها ببعض، وهذا المتن قد صح موقوفًا عن ابن مسعود أخرجه أبو يعلى (٥٤٠٨) وابن الجعد (٤٢٥، ١٩٤١- ١٩٥٠) والبيهقي (٨/ ١٣٦) من طريق أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم عن ابن مسعود موقوفًا وإسناده حسن.

(٢) **ضعيف الإسناد ولبعضه شواهد**: أخرجه الطبراني (١٨/ ١٦٢ح ٣٥٥) والبزار (٣٥٧٨) من طريق إسحاق بن الربيع أبي حمزة العطار عن الحسن عن عمران بن حصين مرفوعًا، وإسناده ضعيف للكلام في إسحاق بن الربيع وتدليس الحسن.

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١١٧) وقال: ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق بن الربيع وهو ثقة.

=

النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَن شَيءٍ لَم تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيلَةً»(١) فهذا حكم من سأله مطلقًا، والأول: حكم من سأله وصدقه بما قال.

ثم أعلم أن الكاهن: وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عام في كل من ادعى معرفة المغيبات ولو بغيره كالرمال الذي يخط بالأرض أو غيرها.

والمنجم الذي قدمنا ذكره أو الطارق بالحصى وغيرهم ممن يتكلم في معرفة الأمور الغائبة كالدلالة على المسروق ومكان الضالة ونحوها أو المستقبلة كمجيء المطر أو رجوع الغائب أو هبوب الرياح ونحو ذلك مما استأثر الله ﷻ بعلمه فلا يعلمه ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا من طريق الوحي كما قال تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾، ملائكة يحفظونه من مسترقي السمع وغيرهم ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن: الآية ٢٨]. فمن ذا الذي يدعى علم ما استأثر الله بعلمه عن رسله من الملائكة والبشر؟ كما قال تعالى عن نوح ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٠]، الآية، وقال تعالى عن هود ﷺ: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: الآية ٢٣]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٠] الآية. وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأحقاف: الآية ٩] الآية، وقال تعالى عن الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ الآيات.

ولم يعلم الرسول ﷺ مكان راحلته حتى أعلمه الله بذلك(٢).

= قلت: وأخرجه البزار (٣٠٤٣ كشف) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣٩) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وفي إسناده زمعة بن صالح وهو ضعيف، وبه أعله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧) وانظر الحديث السابق.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٣٠) وأحمد (٤/ ٦٨) و (٥/ ٣٨٠) واللفظ لمسلم.

(٢) **حسن**: أورده ابن هشام في «السيرة» (٤/ ٣٥٣ طبعة ابن رجب) عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن رجال من بني عبد الأشهل به، وإسناده حسن، ومحمود صحابي صغير، وشيوخه صحابة على ما يظهر، وابن إسحاق صرح بالتحديث، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن=

وقال في سؤال الحبر إياه فأجابه ﷺ وصدقه الحبر ثم انصرف فذهب فقال رسول الله ﷺ «لَقَد سَألَنِي هَذَا عَنِ الذِي سَألَنِي عَنهُ وَمَا لِي عِلمٌ بِشَيءٍ مِنهُ حَتَّى أَتَانِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ»[1] وهي في مسلم.

وفيه قول عائشة ﵂ لمسروق رحمه الله تعالى: ومن زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية، والله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: الآية ٦٥][2].

ولم يكن ﷺ يعلم شيئًا من الرسالة حتى أتاه الله ﷻ به كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ [الضحى: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: الآية ٥٢]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود: الآية ٤٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦﴾ [يونس: الآية ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: الآية ١١٣].

نسأل الله العظيم من فضله العظيم.

* * *

= جرير في «تاريخه» (٢/ ١٨٤) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٣٢).

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣١٥) وابن خزيمة (٢٣٢) وابن حبان (٧٤٢٢) والحاكم (٦٠٣٩) وغيرهم من حديث ثوبان مرفوعًا به.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٥٥، ٧٣٨٠) ومسلم (١٧٧) وغيرهما عن عائشة واللفظ لمسلم.



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

* * *

